

علم اللسان العربي



د. عبد المجيد مجاهد

الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات

علم

اللسان العربي

عبد المجيد مجاهد

2010

علم اللسان العربي

د. عبد المجيد مجاهد

الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات
408 ص؛ 17×24 سم

2009/5415

978 977 477 015 9

1- اللغة العربية.

أ- العنوان

جميع حقوق النشر محفوظة للناشر

ص.ب: 203 مكتب بريد هليوبوليس - مصر الجديدة 11757
القاهرة - جمهورية مصر العربية

u_ara@yahoo.com

www.uarab.net

002 - 010 - 1763677

002 - 010 - 3401184

• اسم الكتاب :

• تأليف :

• الناشر :

• رقم الإيداع :

• تدمك :

• الحقوق :

• العنوان :

• البريد الإلكتروني :

• الموقع الإلكتروني :

• موبايل :

مقدمة المقرر

وصف المقرر:

عزيزي الدارس:

مرحباً بك الى مقرر (5445) علم اللسان العربي الذي يعد أحد المقررات التخصصية في برنامج التربية / تخصص اللغة العربية وآدابها في جامعة القدس المفتوحة. وعلم اللسان العربي ينضم إلى بقية المقررات في تخصص اللغة العربية وآدابها، ليحدد الإطار العام لأنظمة العربية، وقضاياها في الماضي والحاضر، وخصائصها وعلاقتها بغيرها من اللغات، واتجاهات البحث فيها. ومن أجل أن نفهي هذه المسائل حقها من البحث والدرس والتحليل فنصل إلى الغاية المرجوة.

الأهداف العامة للمقرر:

- عزيزي الدارس، يتوقع منك بعد دراسة هذا المقرر، والإجابة عن أسئلة التقويم الذاتي والتدريبات والأنشطة الواردة فيه أن تصبح قادراً على أن .
- (1) تحدد مفهوم علم اللسان عند العرب وفي الغرب.
 - (2) تبين جهود اللغويين العرب القدماء في علم اللسان.
 - (3) تحديد موقع العربية من أسرتها اللغوية وتمييز خصائصها.
 - (4) تحدد الصلة بين العربية ولهجاتها قديماً وحديثاً.
 - (5) تعي ثوابت اللغة ومتغيراتها في ضوء التطور اللغوي.
 - (6) تدرك طرائق نمو العربية كالاشتقاق والنحت والتعريب؛ وطرق العربية في التعريب لمواجهة مستجدات الحضارة، وكيفية تعدد المعاني فيها بالترادف والاشتراك والتضاد.
 - (7) تلم بالمناهج اللغوية وتطبيقها في دراسة العربية.
- وعليك، عزيزي الدارس، لتتم الفائدة لك، في أثناء دراسة المقرر، أن تبادل إلى حل أسئلة التقويم الذاتي، وأن تُقبل على استخدام المصادر والمراجع التي نحيلك إليها في القراءات المساعدة لكل وحدة، التي تعد وثيقة الصلة بمادة الوحدة ومضمونها، عدا بُنيت المصادر والمراجع الواردة في نهاية الوحدة.

محتوى المقرر:

تم توزيع المقرر إلى ست وحدات، وفق الترتيب التالي:

الوحدة الأولى: مفهوم علم اللسان العربي: وتتناول هذه الوحدة مفهوم علم اللسان العام عند العرب قديماً، وعند غيرهم حديثاً، وأنظمة العربية التي جرى درسها عند العرب: صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة، مع بيان علاقة علم اللسان بالعلوم المساعدة.

الوحدة الثانية: أصالة جهود علماء العربية القدماء في علم اللسان: وتتناول دوافع البحث اللساني عندهم، ومناقشة دور السريان واليونان والهنود ومدى تأثيرهم في علم اللسان العربي، وأظهر الموضوعات التي تناولتها كتب فقه اللغة مثل: نشأة اللغة، والإعراب.

الوحدة الثالثة: أصول العربية: وتتناول الأسر اللغوية وأسرة اللغات السامية، وخصائصها وخصائص العربية ونقوشها البائدة.

الوحدة الرابعة: العربية الفصحى واللهجات: وتتناول ما تتميز به اللغة ولهجاتها، ومصادر الاحتجاج اللغوي، والازدواجية.

الوحدة الخامسة: العربية والتطور اللغوي: وتتناول مظاهر التطور اللغوي في العربية في الصوت والدلالة، وطرق نموها كالاشتقاق والنحت والتعريب، ومظاهر تعدد المعنى فيها كالترادف والتضاد والاشتراك اللفظي.

الوحدة السادسة: العربية والمناهج اللغوية: وتتناول مناهج الدراسة اللغوية كالمنهج المعياري والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن، والمنهج الوصفي.

مفتويات المقرر

رقم الوحدة	عنوان الوحدة	الصفحة
(01)	مفهوم علم اللسان العربي	1
(02)	أصالة جهود علماء العربية القدماء في علم اللسان	99
(03)	أصول العربية	149
(04)	العربية القصصى واللهجات	193
(05)	العربية والتطوّر اللغوي	257
(06)	العربية والمناهج اللغوية	369



الوحدة الأولى

مفهوم علم اللسان العربي

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة
1. المقدمة.....	5
1.1 تمهيد.....	5
2.1 أهداف الوحدة.....	5
3.1 أقسام الوحدة.....	5
4.1 القراءات المساعدة.....	6
5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة.....	6
2. مفهوم علم اللسان العربي.....	7
3. النظام اللغوي للعربية.....	22
1.3 مجالات الدرس اللساني العربي.....	25
1.1.3 المستوى الصوتي.....	25
2.1.3 المستوى الصرفي.....	43
3.1.3 المستوى النحوي.....	54
4.1.3 المستوى الدلالي.....	72
4. علاقة علم اللسان بالعلوم المساعدة.....	80
1.4 علاقة علم اللسان بعلم الاجتماع.....	80
2.4 علاقة علم اللسان بعلم النفس.....	82
3.4 علاقة علم اللسان بالأنثروبولوجيا (علم الانسان).....	83
5. الخلاصة.....	86
6. لمحة عن الوحدة الدراسية الثالثة.....	86
7. إجابات التدريبات.....	87
8. المراجع.....	91

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس، مرحباً بك إلى هذه الوحدة، وهي الوحدة الأولى، من مقرر علم اللسان العربي، وعنوان هذه الوحدة هو مفهوم علم اللسان، الذي أرجو أن يصبح المقصود به واضحاً بعد الفراغ من دراسة هذه الوحدة.

فلنبدأ في هذه الوحدة، من أجل الوصول إلى مفهوم واضح للسان العربي، سنبيين المفهوم العام لعلم اللسان عند العرب وغيرهم، ثم نصل هذا الحديث، بتعريفك بنظام اللغة العربية، الذي يتألف من مستويات عدة تكون ميداناً للدرس اللساني للعربية، بعد أن كانت كذلك عند العرب، قديماً وهي المجالات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

ولا بأس أن ننهي حديثنا في هذه الوحدة عن علاقة علم اللسان بعلم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا.

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك عزيزي الدارس، بعد فراغك من دراسة الوحدة، أن تصبح قادراً على أن:

1. تحدّد مفهوم علم اللسان عند العرب وغيرهم.
2. تصف النظام اللغوي للعربية.
3. تميز كل نظام من الأنظمة الفرعية التي يتألف منها النظام اللغوي العربي: كنظام الأصوات، والنظام الصرفي، والنظام النحوي، والنظام الدلالي والمعجمي.
4. تحدد علاقة علم اللسان بالعلوم اللازمة المساعدة كعلم الاجتماع، وعلم النفس، والأنثروبولوجيا.

3.1 أقسام الوحدة

تشتمل هذه الوحدة على الأقسام الثلاثة التالية:

القسم الأول: مفهوم علم اللسان، نلقي فيه الضوء أولاً على الاصطلاحات التي شاعت عند العرب قديماً وحديثاً؛ لما لها من دلالة على شمولية البحث في خصائص اللغة العربية، ونبيّن ثانياً لمّ وقع الاختيار على مصطلح علم اللسان دون غيره، وندخل بعد ذلك في تحديد مفهوم علم اللسان حديثاً، وبيان فروع هذا العلم، وهذا القسم يغطي الهدف الأول.

القسم الثاني: النظام اللغوي للعربية، اللغة العربية نظام كغيرها من اللغات، وله

عناصر أو مستويات، هي مجالات الدرس اللساني، وهي: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى الدلالي، وهذا القسم يغطي الهدفين الثاني والثالث؛ لأن هذه المستويات هي مجالات الدرس اللساني للعربية عند العرب. القسم الثالث: علاقة علم اللسان بالعلوم التالية: علم الاجتماع، علم النفس، علم الأنثروبولوجيا (علم الإناسة)، وهذا يغطي الهدف الرابع.



4.1 القراءات المساعدة

- 1- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1975.
- 2- بشر، كمال: دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، مصر: دار المعارف 1969.
- 3- حجازي، محمود فهمي: أسس علم اللغة العربية، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978م.
- 4- سبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.
- 5- الراجحي، عبده: فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت: دار النهضة العربية، 1974م.
- 6- الراجحي، عبده، اللغة وعلوم المجتمع، الاسكندرية: 1977.
- 7- عبد الوارث، مبروك سعيد: في إصلاح النحو العربي، ط1، الكويت: دار القلم، 1985م - 1466هـ
- 8- عمر، أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ط4، القاهرة: عالم الكتب 1402 هـ - 1982 م.
- 9- مطر، عبد العزيز: علم اللغة وفقه اللغة، قطر: دار قطري بن الفجاءة، 1405 هـ - 1986 م.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

- 1- دراسة الوحدة والإجابة عن الأسئلة المطروحة في التقويم الذاتي والتدريبات.
- 2- الاطلاع على المراجع ذات العلاقة بالوحدة.
- 3- ومتابعة ما يكتبه المعاصرون حول مباحث الوحدة.

2. مفهوم علم اللسان العربي

قبل الدخول في تحديد مفهوم علم اللسان في العصر الحديث، أرى أن نقدم لذلك بإلقاء الضوء على الاصطلاحات التي شاعت في علوم اللغة العربية، ودلالاتها في الدراسات اللسانية العربية واتجاهاتها منذ بدئها في القرن الأول الهجري إلى عصرنا الحاضر؛ من أجل الاستفادة من المفاهيم اللسانية التي وصفها قدامى العرب، مع بيان سبب اختيارنا مصطلح علم اللسان دون غيره.

لو ألقينا نظرة إلى كتب الطبقات وكتب التراث التي تؤرخ للغة واللغويين ودراساتهم عند العرب لصادفنا اصطلاحان هما: العربية، والنحو؛ ففي كتاب أخبار النحويين البصريين للسيرافي ت 368 هـ نجد الأخبار التالية: "أول من رسم النحو: أبو الأسود الدؤالي" (1) أول من وضع العربية أبو الأسود" (2) "فأما أبو عمرو بن العلاء فهو من الأعلام والرواية عنه في القراءة والنحو واللغة كثيرة" (3) "وذكر أبو زيد النحوي اللغوي" (4) وكان أبرع أصحاب الخليل في النحو سيبويه، وغلب على النضر بن شميل اللغة" (5) "وكان من أهل البصرة جماعة انتهى إليهم علم اللغة، وكانوا نحويين منهم: الخليل بن أحمد، وأبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، والأصمعي، وأبو زيد الأنصاري وهؤلاء المشاهير في اللغة.... ولهم كتب مصنفة" (6).

ونجد الاصطلاحات نفسها في أخبار مشابهة في كتاب طبقات آخر هو "طبقات النحويين واللغويين" لأبي بكر الزبيدي (ت 379 هـ)، صاحب "الواضح في العربية" وهو كتاب نحو، ومنها "أبو الأسود أول من أسس العربية" (7) "وأحمد بن يحيى ثعلب يقول "في سنة تسع ومائتين طلبت اللغة والعربية" (8) "وأبو موسى الحامض كان بارعاً في اللغة والنحو على مذهب الكوفيين" (9) "أبو عمرو بن العلاء كان أعلم باللغة، وعلم القرآن والنحو في زمانه" (10) "كان أبو الوليد عبد الله بن عبد الملك الفهري شيخ أهل اللغة والعربية والنحو" (11).

(1) السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص 33 (2) المرجع السابق: ص 43

(3) السابق نفسه: ص 46.

(4) نفسه: ص 64

(5) نفسه: ص 64

(6) نفسه: ص 67

(7) ص: 21

(8) المرجع السابق: ص 147

(9) السابق: ص 152

(10) نفسه: ص 159

(11) نفسه: ص 229

إنَّ مَنْ يتأمل الأخبار السابقة سيدرك أنَّ النحو والعربية اصطلاحان مترادفان، وأنهما يدلان على مفهوم لساني واحد، يمكننا أن نستدل عليه من شواهد عدة نسوقها للقارئ لاستخلاص المفهوم المقصود: جاء في طبقات ابن سلام خبر ينقله الزبيدي بنصه في طبقاته وهو "وكان أول من أسس العربية وفتح أبوابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها: أبو الأسود

الدؤلي... حين اضطرب كلام العرب، فغلَّبت السليقية، ولم تكن نحوية، فكان سرّاة الناس يلحنون، ووجه الناس، فوضع باب الفاعل والمفعول به، والمضاف وحروف الرفع والنصب والجر والجزم" ⁽¹⁾ فذكره مباحث نحوية صريحة بعد مصطلح "العربية" يدل على أنه مرادف لمصطلح "النحو" في مفهومه اللساني، وقول ابن فارس (ت 395 هـ) في الصحابي يؤيد كذلك هذا الفهم المقصود من مصطلح العربية "وكذلك الحاجة إلى علم العربية، فإنَّ الإعراب هو الفارق بين المعاني" ⁽²⁾ وأما أبو البركات الأنباري (ت 577 هـ) فله كتاب "أسرار العربية"، ومباحثه نحوية، ووصف كتابه الإنصاف في "مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين"، ومسائله نحوية، بمعنى النحو العام أيضاً، بأنه: "أول كتاب صنّف في علم العربية على هذا الترتيب" ⁽³⁾، مما لا يدع مجالاً للشك في ترادف المصطلحين.

ولا حاجة بنا إلى مزيد من النقول لنستدل على أنَّ المقصود من اصطلاح "العربية والنحو" هو: علم الإعراب ومعرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة أفرادها، ومن جهة تركيبها. ⁽⁴⁾ وهذا هو مفهوم النحو عند النحاة المتقدمين، فإنهم يطلقون النحو على ما يشمل التصريف ويعرّف: "بأنه علم يعرف به أحكام الكلم العربية أفراداً وتركيباً". ⁽⁵⁾ وهذا هو المفهوم اللساني للنحو كما تمثله مباحث كتاب سيبويه، الذي انقسم بين أبواب تدور حول بناء الجملة وإعراب أواخر الكلم. وهذا القسم هو الغالب على الكتاب، ويبين أبواب صرقية مثل باب ما بُنيت العرب من الأسماء والصفات والأفعال، وبين أبواب صوتية نحو: باب الإدغام وباب عدد حروف العربية ومخارجها، إضافة إلى أبواب أخرى في غير ما ذكرنا. ويبدو أنَّ المفهوم اللساني الذي استقر للنحو منذ القرن الثاني الهجري

(1) ابن سلام؛ طبقات فحول الشعراء: 1/12، الزبيدي، الطبقات: ص 21.

(2) الصحابي: ص 65 - 66.

(3) الأنباري، الإنصاف: المقدمة: ص 5، وانظر كذلك: ابن النديم، الفهرست: 1/39.

(4) أبو جيان، البحر المحيط: ج 1/ ص 4، 9، 6.

(5) الأستراباذي، شرح شافيه ابن الحاجب: 1/6.

وما بعده هو دلالة على مباحث الإعراب وتركيب الجملة، واستقر مفهوم الصرف حول بناء الكلمة فأصبح قسماً للنحو عند بعض النحاة وعلى رأسهم المازني في كتابه التصريف، بدل أن كان قسماً منه عند المتقدمين.



تدريب (1)

"إن الإعراب هو الفارق بين المعاني" ما المقصود من ذلك ؟



أسئلة التقويم الذاتي (1)

العربية والنحو اصطلاحان مترادفان عند العرب فعلام يدلان؟

ومن المصطلحات التي تداخلت كذلك اللغة وعلم اللغة وفقه اللغة، وترددت في تاريخ البحث اللساني عند العرب،

واشتركت في دلالتها على نوع معين من البحث اللساني، بحيث يمكننا أن نعدّها من المترادفات بما تدل عليه من مفاهيم.

وأما مصطلح اللغة فقد جاء ذكره في الأخبار المنقولة أنفأ⁽¹⁾ حيث نقل في الأخبار إلى جانب النحو والعربية وقد بيّنا مفهومهما المشترك، الذي يختلف بالتأكيد عن المفهوم اللساني المقصود من اصطلاح اللغة؛ وهو اصطلاح لا يخلو من غموض لما يوحي به من عموم، ولتنوع استعماله وسياقاته، فقد يعني: كلام العرب، وما تنطق به من ألفاظ وتلفاهم به من عبارات وهذا هو المعنى العام للغة عند الأجناس البشرية كلها ومن ضمنهم العرب، وهو المفهوم التقليدي. وهناك مفهوم ثانٍ يمكننا أن نؤسسه على المعنى السابق وهو المفهوم الذي يتيح لنا أن نطلق مصطلح " لغوي "، الذي يقابل مصطلح " نحوي " مثلاً، على من يقوم بجمع مفردات اللغة ورواية ما يحفظ كالأصمعي. وقد يصل به الأمر إلى تصنيف الرسائل اللغوية والمعجمات من هذه المفردات كأبي زيد الأنصاري وهذا ما يمكن أن نفهمه من قول عبد اللطيف البغدادي⁽²⁾ " اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه، وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقس عليه " وهذا لا يتناقض ولا يتنافى مع إطلاقنا، حديثاً، مصطلح لغوي أيضاً على كل من قام بالبحث والنظر في أي جانب من جوانب اللغة: الصوتية أو الصرفية أو النحوية أو

(1) ارجع إلى الصفحتين : 8،7.

(2) نقله السيوطي في المزهري جـ 1/ 59.

الدلالية كالخليل بن أحمد من علمائنا القدامى. وأما المفهوم الثالث لاصطلاح اللغة أن تكون بمعنى اللهجة في اصطلاحنا الحاضر، ففي الخصائص نجد هذا المدلول؛ فقد فتح ابن جني باباً سماه باب اختلاف اللغات وكلها حجة وتحته يقول "..... ألا ترى أن لغة التميميين.... ولغة الحجازيين...." ثم "فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ" (1).

وما يهتمان من هذه المفاهيم هو المفهوم الثاني الذي قد يقترب به أو يسبقه كلمة علم، أي علم اللغة، الذي جعل له أبو حيان وجهين من ضمن الوجوه العلمية التي يحتاج إليها في علم التفسير: الوجه الأول الذي ذكر فيه علم اللغة ومدلوله صراحة بقوله " ما يحتاج اليه علم التفسير النظر في تفسير كتاب الله تعالى يكون من وجوه الوجه الأول: علم اللغة اسماً وفعلًا وحرفاً، الحروف لقلتها تكلم على معانيها النحاة؛..... وأما الأسماء والأفعال فتؤخذ من كتب اللغة، وأكثر الموضوعات في علم اللغة: كتاب ابن سيده... ومن الكتب المطولة فيه كتاب الأزهرى، والمُحَكَّم لابن سيده والصَّحاح للجوهري وكتاب البارى لأبي علي القالي ومجمع البحرين للصاغاني وقد حفظت في صفري في علم اللغة كتاب الفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى المحتوي عليها" وذكر وجهاً آخر في الصفحة نفسها هو في الحقيقة راجع إلى علم اللغة فجاء ضمناً ولم يأت صراحة في قوله " معرفة الإجمال والتبيين والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد ودلالة الأمر والنهي وما أشبه هذا (2).

وهكذا يتفق مصطلح علم اللغة مع اصطلاح اللغة على مفهوم العناية بمفردات اللغة وثروتها اللفظية وجمعها مع دلالاتها في مصنفات هي المعاجم التي ذكر أبو حيان بعضاً منها كالحكمم والصحاح والبارى وفصيح ثعلب. وهذا ما نجد له تأييداً عند ابن خلدون حيث يسميه في مقدمته بالاسم نفسه ويبين موضوعه والسبب الداعي لإثارة مباحثه بقوله " هذا العلم (يقصد علم اللغة) هو بيان الموضوعات اللغوية... وذلك لما استمر الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تأذى الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه.... فاحتجج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدُّروس (3)، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث، فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين وكان سابق الطلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي ألف فيها كتاب العين (4) يتضح المفهوم المقصود من خلال ذكره أن كثيراً من كلام العرب قد استعمل في غير موضوعه أي في غير دلالاته ومعناه، بدليل ذكره الحاجة

(1) ابن جني، الخصائص : ج 2 / 11 ، 12 .

(2) أبو حيان ، البحر المحيط : 1 / ص 6 .

(3) بمعنى الاندثار والضياع .

(4) ابن خلدون المقِّمة : 1059.

إلى حفظ هذه الموضوعات اللغوية في معجم كالعين، وغني عن البيان أن أول ما تحفظه المعاجم هو معاني المفردات وشروحها.

والشق الثاني من مفهوم علم اللغة الذي يتيح لنا ما نقلناه عن أبي حيان أنفاً هو ما يصيب ألفاظ اللغة من تنوع دلالي كالتخصيص والتعميم والإطلاق والتقييد، وهو مفهوم لساني يعتبر حلقة من حلقات مباحث اللغة، وقد ربطه ابن خلدون بعلم اللغة. وهذا المفهوم هو الذي يمكننا أن نطلق عليه اصطلاح فقه اللغة، وهو الاصطلاح الثالث الذي يلتقي بقدر مشترك مع اصطلاحى اللغة وعلم اللغة باهتمامه بالمفردات ودلالاتها وهو ما تجلّى بوضوح في كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبي (ت 429 هـ) الذي وضع الألفاظ العربية في مجموعات دلالية جعلت منه معجماً لألفاظ الموضوعات أو المعاني. وهذا أمر لاحظته ابن خلدون فربطه ببصيرة نافذة بعلم اللغة الذي وصفه بأنه بيان للموضوعات اللغوية، أو موضوعات الألفاظ أو معانيها، وهي ما تكفلت بحفظه المعاجم. ومن تمام الحفظ للمعاني الموضوعية، التنبيه على ما يصيبها من تخصيص أو تقييد، أو إطلاق وتعميم عند استعمالها مما يحتاج إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ، حسب تعبيرات ابن خلدون، وتأمل ما سيَتبع وأربطه بكلامه المستشهد به آنفاً، فستجد أن ما نستدل به لاحقاً مرتبط به وهو " ثم لما كانت العرب تضع الشيء على العموم ثم تستعمل، في الأمور الخاصة، ألفاظاً أخرى خاصة بها، فرّق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال، واحتاج إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ، كما وضع الأبيض بالوضع العام لسكل ما فيه بياض ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالأشهب، ومن الإنسان بالأزهر، ومن الغنم بالأملح حتى صار استعمال الأبيض في هذه كلها لحناً وخروجاً على لسان العرب، واختص بالتأليف في هذا المنحنى الثعالبي وأفرده في كتاب له سماه "فقه اللغة" وهو من أكد ما يأخذ به اللغوي نفسه أن يحرف استعمال العرب عن مواضعه، فليس معرفة الوضع الأول بكاف في التركيب حتى يشهد له استعمال العرب⁽¹⁾.

لقد سبق ابن فارس (ت 395 هـ) الثعالبي إلى استعمال اصطلاح فقه اللغة حين سمي كتابه "الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها"، والكتاب دراسة عامة في مباحث كثيرة وليس له موضوع معين إلا ما يمكننا أن نستشفه من قوله في المقدمة "إن لعلم العرب أصلاً وقرعاً، أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات كقولنا: رجل، وفرس، وطويل، وقصير، وهذا هو الذي يُبدأ به عند التعلم⁽²⁾.

(1) المصدر السابق.

(2) الصاحبي: ص 33

المفهوم الذي يمكن أن نخرج به من كلامه المتقدم أنه يقصد اللغة بمعناها العام؛ حيث ينبغي على متعلم لغة ما أن يبدأ بمفرداتها ودلالاتها، وضرب أمثلة لهذه المفردات كالرجل والفرس من الأسماء، وطويل وقصير (من الصفات). وهذا المفهوم يمكن أن يلتقي مع اصطلاح اللغة بشيء من التلطف الحالي من التعسف في الاستنتاج مما سيظهر لك لاحقاً.

ثم يكمل ابن فارس العبارة التي بدأها بقوله: "وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها، ثم على رسوم العرب في مخاطبتها، وما لها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً"⁽¹⁾ ولعلي لا أتجاوز الحقيقة إذا قلت: إن من مقاصده معرفة الألفاظ وما يتعاورها من تنوع دلالي حقيقي أو مجازي وغيرهما، وهو الاستفادة من قوله رسوم العرب وافتنانها في مخاطبتهم، وهو تعميم أعقبه تفصيل دال على تنويع، يمكن أن ندرجه في الشق الثاني من مفهوم علم اللغة وهو ما يصيب ألفاظ اللغة من تخصيص أو تعميم.

وأما قول ابن فارس "والناس في ذلك رجلان: رجل شغل بالفرع وآخر جمع الأمرين معاً، وهذه هي الرتبة العليا، لأن بها يعلم خطاب القرآن والسنة، وعليها يُعَوَّل أهل النظر والفن" ففيه تصنيف لمن يشتغل بالبحث في ألفاظ اللغة، وهما بناءً على ما تقدم صنفان: يجمعهما في رأينا، اصطلاح علم اللغة الذي بيننا شقيه آنفاً⁽²⁾ عند استدلالنا بما نقلناه عن ابن خلدون، وأول الصنفين وهو ما أطلق عليه الاشتغال بالفرع (حفظ المفردات بما تدل عليه) والآخر: الاشتغال بالأصل مع الفرع وهي التي وصفها بالافتنان في الخطاب تحقيقاً ومجازاً وهذه هي الرتبة العليا في البحث والنظر.

وقد جمع كتاب ابن فارس بين دفتيه موضوعات شتى ومختلطة ومنه ما يمكننا أن نلحقه بما سماه فرعاً مثل باب مراتب الكلام في وضوحه⁽³⁾، وفي الباب نفسه تفريع لإشكال الكلام؛ أي المشكل بسبب الاشتراك مثلاً مما يمكن أن نلحقه بما سماه الأصل. وكذلك يلحق بالأصل معاني ألفاظ العبارات وباب الخطاب المطلق والمقيد، وباب سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز وباب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق... وباب العموم والخصوص⁽⁴⁾. وهناك أبواب كثيرة لا تدرج هنا أو هناك.

(1) السابق نفسه.

(2) أحدهما: الانشغال بمفردات اللغة وحفظ معانيها، والآخر: البحث فيما يصيب هذه الألفاظ من تباين أو ترادف أو تخصيص أو اشتراك.

(3) الصحابي: (ص ص 73-75).

(4) المرجع السابق: (ص ص 198-214).

بناءً على ما تقدم، نستطيع أن نتبين أن المفهوم المقصود من اصطلاحات اللغة، علم اللغة، فقه اللغة هو: أنها علم المفردات ودلالاتها وتصنيفها في معاجم ومتابعة تطور دالاتها لمعرفة اشتراكها وترادفها وتعميمها، وهو ما توصل إليه الأستاذ الدكتور كمال بشر بقوله عن الاصطلاحات العربية المستعملة قديماً وهي: اللغة ومتن اللغة وعلم اللغة وفقه اللغة " وكلها تعالج الألفاظ في بحثها اللغوي على أساس الثروة اللفظية بوصفها مفردات ذات دلالات جزئية، لا بوصفها صيغاً صرفية أو وحدات ذات دلالة نحوية في التركيب ودراسة المفردات في معجمات "(1).

وبقيت هذه الاصطلاحات، وتداولها المؤلفون في عصرنا وجعلوها عناوين لمؤلفاتهم، في خلط اصطلاحي واضح، ويظهر في الأربعينيات من هذا القرن كتابان للدكتور علي عبد الواحد وافي أحدهما بعنوان علم اللغة "لدراسة النواميس العامة التي تسير عليها اللغات الإنسانية في نشأتها وانتقالها... وتكوّن مجموعتها وفصائلها وصراعاتها بعضها مع بعض وتطورها من مختلف الوجوه" (2) والآخر بعنوان " فقه اللغة" ويدرس فيه "فصيلة خاصة من فصائل اللغات الإنسانية وهي فصيلة اللغات السامية مفصلين بعض التفصيل في لغة منها، وهي اللغة العربية ومجملين القول فيما عداها، فمؤلفنا هذا في منزلة الجزء الثاني من كتابنا من علم اللغة "غير أننا أثّرنا أن نطلق عليه اسماً خاصاً شاع استعماله في الموضوعات التي يعرض لها وخاصة ما يتعلق منها باللغة العربية" (3).

ويصبح هذا التوجه العام لدى المصنفين في اللغة حديثاً، خاصة في مصر، حيث تُعزّن الكتب التي يكون مجال البحث فيها الدراسات اللسانية العامة وفق مناهجها الجديدة بـ "علم اللغة" وهو الاصطلاح العربي الذي يرتضيه مجمع اللغة العربية في القاهرة نحو "علم اللغة للدكتور محمود السعران، وعلم اللغة العام للدكتور كمال بشر، وعلم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة للدكتور محمود حجازي، وكذلك له مدخل إلى علم اللغة"، وعلم اللغة العام للدكتور توفيق محمد شاهين، وفي علم اللغة العام للدكتور عبد الصبور شاهين، ودراسات في علم اللغة للدكتور فاطمة محبوب، حتى كتاب سوسير ترجم عنوانه: فصول في علم اللغة العام (طبع في مصر) ترجمة الدكتور أحمد الكراعين، وكذلك أعطاه العنوان نفسه تقريباً، الدكتور يوثيل يوسف عزيز (في العراق).

(1) كمال بشر، علم اللغة: ص 43، ص 46، وانظر كذلك عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية: ص 37، ص 41.

(2) وافي، فقه اللغة، مقدمة الطبعة الأولى: ص 5.

(3) السابق نفسه.

وضمن التوجه نفسه يطلق اصطلاح فقه اللغة على الدراسات اللغوية العربية وظهرت عدة كتب بهذا العنوان للدكتور صبحي الصالح ومحمد المبارك ومحمد الأنطاكي وإبراهيم السامرائي والسيد يعقوب بكر وإبراهيم نجا ورمضان عبد التواب وإميل يعقوب ومحمد خضر، وعبد الرأجي⁽¹⁾.



أسئلة التقويم الذاتي (2)

اللغة وعلم اللغة وفقه اللغة من الاصطلاحات العربية ذات الدلالة المشتركة فما هي؟ وبماذا خُصص مصطلحا علم اللغة وفقه اللغة عند المصنفين المعاصرين؟ وهل يصلح مثل هذا الأمر في رأيك؟



تدريب (2)

- 1- اللغة ومتن اللغة وفقه اللغة، كلها تعالج الألفاظ في بحثها اللغوي على أساس الثروة اللفظية بوصفها مفردات ذات دلالات جزئية، لا بوصفها صيغاً صرفية أو حدث ذات دلالة نحوية في التركيب"، ما المقصود بقوله:
" مفردات ذات دلالات جزئية، لا بوصفها صيغاً صرفية، ولا وحدات ذات دلالة نحوية في التركيب "؟
- 2 -كيف تُفرق بين علم اللغة وفقه اللغة من خلال مضمون كتابي د.علي عبد الواحد وافي علم اللغة وفقه اللغة؟

(1) ذكرت الكتب دون الترتيب التاريخي لتأليفها.

ومع ذلك أثّرنا أن نخترنا اصطلاح علم اللسان العربي عنواناً لمباحث كتابنا هذا الذي بين أيديكم للأسباب التالية:

1- لأن الاصطلاحات التي سُمِعَت عند القدماء واستعملت عند المحدثين لم يتفق على مفاهيمها ومدلولاتها قديماً وحديثاً، ولم يتفق الدارسون العرب حديثاً على واحد منها فمنهم من استعمل، علم اللغة، وبعضهم اختار فقه اللغة وهو اختيار عاطفي أكثر منه اختياراً علمياً، والآخرين اختاروا الاصطلاح الأحدث وهو: الألسنية، أو اللسانيات، أو علم اللسان الحديث مقابل مصطلح Linguistics.

2- لا يمكننا أن ننع في تناقض مع أنفسنا؛ حيث استخلصنا فيما سبق من خلال استنطاق النصوص الواردة عن علمائنا العُذُول، أن لكل اصطلاح مفهومه الخاص الذي يبحث في جانب من جوانب اللغة فالتحقيق له مجاله وهو (الإعراب وبناء الجملة) والصرف ومجاليه (بناء الكلمة)، وعلم اللغة وفقه اللغة عند القدماء يندرج تحتها من الدرس اللساني العربي (مفردات اللغة ودلالاتها وتطورها وجمعها في معاجم)، وبهذا لا يصلح الاصطلاحان (علم اللغة وفقه اللغة) أن يطلقا على الدراسات اللسانية العامة أو الدراسة اللسانية التي تشمل جوانب اللغة بمناهجها الجديدة.

3- ثم إن إطلاق فقه اللغة على مجموعة من الدراسات اللسانية الخاصة بالعربية، مقابل مصطلح Philology الأوروبي رغبة في الحداثة أو التحديث لا يتوافق مع مدلوله عند بعض الأوروبيين الذي يعني عندهم: (2) أ- معرفة الأدب الجميل ودراسة نصوصه.

ب- دراسة لغة معينة بالتحليل النقدي لنصوصها.

ج- الدراسة الشكلية للنصوص في المخطوطات المختلفة.

وقد ذكر الدكتور عبد العزيز مطر (2) بأنه أقرب إلى ما نسميه تحقيق النصوص.

4- إن اصطلاح علم اللسان قديم يتوافق مع الاصطلاح الحديث Linguistics ويحقق لنا، ولو نظرياً المحافظة على الأصالة والمعاصرة لما يلي:

(1) انظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام : ص 6.

(2) علم اللغة وفقه اللغة، تحديد وتوضيح: ص 18.

أ - فقد استعمل لفظ اللسان، باعتباره العنصر الأساسي في جهاز النطق البشري، بمعنى اللغة في القرآن الكريم في الآيات الكريمة التالية: (وهذا لسان عربي مبين)⁽¹⁾، (لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين)⁽²⁾، (وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا)⁽³⁾.

وإن لسان العرب، بمعنى لغة العرب، عنوان لمعجم يعتبر من أضخم المعجمات العربية وأوسعها انتشاراً، وفيه عن ابن سيده، واللسان اللغة... وحكى أبو عمرو لكل قوم لسن، أي لغة يتكلمون بها، واللسن: الكلام، واللغة، وقد أتى بمعنى الكلام في قول الحطيئة:

ندمت على لسان فات مني فليت بأنه في جوف عكم⁽⁴⁾

وابن سلام في طبقاته يقول: "العربية.... اللسان الذي نزل به القرآن"⁽⁵⁾ أي اللغة، أما ابن خلدون⁽⁶⁾ فقد استخدم في مقدمته، مصطلح اللسان بمعنى اللغة لا يدانيه فيها مفكر عربي آخر، مقابل استعمال اصطلاح اللغة للدلالة على اللهجة وهو أمر شائع عند علماء اللغة القدامى عند إشارتهم إلى تنوع صوتي أو دلالي مختلف أو خاص بقبيلة عربية.

ب- إن مصطلح علم اللسان قديم الاستعمال عند المفكرين العرب، فقد أطلقه الفارابي على كل العلوم اللغوية⁽⁷⁾ وأما أبو حيان الذي أطلق مصطلح علم اللسان العربي على علوم اللغة فقال: لا يرتقي من علم التفسير ذروته...إلا من كان متبحراً في علم اللسان⁽⁸⁾.

(1) النحل - 103

(2) الشعراء - 195

(3) الاحقاف - 12

(4) انظر، لسان العرب ، مادة لسن . والعكم : هو العذل الذي يوضع فيه المتاع كالخُرْج..

(5) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء : ج1 / ص 9 .

(6) انظر: ابن خلدون، المقدمة : ص ص 786، 1059، 1055، 677، 675، على سبيل المثال لا الحصر ثم 1071، 1073، 1080، 1112.

(7) إحصاء العلوم : ص 47، ص 50.

(8) البحر المحيط : ج1/ص7.

وقد استخدمه ابن خلدون مع توسع في مفهومه حيث قال: "إن لعلوم اللسان العربي أركاناً أربعة هي اللغة والنحو والبيان والأدب" ⁽¹⁾ ، ويستخدم ابن سيده في المخصص مصطلح علم اللسان ويحدد مفهومه الأقرب إلى مفهومه الحديث فهو يقوم على أمرين: أولهما الإحاطة بمفردات اللغة ومعرفة دلالاتها، وثانيهما: معرفة قواعد اللغة التي تتعلق بالمفردات من قبيل اشتقاقها وصيغة بنائها، وما يطرأ على بنيتها من تطورات صوتية، أو تغيرات تقتضيها قوانين اللغة المعينة ⁽²⁾) ويتيح لنا هذا البيان أن نضع في اعتبارنا، حقيقة لا تخيلاً، أن هناك تصوراً عربياً قديماً لعلم اللسان يتفق باصطلاحه مع علم اللسان الحديث، ويقترّب منه في مفهومه الذي يشمل الجوانب الدلالية (مفردات اللغة ومعرفة دلالاتها)، والصرفية (اشتقاق المفردات وصيغة بنائها) والصوتية (ما يطرأ على المفردات والتراكيب من تطورات صوتية) ويمكننا أن نتصور كذلك الناحية النحوية من قوله (تغيرات تقتضيها قوانين اللغة المعينة).

جـ- إذا كان من مقاصدنا التحديث وموافقة الاتجاهات المعاصرة في البحث اللساني، وهو أمر لا خلاف عليه، فعلياً أن نعد إلى ما كان من الاصطلاحات أكثر دقة في مفهومه وتحديداً في دلالاته، فيكون شاملاً، إذا أطلقناه، المفاهيم أو الجوانب المقصودة منه عالمياً، وعليه فإن اصطلاح علم اللسان هو المقابل العربي المناسب والدقيق من حيث اشتقاقه ودلالته ومفهومه للمصطلح الأوروبي Linguistics الذي أصبح هو المصطلح السائد عالمياً منذ الستينيات، باعتباره علماً للسان البشري وظواهره، وواضح أن جذره الأصلي لاتيني وهو Lingui أو Lingou أو Lingu وتعني اللسان، مما يدل على التقائه مع الاصطلاح العربي في إطلاق عضو النطق هذا مجازياً على اللغة، ومن ثم نُسب إليه، بإضافة مقطع (st) بقولهم في الغرب Linguist للدلالة على من يشتغل بهذا العلم وتوالت الزيادة على المصطلح المقصود في اللغة الإنجليزية وكثير من اللغات الأوروبية ليستقر على Linguistics ليعني الدراسة العلمية للغة. ⁽³⁾

(1) ابن خلدون، المقدمة : ص 1055

(2) ابن سيده، المخصص : 1 / 14 / ط بيروت، بتصرف

(3) A Dictionary of Linguistics : p.181

أضف إلى هذا أن دي سوسير أطلق مصطلح *La Langue* ويعني في العربية اللسان، على تلك الصورة من النشاط اللغوي ذات القواعد والقوانين". (1) وبعبارة أخرى أوضح هو "اللغة المعينة: أي العربية أو الإنجليزية، فهو يضم على وجه الخصوص نظام المقررات، والنحو، في أي عصر من عصور تاريخ لغة معينة، واللغة المعينة هي مجموع العادات اللغوية التي تتحقق فيما يسميه دي سوسير *La Parole* أي الكلام". (2) وإن إطلاق اللسان *La Langue* على اللغة المؤلفة من عدة أنظمة ذات المستويات المختلفة التي تكون عرضة للوصف والدراسة والتحليل، يتوافق تماماً مع المصطلح الذي اخترناه وهو علم اللسان العربي، لوصف أنظمة العربية وقوانينها وتفسير ظواهرها وبيان خصائصها والمقومات الأساسية لمناهج دراستها.

بعد بيان اتجاهات البحث اللساني عند العرب من خلال اصطلاحاتهم ومفاهيمهم، وتفصيل أسباب اختيارنا لاصطلاح علم اللسان العربي، يجدر أن نباشر تحديد مفهوم علم اللسان في العصر الحديث.

وأول ما يطالعنا في بدايات هذا القرن تعريف دي سوسير، وهو أحد أعلام الدراسات اللسانية الحديثة، لعلم اللسان مقروناً ببيان موضوعه بجملة ينهي بها محاضراته حين يقول:

"إن الموضوع الوحيد والصحيح لعلم اللسان هو دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها⁽³⁾ ويشرح الدكتور السعمران هذا التعريف بقوله "فمعناه أنه يدرسها لغرض الدراسة نفسها، يدرسها دراسة موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقتها لا إلى ترقيتها أو إلى تصحيح جوانب منها أو تعديل آخر، إن عمله قاصر على أن يصفها ويحللها بطريقة موضوعية".⁽⁴⁾

(1) عبد الصبور شاهين، علم اللغة العام: ص 29

(2) السعمران، علم اللغة: ص (302-303)

(3) انظر: فصول في علم اللغة العام - دي سوسير، ترجمة: الكراعين: ص 406 أو علم اللغة العام، لدي سوسير نفسه، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز ص 253.

(4) السعمران علم اللغة: ص 51.

ومن التعريفات التي وردت "علم اللغة في أبسط تعريفاته هو دراسة اللغة على نحو علمي"⁽¹⁾ "اللسانيات هي الدراسة العلمية للغات البشرية"⁽²⁾، "العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية"⁽³⁾، وكأنهم ينقلون أو يترجمون حرفياً التعريف الذي ذكره ديفيد كريستال في قاموسه⁽⁴⁾ عن المصطلحات اللسانية، ولكنهم لم يبينوا في تعريفاتهم الكيفية التي تتم بها الدراسة العلمية.

نجد تعريفاً أشمل منها عند الدكتور عبد العزيز مطر في كتابه (علم اللغة وفقه اللغة، تحديد وتوضيح)⁽⁵⁾، ويبدو أنه مستوحى من شرح الدكتور محمود السعمران أنف الذكر لتعريف دي سوسير بقوله: "علم اللغة هو العلم الذي يدرس اللغة، أو اللهجة، دراسة موضوعية، غرضها الكشف عن خصائصها وعن القوانين اللغوية التي تسير عليها ظواهرها: الصوتية والصرفية والنحوية، والدلالية، والاشتقاقية، والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض، وربطها بالظواهر النفسية وبالمجتمع، والبيئة الجغرافية"، وهو تعريف يقتصر على الناحية الوصفية ويهمل الناحيتين التاريخية والمقارنة. ونجد عند الدكتور رمضان عبد التواب تعريفاً أوسع وأشمل يقول فيه: (6) علم اللغة، هو العلم الذي يبحث في اللغة، ويتخذها موضوعاً له، فيدرسها من النواحي الوصفية، والتاريخية، والمقارنة، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللغات المختلفة، أو بين مجموعة من هذه اللغات، وتدرس وظائف اللغة وأساليبها المتعددة وعلاقاتها بالنظم الاجتماعية". وعليهما فإن مفهوم علم اللسان يتضمن العناصر التالية:

1- موضوعية الدراسة: تقوم الدراسة على وصف اللغة كما هي عليه وتحليل جوانبها من أجل بيان حقيقتها، دراسة منزهة عن الهوى، خالية من التزييف أو التلذليل بإعطائها ميزات ليست لها أو إضفاء خصائص لا تتصف بها لترقيتها، أو بتعمد إخفاء ما يجب إبرازه للحظ من شأنها. وباختصار الحرص على الدقة في وصف أنظمة اللغة، اعتماداً على الاستقراء والملاحظة التي تكشف عن خصائص اللغة بالصورة التي تظهر فيها في أثناء استعمالها حالياً، والصورة التي ظهرت بها تاريخياً في زمن ما أو مقارنة بغيرها.

2- ويترتب على العنصر الأول، عنصر ثانٍ يلزمه ولا يقوم إلا به، إذ الوصف الدقيق يحتاج

(1) محمود حجازي : مدخل إلى علم اللغة : ص 18، ط 1978م. وأسس علم اللغة العربية ص 30.

(2) مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية : ص 22.

(3) حلمي خليل : مقدمة لدراسة علم اللغة : ص 9.

(4) David Crystal: A Dictionary of Linguistics : P:181 (4)

(5) انظر : ص ص 18 - 19 .

(6) المدخل إلى علم اللغة : ص 7 .

إلى منهج علمي لا بد أن يسلكه الباحث، ولا بد أن يقوم المنهج على أسس نظرية تعتمد على الاستقراء والملاحظة والتصنيف لأية مادة لسانية يراد وصفها وتحليلها واستنباط قوانينها وبيان خصائصها، في مستوى معين صوتي أو صرفي أو نحوي أو دلالي، أو قهها كلها.

3- الغرض من الدراسة اللسانية لا بد أن يهدف إلى:

أ - التعريف بظواهر اللغة المدروسة، والكشف عن الخصائص الأساسية لنظامها بمستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدالية كافة؛ وعليه فإن جوانب علم اللسان العربي التي يمكن إقامة الدرس عليها تتفرع إلى ما يلي:

- علم الأصوات Phonetics

- علم الصرف Phonology

- علم النحو Syntax

- علم الدلالة Semantics

ب- ولا يمكننا أن ندرس الجوانب السابقة في كل فرع على حدة دون التعرض لعلاقتها فيما بينها، خاصة في العربية فإن نظمها الفرعية مترابطة عضوياً فالدلالة تعتمد في استخراجها على الصوت والصيغة الصرفية خلال تركيب ما، فالمعاني الوظيفية وهي الغاية المقصودة، تحتاج إلى أخذ هذه الجوانب كلها في الاعتبار، ولا بد من الكشف عن العلاقات بين هذه الجوانب وما بينها من تأثير وتأثير.

ج- الكشف عن علاقة اللسان العربي بغيره من أسرة اللغات السامية، والخصائص المشتركة بينها في الصوت والصرف والنحو والدلالة، وهذا ينطبق على كل الأسر اللغوية وعلاقات الأسنة فيها بعضها ببعض.

د- الكشف عن العلاقة بين الظواهر النفسية والاجتماعية وغيرهما من جهة وبين اللغة وكيفية اكتسابها وعلاقتها بالفكر والعوامل المؤثرة في ذلك والتأثيرات الاجتماعية في اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية وتوجيه الدراسة نحو مشاكل الازدواج اللغوي، مما يضيف فروعاً جديدة إلى علم اللسان نحو: علم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة الجغرافي.

4- يبين التعريف كذلك المناهج العامة للدراسات اللسانية فإذا اقتصرنا على الوصف والتحليل فالمنهج وصفي، وإذا كشفت الدراسة عن تطور في الظواهر اللسانية فالمنهج تاريخي، وإذا سلكت الدراسة سبيل المقارنة بين اللغات المشتركة في أسرة لغوية واحدة فالمنهج مقارن.



نشاط (1)

استقص تعريف علم اللسان من الكتب التالية:

- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: للدكتور محمود السعمران (الباب الأول).
- أسس علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (الفصل الأول).
- دراسات في علم اللغة (القسم الأول): للدكتور كمال بشر (المقدمة).
- المدخل إلى علم اللغة: للدكتور رمضان عبد التواب (التمهيد).
- اللغة العربية معناها ومبناها: الدكتور تمام حسان (الفصل الأول).
- التعريف بعلم اللغة - ديفيد كريستال - ترجمة د. حلمي خليل (الفصل الثاني).



تدريب (3)

- 1- قال دي سوسير " إن الموضوع الوحيد لعلم اللسان هو دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها " وضح هذا التعريف كما تفهمه.
- 2- استخدم ابن خلدون مصطلح اللسان بمعنى..... واستعمل اصطلاح اللغة بمعنى..... التي تدل على..... " املا الفراغ.

3. النظام اللغوي للعربية

عزيزي القارئ! إن عنوان هذا الجزء ليس جديداً عليك، فقد مرّ بك في مقررات أخرى كاللغة العربية، وعلم النحو، وستتبين أن جوهر النظام اللغوي للعربية يقوم على أربعة مستويات أساسية هي: الصوت، والصرف، والنحو، والدلالة. وقد تجد اختلافاً في طريقة التناول.

تكاد تجمع التعريفات الحديثة للغة على أنها نظام⁽¹⁾ ولكل نظام لغوي عناصره الأساسية المكونة له بصورة عملية؛ إذ لا بد لكل عنصر لغوي من صورة مادية تمثله، كما أن له قيمة ودوراً معيناً، وستتبين ذلك كله بالتفصيل، لأن هذه العناصر هي محل البحث اللساني، فقد جُعِل لكل عنصر منها فرع من فروع علم اللسان، يكشف عن القوانين التي يجري عليها المستوى اللساني الذي يخص كل عنصر.

إن المتكلم بأي لسان كالعربية يصدر سلسلة من الأصوات المتتابعة، إذ الصوت الإنساني هو مادة الكلام، أو هو المظهر المادي للغة. وهذه الأصوات تتقاطع أو تتتابع وفق نظام معين يهدف إلى دلالة يقصدها المتكلم، ولا تتحقق هذه الدلالة إلا إذا تألفت الأصوات المنطوقة، التي تصوّرها كتابةً بالحروف، وكونت مقاطع، ومن المقاطع تتكون أبنية أو صيغ نسميها كلمات، ترتبط هي الأخرى في علاقات تركيبية ودلالية نسميها جملاً.

إذا تتبعنا سلسلة لفظية ما في العربية نحو: مَنْ يَزْرِعُ الْكَسَلَ يَخْصُدِ الْفَشَلَ، سنجد أنها مؤلفة مما يلي:

مجموعة من الأصوات المنطوقة صورناها مكتوبةً بالحروف وهي: مَ، نَ / يَ، زَ، عَ / اَ، لَ، كَ، سَ، لَ / يَ، خَ، صَ، دَ / اَ، لَ، قَ، شَ، لَ / هذه الأصوات مكتوبة أو منطوقة يتشكل منهما مقاطع يمكن تصويرها كتابةً كالتالي: مَنْ / يَزْ / رِعْلُ / كَ / سَ / لَ / يَخْ / صَ / يَلْ / فَ / شَ / لَ. ومن الأصوات المفردة والمقاطع يتشكل النظام الصوتي في العربية وهو المستوى اللساني الذي يختص بدراسته والبحث فيه، علم الأصوات؛ فإن هذه الأصوات تُدرّس منعزلة ومتجاوزة، فيما سيتضح لك في مبحث مجالات الدرس اللساني عند العرب.

وتألف هذه الأصوات في مقاطع، والمقاطع من ثم في صيغ أو كلمات فتدخل في مستوى لساني ثانٍ حيث تصبح: مَنْ / يَزْرِعُ / الْكَسَلَ / يَخْصُدِ / الْفَشَلَ: أداة، فعل،

(1) انظر هذه التعريفات: اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان ص 34، وعلم اللغة وفقه اللغة تحديد وتوضيح، عبد العزيز مطر: ص 14، الملكة اللسانية عند ابن خلدون: ميشال زكريا ص 11 - 20 مقدمة لدراسة علم اللغة: حلمي خليل: ص 20 - 26.

اسم (مصدر)، فعل، مصدر أو اسم، وهذا هو المستوى الصرفي، الذي يتلو المستوى الصوتي مباشرة. وهذا المستوى هو الذي يضيف على الصيغ معاني أخرى زائدة على معناها المعجمي المكتسب من خلال اجتماع الأصوات وتبادلها. وهذا المستوى يختص بدراسته علم الصرف العربي ومدار البحث فيه يتصب على القوانين التي يجري عليها بناء الصيغ الفعلية والاسمية، وما تكتسبه من معانٍ تختلف باختلاف المباني الصرفية. وإذا نظرنا إلى هذه الصيغ اللغوية وتأليفها في تتابع أفقي نسميه الجملة أو العبارة، ثم تركيبها وفق قوانين مخصوصة ينتظمها المستوى النحوي، ويختص بدراسته علم النحو الذي تنصب فيه جلّ العناية على قواعد تركيب الكلمات في جمل، وعلى تمييز المعاني التركيبية أو الوظائف النحوية لهذه الكلمات في إطار هذه الجمل، فيقال في هذه الحالة: إن هذا التركيب شرطي احتاج إلى أداة شرط وهي متْنٌ وإلى فعل الشرط وجوابه وهما: يزرع ويحصد، وكل فعل منهما يحتاج إلى فاعل ومفعول ليمت التركيب وهما متوفران.

وهذا هو القانون أو القاعدة التي تحكم التركيب الشرطي أي (أداة الشرط وفعل الشرط ومعمولاته + جواب الشرط ومعمولاته) وهذا تركيب نموذجي للتركيب الشرطي تنصير فيه أداة الشرط ويليه فعل الشرط الذي يعقبه جواب الشرط فلا يتقدم عليه. ونظام الجملة بهذا الشكل يرتبط عضوياً بنظام آخر يساعد على تعيين الوظائف النحوية للمفردات الداخلة في التركيب وتبين علاقاتها الدلالية بما بينها من ارتباط داخلي، وهي الحركات الإعرابية التي تظهر على أواخر الكلمات أي النظام الإعرابي الذي يتكاتف مع نظام التركيب الجملي في العربية، من أجل أن نصل إلى الغاية المرجوة وهي المعنى أو المستوى الدلالي وهو العنصر الرابع في النظام اللغوي للعربية، وهو المحصلة النهائية التي يجتمع فيها ما تصبه قنوات الصوت والصرف والنحو من معاني جزئية، حيث المفردات لها دلالة صوتية مطردة تحتفظ بها المعاجم، وتؤثر فيها وتنوعها الصيغة الصرفية ويكملها المعنى النحوي.

والحقيقة التي يجب أخذها في الحسبان أن هذه المستويات تعمل في تناسق وتكامل، ولا يكون فصل بعضها واستقلاله عن بعضها الآخر إلا ظاهرياً ومن أجل غرض تعليمي، فالترابط فيما بينها عضوي والتداخل طبيعي.

وفي الجزء التالي سنتناول هذه المستويات في الدرس اللساني عند العرب بتفصيل أكثر ونختتم ببيان العلاقة بينها.



نشاط (2)

استقصِ تعريفات اللغة من المراجع التالية:

- اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان (الفصل الأول).
- علم اللغة وفقه اللغة تحديد وتوضيح: للدكتور عبد العزيز مطر (تعريف اللغة).
- الملكة اللسانية عند ابن خلدون: للدكتور ميشال زكريا (الفصل الأول).
- مقدمة لدراسة علم اللغة: للدكتور حلمي خليل (الفصل الأول).
- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) للدكتور محمود السعمران (الباب الأول).



أسئلة التقويم الذاتي (3)

يتكون النظام اللغوي العربي من المستويات التالية:

- 1-
والفرع الذي يدرسه من علم اللسان هو:
- 2-
والفرع الذي يدرسه من علم اللسان هو:
- 3-
والفرع الذي يدرسه من علم اللسان هو:
- 4-
الفرع الذي يدرسه علم اللسان هو:



تدريب (4)

حلل التسلسل اللفظي التالي إلى عناصره:
ابدأ بإصلاح نفسك فإن فيه صلاح أبنائك.

1.3 مجالات الدرس اللساني العربي

الصوت، الصرف، النحو، الدلالة

من الطبيعي أن ندرس تحت هذا العنوان عناصر النظام اللغوي للعربية التي عرفناها في الجزء السابق من هذه الوحدة، وهي المستويات اللسانية: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، التي كانت، وما زالت، محلاً للدرس والتحليل والبحث عند علمائنا الذين استفرغوا جهوداً جبارة في بحثها، وتركوا لنا تراثاً ضخماً في الدراسات اللسانية سنقوم بمتابعه في مظانّه؛ من أجل تكوين صورة واضحة عن معالم كل مستوى واتجاهات البحث اللساني فيه.

1.1.3 المستوى الصوتي

إن الدرس الصوتي عند العرب من أكثر مستويات علم اللسان العربي أصالة فكان أول ما اهتم به العرب المسلمون معرفة الوجوه الصحيحة لنطق الحروف وضبطها في النص القرآني المتعبد بتلاوته، ونقّط أبي الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) في ظاهره ضبط صوتي، وإن كان في مضمونه وغايته يشكل بداية الدرس النحوي عند العرب، فما النقّط التي اقترحها للحركات (الفتح والضمة والكسرة) إلا علامات لخصائص صوتية، وانظر إلى وصفه الصوتي ليتبين لك ذلك حين يقول لكتابه: "إذا رأيتني قد فتحت فمي فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضمنت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف".⁽¹⁾

وإن كثيراً من أحكام القراءات القرآنية التي مارسها القراء بصورة عملية وسجلها علماء القراءات نظرياً في كتب، هي أمور لسانية صوتية في حقيقتها كالإدغام والإظهار والوقف والابتداء والإمالة والمد وتحقيق الهمز وتسهيلها، عدا وصف الأصوات وبيان مخارجها. وهكذا يكون علماء القراءات قد سجلوا "خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية ووضعوا رموزاً كتابية تمثل هذه الخصائص".⁽²⁾



نشاط (3)

اقرأ: اختلاف القراء في فاتحة الكتاب من كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص 104-113، والإظهار والإدغام للحروف السواكن من كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص 14-54.

(1) ابن النديم الفهرست : ص 40.

(2) السمران، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ص 96.

ويزداد اهتمام اللغويين والنحاة بالأصوات العربية، خاصة بعد ما أصبح لديهم ثروة لغوية من المفردات وتراكيبها تحتاج إلى الوصف والتحليل والتصنيف والتقنين، فلما أراد الخليل وضع معجمه العين كان أول ما فعله أنه قام بترتيب الحروف ترتيباً صوتياً وليس هجائياً⁽¹⁾ من أجل حصر المستعمل من المهمل من ألفاظ اللغة، وقد كان ترتيبه هذا مبنياً على أساس المخارج بحسب عمقها في الحلق وتدرج حتى الحروف الشفوية ثم حروف العلة، مقسماً إياها إلى مجموعات صوتية حسب مخارجها أو أحيائها كما في قوله "فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ثم الهاء مقسماً إياها في الحلق وتدرج حتى الحروف الشفوية ثم حروف العلة فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد.... ثم الحاء والغين في حيز واحد، كلهن حلقية، ثم القاف والكاف ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد، ثم الطاء والذال والتاء في حيز واحد، ثم النطاء والذال والتاء في حيز واحد ثم الراء واللام والنون في حيز واحد، ثم القاء والباء والميم في حيز واحد، ثم الألف والواو والياء في حيز واحد، والهمزة في الهواء"⁽²⁾، ولا يغيب عنه تقسيمها إلى ما عُرف فيما بعد، وإلى وقتنا هذا، بالأصوات الصحيحة أو الصامتة Consonants والأصوات التي سماها هوائية وهي الصائتة Vowels ويتحقق ذلك في قوله: "في العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحيان ومخارج وأربعة هوائية وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة. وحديثه هذا عن أصوات اللين حين تكون مدداً، قريب مما قرره علم الأصوات الحديث من أنها تتكون باندفاع الهواء من الرئتين ماراً في أثناء مجراه بالحنجرة والحلق والغم دون أن يعترضه حائل يضيق مجراه أو يحبسّه. وأما وصف الهمزة بأنها هوائية وأنها "لم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف فلا تقع في مُدرَجَة من مدارج اللسان ولا من مدرج الحلق ولا من مدارج اللهاة"⁽³⁾ فإنه لا يتعارض مع ما أثبتته في موضع سابق بقوله: "وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق، مهتوتة مضغوطة"⁽⁴⁾ وهذا النص أثبت مثله صاحب اللسان مما يقويه فقد أورد "قال الخليل: الهمزة صوت مهتوت في أقصى الحلق يصير همزة فإذا رُفِعَ عن الهمزة، كان نَسْفَساً يُحوِّل إلى مخرج الهاء، فلذلك استخفت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة (يقصد همزة القطع) نحو: أراق وهراق وأهيات وهيئات"⁽⁵⁾ ويفسر الهت بأنه شبه الحَصَر للصوت، وأول ما يتبادر إلى الذهن من هذا الوصف لعبة البلونة المنقوخة التي ادخل في عنقها قصبه،

(1) الخليل العين: 46/1 تحقيق عبدالله درويش.

(2) المرجع السابق نفسه

(3) السابق: ص 58.

(4) اللسان مادة هت

فإذا ما عصرت هذا البلونة وترك المجال للهواء أن يخرج من فوهة القصبية بعد حبسه بصمام أو أصبح فإنه يخرج مندفعاً يصحبه صوت التزمير، وهو أشبه بالهواء الذي يندفع من فتحة المزمار وأكاد أتمثل الضغط والعصر في عملية الانحباس ثم الانفلات الذي يتم في الحنجرة التي هي أشبه بحجرة متسعة⁽¹⁾ بداخلها الوتران الصوتيان، ولتجويّفها وفراغها اعتبرت صندوقاً للرنين تَضَخُّمُ الصوت،⁽²⁾ وهذان الوتران الصوتيان ينطبقان ويتجمع خلفهما الهواء لمدة قصيرة جداً ثم ينفرجان فيندفع الهواء المضغوط خلفهما ويسمع صوت في تلك اللحظة يتضخم في التجويف الحنجري ويسمى هذا الصوت الهمزة ويوصف بأنه انفجاري، نتيجة لاندفاع الهواء، ويحدث تَضَخُّمُ الصوت في تجويف أو فراغ يعتبر مسؤولاً عن التصويت وهو الحنجرة، ولعلي لا أكون متعسفاً في استنتاجي هذا؛ للتقريب بين معطيات علم اللسان الحديث وبين ما قاله عبقرينا الخليل، ولا يتناقض هذا مع قوله "إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيزاً إلا الجوف"⁽³⁾ فالجَوْف "خلاء الجوف كالقصبية"⁽⁴⁾ فالجزء الذي يلي أقصى الحلق أجوف وهو القصبية الهوائية ولأن ما فيها مما يسمى بالحنجرة والوترين الصوتيين ولسان المزمار لم يكن مرئياً فلم يدركه وبالتالي لم يصفه فحسبه فراغاً هوائياً يخرج منه الصوت وهو أقرب إلى الصحة. وإذا كان سيبويه لم يكن يعرف الحنجرة ولا أجزاءها كالمزمار والأوتار الصوتية... التي تقتضي ملاحظتها إلى التشرّيح...⁽⁵⁾ فما بالك بالخليل أستاذنا السابق له زمنياً، لم يكن بين أيديهما من الآلات التي تمكنهما من التشرّيح، ومعرفة أجزاء الجهاز الصوتي وأعضاء النطق، بدقة. ويمكننا أن نجمل جهود الخليل الصوتية بالعبارة المقتبسة التالية: "أنه عرف الجهاز الصوتي عند الإنسان وحدد بطريقة عملية مخارج أصوات العربية في هذا الجهاز كما تمكن بالملاحظة الذاتية من الوصول إلى صفات تلك الأصوات، وأشار إلى ما يعرض لها في مدارج الكلام من ظواهر مثل الإدغام... كما وصل بفضل معارفه الصوتية والموسيقية إلى نظام الإيقاع وموسيقى الشعر العربي، وقلَّ أن تجد قضية صوتية في العربية لم يتحدث عنها الخليل ولم يشير إليها... مع اصطناعه المنهج العلمي القائم على البحث والاستقراء والتجربة والملاحظة"⁽⁶⁾ وليس لنا من تعليق على هذه العبارة سوى

(1) انيس، الأصوات اللغوية : ص 17.

(2) حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة :ص 49

(3) الخليل العين 1/ 64 .

(4) اللسان مادة جَوْف

(5) شاهده علم الأصوات عند سيبويه، نقلاً عن: عبد القادر الخليل، المصطلح الصوتي عند علماء العربية القديمة في ضوء علم اللغة المعاصر :ص 21.

(6) عبدالله ربيع وزميله، علم الصوتيات : ص ص 65 - 66.

أن الخليل لم يكن يعرف أجزاء الجهاز الصوتي كلها وظلت ملاحظته الذاتية هو وغيره من علمائنا القدماء عاجزة عن إدراك بعض الأجزاء مما ذكرناه آنفاً، كالحنجرة، والوترين الصوتيين وفتحة المزمار ولسانه.

ويواصل سيبويه طريق أستاذه الخليل، الذي وضع ما وسعه، الأسس والمبادئ ويُقدّم في كتابه دراسة عن الحروف العربية في باب الإدغام ووصف الأصوات العربية بالتفصيل، ويبيّن حسب مخرجها في المجرى الصوتي وكانت غايته كما ذكرها فتعرّف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه (1) ويقول سيبويه عن باب الإدغام (2) من كتابه " هذا باب عدد الحروف العربية ومخرجها، ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها ". ويقوم بترتيبها فعلاً في كتابه حسب مخرجها ويدلي بملاحظاته حول صفات الحروف، ويعقبها ببحث غزير المادة في إدغام الحروف، وقد بلغ وصفه للأصوات مبلغاً من الدقة جعل تصنيفه يتردد في كتب قدامى النحاة بالأفاظه دون تغيير أو توضيح بشرح ما تناقلته كتبهم من آراء أو عبارات أو اصطلاحات. أما النحاة القدامى الذين ورثوا سيبويه وحفظوا عنه آراءه واكتفوا بترديدها في هذا المجال فهم: ابن جني (ت 392 هـ) في سر صناعة الإعراب، (3) والزمخشري في المفصل وشرحه لابن يعيش (4) (ت 643 هـ) والنشر في القراءات العشر (5) لابن الجزري (ت 833 هـ) وقد تكفل الدكتور إبراهيم أنيس بإجراء مقارنة بين ما جاء في كتاب سيبويه وما جاء فيها، في كتابه الأصوات اللغوية (6) في جداول بيّن فيها بالنص اعتماد هذه الكتب على ما أورده سيبويه في كتابه من ترتيب صوتي للحروف حسب مخرجها حيث يقول:

"فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً: الهزمة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والحاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والطاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو.

(1) سيبويه الكتاب: 4/436.

(2) المرجع السابق: 4/431.

(3) انظر: 1/45 وما بعدها.

(4) ابن يعيش، شرح المفصل: 10/123.

(5) انظر: ابن الجزري، النشر: 1/199 وما بعدها.

(6) انظر: ص ص 128-135، ويمكننا أن نضيف إلى ما ذكره د. أنيس، ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة الذي فتح فيه بابين أحدهما للأصوات ص 15 وآخر للحروف ص ص 23 - 31، وأما المبرد فقد كان من أوائل النحاة المتأثرين بسيبويه ولم يخالفه كثيراً في دراسته الصوتية في باب الإدغام وقد تتبعه محقق كتاب المقتضب وقارن بينه وبين ما جاء في كتاب سيبويه، انظر المقتضب 1/192 - 196 - وما بعدها مع الهوامش.

وبعد ترتيبها السابق بين مخارجها الستة عشر من أقصاها مخرجاً حتى ينتهي بآخرها مخرجاً من الشفتين: "ولحروف العربية ستة عشر مخرجاً، فللحلق منها ثلاثة، فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء، وأدناها مخرجاً من الفم الغين والحاء" (1).

ثم يتحدث عن المخارج الوسطى للحروف أقصد من أعضاء النطق نحو: اللسان، أقصاه وما يقابله من الحنك، ووسطه وما يقابله من الحنك، وحافته وظهره وطرفه، وأصول الثنايا وأطرافها حيث مواضع نطق الحروف من القاف إلى التاء منتهاً بمخارج الفاء والباء والميم والواو من باطن الشفة السفلى، بين الشفتين على التوالي ومن الخياشيم مخرج النون (2).

وبعد المخارج ينتقل إلى الحديث عن صفات الحروف ويبين المجهور منها بقوله: "فاما المجهورة فالهمزة والألف والعين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون والراء، والطاء والدال والزاي، والظاء، والباء، والميم والواو فذلك تسعة عشر حرفاً وأما المهموسة فالهاء والحاء والياء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء فذلك عشرة أحرف (3) يبين إثر ذلك المقصود بالجهر والهمس (4) وينتقل بعدها إلى بيان صفات أخرى للحروف كالشدّة والرخاوة وما بينهما (بين الرخاوة والشدّة)، وما فيه غنة، والمكرر منها اللين والهوائي والمطبقة والمنفتحة (5).

وهكذا يكون سيبويه بدراسته المنظمة لأصوات العربية، وبطريقة أكثر دقة من أستاذه، قد قدم دراسة صوتية وصفية واقعية قائمة على الملاحظة الذاتية وبعبارة عن الافتراض والتأويل " كما يقول الدكتور عبده الراجحي (6)، أي اعتمد سيبويه كما اعتمد الخليل من قبله على إحساسهما بالعملية العضلية لأعضاء النطق، التي يحدثها الإنسان عند نطق كل صوت.

وفي القرن الثالث الهجري نجد عند الجاحظ (ت 255 هـ) حديثاً عما يدخل بعض

(1) انظر : الكتاب، باب الإنغام، 4/ 431 وما بعدها.

(2) المرجع السابق : 4 / 433 - 434.

(3) نفسه : 4/ 434

(4) بإجمال : الصوت المجهور voiced تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به والمهموس Unvoiced يعكس المجهور.

(5) نفسه : 4/ 434-436 .

(6) الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية : ص 131.

الأصوات من تغيير في صفاتها فيما أصبح يسمى عند الأوروبيين بعلم اللسان المرضي فقد فتح في البيان والتبيين فصلاً بعنوان "ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة" ⁽¹⁾ وذكر أربعة منها وهي القاف، والسين، واللام، والراء ومثل لما استطاع أن يصوره كتابةً مثل: بئم الله إذا أرادوا بسم الله اللثغة في السين، وأما القاف ففي قال: يقال طال لي، واللام: جمل، يقال جَمَني والراء تصبح ياء أو غيناً؛ أي القاف تصبح طاء والسلام ياء والراء ياء أو غيناً؛ عند حصول تغيير في مخارجهما، حيث تتحول الوحدة الصوتية إلى أخرى، ولا شك أن هذا يدخل التباساً أو تغييراً في المعنى ⁽²⁾ والجاحظ ينبه على هذه الظاهرة ولم يفسرها صوتياً بعكس سيبويه ويتحدث في مقام آخر عن أمراض الكلام ⁽³⁾ كالحبسة والتمتمة والغافاة والحُقلة واللكنة والخُكلة.

ومما يجدر ذكره أن سيبويه قد سبق غيره في الحديث عن اللثغة في الراء واللام وتحولهما ياءً حين أشار في معرض البرهنة على قرب مخرج الراء من الياء فكأنه يفسر صوتياً تحول الراء ياءً بقوله "ليس مخرج من طرف اللسان أقرب إلى مخرج الراء من الياء ألا ترى أن الألتغ بالراء يجعلها ياء، وكذلك الألتغ باللام؛ لأن الياء أقرب الحروف من حيث ذكرت لك إليهما" ⁽⁴⁾.

وفي القرن الرابع الهجري ازدهر البحث الصوتي على يد ابن جني، الذي جعل له علماً خاصاً منفصلاً سماه علم الأصوات في مقدمة كتابه "سر صناعة الإعراب" ⁽⁵⁾ فقد

(1) الجاحظ، البيان والتبيين : 1/34.

(2) فاطمة محجوب، دراسات في علم اللغة، ص 71-86.

(3) البيان والتبيين 1/37-40 وكذلك فاطمة محجوب : ص 87 - 106 وكذلك وسميه المنصور "عيوب الكلام عند اللغويين العرب" حولية كلية الآداب، رقم 7، 1986 - الكويت.

(4) الكتاب : 4/453.

(5) المقدمة ص 9 وقد جهد محقق الكتاب الدكتور حسن هنداوي أن يثبت أن موضوعاته صرفية إذ يقول ص 25: "لم يكن المؤلف يعني بـ (صناعة الإعراب) إلا صناعة الكلام أي ما يحدث فيها من الإعلال والإبدال ومتى يكون الحرف أصلياً ومتى يحكم بزيادته، ومتى يجب حذفه ونحو ذلك من مسائل التصريف" وكأنه لا يعرف أن هذه الظواهر الصرفية محكومة بتفسيرات صوتية، وأن هناك توجهها، أخذ يحتل مكانة بارزة ينادي بتطبيق معطيات علم الأصوات على وصف النظام الصرفي العربي = (انظر: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث للدكتور الطيب البكوش، 1987، 1973، وكتاب الدكتور عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، 1980، فقد طبق هذا التوجه في الكتابين) ومن يدرس مادة الصرف العربي يدرك مدى صواب هذا التوجه، ويبدو كذلك أن د. هنداوي متردد في وصف موضوع الكتاب حيث يقول ص 26: "ويكشف عن قيمة هذا الكتاب أنه أصبح - مع كتاب سيبويه - المصدر الأساسي في الدراسة الصوتية لأصوات العربية... فلا يكاد يذكر علم الأصوات إلا مقروناً بكتاب سر صناعة الإعراب، لذلك سنأخذ برأي الدكتور مصطفى السقا وزملائه الذين حققوا الكتاب، قبل د. هنداوي ونسجل هنا ملاحظاتهم في المباحث الصوتية في الكتاب.

كان الدرس الصوتي يعالج في كتب النحو باعتباره منخلاً لظاهرة الإدغام أو الإبدال أو الإعلال، أو كان يعالج في مقدمات المعاجم كالعين والجمهرة مثلاً، وأما المباحث الصوتية التي جعلت من كتاب ابن جني أوفى المصادر لمعرفة التفكير الصوتي عند العرب فقد قام بتلخيصها محققو الكتاب (د. مصطفى السقا وزملاؤه 1954) في مقدمة⁽¹⁾ تحقيقهم وهي:

1- عدد حروف الهجاء العربية وترتيبها (حسب المخارج).

2- وصف مخارج الحروف وصفاً دقيقاً.

3- بيان الصفات العامة للأصوات باعتباريات مختلفة.

وكلها جاءت في باب أسماء الحروف وأجناسها ومخارجها ومدارجها وفروعها المستحسنة وفروعها المستقبة وذكر خلاف العلماء فيها مستقصى مشروحاً⁽²⁾، وهو في هذا الباب عالة على كتاب سيبويه في باب الإدغام ولم يخالف سيبويه إلا في وضعه القاف قبل الكاف، والضاد بعد الياء، وقد ذكر محقق كتاب سيبويه أن في بعض نسخه ذكرت القاف قبل الكاف ولعل ابن جني اطلع عليها وقد زاد فيه رأي من خالف سيبويه فيما بعد كأبي الحسن الأخفش والمبرد، ولم يفته أن يذكر مخالفة سيبويه لترتيب الحروف الذي جاء في العين، ولأمر ما خلا سر الصناعة من الإدغام عنواناً وبحثاً!

4- ما يعرض للصوت (الحرف) في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى إعلال أو إبدال أو نقل أو حذف (ما عدا الإدغام كما يذكر د. هنداي ص 31)، حيث بنى كتابه على ترتيب حروف المعجم الهجائي، وليس الصوتي بادئاً بالهمزة فالباء فالتاء منتهاها بحرف الياء، وقد تحدث عن صفات هذه الحروف، وعن زيادتها وإبدالها، ويتضمن الإعلال.

5- نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج وقد نقلها عنه ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة⁽³⁾، وقد فتح لهذا الأمر فصلاً في آخر الكتاب⁽⁴⁾ ذكر فيه: "مذهب العرب في مزج الحروف بعضها ببعض، ما يجوز من ذلك وما يمتنع / وما يحسن، وما يقبح، وما يصح"، وهو الفصل الذي ذكر في الجزء الأول أنه سيفرد له فصلاً بعد أن بين غايته منه وهي بيان شروط فصاحة اللفظ المفرد بقوله "وأعلم أن هذه الحروف (العربية) كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن، وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما ولا سيما حروف الحلق....."⁽⁵⁾.

(1) ص 14 - ط 1954م

(2) انظر: 1/ 41-67 ط، هنداي، 1985م.

(3) الخفاجي، سر الفصاحة ص 64

(4) ابن جني، سر الصناعة: 2/ 811 وما بعدها.

(5) السابق: 1/ 65-66.

ولا تقتصر جهود ابن جني الصوتية على ما جاء في كتابه سر صناعة الإعراب فقد كانت له مباحث صوتية أخرى تشهد بأصالته على هذا المستوى من الدرس اللساني فقد طرق في كتابه الخصائص مسائل صوتية تعتبر من منجزات علم اللسان الحديث نحو:

1- إدراكه لإحدى القواعد المميزة لاستقلال الصوت (الحرف) واعتباره فونيماً (وحدة صوتية) مرتبطاً بمعنى، في ثباته وتغيره في موقعه؛ بحيث يصلح أن يكون مقابلاً استبدالياً لآخر، فإذا تغير في موقعه من الكلمة وثبتت بقية الأصوات؛ يعقب ذلك اختلاف في المعنى فإن الخاء مثلاً، في رأيه، بصفتها الصوتية مقابل استبدال للقفاف بصفتها الصوتية كذلك حين يتبادلان الموقع يحصل تغيير في المعنى إذ يقول "إنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعد لونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما تقدره، وأضعاف ما نستشعره من ذلك: خضم وقضم فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقضاء... والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها⁽¹⁾.

وضرب لذلك مثلاً آخر ربما يكون أوضح في الدلالة حيث يترتب تغير في المعنى عند استبدال السين بالصاد مع ثبوت بقية أصوات اللفظ معها في صعد وسعد "حيث جعلوا الصاد، لأنها أقوى، لما فيه أثر مشاهد يرى، وهو الصعود في الجبل والحاظ، ونحو ذلك وجعلوا السين لضعفها لما لا يظهر ولا يشاهد حساً.... فجعلوا الصاد لقوتها مع ما يشاهد من الأفعال المعالجة المتجسمة، وجعلوا السين لضعفها فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين، والدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية⁽²⁾ ويقصد بالدلالة اللفظية الدلالة الصوتية وهي الدلالة الصوتية القاصرة أو الصغرى Minor Phonetic Function عند فيرث مقابل الوظائف أو الدلالات الكبرى المعجمية والصرفية والنحوية وسياق الحال،⁽³⁾ وإن كانت هي عند ابن جني⁽⁴⁾ أقوى الدلالات مقابل الدلالة الصناعية (الصرفية) والمعنوية (النحوية).

2- تشبثه وإصراره على القيمة التعبيرية للحرف العربي، بجعله للأصوات دلالة ذاتية طبيعية على المعاني، وقد نتحدث عن هذا التصور في المستوى الدلالي، حيث عقد لها عدة أبواب في كتابه الخصائص.

3- إدراكه لمفهوم Stress ومضمونه وهو من الملامح الصوتية التي تصاحب الكلمات فتؤدي وظيفة دلالية، والنبر كما يفهم من تعريفاته⁽⁵⁾ يعني القوة النسبية

(1) ابن جني، الخصائص: 2/157.

(2) السابق: 2/161.

(3) Firth: Papers in Linguistics: P33

(4) انظر: الخصائص: 3/98.

(5) Jespersen: Language, PP271 - 272 Peter Ladefoged: A Course in

Phonetics: P 98, P222 Raja Naser: The Structure of Arabic : P 47.

التي تستعمل في نطق الأصوات، فالمقطع المنبور يلفظ بكمية أكبر من الطاقة عن المقطع غير المنبور، وهذا النبر يكسبه وضوحاً زائداً عن المقاطع الأخرى، وهذا يعني أيضاً الضغط على المقطع ليعلو الصوت فيه ففي اللسان النبر عند العرب ارتفاع الصوت، يقال نبر الرجل نبرة إذا تكلم بكلمة فيها علو⁽¹⁾ وعليه فالنبر في العربية واللغات الأوروبية يجب أن يلحظ فيه عملية الضغط على بعض المقاطع ليرتفع الصوت فيها؛ فهو عملية عضلية لها نتائج صوتية، وهذا الحديث يسوقنا إلى البحث عن هذا المفهوم للنبر في عبارة اقتطعناها من الخصائص يقول فيها ابن جني: "وقد حذفت الصفة ودلت عليه الحال، وذلك فيما حكاها صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملت، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً فتزيد في قوة اللفظ [بالله] هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها أي رجلاً قاضلاً أو شجاعاً أو كريماً، أو نحو ذلك، وكذلك: سأناه فوجدناه إنساناً وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك إن نمته ووصفته بالضيق قلت: سأناه وكان إنساناً وتزوي وجهك وتقطيه، فيغني ذلك عن قولك، إنساناً لثيماً أو لحزاً أو مبخلأ أو نحو ذلك"⁽²⁾ التطريح في اللسان من طرح الشيء إذا طوله ورفع وأعلاه، والتطويح من طوح به ذهب هنا وهناك، والتفخيم ضد الإمالة، وهو ظاهرة أصواتية ناتجة عن حركات عضوية تعطي الصوت قيمته الصوتية الفخمة. فهذه الألفاظ من خلال معانيها اللغوية تتفق حول تطويل الصوت ورفع النبر بمفهومه الحديث عملية عضلية تؤدي إلى علو الصوت، وكذلك تراعي في النبر قوة الصوت وهذه تفهم من قول ابن جني "فتزيد في قوة اللفظ وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها" فتعيينه اللام في كلمة رجلاً لتكون محلاً للتمطيط والإطالة يدل بوضوح على أن هذه القوة والتمكن في النطق لا تقع على جميع مقاطع الكلمة وإنما على جزء منها، كذلك يكون الصوت المنبور أطول منه حيث يكون غير منبور"⁽³⁾ وهناك علاقة بين النبر وطول المقطع⁽⁴⁾ وهو ملحظ لم يفت ابن جني التنبيه عليه بقوله "إطالة الصوت بها" إضافة إلى التمثيل الذي

(1) اللسان مادة نبر ومادة همز

(2) الخصائص: 370/2 - 371.

(3) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية: ص 82

(4) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي: ص 191.

يشعب المقطع طولاً وهكذا يكون ابن جني قد أدرك النبر بمفهومه الحديث من حيث طول الصوت وعلوه وقوته وإن لم يذكره بلفظه، ووصفه دلاليًا أغنى عن التصريح بالأوصاف. وإنّ باحثاً عربياً⁽¹⁾ مختصاً بعلم اللسانيات المرضية يسمى المحتوى، الذي يتكون من الفونيمات غير التركيبية كالنبر والتنغيم، بالبعد العلوي التطويحي Suprasegmental مما يدل على أن مقصود ابن جني من التطريح والتطويح هو ما فهمناه من نبر أو تنغيم وهو أقرب إلى الصواب.

4- كذلك أدرك ملمحاً صوتياً آخر بمفهومه أيضاً وهو التنغيم Intonation وهو وثيق الصلة بالنبر، فلا يحدث تنغيم دون نبر للمقطع الأخير من الجملة المنغمة، والتنغيم هو: "المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع (الصعود) والانخفاض (الهبوط) في درجة Pitch الجهر Voice في الكلام"⁽²⁾ أي هو تغيير نغمة موسيقية تتناوب الصوت صعوداً مرة وهبوطاً مرة أخرى تعبيراً عن المشاعر والأحاسيس التي تتناوب رضىً وغضباً يأساً وأملًا إعجاباً واستقهاماً وإخباراً، نفيًا وإثباتاً، فإن نغمة الاستفهام مثلاً تختلف عن نغمة الإخبار. فالتنغيم كالترقيم غير أن التنغيم أوضح في الدلالة على المعنى المقصود، لأن الترقيم وضع إشارات جامدة ليس لها تأثير التنغيم، لما يتطلبه أو يثيره من انتباه ومتابعة، ولما يصاحبه من قرائن أخرى كالتجهم أو أشاحة الوجه، أو إشارة باليد أو بالرأس، أو انفراج أساريره..... الخ.

انظر النص التالي الذي يشير بوضوح إلى التنغيم، بإجراءاته، حيث يقول: "لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب استحال خبراً، وذلك قولك: مررت برجل أي رجل فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل ولست مستفهماً، وكذلك مررت برجل أيما رجل، لأن ما زائدة.... وكقول الله سبحانه وتعالى (أأنت قلت للناس)⁽³⁾ إذا لحقته همزة التقرير عاد نفيًا أي ما قلت لهم⁽⁴⁾ إن تضام الاستفهام والتعجب بطرؤ التعجب على الاستفهام: أمر ليس له من صورة صوتية سوى التنغيم الهابط الذي يجعل التعجب يخالط الاستفهام فيحوله خبراً كأن يقال: لا أدري كيف يتصارعون وهم من أب وأُم واحدة 19.

5- إذا كان في كتابه سر الصناعة لم يتحدث عن الإدغام فإنه في الخصائص تكلم عنه كغيره من اللسانيين العرب، باعتباره درساً صوتياً يتم بتقريب صوت من صوت آخر

(1) وهو الدكتور عامر جبار النداف، في دراسة له بعنوان "مخططات الأصوات العربية" في مجلة اللسان العربي، العدد 36/ 1992 م، ص ص 83 - 102.

(2) السعمران، علم اللغة: ص 210.

(3) سورة المائدة، آية رقم 116.

(4) الخصائص: 3/ 269

وقد فتح له باباً في الإدغام الأصغر⁽¹⁾ وقال فيه "قد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت، وهو في الكلام على ضربين، أحدهما أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام فيدغم الأول في الآخر، والأول من الحرفين في ذلك على ضربين ساكن ومتحرك فالمدغم الساكن الأصل كطاء قطع وكاف سكر الأولين والمتحرك نحو دال شدّ ولام معتل...⁽²⁾. وفي أوائل القرن الخامس الهجري يواصل ابن سينا (ت 428 هـ) البحث الصوتي باستقلال أيضاً في رسالته "أسباب حدوث الحروف"⁽³⁾ التي قسمها بعد المقدمة إلى ستة فصول هي:

- 1- الفصل الأول: في سبب حدوث الأصوات ويتحدث عن الصوت الإنساني باعتباره ظاهرة طبيعية والصوت سببه تموج الهواء ودفعه بسرعة وقوة.
- 2- الفصل الثاني: سبب حدوث الحروف حيث يتحدث عن مخارج الأصوات إذ الهواء المتموج في مسلكه تصادفه مخارج ومحابس ينتج عنها الحروف وقد تحدث بعض الحروف عن حبس تام للهواء بعده يطلق دفعة واحدة مثل: الباء والتاء والدال والقاف، والكاف وبعض الحروف تنتج عن حبسة غير تامة للهواء وهي سائر الحروف.
- 3- الفصل الثالث: وقد خصصه لتشريح الحنجرة واللسان.
- 4- الفصل الرابع: ويتناول فيه الحروف العربية، ووصف العملية العضوية التي يتم بها إخراج كل صوت، والأسباب الجزئية لحدوث الحروف العربية.
- 5- الفصل الخامس: خصصه لأصوات سَمِعَهَا في لغات أخرى غير العربية كالفارسية وقارن بينها وبين الأصوات العربية، أي في الأصوات الشبيهة بالأصوات العربية ولكنها ليست في لغة العرب.
- 6- الفصل السادس: تكلم عن الأصوات التي تنتج عن حركات غير نطقية كالطاء التي تحدث عند تصفيق اليدين. وهكذا قدم ابن سينا بحثاً عن مخارج الأصوات على أساس تشريحي عملي، فيكون ذلك فتحاً كبيراً في الدراسة الصوتية ومنهجاً جديداً في معالجة قضاياها⁽⁴⁾، ولكن السكاكي⁽⁵⁾ (ت 616 هـ) يقدم رسماً تشريحياً لجهاز النطق يبين فيه مخارج الأصوات، أي يبين على الرسم المخارج كالحلق والحروف التي تصدر عنه كالهاء والعين والحاء والغين والخاء والقاف.

(1) المصدر السابق: 2/ 139 - 145.

(2) أي شدّ أصلها شدّ ومعتل أصلها مُعْتَلِلٌ.

(3) تحقيق محمد حسن الطيّان وزميله، مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق، 1403 هـ - 1983 م، وانظر الفصل الذي فتحه الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللغوية لشرح الرسالة والتعليق عليها ص ص 136 - 153.

(4) عبد الله ربيع محمود وزميله: علم الصوتيات : ص 69.

(5) انظر : مفتاح العلوم :ص6، وأصول تراثية في علم اللغة، كريم حسام الدين : 153.

ويقدم ابن يعيش في الجزء العاشر من شرح المفصل (ت 643 هـ) دراسة صوتية عن الإدغام والإبدال وغيرهما معتمداً على سيبويه في كتابه وعلى ابن جني في الخصائص، ولكنه يضيف على ما جاء في الخصائص أنه يتكلم عن الظاهرة ويفسرها صوتياً ولا بأس أن نقارن بينهما لندرك الإضافة التي تبرهن على أصالة مساهمته، وذلك باقتطاع عبارتين من معالجة كل منهما للإبدال ونبدأ بابن جني⁽¹⁾ تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه..... من ذلك أن تقع فاء افتعل صاداً أو ضاداً أو طاءً أو ظاء فتقلب لها تاؤه طاء وذلك نحو: اصطبر، واضطرب واططم، فهذا تقريب من غير إدغام..... ومن ذلك أن تقع فاء افتعل زايّاً أو دالاً، فتقلب تاؤه لها دالاً أو ذالاً كقولهم: أزدان، وأدعى، وأذكر..... أجريت (يقصد في الذكر) الذال لقربها من الدال بالجهر مجرى الدال فلوثر الإدغام لتضام الحرفين في الجهر فأدغم....." لم يذكر تعليلاً صوتياً في إبدال تاء افتعل (في اصطبر واضطرب واططم، وإزدان وأدعى) سوى تقريب الحرف من الحرف، وبقلب التاء طاء اعتباراً دون تفسير. ولم يشرح بالتفصيل حديثه عن قلب الذال دالاً سوى علة الجهر بينهما وإجمال. وانظر التعليل الصوتي الواضح والتفسير الوافي عند ابن يعيش لهذه الظاهرة التي تسمى في علم الأصوات الحديث بالتحديد أو المماثلة، وغلب عليها عند علمائنا كسيبويه وابن جني اسم التقريب أو المقاربة أو المضاربة لوصفها كذلك عندهم،⁽²⁾ إذ يقول (ابن يعيش)⁽³⁾ "أبدلت الطاء من التاء إبدالاً مطرداً، وذلك إذا كانت فاء افتعل أحد حروف الإطباق وهي أربعة الصاد والضاد والطاء ونحو اصطبر واضطرب واططم والأصل اعتبر واضطرب واططر واططم، والعلة في هذا الإبدال أن هذه الحروف مستطعية فيها إطباق، والتاء حرف مهموس غير مستعمل فكروا الإتيان بحرف بعد حرف يضاده وينافيه فأبدلوا من التاء طاء لأنهما من مخرج واحد ألا ترى أنه لولا الإطباق في الطاء لكانت دالاً ولولا جهر الدال لكانت تاء..... وفي الطاء إطباق واستعلاء يوافق ما قبلها فيتجانس الصوت ويكون العمل من وجه واحد فيكون أخف عليهم..... والدال أبدلت من التاء في ازدجر وإزدان..... متى كانت فاء افتعل زاء قلبت التاء دالاً..... والأصل ازتجر وإزدان..... فلما كانت الزاي مجهورة والتاء مهموسة وكانت الدال أخت التاء في المخرج وأخت الزاء في الجهر قربوا صوت أحدهما من الآخر..... والمراد بذلك كلمة تقريب الصوت بعضها من بعض، هذا ونحوه قياس مستمر " وتحدث كذلك عن الجيم التي تبدل ياء والسين التي تبدل صاداً،

(1) انظر: الخصائص: 141/2 - 142.

(2) انظر: الكتاب: باب الإدغام في الحروف المتقاربة: 445/4 إلى آخر الباب، وأما ابن جني ففي الخصائص: 142.141/2 وابن يعيش 52/10 - 54.

(3) انظر شرح المفصل: 10/46 - 48، 150 وما بعدها.

هذا في النوع الأول من التحييد أو التقريب الذي يسمى المماثلة التقدمية Progressive assimilation حيث يتأثر الصوت الثاني (التاء مثلاً) بالصوت الأول (ص، ض، ط، ظ، ز)، وأما النوع الثاني المسمى المماثلة الرجعية Regressive assimilation التي يتأثر بها الصوت الأول كالسين بالصوت الثاني إذا كان غيماً أو خاء أو قافاً أو طاء جاز إبدالها صاداً فقد بينتها وعللها صوتياً بقوله "إنما ساغ قلب السين صاداً فكرهوا الخروج منه إلى المستعلي، لأن ذلك مما ينقل فأبدلوا من السين صاداً، لأن الصاد توافق السين في الهمس والصغير، وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء فيتجانس الصوت ولا يختلف وهذا العمل شبيه بالإمالة في تقريب الصوت بعضه من بعض⁽¹⁾ والحقيقة أن تعليلاته وشروحه في هذا الشأن كثيرة وإن كان تأثره بסיبويه واضحاً، وهذا له وليس عليه؛ لأنه يبني عليه ويكمل ما ينقصه ويلزمه من شرح وتعليل صوتي. وأما المخالفة أو المغايرة Dissimilation فهي أن يحصل تطور لأحد الصوتين المتحدين المتماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما أو يبدل بصوت آخر مخالف فيصبح الصوتان متخالفين بعد أن كانا متفقين وهي ظاهرة صوتية ذكرت أمثلة لها في لسان العرب⁽²⁾ نحو "تظننته وتظنيتيه على التحويل، وعن أبي عبيدة، تظنيت من ظننت وأصله تظننت، كثرت النونات فقلبت أحدهما ياء كما قالوا قصيت أظفاري والأصل قصصت أظفاري"، "أملت عليه الكتاب وأمليت"، وقد نبه إلى هذه الظاهرة سيبويه وعقد لها باباً حيث جاء في كتابه "هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكرامية التضعيف، وليس بمطرود، وذلك قولك، تسريت وتظنيت وتقصيت من القصة وأمليت⁽³⁾" والعللة الصوتية هو التخفيف أو الاقتصاد في الجهد العضلي كما يقولون في علم اللسان الحديث ونجد عند المبرد اهتماماً بهذه الظاهرة الصوتية بحيث يعال لها باستئفال التضعيف ويضرب لها الشواهد فانظر قوله: "واعلم أن التضعيف مستثقل وأن رفع اللسان عنه مرة واحدة تم العودة إليه ليس كرفع اللسان عنه وعن الحرف الذي من مخرجه ولا فصل بينهما فلذلك وجب، وقوم من العرب إذا وقع التضعيف أبدلوا الياء من الثاني لئلا يلتقي حرفان من جنس واحد، لأن الكسرة بعض الياء، وذلك قولهم في تقضضت تقضّيت، وفي أملت: أملت وكذلك تسريت في تسرّرت⁽⁴⁾"

لقد حاولنا فيما سبق أن نلمّ بالبحوث الصوتية التي تمكن علماءنا القدامى من خوضها معتمدين على ملاحظاتهم وتجاربهم الخاصة وإمكاناتهم الشخصية؛ إذ لم يكن

(1) السابق: 10/51 - 52.

(2) مادة ظنن، ومادة مثل.

(3) الكتاب: 4/424.

(4) المقتضب: 1/246.

لديهم من آلات لتصوير وأجهزة التسجيل والتحليل مما يتيح لعلماء الأصوات في عصرنا، وقد توصلوا إلى نتائج متقدمة في بحثهم لعل في اختصارها تتم الفائدة:

1- وضع أبجدية صوتية للحروف العربية على يد الخليل أولاً ثم سيبويه ثم ابن جني حيث رتب حسب المخارج على ما بينهم من خلاف تبدأ بالحروف الحلقية وتنتهي بالحروف الشفوية، ووضعت رموزاً خطية لتسعة وعشرين صوتاً مع اعتراف سيبويه بالثنين وأربعين صوتاً منطوقاً، ولا رسم إلا للتسعة والعشرين التالية بترتيب سيبويه⁽¹⁾ الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والذال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والتاء والفاء والباء والميم والواو.

2- لقد عرف العرب معظم أعضاء النطق في جهاز التصويت فقد ذكر كانتينو⁽²⁾ أنهم قد عرفوا الرئة والقصب الهوائية والحنجرة والحلق، وفرقوا بين أقصاه أقصد الحلق وأوسطه وأدناه، واللهة والحنك الأدنى والحنك الأعلى والأنف والخيشوم واللسان وأقصاه ووسطه وظهره وحافته وطره والأسنان بثناياها، والشفيتين وهيئتهما وقد وجدنا رسماً تقريبياً في مفتاح العلوم للسكاكي لأعضاء النطق ويبدو أنهم لم يعرفوا الأوتار الصوتية وفتحة المزمار ولسانه، فلم نجد من يشير إليهما.

3- وتحدثوا عن مخارج الأصوات على المدرج الصوتي فقد حددها الخليل بثمانية مخارج أو أحياناً⁽³⁾ وسيبويه بستة عشر مخرجاً⁽⁴⁾، وبما أنها بالملاحظة الذاتية لم تكن دقيقة كما تدل عليه تجارب معامل الأصوات في وقتنا الحاضر التي تحدد مخارج أصوات العربية القصصية عشرة مخارج هي: الحنجرة للهمزة والهاء، والحلق للعين والحاء، واللهة القاف والطبق الكاف والغين والخاء، والغار: الشين والجيم والياء، واللثة: اللام والراء والنون، والأسنان مع اللثة: الذال والضاد والتاء والطاء والزاي والسين والصاد، والأسنان: الذال والظاء والتاء، والشفة والأسنان: الفاء والشفة الباء والميم والواو⁽⁵⁾.

4- صنفوا الأصوات حسب صفاتها وفصلوا بينها بناء على ذلك؛ فمنها المجهور والمهموس والشديدة والرخوة، والمطبقة والمنفتحة⁽⁶⁾.

(1) الكتاب 4/ 431.

(2) كانتينو، دروس في علم أصوات العربية: ص 17 - 19.

(3) العين: 1/ 64 - 65.

(4) الكتاب 4/ 433.

(5) انظر رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ص 30 - 31.

(6) سيبويه، الكتاب 4/ 434 - 436.

5- واهتدوا إلى تقسيم الحروف إلى صحيحة ومعتلة ثم قسموا أصوات العلة إلى قصيرة وهي الحركات المكسرة والفتحة والضمة، وحروف المد الطويلة، الألف والواو والياء. فقد اعتمد ابن جني في هذا التقسيم على اتساع مخارج الأصوات المدية حين يقول: "والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء، ثم الواو...، أما الألف فتجد الحلق والهم معها مفتحتين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر... الخ"⁽¹⁾ وفي موضع آخر يقول ابن جني "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة كذلك الحركات ثلاث وهي الفتحة والمكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف والمكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو... ويدل على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه...".⁽²⁾ ويبدو أنهم يدركون القسم الآخر للعلل وهو الذي سميت من أجله حديثاً بأنها أشباه العلل Semi Vowels في نحو: (ظبي، وولد)، فالواو والياء فيهما ليستا مداً أو حرفي علة وإنما هما أشبه بالأصوات الصحيحة التي تقبل الحركات، فتعامل معاملة الأصوات الصحيحة.

6- توصل علماءنا إلى أن إنتاج الأصوات يتم التحكم به عن طريق تدفق الهواء في مجراه أو حجزه جزئياً أو انحباسه كلياً، وهذا واضح من خلال تشبيه ابن جني لمجرى الهواء بالنأي حين يقول "شبه بعضهم الحلق والهم بالنأي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً كما يجري الصوت في الألف غُفلاً بغير صنعة فإذا وضع الزامر أنامله على خروق النأي المنسوقة وراوح بين عمله، اختلفت الأصوات، وسُمِع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والهم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة⁽³⁾ ومن كان له أدنى معرفة أو قدرة على الملاحظة الذاتية يدرك أن النطق يتم عبر مجرى النفس، وربما كان ابن سينا أكثر مباشرة ووضوحاً حين يقول في الفصل الثاني من كتابه "أسباب حدوث الحروف" إن سبب حدوث الحروف هو الهواء المتموج في مسلكه يصادفه مخارج ومحابس تنتج عنها الحروف، وقد تحدث بعض الحروف عن حبس تام للهواء بعده يطلق دفعه واحدة مثل الباء والتاء والدال والقاف والكاف واللام والميم والنون، وبعض الحروف تنتج عن حبسة غير تامة للهواء وهي سائر الحروف "وهو هنا يفرق بين الأصوات الشديدة أو الانفجارية التي بدأها بالباء وأنهاها بالنون وتنتج عند حبس الهواء في موضع ما على المدرج الصوتي فالباء مثلاً ينحبس الهواء وراء الشفتين والأصوات الرخوة أو الاحتكاكية التي ينحبس معها الهواء جزئياً ويبقى جزء من النفس متسرباً إلى الخارج كالتاء.

(1) ابن جني، سر الصناعة: 1 / ص 8

(2) المرجع السابق: 1 / 17 - 18، 23

(3) نفسه: 1 / ص 8.

7- لم يغب عن علمائنا ما يعرف اليوم بنظرية الفونيم التي لا تطلق على الصوت أو الحرف اصطلاح الفونيم إلا إذا صلح أن يكون مقابلاً استبدالياً لفونيم آخر يحل محله فيعطى معنى مختلفاً مع ثبوت أصوات أخرى في الكلمة نفسها كما في نفر ونفق فالقاف والراء مقابلان استبداليان؛ فكل منها يعطى معنى جديداً للكلمة؛ إذا استبدل بالآخر مع ثبوت النون والفاء، وقد تنبه إلى ذلك ابن جنى وقد ذكرنا ذلك في محله واستشهدنا له حيث ضرب مثلاً بالسین والصاد في صعد وسعد⁽¹⁾.

8- إدراك علمائنا تأثير بعض الملامح الصوتية المصاحبة بمفهومها وإجراءاتها أو الفونيمات غير التركيبية في اصطلاحات فيرث، كالنبر والتغيم وهو ما برهنا عليه في نصوص اقتطعناها من الخصائص⁽²⁾.

9- لقد قدموا التفسير الصوتي الدقيق لكثير من الظواهر الصوتية التي تحدث في سياق الكلام، وهو التعليل الذي يطلق عليه في عرف اللسان الحديث الاقتصاد في الجهد العضلي الذي يوفر انسجاماً صوتياً وتخفيفاً وسهولة في النطق كالإدغام والإبدال بما فيهما من تقريب ومضاربة أو قلب مما اصططح عليه حديثاً بالتحديد أو المماثلة والمخالفة.

10- لقد شغل علمائنا القدامى كثيرهم بالقيمة التعبيرية للحرف العربي أي بما يسمى في عصرنا بالعلاقة بين الصوت والمسلول Sound Symbolism وحاول بعضهم كابن جنى أن يثبت بكل ما أوتي من قدرة لغوية، أن هناك دلالة طبيعية للحرف العربي على المعنى وفتح لها أبواباً في كتابه الخصائص⁽³⁾ وهذا توجه قد تيسر له الكثير من المؤيدين شرقاً وغرباً، وإن انتهى الدرس اللساني حديثاً إلى أن العلاقة بين الصوت والمعنى اعتباطية Arbitrary.

11- في حديث سيبويه والجاحظ عن الحروف التي تدخل فيها اللغثة كالتشين والقاف والراء وصف للنطق المرضي للأصوات Articulation thology وهو سبق لعلمائنا لأحد منجزات علم اللسان الحديث باهتمامه الخاص فيما يسمى بعلم اللسان المرضي Logopedy.

(1) الخصائص : 161/2.

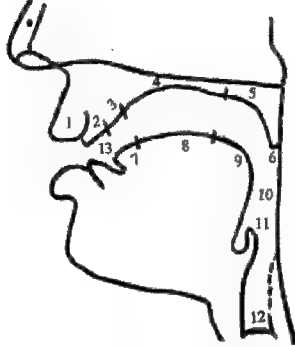
(2) المرجع السابق : 2 / 370 - 371.

(3) انظر الأبواب التالية في الخصائص لابن جنى: - تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني: 113/2 - 133.

- تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني : 145/2 - 152.

- إمساس الألفاظ أشباه المعاني : 152/2 - 168.

الجهاز الصوتي



lip	1- الشفتان
teeth	2- الأسنان
tooth - ridge	3- اللثة
hard palate	4- الغطاء الصلب
(velum) Soft palate	5- الحنك اللين
uvula	6- اللهاة
blade of tongue	7- طرف اللسان
front of tongue	8- مقدمة اللسان
back of tongue	9- مؤخرة اللسان
pharynx	10- الحلق
epiglottis	11- لسان المزمار
position of vocal cords	12- موقع الأوتار الصوتية
tip of tongue	13- حد اللسان



نشاط (4)

- 1- تتبع المقارنة التي أجراها الدكتور إبراهيم أنيس بين نصوص سيبويه عن الأصوات من جهة والنصوص المشابهة من جهة أخرى في كتاب سر صناعة الإعراب وشرح المفصل والنشر في القراءات العشر من جهة أخرى، في كتاب الأصوات اللغوية، الفصل الخامس القسم الخامس بسبويه وأصوات اللغة.
- 2- إقرأ الأبواب التالية التي عقدها ابن جني في كتابه الخصائص من أجل الاطلاع على أبعاد الدلالة الطبيعية للألفاظ على المعاني: "تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني (ج2: 113-133) تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني (ج2: 145-152)، وإساس الألفاظ أشباه المعاني (ج2: 152-168).
- 3- اقرأ الفصل الخاص باللغة في البيان والتبيين ج1 / 34، وما بعدها، والدراسة التي أقامتها الدكتورة فاطمة محبوب في كتابها دراسات في علم اللغة: الفصل المعلنون بـ "علم اللغة من خلال البيان والتبيين" لتعرف كثيراً من الحقائق العلمية في علم اللسان التي وافق بها علماؤنا علم اللسان الحديث.



أسئلة التقويم الذاتي (4)

- 1- ما أبرز الجهود الصوتية التي شارك في بحثها الخليل بن أحمد؟
- 2- بين الترتيب الصوتي للحروف عند سيبويه.
- 3- ما المباحث الصوتية التي جاءت في كتاب سر صناعة الإعراب؟ وهل هناك مباحث صوتية أخرى طرقها ابن جني في غير كتابه هذا؟ واذكر ما تعرفه.
- 4- اذكر بإيجاز المباحث الصوتية والنتائج التي توصل إليها علماؤنا مما يعد فتحاً في علم الأصوات.



تدريب (5)

- 1- رتب الحروف التالية صوتياً حسب ترتيب الخليل بن أحمد لها في معجم العين:
ج، ق، ش، ر، د، ظ، م، هـ، ض، ص، ت.
- 2- ما الفرق بين الترتيب الألفبائي والصوتي للحروف ؟
- 3- ما المقصود بالاصطلاحات التالية: سياق الحال، الفونيمات غير التركيبية، الدلالة الذاتية الطبيعية، الدلالة الاعتبارية ؟

2.1.3 المستوى الصرفي

لقد ذكرنا أن اللغة نظام من الأصوات تدرس مفردة ومركبة على مستويات عدة فإذا انصب البحث على هذه الأصوات منفردة أو مستقلة ومتجاوزة، ومن أجل معرفة طبيعتها وصفها ومخرجها ووظيفتها فذلك من اختصاص علم الأصوات.

أما إذا انضمت الأصوات بعضها إلى بعضها بحيث تتكأف وتشكل وحدات أو عناصر أكبر نطلق عليها المفردات أو الكلمات نقسمها إلى أسماء وأفعال وحروف، اصطلاح على تسميتها في علم اللسان الحديث بالمورفيمات Morphemes، أي الوحدات الصرفية التي هي موضوع الدرس الصرفي. لقد كان فهم العرب متقدماً لدور الدرس الصرفي باعتباره مقدمة ضرورية أو تمهيدية للدراسة النحوية، حيث الوظيفة النحوية للكلمة تعتمد في الإحاطة بها على معرفة البنية الصرفية لها؛ فقد ذكر ابن جني ما يؤيد هذا الفهم؛ حيث قال في المنصف "فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف" ⁽¹⁾ وهكذا تكون البنية الصرفية ميدانها علم الصرف هي حلقة الوصل بين الصوت المفرد في ذاته وميدانه علم الأصوات وبين الجملة وميدانها علم النحو، إذ الوحدات الصوتية تتألف في وحدات صرفية تنتظم بدورها في تركيب نحوي نسميه الجملة، وهي السلسلة اللفظية أو الصورة الصوتية التي تجسد الفكرة، ومن هنا قد جاء جمعهما (أقصد الصرف والنحو) في اللغات الأوروبية تحت مسمى واحد هو Grammar أي قواعد اللغة وقد وصف أنطون ماويه الفصل بينهما بأنه مصطنع، والتمييز بينهما حمق بقوله: "فعند ما نميز بين علم الصيغ Morphology وعلم النظم Syntax جاعلين موضوع أحدهما صيغ الألفاظ.... وموضع الآخر بناء الجمل، يكون تمييزنا مصطنعاً.....".

(1) المازني المنصف: 4/5 - 5.

ولكم من مرة يميزون فيها بين علم الصيغ باعتباره العلم الذي يدرس بناء الصيغ النحوية وعلم النظم باعتباره ذلك الذي يتناول وظيفة تلك الصيغ، وهذا تمييز أحق⁽¹⁾.

ففهم معاني المباني من خلال التحليل الصرفي هو المدخل الطبيعي لإدراك المعاني النحوية لهذه المباني؛ فإن صيغة اسم الفاعل أو المبالغة تدل على الفاعلية مثلاً وهو غير المعنى المستفاد من صيغة اسم المفعول التي تدل على المفعولية "الفرق قائم أيضاً بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة منه، فهناك فرق دلالي بين نائم ونؤوم وهما صيغتان جذرهما واحد (ن و م) في قولنا: إنها نائمة في الضحى، وقولنا: إنها تؤولم الضحى، وكذلك الفرق في الصيغة قد يؤدي إلى نقيض المعنى في مثل قولنا:

لا تُفَرِّطُوا في الشرف والأمانة و: لا تُفَرِّطُوا في الشرف والأمانة.

مع أن جذر الفعلين واحد (ف، ر، ط) وما أوجد التناقض في المعنى هو الفرق بين صيغتي تُفَعِّلُ وتُفَعِّلُ.

وقد أدرك ابن عصفور (ت 669 هـ) أن الدرس الصرفي مقدمة للدرس النحوي بقوله "وقد كان ينبغي أن يقدم علم التصريف على غيره من علوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسهم، من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب".⁽²⁾ نفهم مضمون هذا الكلام على ضرورة أن يكون التحليل الصرفي سابقاً للتحليل النحوي في البحث اللساني، لا أن يجمع بينهما في كتاب واحد، وقد انعكس هذا الفهم للعلاقة بين الصرف والنحو في تعريف النحو عند ابن جني الذي تضمن مسائل صرفية بقوله عن النحو: "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقيق والتكبير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك..."⁽³⁾، وقد كان الخضري في حاشيته على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك أوضح؛ حيث ذكر أن النحو يطلق على ما يعم الصرف تارة وعلى ما يقابله تارة أخرى ويعرف على الأول: بأنه علم بأصول مستنبطة من كلام العرب، يعرف بها أحكام الكلمات العربية حال إفرادها كالإعلال والحذف والإبدال، وحال تركيبها كالإعراب

(1) أنطوان مابيه، علم اللسان: مترجم وملحق بكتاب النقد المنهجي عند العرب للدكتور محمد مندور؛ ص 438.

(2) الممتع في التصريف: 30/1 - 31.

(3) ابن جني الخصائص: 34/1.

والبناء...وعلى الثاني يختص بأحوال التراكيب⁽¹⁾ وهذا التعريف أوضح من سابقه في دلالة على الجمع في الدراسة النحوية بين المفردات والتراكيب.

وفي اعتقادي أن التعريف الذي يعتبر الصرف جزءاً من النحو هو نتيجة طبيعية لما جاء من مباحث في كتب النحو المتقدمة وأولها كتاب سيبويه الذي جمع إلى مباحث النحو دروساً في الصرف والصوت أيضاً، وثانيهما المقتضب للمبرد الذي خصص محققه خمسين صفحة من الفهارس لأبواب الصرف لو أردنا استخراج مادتها وفصلها لكان لنا منها كتاب خاص بالصرف يشمل جميع مسائله وقضاياها⁽²⁾.

وهذا أمر دلالة واضحة على أن نشأتها واحدة تحت علم واحد هو علم العربية وأول ما ورد مصطلح التصريف عند سيبويه عندما أراد أن يبين أوزان الأسماء والصفات فتح باباً وعنوانه كالتالي: "هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به ولم يجيء في كلامهم إلا نظيره من غير بابيه، وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل"⁽³⁾، هذا غير الأبواب الصرفية التي جاءت في كتابه نحو باب التثنية والجمع⁽⁴⁾، وباب التصغير⁽⁵⁾ و باب المقصور والمدود⁽⁶⁾، ومصادر بنات الأربعة⁽⁷⁾ و باب التضعيف⁽⁸⁾، والإدغام⁽⁹⁾، وغيرها من الأبواب.

ويبدو بناء على ما نقلته كتب التراجم⁽¹⁰⁾، أن أول من جعل للتصريف درساً مستقلاً معاذ بن مسلم الهراء (ت 187 هـ) وإن لم يترك أثراً يدل على ذلك، ويبدو كذلك أن درسه في هذا الشأن لم يكن معلماً يستحق الوقوف عنده، وكان محدود الأثر؛ مما حرمه من فرصة الشهرة والتميز عن غيره من علماء البصرة في هذا العلم؛ لذا نرى صاحب الفهرست

(1) انظر : حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ج:1/ص10 (المطبعة الميمنية القاهرة، 1305 هـ).

(2) أنظر، الجزء الرابع من المقتضب للمبرد : ص ص 149-200.

(3) الكتاب : 4/ 242.

(4) السابق : 3/ 389.

(5) نفسه : 3/ 415.

(6) نفسه : 3/ 536.

(7) نفسه : 4/ 85.

(8) نفسه : 4/ 417.

(9) نفسه : 4/ 431.

(10) انظر: السيوطي، بغية الوعاة : 2/ 291.

يقول "لا كتاب له يعرف" ⁽¹⁾ ولم يبرز الصرف باعتباره علماً من علوم العربية إلا على يد المازني (ت 249 هـ)، الذي ألمح في قوله "من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد سيبويه فليستحي" أنه يريد أن يضع كتاباً في علم آخر غير النحو يكون نظيراً لكتاب سيبويه في أوليته وتأصيله لعلم النحو، فأفرد كتاباً لعلم الصرف سماه التصريف، جمع فيه مسائل هذا العلم المتناثرة في كتب النحويين قبله وقد أدرك محققو هذا الكتاب غرض المازني في رأيي حين قالوا: "وكتابه على صغره، جامع لعلم التصريف، ويعد أصلاً في موضوعه ككتاب سيبويه، فكل منهما أصل في موضوعه، الأول في التصريف والثاني في النحو" ⁽²⁾.

مع أنه في حقيقة الأمر ليس في مستوى كمال كتاب سيبويه ولا شموليته بل عالة عليه مما جعل الدكتور خديجة الحديثي تقول في كتابها أبنية الصرف: "كتاب المازني لا يخرج عما ذكره سيبويه في الكتاب في باب التصريف مع تلخيص وإضافة بعض الشواهد والأمثلة" ⁽³⁾، ويبدو أن كتاب المازني قد استمد أهميته وأتيح له الانتشار بفضل شرح ابن جني له.

لا بد من الإشارة كذلك إلى أن المبرد (ت 285 هـ) والرماني (ت 384 هـ) قد صنفا كتابين بعنوان التصريف ⁽⁴⁾ وإنه لم يصل إلينا منهما شيء، وأتيح لتصريف المازني، ما لم يتح لهما بشرح ابن جني له في كتاب سماه "المنصف في شرح تصريف المازني"، ومن التصنيفات الصرفية التي لم يكن التصريف عنواناً لها، ولكن من يتتبع موضوعاتها يجدها صرفية خالصة، كتاب التكملة وهو الجزء الثاني من الإيضاح العضدي وموضوعاته نحوية، لأبي علي الفارسي ⁽⁵⁾ (ت 377 هـ)، ومن موضوعاته: باب التقاء الساكنين، باب التثنية والجمع، باب النسب باب المقصور والممدود، باب المذكر والمؤنث، باب التصغير، باب الإدغام... الخ، حتى يمكننا أن نطلق عليه التكملة في الصرف، مع الاعتراف بأنه كان يعتبر الصرف جزءاً من النحو ويفهم ذلك جلياً من عنوان الكتاب بأنه تكملة كتاب سابق أو هو جزء ثانٍ مكمل له مع أن الأول موضوعه نحوي والثاني صرفي. وكذلك حين يعرف النحو يذك أنه "علم بالمقاييس المستتبطة من استقراء كلام العرب وهو ينقسم قسمين: أحدهما تغيير يلحق بأواخر الكلم، والآخر يلحق ذات الكلم وأنفسها... نحو التثنية والجمع

(1) ابن النديم، الفهرست، ص: 55

(2) المنصف : 288/2.

(3) ص 31.

(4) انظر: الفهرست 54، 49 (تحقيق فلوجل)

(5) أبو علي الفارسي، التكملة : ص 3

والنسب والمقصود والممدود والتأنيث والتذكير والتصغير والتصريف والإدغام⁽¹⁾ مما يعني أنه قد عاملهما على أساس أنهما فرعان متكاملان لعلم واحد هو قواعد اللغة Grammar، وهو ما يذهب إليه اللسانيون المعاصرون، وقد ذكرنا آنفاً كلام ماييه الذي اعتبر التمييز والفصل بينهما حمقاً، وكل ما فعله الفارسي أن خص كلًّا منهما بكتاب وهو أمر منهجي تعليمي.

ولم يفت ابن جني أن يضع كتاباً خاصاً في أصول التصريف سماه التصريف الملوكي، الذي لقي بدوره عناية بعض العلماء الذين قاموا بشرحه نعد منهم أبا القاسم الثماني (ت 442 هـ) وابن يعيش (ت 643 هـ).

وعلى الرغم من عدم التزام بعض العلماء باستقلال الدرس الصرفي عن الدرس النحوي كالزمخشري في المفصل، وشرحه لابن يعيش، وابن مالك في ألفيته وشرحها، وابن هشام وما تضمنته مصنفاته كالتوضيح من بحوث صرفية إلا أن النهج الاستقلالي في التصنيف الصرفي قد استقر واستمر وأخذ العلماء يتنافسون في التأليف في مسأله وقضاياهم ومنهم من كان يقوم بشرح ما صنفه غيره وآخرون قاموا بكتابة الحواشي على الشروح والقائمة طويلة نذكر منها ما يلي⁽²⁾:

- نزهة الطرف في علم الصرف لأبي الفضل الميداني (ت 518 هـ).
- الشافية في التصريف، لابن الحاجب (ت 646 هـ).
- العزّي في التصريف لعز الدين الزنجاني المعروف بالعزّي (ت 655 هـ).
- وقام بشرحه التفتازاني (793 هـ)، والشريف الجرجاني (ت 816 هـ).
- الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي (ت 669 هـ).
- شرح الشافية لرضي الدين الإستراباذي (ت 686 هـ).
- شرح الشافية لأحمد بن الحسن الجاربردي (ت 746 هـ) ولابن جماعة (ت 819 هـ) حاشية على شرح الجاربردي.
- عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب لابن هشام (ت 762 هـ).
- مراح الأرواح في التصريف لأحمد بن علي بن مسعود، وقد قام بشرحه علي محمد البسطامي (ت 875 هـ).
- العنقود الزواهر في نظم الجواهر في التصريف لعلي بن محمد المعروف بقوشجي (ت 879 هـ).

(1) أبو علي الفارسي، التكملة: ص 3.

(2) ومن أراد أن يستزيد فليرجع إلى كتاب اللغة العربية وعلومها لعمر رضا كحالة: ص 143-147.

- التعريف في نظم التصريف لحسين بن علي الحصني (ت 946 هـ).

- شرح المقصود في التصريف لمحمد بير علي المعروف ببيركلي (ت 981 هـ).

ويتوالى التأليف في علم الصرف إلى يومنا هذا باعتباره علماً متميزاً ومنفصلاً ومستقلاً بمنهجه ومسائله، حتى أصبح قسماً للنحو وليس قسماً منه. والحقيقة التي يجب أن نعيها جيداً هي أن استقلال الصرف عن النحو استقلال صوري والفصل بينهما مصطنع وهو أمر منهجي من أجل الدراسة، لكن التكامل بينهما واستعانة كل منهما بقوانين الآخر للوصول إلى حقيقته، أمر لا يمكن الاستغناء عنه.

بعد ما تقدم من بيان تاريخي عن نشأة هذه العلم وتطوره واستقلاله والتأليف منه، يجدر بنا أن نتنقل إلى بيان معنى الصرف لغة واصطلاحاً من أجل تحديد مباحثه وموضوعاته التي تناولها علماؤنا بالدرس والتحليل.

الصرف لغة: لقد ورد لها عدة معانٍ في لسان العرب⁽¹⁾ نقطف منها الدلالات التالية:

1- الصرف: بمعنى رد الشيء عن وجهه، وصرفت الصبيان قَلْبُهُمْ.

2- الصرف: بمعنى، القلب والحيلة.

3- الصرف: بمعنى الزيادة والفضل والميل، فضل درهم على درهم، وبين الدرهمين صرف أي فضل.

4- صرف الحديث: تزيينه والزيادة فيه.

5- التصريف: من صرف الآيات أي بيّنها، وتصريف الآيات، تبينها.

6- تصريف الرياح: صرفها من جهة إلى جهة.

والكلمة معانٍ أخرى، ونكتفي بما ذكرنا من المعاني التي يمكن أن نستشفه منه صلة أو علاقة بين هذه المعاني اللغوية والمعنى الاصطلاحي، إذ المعنى الغالب عليها الذي يمكن استخلاصه دون تكلف أو تعسف، هو أنها تدور حول التقلب والتحويل والزيادة، وقد صرح السيوطي بقوله: "التصريف لغة التقلب من حالة إلى حالة وهو مصدر صرف أي جعله يتقلب في أنحاء كثيرة وجهات مختلفة"⁽²⁾ يلتقي هذا المعنى اللغوي مع ضروب التفسير والتحويل التي تحدثت للكلمات والبحث فيها فنقلنا كلمتا الصرف والتصريف من

(1) انظر مادة صرف.

(2) السيوطي، همع الهوامع: 2/212.

معناهما العام الذي يدل على التقلاب والتحويل والزيادة لكل شيء مادي ومعنوي إلى تغيير خاص بالكلمات العربية، أي حدث لهما تخصيص ليصبحا مصطلحين دالين على هذا الذي يهتم ببنية الكلمة، المسمى في اللغات الأوروبية Morphology.

ولمعرفة ما هية هذا العلم وموضوعه والفرض منه لا بد أن ننقل ما ورد من تعريفات لابن جني الذي قال عنه ياقوت "لم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف، ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاماً منه"⁽¹⁾ وقد جاء في التصريف الملوكي: "التصريف هو أن تأتي إلى الحروف الأصول فتتصرف فيها بزيادة حرف، أو تحريف بضرب من ضروب التغيير فذلك هو التصريف فيها، والتصريف لها"⁽²⁾.

وفي هذا التعريف تضيق لمفهوم الصرف التقليدي، فهو لا يتناول سوى التغيير الشكلي أو اللفظي الذي يصيب أبنية الكلمات من زيادة على أصولها، وحين أراد، في تقديره، أن يشرح مفهومه للتصريف انصب حديثه على الناحية الشكلية في التغيير ولم يتطرق للناحية المعنوية من التغيير حيث يقول: "التصريف ميزان العربية وبه تعرف أصول كلام العرب الداخلة عليها ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به وقد يؤخذ جزء من اللغة كبير بالقياس، ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف، وذلك نحو قولهم: أن المضارع من فعل لا يجيء إلا على يفعل بضم العين، ألا ترى أنك لو سمعت إنساناً يقول كرم بفتح الراء من المضارع لقضيت بأنه تارك لكلام العرب سمعتهم يقولون يكرم أو لم تسمعهم، لأنك إذ صح عندك أن العين مضمومة من الماضي قضيت بأنها مضمومة في المضارع أيضاً قياساً على ما جاء...."⁽³⁾ ويضرب أمثلة أخرى كضم الميم وفتح العين من صيغة مُفَعَّل وكسر ميم مَفْعَلَة، كل هذا الشرح لا يخرج عن المفهوم الشكلي للدرس الصرفي، وكما يعلق الأستاذ الدكتور كمال بشر على شرحه هذا "إن ابن جني قصر البحث في هذا العلم على النظر في الكلمة ذاتها وفيما يحدث لها من تغيرات أغلبها لا يفيد في خدمة التركيب والعبارة، على خلاف المنتظر من الصرف بالمعنى الذي نفهمه"⁽⁴⁾.

والصرف كما سيتضح من التعريفات التي سنسوقها لاحقاً، أعم وأشمل كما يفهم من تعريف ابن الحاجب (ت 646 هـ) الجامع، وإن كان موجزاً حيث يقول: "التصريف علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب"⁽⁵⁾ ويبدو أن هذا التعريف

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء : 2 / 83.

(2) ابن جني، التصريف الملوكي : ص 3

(3) المنصف : ج 1 / ص 2.

(4) دراسات في علم اللغة، القسم الثاني : 91.

(5) شرح شافيه ابن الحاجب للأسترباذي 1 / 2.

لم يحظ برضا شارحه الاستراباذي (ت 686 هـ)، فيأتي بتعريف أكثر تفصيلاً عزاه للمتأخرين وهو "والمتاخرون على أن التصريف علم بأبنية الكلمة وبما يكون لحروفها من أصالة وزيادة وحذف وصحة وإعلال وإدغام وإمالة، وبما يعرض لآخرها مما ليس بإعراب ولا بناء من الوقف وغير ذلك"⁽¹⁾، وهو تعريف لم يخرج عن عبادة ابن جني بتركيزه على الناحية اللفظية الشكلية في التغيير، وإن تأثره بتعريف ابن مالك يكاد يصل إلى حد التطابق ففي التسهيل: "التصريف علم يتعلق ببنية الكلمة وما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وشبه ذلك"⁽²⁾ وإن في تعريف ابن الحاجب إحياء بشمول أوسع منه ولا ندري ما منع الأستراباذي من أن يأتي بتعريف التصريف المذكور في شرح الكافية الذي يبدو أنه استفاده من ابن عصفور مما سنذكره فيما يلي ويبدو أن ابن عصفور (ت 669 هـ) قد أصاب حقيقة هذا العلم وجوانبه وأغراضه أكثر من سابقه دليل أن تعريفه قد أصبح نبراساً لمن جاء بعده كالأستراباذي في شرح الكافية والأشوموني في شرح الألفية والخضري في حاشيته على ابن عقيل والأزهري في شرح التصريح على التوضيح. ونكتفي بتعريف ابن عصفور لأن من تأثر به لا يخرج مضمون تعريفه عنه وهو "والتصريف ينقسم قسمين: أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني نحو ضَرَبَ، وضَرَّبَ، وتَضَرَّبَ وتضارب واضطرب...، ومن هذا النحو اختلاف صيغة الاسم للمعاني الذي تعتوره من التصغير والتكسير، وهذا النحو من التصريف جرت عادة النحويين أن يذكروه مع ما ليس بتصريف... والآخر من. فسمى التصريف تغيير الكلمة عن أصلها من غير أن يكون ذلك التغيير دالاً على معنى، طارئ على الكلمة، نحو تغييرهم قَوْلَ إلى قال"⁽³⁾ ويعدُّ بعد ذلك ما ينحصر في القسم الثاني من مباحث صرفية غير الإعلال كالنقص والقلب والإبدال والنقل للحركة والحرف والحذف، في حين أن القسم الأول مبني على معرفة الزائد من الأصلي وينتهي بيانه بقوله "فإذا بيَّنا جميع ما ذكرناه، في هذين القسمين، فقد أتينا على جملة التصريف"⁽⁴⁾ "يجدر بنا أن ننقل إلى مباحث علم الصرف التقليدي انطلاقاً من تعريف ابن عصفور واعتماداً على كتب الصرف التراثية وأكملها شرح الشافية للاستراباذي ولا بد من التنبيه إلى أن الصرف يختص بالأسماء المعربة والأفعال المتصرفة ويشتمل على نوعين من المباحث هما:

(1) المصدر السابق : 1 / ص 7.

(2) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد 290.

(3) ابن عصفور، الممتع في التصريف : 1 / 31 - 32.

(4) السابق : ص 33.

أولاً: التغيير في الأبنية أو الصيغ المختلفة لإفادة معانٍ لا تأتي إلا بالتحويل، ويمكن أن نعد من مسأله أو ما يدخل في بابيه ما يلي:

- 1- تغيير الصيغ من حال الأفراد إلى حالي التثنية والجمع في الأسماء الصحيحة والمعدودة والمنقوصة وتغيير الأسماء من حالة التكبير إلى حالة التصغير، ومن حالة الاسمية إلى الصفة بالنسب، ومن التذكير إلى التأنيث، ومن التنكير إلى التعريف ومن المبني للمعلوم للمبني للمجهول، وكلها يمكن أن نطلق عليها تحويل المتقابلات أو تغييرها.
- 2- الاشتقاق من المصادر أو الأفعال وهي صيغ يشق كل منها على كيفية خاصة كالمصدر الميمي والصناعي وكأسماء الفاعل والمفعول والزمان والمكان والآلة والصفة المشبهة، وكل صيغة لها معنى مختلف عن الأخرى.
- 3- تحويل صور الأفعال للدلالة على أزمنتها بالزيادة أو الحذف.
- 4- العلاقة بين الصيغ الاسمية والفعلية بما زيد عليها في الصدور أو الحشو أو الأعجاز من سوابق أو لواحق في الأفعال والأسماء، والمعاني التي تكتسبها في صورها الجديدة.
- 5- تصريف الأفعال بإسنادها إلى الضمائر بمعنى تحويلها بحسب فاعلها فتتحول من ضمير المفرد إلى المثنى والجمع، ومن ضمير المذكر إلى المؤنث، ومن ضمير الغيبة إلى المخاطب أو المتكلم.

ثانياً: التغيير اللفظي: وهو التغيير الذي يلحق أصول الكلمات ولا يؤدي إلى اختلاف في المعاني كالإعلال والإبدال والإدغام وهي موضوعات مشتركة بين علم الأصوات وعلم الصرف، وهناك توجه حديث يجعل البحث فيها من اختصاص علم الأصوات وقد بلوره الدكتور عبد الصبور شاهين في نظرية أقام عليها كتابه: المنهج الصوتي للبنية العربية، وأما الإمالة والوقف فهما أقرب إلى علم الأصوات منهما إلى الصرف، وإن عدها القدماء منه ومما يندرج تحت التغير اللفظي كذلك الميزان الصرفي والصحة والاعتلال والجمود والاشتقاق للمجرد والقلب المكاني في الصيغ.

أما التحليل المورفولوجي الحديث فيكاد يتلاقى مع التحليل الصرفي العربي، فإنهم يطلقون حديثاً مصطلح المورفيم على ثلاثة أنواع من البنى الصرفية، على الصيغ الصرفية المستقلة أو ما يسمونه المورفيم الحر Free morpheme نحو ضرب، مسلم، وعلى الوحدة الصرفية التي تؤدي معنى وظيفياً نحوياً إذا أضيفت إلى غيرها كحروف

المضارعة وعلامة المثنى وعلامات جمع المذكر والمؤنث وتاء التأنيث في: يضرب، وأضرب، ومسلمان، ومسلمون، مسلمين، مسلمات، مسلمة، ضربت، وهذا المورفيم يسمى المورفيم المقيد Bound morpheme.

وأما النوع الثالث فهو المورفيم الصفرى Zero morpheme وهو ما كان مقدراً أو مستتراً أي لا يظهر نطقاً أو خطأ كالضماير المستترة وحركات الإعراب المقدرة.

قلنا إنه يكاد يتلاقى مع التحليل الصرفي العربي قديماً وهذا أمر حقيقي فالخلاف فقط في استعمال المصطلح أما الوظائف النحوية لهذه الوحدات الصرفية (المورفيمات) مهما تنوعت واختلفت فهي نفسها في التحليلين، فإن مبادئ التعريف والتحديد والتصنيف والتوزيع التي يقوم عليها التحليل المورفولوجي لا تحتاج إلى بحث واستقصاء لمعرفة مدى تحققها في التحليل الصرفي العربي التقليدي فالتعريف من خلال أداة التعريف فالقلم أل+ نكره / أل+ قلم = مورفيم مقيد+مورفيم حر، أو مسلمون يحدد مفردة بحذف الواو والنون، وهكذا زيادة مورفيم إلى آخر أو حذف مورفيم من آخر يكون فيه نوع من التحديد أو التعريف. أما التوزيع فيقوم على فكرة إحلال أو إبدال مورفيم من آخر كما يقال: ضَرَبْتُ: ضَرَبْتُ، وأُضْرِبُ ويضرب، ومسلمون ومسلمات.

والتصنيف على النمط نفسه فإذا زدت مورفيماً يصبح المفرد جمعاً والمذكر مؤنثاً أو يصبح اسم فاعل بزيادة مورفيم الألف أو الميم المضمومة: مقاتل، مسلم ويصبح اسم مفعول إذا زدت مورفيمي الميم والواو، وفتح ما قبل الآخر مع الميم نحو: مضروب، ومُدْخِل...الخ.



نشاط (5)

اقرأ للاطلاع فصل المورفولوجيا من كتاب علم اللغة مقدمة للقارئ العربي للدكتور محمود السعران ص 216-232، كذلك الفصل الرابع وعنوانه النظام الصرفي من كتاب مقدمة لدراسة علم اللغة للدكتور حلمي خليل.

- كذلك راجع عن المنهج الصوتي في تحليل الصيغ كتاب الدكتور عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي، للبنية العربية، المقدمة، تحديد المصطلحات، وإسناد ماضي الأفعال المعتلة إلى الضمائر وكذلك راجع التقديم والمقدمة والفصل الرابع من الباب الأول.
- والفصول الرابع والخامس والسادس من الباب الثاني، من كتاب التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث للدكتور الطيب البكوش.



أسئلة التقويم الذاتي (5)

- 1- اذكر أبرز الآراء وأصحابها التي جعلت الصرف والنحو درسين متكاملين؟
- 2- متى استقل البحث الصرفي؟ ومن العالم الذي بدأ بذلك؟ وما أشهر الكتب التي ألقت في هذا المجال؟
- 3- بين معنى الصرف لغة واصطلاحاً؟ وما أهم مباحثه؟



تدريب (6)

- س 1- ماذا يقصد بقولنا: "فهم معاني المباني هو المدخل الطبيعي لإدراك المعاني النحوية لهذه المباني"؟
- س 2- التحليل الصرفي الحديث يعتمد على أربعة مبادئ، اذكرها مع التمثيل لكل منها.

3.1.3 المستوى النحوي

بدأ البحث النحوي عند العرب متأخراً أو في مرحلة تالية لجمع اللغة وهذا أمر طبيعي لأن استنباط قوانين اللغة وقواعدها لا يكون إلا من خلال مادة لغوية يقوم الدارس باستقراءها وفحصها، فاللغوي يجمع ما تكلمت به العرب والنحوي يقوم بدراسة ما جمعه اللغوي.

وبدايات النحو العربي لم يحسم أمرها وظل الخلاف قائماً حولها وحول من قام بها، فتقرأ أنه علي بن أبي طالب أو نصر بن عاصم أو عبد الرحمن بن هرمز أو أبو الأسود الدؤلي بأمر من زياد بن أبيه. ولكن الأمر الذي تجمع عليه الروايات كلها أن السبب المباشر لوضع النحو هو فشو اللحن بين العرب بعد انتشار الإسلام واختلاط العرب بغيرهم ممن دخلوا في الإسلام وانضوا تحت راية الدولة العربية الإسلامية؛ يقول الزبيدي في مقدمة طبقاته⁽¹⁾ "ولم تزل العرب تنطق على سجيتهما في صدر إسلامها وماضي جاهليتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا وأقبلوا إليه أرسالا، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة والعربية، واستبان منه في الإعراب الذي هو حليها والموضع لمعانيتها، فعظم الإشفاق من فشو ذلك وغلبيتها، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم، إلى أن سبجوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه وتثقيفها لمن زاغت عنه" فكان الغرض من الدرس النحوي في البداية غرضاً تعليمياً لغير العرب ولمن فسدت لغته من العرب؛ فابن السراج (ت 316 هـ) يصرح بذلك بقوله "النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلمه، كلام العرب"⁽²⁾ ويتضح أكثر في تعريف ابن جني للنحو حين يقول: "هو انتحاء سمعت كلام العرب من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقيق والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رُدَّ به إليها"⁽³⁾ وهو تعريف لا يوضح ما هية النحو مما يميزه، بل يبين وظيفته والغاية منه.

ويستمر الزبيدي في الحديث عن بدايات النحو ومؤسسيه بقوله: "فكان أول من أصل ذلك وأعمل فكره، أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي، ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز، فوضعوا للنحو أبواباً، وأصلوا له أصولاً، فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض

(1) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين : ص 11.

(2) ابن السراج، الأصول في النحو : 35/1.

(3) الخصائص : 34/1.

والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف، وكان لأبي الأسود في ذلك فضل السبق وشرف التقدم ثم وصل ما أصلوه من ذلك التالون لهم، والأخذون عنهم، فكان لكل منهم من الفضل بحسب ما بسط من القول، ومد من القياس، وفتق من المعاني، وأوضح من الدلائل، وبين من العلل" (1).

ولعل أهم خطوة أو أول بذرة نحوية بذرها أبو الأسود (ت 69 هـ) هي وضع نَقْط الإعراب وطريقة وصفه حركة شفثيه التي كانت أساساً في وضع اصطلاحات الحركات الإعرابية: الفتحة والضمّة والكسرة والتنوين، عندما قال لكتابه "إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضمنت فمي فانقط نقطة فوقه بين يدي الحرف، فإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعته شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين" (2)، ولعله يقصد أيضاً بالتالين ممن كان لهم دور بارز نحو: عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي (ت 117 هـ) وعيسى بن عمر الثقفي (ت 149 هـ) وأبي عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) وهم جماعة كان لهم دور تأسيس في بناء قواعد النحو وأحكامه وأصوله من الظواهر اللغوية؛ فقد وُصف الحضرمي بأنه "أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل" (3) أو "فرع النحو وقاسه" (4) ويبدو أنه أول من استعمل اصطلاح النحو فقد ذكر يونس أنه سأله: هل يقول أحد الصّويق؟ قال: نعم، عمرو بن تميم تقولها، وما تريد إلى هذا؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس" (5) وبعد ذلك عتونت به الكتب كالأصول في النحو لابن السراج والإيضاح في علل النحو للزجاجي. وأما الثقفي فقد ذكر له الخليل كتابين لم يصل إلينا حقاً، ولكننا نتوقع حصول الاستفادة منهما، بقوله شِعراً: (6)

بُطِّلَ النُّحُو جَمِيعاً كُلُّهُ غَيْرَ مَا أَحْدَثَ عَيْسَى بْنُ عَمْرِو
ذَاكَ إِكْمَالٌ وَهَذَا جَامِعٌ وَهُمَا لِلنَّاسِ شَمْسٌ وَقَمَرٌ

ووصفهما بأنهما كانا شمساً وقمرًا للناس، يدل على أنهما كانا معروفين ومشهورين

(1) الزبيدي، الطبقات : ص 12.

(2) السيرافي، أخبار النحويين البصريين : ص 35.

(3) الزبيدي، الطبقات : ص 31.

(4) مراتب النحويين : ص 3.

(5) الزبيدي، الطبقات : ص 32، والصويق : طلماع يؤخذ من الحنطة والشعير

(6) السيرافي، أخبار النحويين البصريين : ص 49.

اشتهار الشمس والقمر، ويؤكد الاستفادة منهما. وأما أبو عمرو بن العلاء فإنه كان يعتد بالسماع لذلك قيل فيه " والرواية عنه في القراءة والنحو واللغة كثيرة ".⁽¹⁾

وأول عمل نحوي جمع بين دفتيه كل ما وصل إليه من جهود النحاة السابقين من أبي الأسود (ت 69 هـ) إلى الخليل بن أحمد (ت 180 هـ) هو كتاب سيبويه الذي يقول فيه ابن خلدون: "إن سيبويه قد أخذ صناعة النحو عن الخليل فكمّل تفاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدا ووضع فيه كتابه المشهور الذي صار إماماً لكل ما كتب فيها من بعده"⁽²⁾ والحقيقة أن الخليل لم يكن هو الوحيد المأخوذ عنه في كتاب سيبويه، على فضل الخليل الكبير عليه إذ كان أعلم أهل زمانه في النحو وقد نسب إليه الخوارزمي: وضع الرفع والنصب والخفض والكسر والجزم والتسكين⁽³⁾ وغير ذلك من أبواب النحو كالحال والاستثناء والتمييز مما يشهد به كتاب سيبويه، وقال عنه الزبيدي: "إنه هو الذي بسط النحو، ومد أطنا به، وسبب علله، وفتّق معانيه وأوضح الحجاج فيه حتى بلغ أقصى حدوده، وانتهى إلى أبعد غاياته"⁽⁴⁾. فقد أخذ سيبويه عن يونس بن حبيب (ت 182 هـ) وأبي زيد الأنصاري وغيرهما ففي الكتاب (858) رأياً لأئمة النحاة السابقين، وهذا يتيح لنا أن نعتبر كتاب سيبويه ممثلاً حقيقياً للاتجاهات النحوية⁽⁵⁾ في عصره، ولمفهوم النحو العربي قديماً بما احتواه من مباحث توزعت على ما يسمى حديثاً بعلم التراكيب Syntax أو النحو بمعناه الخاص، وعلى الصرف، والأصوات.

وفي رأينا أن بحث هذه الموضوعات أو هذه الجوانب اللسانية هو ثمرة طليعية للظروف التي تشكل العامل الموضوعي والسبب المباشر في نشأة النحو وتعلم العربية ودراستها ووضع قوانينها وقواعدها، كذلك لا يمكننا الادعاء بأن غاية الكتاب كانت البحث في العلامات الإعرابية التي تعتري أواخر الكلمات، لذلك جاء الدرس النحوي في الكتاب شاملاً للجوانب التي تمثل المظهر المادي أو المحسوس للعربية، التي هي محل الدرس والبحث أو يجب أن تكون كذلك، وهو فهم سارت عليه الكتب النحوية اللاحقة كالمقتضب للمبرد (ت 285 هـ) والأصول لابن السراج (ت 316 هـ) والمفصل للزمخشري (ت 538 هـ) وشروحه، خاصة شرح ابن يعيش وألفية ابن مالك (ت 672 هـ) وشروحها.

(1) المصدر السابق: ص 46.

(2) ابن خلدون، المقدمة: ص 547 (طبعة المكتبة التجارية).

(3) الخوارزمي، مفاتيح العلوم: ص 44 - 46.

(4) عن المزهري: 80/1.

(5) الخثران، مراحل تطور الدرس النحوي: ص 93.

وهذا يدل بوضوح على تكامل الدرس اللساني عند العرب وترابط الظواهر الصوتية والتركيبية والصرفية والتداخل فيما بينها بغض النظر عن الاصطلاح الذي يشملها سواء أكان العربية أم النحو، وهو الاصطلاح الذي تغلب و ساد وأصبح له تعريف يحدد مفهومه عند المتقدمين من النحاة مثل قول أبي علي الفارسي بأنه "علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، وهو ينقسم قسمين: أحدهما تغيير يلحق بأواخر الكلم والآخر تغيير يلحق زوات الكلم"⁽¹⁾، فهذا تعريف قواعد اللغة النحوية والصرفية، وربما يكون تعريف ابن عصفور مضمونه أوسع فيشمل الصوت إضافة إلى النحو والصرف بقوله: "النحو علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة عن استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي اختلفت منها"⁽²⁾، إذ الأجزاء التي يأتلف منها الكلام، الأصوات والأبنية التي تتألف منها والجمل التي تتكون من تتابع الأبنية. وهذا هو المفهوم الأوسع للنحو الذي يرادف علم العربية كما يقول الأشموني، ولكن مضمونه لم يبق بهذا الشمول، فقد حصل له تضيق خاصة بعد استقلال علمي الصرف والأصوات عنه منذ القرن الرابع الهجري على يد المازني في تصريفه وابن جني في شرحه له، ومن بعده ابن سينا في رسالته عن الحروف كما مر معنا. وقد أصبح في نظر المتأخرين من النحاة خاصاً بالإعراب والبناء⁽³⁾ وكأنهم يقطعونه عن غيره من علوم العربية وعادوا به إلى المفهوم الضيق الذي بدأ به عند أبي الأسود حين يعرف فيقال أنه تم في "اصطلاح المتأخرين تخصيصه بفن الإعراب والبناء"⁽⁴⁾؛ مما عاد على الدرس النحوي بالعمق والجمود والصعوبة، وأصبح الإعراب غاية لا وسيلة لفهم المعاني وأصبح النحو شكلاً. وأدق ما مثل هذا الاتجاه كتاب شذور الذهب لابن هشام (ت 761هـ) حيث قسمه إلى المرفوعات والمنصوبات والمجورات، ولكننا لا نعدم دارساً يخالف هذا التوجه المتأخر الضيق في فهم النحو، حيث نجد تعريفاً يسوقه السيوطي في الاقتراح وينسبه إلى من سماه بـ "صاحب المستوفي" وهو جمال الدين علي الفرحان، الذي يقول في النحو إنه: "صناعة علمية ينظر لها أصحابها في ألفاظ كلام العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لتعريف النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى، فيتوصل بأحدهما إلى الأخرى"⁽⁴⁾ وهذا تعريف متقدم في نظرتة إلى النحو يفهم

(1) الفارسي، التكملة: ص3.

(2) السيوطي، الاقتراح: ص30، وقد نقله الأشموني في شرح الكافية 1/13، وصرح بأن المراد هنا بالنحو ما يرادف قولنا، علم العربية، لا قسم الصرف وهو ما صرح به ابن عصفور.

(3) حاشية الصبان على شرح الأشموني: 1/16.

(4) السيوطي، الاقتراح: ص 30.

منه بالرغم من صياغته الركيكة أنه أدرك طبيعة الصلة الوثيقة بين التركيب والمعنى؛ حيث يتم تأليف الكلام بحسب ما تقتضيه المعاني، والتركيب ينظمه يحدد الوظائف النحوية أو المعاني النحوية لمكوناته، وبعبارة أخرى النحو ليس نظاماً شكلياً للكلمات وإنما هو نظم يصور المعنى، وبقدر ما يتيح لي تصوري وفهمي يمكنني صياغته بلغة علم اللسان الحديث بأن الجمل تتألف من ألفاظ متتابعة أفقياً من حيث الشكل بحسب ما تقتضيه قوانين النحو التي تراعي الوظائف النحوية (المعاني النحوية) أو العلاقات التبادلية فيما بينها فصيغة النظم تحدد حاجة الكلمة الأولى إلى التي تليها والتي تليها إلى ما بعدها نحو حاجة الفعل المتعدي إلى ما يليه وهو الفاعل، والفاعل يحتاج إلى ما يليه وهو المفعول به، ومن أجل أن تتحقق صورة المعنى لا بد من أن يأخذ كل مبنى صرفي في الجملة حركة إعرابية حتى يجسد الباب النحوي الذي يمثله؛ من أجل أن تتضح الوظيفة النحوية يُرْفَع الاسم (المبنى الصرفي) الذي يلي الفعل، ويُصَبِّب الاسم (المبنى الصرفي) الذي يلي الاسم المرفوع نحو: يضرب عليٌّ زيداً.

وفي تصوُّري أن هذا التعريف بهذا الفهم يبعد النحو عن حصره بأحكام الإعراب والبناء، ويكون قد أعطى مفهومه اللائق به، فلا يعقل أن يبلغ الدرس النحوي ما بلغه من أجل غرض شكلي هو البحث في حركات الإعراب والبناء لتلافي اللحن والخطأ، والإعراب مظهر خارجي لفظي يخفي وراءه تعليل معنوي لأي حكم نحوي، ويصبح النحو بهذا التعريف وسيلة لتمكين الدارس من فهم التراكيب العربية في النصوص الشرعية خاصة؛ لأنها مناط استنباط الأحكام، والتعبير عن الأفكار والمشاعر بلغة عربية خالية من الخطأ أو ما كان يسمى لحنًا. وهذه اللغة يجب أن تكون جارية على أساليب العربية؛ ومن أجل ذلك ربطت قواعد النحو بالشواهد العربية الفصيحة الشعرية والنثرية. وفي اعتقادي كذلك أن كتاب "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" لابن هشام هو خير كتاب يمثل الفهم الحقيقي لدور النحو العربي بما ساقه من شواهد قرآنية وغيرها قام بتفسيرها بناء على ما تتيحه قواعد النحو ومعاني الحروف أو الأدوات النحوية والحركات الإعرابية حتى إنه لمَّا سُئِلَ: لماذا لم يضع تفسيراً للقرآن؟ أجاب أَلْفُتُ المغني "وهو محق في ذلك إلى حد بعيد، حيث طغت الشواهد القرآنية على غيرها فكانت بمثابة الدرس النحوي التطبيقي على الآيات القرآنية لفهمها وتفسيرها ومعرفة الأساليب القرآنية وتراكيبها في أداء المعاني. وقد استطاع بهذا النهج أن يوفق بين صيغة النظم وصورة المعنى، إذ كان عنده الإعراب وسيلة لفهم كتاب الله؛ بعنايته أن يستدل على الوظيفة النحوية بالعلامة الإعرابية وقام برصد الأنماط اللغوية ووصف تركيبها بالرجوع إلى المعنى.

كانت نشأة النحو وتطوره ونضجه في البصرة على يد الخليل وسيبويه ومن تابعهم من النحاة كالأخفش وقطرب والجرمي والمازني والمبرد وبقية التجمع الذي دعي المدرسة البصرية، وأخذت في منافستها مدرسة الكوفة في القرن الثاني الهجري التي تأسست على يد الكسائي ومن تابعه من النحاة كالغراء وثعلب وابن السكيت. ولكن هذه المناقشة بدأت تخف حدة بعد وفاة المبرد (ت 285 هـ) من البصريين وثعلب (ت 291 هـ) من الكوفيين. وبعد اجتماع عدد من نحاة البلدين في بغداد مما مهد لظهور طبقة من النحاة تركت التعصب لأي من المذهبين البصري والكوفي وإنما أخذت تمزج بينهما، وأعطى هذا النهج الاستقلالي في تعامله مع المسائل النحوية اسم المذهب البغدادي أو المدرسة البغدادية. ويبدو أن هذا الاستقلال لم يكن تاماً إذ لم يستطع كثير من النحاة التخلص من ميلهم البصري كالزجاج (ت 310 هـ) وابن السراج (ت 316 هـ) والزجاجي (ت 337 هـ) والفارسي (ت 377 هـ) وابن جني (ت 392 هـ)، كما أن القسم الآخر لم يتخلص من ميله للمذهب الكوفي كابن كيسان (ت 299 هـ) وأبي موسى الحامض (ت 305 هـ) وابن شقير (ت 317 هـ) وابن الخياط (ت 320 هـ) ونفطويه (ت 323 هـ) وأبي بكر بن الأنباري (ت 327 هـ). ومع وهن الخلافة في بغداد وضياع هيبتها انقسمت دولة العباسيين إلى دويلات، وبالرغم مما سببه ذلك من اضطرابات في الحياة السياسية فإنه كان عاملاً مساعداً على رقي الحياة العقلية والفكرية وعلى سعة ميدانها وتنوع مجالاتها؛ لمحاولة كل حاكم اجتذاب أكبر عدد ممكن من العلماء إلى حاضرتة وتشجيعهم بالمال وبغيره على التأليف والتصنيف؛ فاجتهد العلماء في خدمة الدرس النحوي بوضع مؤلفات جديدة. واتسع نطاق البحث النحوي أيضاً بما أفاده من العلوم والثقافات في مصر والشام على يد ابن ولاد (ت 322 هـ) وابن بابشاذ (ت 469 هـ) وابن بري (ت 582 هـ) وابن معط (ت 628 هـ)، وابن يعيش (ت 643 هـ) وابن الحاجب (ت 646 هـ) وابن هشام (ت 761 هـ) وابن عقيل (ت 769 هـ) وخالد الأزهري (ت 905 هـ) والسيوطي (ت 911 هـ) والأشعوني (ت 929 هـ) وغيرهم، مما جعل العلماء يفردون لمصر والشام مذهباً نحوياً خاصاً سموه مدرسة مصر والشام النحوية.

وظهر كذلك مجموعة من العلماء المشتغلين بالنحو في الأندلس والمغرب أهلها أن تنفرد بمذهب نحوي سمي المذهب الأندلسي المغربي أو المدرسة النحوية الأندلسية المغربية ومن أشهر علمائها: الزبيدي (ت 379 هـ) والأعلم الشنتمري (ت 476 هـ) وابن السكيت البطائقي (ت 521 هـ) وابن الطراوة (ت 528 هـ) والسهيلي (ت 583 هـ) وابن مضاء القرطبي (ت 592 هـ) والجزولي (ت 605 هـ) وابن خروف (ت 610 هـ) والشلوبين (ت 645 هـ) وابن عصفور (ت 669 هـ) وابن مالك (ت 672 هـ) وأبو حيان (ت 745 هـ). وقد عد الدكتور عبد العال سالم مكرم ابن مالك وأبا حيان في المدرسة النحوية في مصر والشام في كتابه المعنون بذلك.

وقد تنوع التصنيف النحوي لتنوع الغرض منه أو المرحلة التي صنف فيها فجاء التأليف النحوي على عدة أنماط وأشكال هي:

1- منهج كتاب سيبويه، وما دار في فلكه من شروح له أو تأليف مستقل عنه كالمقتضب للمبرد والأصول في النحو لابن السراج مما لا يسير على خطة واضحة في ترتيب المسائل النحوية ووصفها، فإنها تخلو من التصميم المتكامل الذي يستوعب مباحث النحو وجزئياته، فنجد الموضوعات النحوية مختلطة كإقحام موضوعات صرفية في الموضوعات النحوية والعكس صحيح أيضاً في كتاب سيبويه، حتى الموضوع الواحد تجد جزئياته متفرقة كالتمييز والحال والبدل التي تجد مباحثها موزعة بين جزئي الكتاب أو أجزائه ونجد مثل هذا المنهج في كتاب المقتضب الذي يضم الجزء الأول منه مباحث متنوعة في النحو والصرف والصوت إضافة إلى ما فيهما من التكرار والاستطراد والحشو والمناقشات اللفظية وما يكتنف لغتها من الجفاف والالتواء والجمود. وهكذا يغلب على هذا النهج الغموض في العبارة والارتباك في المنهج وقد قام بشرح كتاب سيبويه أبو سعيد السيرافي والرماني والقاسم بن علي الصقار وابن خروف الأشبيلي وغيرهم.

2- ومن كتب النحو التي حاول أصحابها معالجة الإسراف في الطول، وتخلوا عن الخلافات والتفريعات والتعليلات ومالوا إلى الاختصار والعبارة السهلة في منهج تعليمي واضح يجمع أساسيات النحو العربي باختصار نحو: مقدمة في النحو المنسوب إلى خلف الأحمر (ت 180 هـ) والحدود للفراء (207 هـ) وتلقين المتعلم من النحو المنسوب لابن قتيبة (ت 276 هـ) وينسب لغيره كتب بالعنوان نفسه كابن جني وإبراهيم بن عباد (ت 400 هـ) والعكبري. والموجز في النحو لابن السراج (ت 316 هـ) والتفاحة في النحو للنحاس (ت 338 هـ) والحدود للرماني (ت 384 هـ) وشرح الحدود النحوية للفاكهي وكتاب الفصول في العربية لابن الدنان (ت 569 هـ) ويصور كيفية تأليفها والغاية منه صاحب المقدمة في النحو بقوله: " رأيت النحويين وأصحاب العربية قد استعملوا التطويل وكثرة العلل وأغفلوا ما يحتاج إليه المتبلسغ في النحو من المختصر...أمعنت النظر في كتاب أولفه وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليستغني به المتعلم عن التطويل، فعملت

هذه الأوراق... فمن قرأها وحفظها وناظر عليها عَلِمَ أصول النحو كله ⁽¹⁾ " ولا بد من الإشارة إلى أن كتاب الفراء "الحدود" لم يكن خاصاً بالتعريف بل كان يحتويها ويحتوي ما يتعلق من الباب من القضايا والأحكام ⁽²⁾ بعكس حدود الرماني الذي يبدو تأثره واضحا بالفلسفة والمنطق فكان يمثل الخلاصات النظرية للمسائل النحوية ويكتفي بتعريف المصطلحات النحوية بالحد نحو قول: "الإعراب تغيير آخر الاسم بعامل، والبناء: لزوم آخر الكلمة يسكون أو حركة ⁽³⁾."

3- وهناك نوع من الكتب النحوية استهدف وضوح الأسلوب والتخلص من غموض العبارة والتوائها مع الابتعاد عن إثارة الجدل والمناقشة والتعليل المنطقي ويتضح ذلك من خلال العناوين، وربما اتفق بعضها مع النهج السابق في الاختصار كالجمل للزجاجي (ت 337 هـ) والإيضاح لأبي علي الفارسي (ت 377 هـ) والواضح للزبيدي (ت 379 هـ) واللمع لابن جني (ت 392 هـ) وأسرار العربية لابن الأنباري (577 هـ).

4- وهناك نوع من الكتب النحوية أُلِفَ لمعالجة الارتباك في المنهج وانعدام الخطة كالمفصل للزمخشري (ت 538 هـ) الذي قسمه إلى أربعة أقسام أولها في الأسماء وثانيهما الأفعال، وثالثهما في الحروف والرابع في المشترك بينهما، وقام ابن يعيش بشرحه بهذا الترتيب.

وهناك تنظيم آخر للمباحث النحوية بتقسيمها إلى المرفوعات والمنصوبات والمجررات وموضوعات أخرى مثل شرح الكافية في النحو للرضي الأسترابادي وشرح شذور الذهب لابن هشام (ت 761 هـ).

5- المنظومات النحوية وشروحها، حيث كان تنظم قواعد النحو والصرف في أبيات شعرية تصل إلى ألف بيت أو أكثر كما فعل ابن معط (ت 628 هـ) وابن مالك (ت 672 هـ) في ألفيتين شروحاً فيما بعد، ومن أشهر شروح ألفية ابن مالك: أوضح المسالك لابن هشام وشرح ابن عقيل (ت 769 هـ) وشرح الأشموني (ت 929 هـ)، وقد شرحها ابنه المسمى عند النحاة ابن الناظم وهو أبو عبد الله بدر الدين محمد (686 هـ)، وألفية ابن مالك هي خلاصة الكافية الشافعية منظومة في النحو والصرف من

(1) خلف الأحمر، مقدمة في النحو : ص 34.

(2) أبو زكريا الفراء، ومذهبه في النحو واللغة : ص 185.

(3) الرماني كتاب الحدود في النحو، تحقيق، بتول قاسم ناصر: ص 37 (المنشور في مجلة المورد).

ثلاثة آلاف بيت. وقد شرح ألفية ابن معط، أبو بكر الشريشي الأندلسي (ت 601هـ) سماه "التعليقات الوفية بشرح الدرّة الألفية"، ولابن الخُبّاز (637 هـ) شرح على ألفية ابن معط.

6- شروح الكتب النحوية: وكتاب سيبويه هو أول الكتب التي تناولها النحاة بالشرح والتعليق فقد شرحه أبو سعيد السيرافي، والرماني والصفّار وابن خروف. وقد شرح ابن بابشاذ (ت 469 هـ) كتاب الأصول في النحو، لابن السراج. وأما جُمْلُ الزجاجي فقد لقي اهتماماً خاصة في الأندلس⁽¹⁾ فقد شرحه ابن الضائع (ت 680 هـ) في مجلدين وغيره كابن الدقاق (ت 605 هـ) وابن خروف (ت 609 هـ) وابن معط (ت 628 هـ) وابن عصفور (ت 669 هـ) وابن أبي الربيع (688 هـ) والمالقي (ت 702 هـ) ومن الكتب التي شرحت أيضاً الإيضاح لأبي علي الفارسي الذي شرحه الجرجاني في كتاب بعنوان "المقتصد" وابن أبي الربيع في الأندلس بعنوان، الإفصاح في شرح الإيضاح وقد شرحه غيره في الأندلس⁽²⁾ واللمع لابن جني شرحه كثير من النحاة كابن الشجري (ت 542 هـ)، والثمانيني (ت 422 هـ) والمفصل للزمخشري لقي اهتماماً كبيراً ومن شُرّاه ابن يعيش وابن الحاجب. والتسهيل شرحه صاحبه ابن مالك، وشرحه أبو حيان (ت 745 هـ) في التذييل والتكميل وشرح خالد الأزهرى (905 هـ) أوضح المسالك في كتاب سماه "شرح التصريح على التوضيح".

7- شرح المتون النحوية نحو قواعد الإعراب لابن هشام وقد شرحها بنفسه بعنوان الإعراب عن قواعد الإعراب"، وشرحها خالد الأزهرى في موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، ومغني اللبيب لابن هشام مؤلف القواعد، هو شرح كبير لها. ومقدمة الجزولي وتسمى أحياناً الجزولية، شرحها الشلوبين (ت 645 هـ)، كما شرحها صاحبها ومقدمة الأزهرى شرحها الأزهرى نفسه، ويمكننا أن نعد شرح شذور الذهب لابن هشام من هذا المسلك.

8- الحواشي على الشروح وهي كثيرة نذكر منها حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على الألفية، وحاشية الصّبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك وحاشية الشنواني (1019 هـ) على موصل الطلاب للأزهرى التي سماها: "هداية أولي الألباب

(1) انظر : خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، عبد القادر رحيم الهيتي : ص 267 - 270.

(2) انظر : المرجع السابق : ص 275 - 277.

إلى موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب"، وحاشية الشُّمْنِي على مغني اللبيب التي سماها "المنصف من الكلام على مغني ابن هشام"، وحاشية يس العلمي على التصريح بمضمون التوضيح للأزهري.

9- شروح الشواهد النحوية الشعرية وهي كثيرة أيضاً وشواهد سيبويه أول ما نالت الاهتمام والشرح من مثل شرح أبي محمد يوسف بن الحسن السيرافي (الابن) وشرح أبيات سيبويه المنسوب لأبي جعفر النحاس، وشرح شواهد المغني للسيوطي، وشرح الشواهد للعيني، وأما خزائن الأدب للبغدادى (ت 1093 هـ) فهي شرح لشواهد الرضى على الكافية التي تبلغ 957 شاهداً.

10- وهناك نوع من الكتب كان موضوعه الخلافات النحوية بين البصريين والكوفيين مثل: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري (577 هـ) والتبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين للعكبري (ت 616 هـ) وائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة لعبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي (ت 852 هـ).

11- وهناك نوع من التصانيف النحوية قائم على المسائل وأجوبتها نحو كتاب المسائل السلفية في النحو لابن هشام الأنصاري. وإن أبا علي الفارسي هو أكثر نحاة تصنيفاً في هذا النوع وله: المسائل البغداديات أي التي ألفت عليه وأجاب عنها في بغداد، والمسائل الحلبيات، والمسائل الشيرازيات والمسائل البصريات والمسائل العسكرية، والمسائل العضديات، والأخيرة منسوبة إلى عضد الدولة البويهى، أما سابقتها فإلى الأماكن التي سئلت فيها.

12- التصنيف النحوي في معاني الحروف النحوية نحو: كتاب حروف المعاني للزجاجي، والجني الداني للمرادي ووصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي. وكذلك فعل ابن هشام الأنصاري في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.

13- التأليف في الإلغاز النحوي والأبيات المشكلة نحو توجيه أبيات مشكلة الإعراب للفارقي وهناك ألغاز نحوية لابن هشام والحريري، وأحاج للزمخشري أو السخاوي وابن الشجري.

14- التصنيف في أصول النحو العربي نحو الإعراب في جدل الأعراب ولمع الأدلة لابن الأنياري؛ والاقتراح في أصول النحو للسيوطي، 911هـ، وفي أصول النحو للأفغاني حديثاً.

15- التصنيف في تاريخ النحو والنحاة نحو أخبار النحويين البصريين للسيرافي وطبقات اللغويين والنحويين للزبيدي، وبغية الوعاة للسيوطي، والإنباه للقفطي. وحديثاً نشأة النحو والنحاة للشيخ محمد طنطاوي.

وتضم كتب الأمالي قدراً من المسائل النحوية يقل ويندر في أمالي الزجاجي وأمالي ابن الشجري وتكثر في أمالي السهيلي وأمالي الشريف المرتضى. ولا يفوتنا أن نذكر التعليقات النحوية للقراءات القرآنية وكتب إعراب القرآن الكريم، والحديث الشريف والشعر مما يعتبر تطبيقات نحوية كالحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالويه، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري، وله كتاب إعراب الحديث الشريف أيضاً، ولابن جني إعراب لحماسة أبي تمام، وله أيضاً المحتسب في شرح شواذ القراءات.

ولا يفوتنا أن نذكر بأن أدلة النحو العربي هي السماع من كلام العرب وأشعارهم والقرآن الكريم والحديث الشريف مما سنناقشه بتوسع في الوحدة الرابعة تحت عنوان مصادر الاحتجاج اللغوي.

وهناك منطلقات فنية أقيمت عليها نظرية النحو العربي وأسس التقعيد النحوي كالعامل والتعليل والقياس.

العمل والعامل: وأما العمل فهو اصطلاح نحوي يعني ارتباطاً بين العامل والمعمول يوجب فيه العامل وجهاً من الإعراب على آخر الكلمة، فالعامل يتسلط على المعمول فيترك أثراً إعرابياً؛ فالفعل المتعدي مثلاً يتسلط على الفاعل فيرفعه وعلى المفعول فينصبه. كذلك إن وأخواتها وهي حروف عاملة تتسلط على المبتدأ والخبر فتنصب الأول وترفع الثاني... الخ وقد يكون العامل لفظياً كالأفعال والحروف العاملة والأسماء العاملة، المشتقات.

وقد يكون العامل معنوياً كالابتداء الذي يرفع معه المبتدأ، والتجرد عن الناصب والجازم الذي يرفع معه الفعل المضارع، والإضافة التي تجر المضاف إليه.

فالأثر الإعرابي أو الحركة الإعرابية التي يتركها العامل على المعمول تحدد الوظيفة النحوية لهذا المعمول. ويفترض في العربية كذلك أن تحدد الحركات الإعرابية العلاقات النحوية بين المباني التي تتكون منها الجملة؛ لأن الأبواب النحوية ثابتة في الجملة العربية اسمية كانت أو فعلية وتقضي حالة إعرابية ثابتة (المبتدأ باب نحوي ثابت في الجملة الاسمية يقتضي حالة إعرابية ثابتة هي الرفع) وأما المتغير فهو الممثل الصرقي أو المبني الصرفي فقد يكون مفرداً أو مثنى أو جمعاً، مذكراً أو مؤنثاً؛ فيقتضي ذلك أن تتغير بتغيره، الحركة الإعرابية فقد تصبح حركة أو حرفاً نحو: المستشارة مؤتمنة، المستشار مؤتمن، المستشاران مؤتمنان، المستشارون مؤتمنون، المستشارات مؤتمنات.

فالجملة العربية تتركيب متتابع من مبانٍ صرفية تمثل أبواباً نحوية تدل عليها الحركات الإعرابية التي تتركها العوامل على المباني الصرفية وقد وجدنا من النحاة من ينكر على الحركة الإعرابية مثل هذا الدور وإنه لم توجد الحركات إلا لوصل الكلام ببعض فقطرب قديماً يرى " الكلام لم يُغَرَّب للدلالة على المعاني...فلو كان الإعراب إنما دخل الكلام للفرق بين المعاني لوجب أن يكون لكل معنى إعراب يدل عليه ولا يزول إلا بزواله⁽¹⁾ " ويتابع مبيناً سبب وجود الحركات، لأن العرب "كانوا يبطئون عند الإدراج فلما وصلوا وأمكنهم التحريك، جعلوا التحريك معاقباً للإسكان ليعتدل الكلام...لأنهم في اجتماع الساكنين يبطئون، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون وتذهب المهلة في كلامهم فجعلوا الحركة عقب الإسكان⁽²⁾ " فالحركة لوصل الكلام في أدرجه حتى لا يقف المتكلم عند آخر كل كلمة فيبطئ، ويبدو أن هذا الرأي لم يجد صدقاً عند النحاة إلا عند إبراهيم مصطفى⁽³⁾ وإبراهيم أنيس⁽⁴⁾ ومهدي المخزومي⁽⁵⁾ حديثاً وما زال الرأي الغالب عند النحاة أن الحركات دالة على المعاني.

(1) الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص:70.

(2) المصدر السابق: 71.

(3) انظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو: ص 50.

(4) انظر إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة: ص 225 وما بعدها.

(5) انظر: المخزومي في النحو العربي نقد وتوجيه: ص 70.

وإذا كان قطرب قد هَوَّن من دور الحركة الإعرابية فإن ابن مضاء القرطبي قد دعا إلى إلغاء نظرية العامل بقوله عن الرفع والنصب والجر والجزم "أما مذهب أهل الحق فإن هذه الأصوات إنما هي من فعل الله تعالى وإنما تنسب إلى الإنسان كما ينسب إليه سائر أفعاله الاختيارية. وأما القول بأن الألفاظ يحدث بعضها بعضاً، فباطل عقلاً وشرعاً، لا يقول به أحد من العقلاء.... وأما العوامل النحوية فلم يقل بعملها عاقل، لا ألفاظها ولا معانيها لأنها لا تفعل بإرادة ولا بطبع⁽¹⁾" وهذا نداء أيضاً لم يجد تأييداً قوياً ولم يصبح تياراً إلا بما وجده من تجاوب عند الدكتور تمام حسان الذي يرى في العمل النحوي وعوامله خرافة⁽²⁾ معتمداً على ما ذكره الجرجاني بمصطلحه ولم يذكره بمعناه ألا وهو التعليق الذي فسره الدكتور تمام بأنه إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية... وأن فهم التعليق على وجهه كاف وحده للقضاء على خرافة العمل النحوي والعوامل النحوية⁽³⁾.

ورغم أنها نظرية متوافقة مع معطيات لسانية حديثة ولها مرجعية تراثية أصيلة فإنها لم تصبح نظرية بديلة صالحة لأن تكون إطاراً متكاملًا للتحليل النحوي عند الأكاديميين. وبقيت نظرية العامل هي السائدة في التحليل الإعرابي عند العرب في مدارسهم وجامعاتهم.

التعليق:

أما التعليق فيشكل أصلاً أساسياً من أصول البحث النحوي وقد جمع كما يقول الدكتور عبده الراجحي "التعليق بالمعنى إلى التعليق بقوانين التراكيب إلى التعليق بكثرة الاستعمال.... وأخذ يتطور شيئاً فشيئاً متصلاً بالتعليق الأرسطي من ناحية وبالتعليق الكلامي والفقهي من ناحية أخرى حتى صار التعليق غاية من غايات الدرس النحوي⁽⁴⁾ وهكذا اعتمد النحاة العرب في تأصيل القواعد النحوية على التعليق الذي انتقل من طور النطق لها على السجية والطبع إلى دور التفلسف والجدل حيث أصبح لكل حركة إعرابية تفسير، وكل ظاهرة لها علة منطقية حتى باتت العلة عند النحويين في القرن الثالث

(1) ابن مضاء، الرد على النحاة: تحقيق إبراهيم البنا: ص 69 - 70.

(2) تمام حسان، اللغة العربية، معناها ومبناها: ص 188.

(3) السابق: ص 189.

(4) الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث: ص 83.

الهجري رديف الحكم النحوي لا تفارقه ولا ينبغي لها، في اعتقادهم، أن تفارقه كما هو الأمر عند المبرد⁽¹⁾. واستمر التعليل النحوي في التوسع حتى وضع فيه الزجاجي (337هـ) أي في القرن الرابع الهجري كتاباً سماه الإيضاح في علل النحو وقسم فيها العلل إلى ثلاثة أصرب "علل تعليمية، وعلل قياسية وعلل جدلية نظرية"⁽²⁾ وإن نظرة إلى كتاب: شرح المفصل لابن يعيش وشرح الكافية للأسترباذي يجدهما قد اهتمتا اهتماماً شديداً بتعليل الظواهر النحوية وقبلهما كتاب سيبويه كثرت فيه التعليلات كثرة مفرطة سواء المطردة أو للأمتلة الشاذة... وكأنما لا يوجد أسلوب ولا توجد قاعدة بدون عله⁽³⁾.

والتعليل عند ابن جني أمر طبيعي وحسي لفهم الظواهر اللسانية خاصة النحوية حيث يقول: "ولست تجد شيئاً مما علل به القوم وجوه الإعراب إلا والنفس تقبله والحس منطو على الاعتراف به... فجميع علل النحو إذن مواظمة للطباع... وإذا حكمنا بديهة العقل، وترافعنا إلى الطبيعة والحس، فقد وفينا الصنعة حقها... وأعلم أنا مع ما شرحناه وعيننا به فأوضحناه من ترجيح علل النحو على علل الفقه، وإلحاقها بعلل الكلام، لا ندعي أنها تبلغ قدر علل المتكلمين"⁽⁴⁾، ومع رفضنا للمبالغة في التعليل إلا أننا نرى في التعليل وسيلة لتوضيح الظواهر اللسانية وكشف أسرارها، خاصة إذا كانت من العلل التعليمية "التي يتوصل بها إلى كلام العرب"⁽⁵⁾. ويعرف بها ضبطه وهو المعول عليه في الاستدلال في أغلب مسائل النحو.

القياس:

وأما القياس، فالأقرب إلى المعقول في بداياته أنه كان قياس أنماط بالفطرة وعلى أنماط أخرى، بحيث يراعى فيه انتحاء سمت كلام العرب، أي ما قيس على كلام العرب فوافقه فهو منه، وفي تقديري أن بهذا الشكل الفطري للقياس لوحظت الأخطاء والمخالفات في الاستعمال اللغوي المعهود، سواء أصدرت من العربي أو من غيره، فكان السبب المباشر في البحث عن القواعد التي تحكم الكلام العربي، وكان من نتائجه أن عمد

(1) نقله الدكتور صاحب جعفر أبو جناح في دراسته « منهج ابن هشام النحوي » في مجلة كلية الآداب - جامعة البصرة العدد 6 / السنة الخامسة، 1392م : ص 81، عن الدكتور مازن المبارك - العلة النحوية : ص 67.

(2) الزجاجي، الإيضاح : ص 64.

(3) شوقي ضيف، المدارس النحوية : ص 82، وكذلك انظر : الجزء الأول من كتاب سيبويه من أجل الاطلاع على تعليلاته.

(4) الخصائص : 1/ 51، 53، 87.

(5) الزجاجي الإيضاح : ص 64.

المشتغلون بالعربية إلى استقراء كلام العرب وضموا الأنماط المتشابهة واستنبطوا من الأساليب الأكثر شيوعاً قواعد عامة فرضوها وأشاعوها فأصبحت هي القياس أي المعيار أو الحكم اللغوي العام الذي يجب الالتزام به، وهذا النوع من القياس أشار إليه الشيخ محمد الخضر الحسين بقوله "الحكم يثبت باستقراء كلام العرب حتى تنتظم منه قاعدة عامة كصيغ التصغير والنسب، وأصل هذا أن الكلمات الواردة في كلام العرب على حالة خاصة، يستنبط منها علماء العربية قاعدة تحوّل المتكلم الحق في أن يقيس على تلك الكلمات الواردة وما ينطق به من أمثالها⁽¹⁾" ولعلنا نجد للقياس مثل هذا المعنى فيما أورده ابن سلام عن أبي الأسود من أنه فيما أورده ابن سلام مثل هذا المعنى عن أبي الأسود من أنه "أول من أسس العربية... ووضع قياسها...."⁽²⁾ وعن ابن إبي إسحق من أنه: "أول من بعج النحو، ومد، القياس والعلل..."⁽³⁾ فقد وضع أبو الأسود ما وضع من القواعد العامة في العربية، ومثله ابن أبي إسحق الذي وسع النحو وفتح أبوابه، وتوسع في القياس وطبقه، وهذا ما يستفاد من معنى كلمتي بعج ومد وقد ورد مصطلح القياس على لسان ابن أبي إسحق نفسه في الخبر الذي جاء في طبقات ابن سلام حين مدح الفرزدق يزيدي بن عبد الملك بقوله:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا بِحَاصِبِ كَنْدِيفِ الْقُطَنِ مَنُورٍ
عَلَى عَمَائِمِنَا يُلْقَى وَأَرْجُلِنَا عَلَى زَوَاحِفَ تَرْجَى مَخْهَارٍ رِيَرٍ

قال ابن أبي إسحق: أسأت، إنما هي رير، وكذلك قياس النحو في هذا الموضوع⁽⁴⁾ وأستطيع أن أضع "قاعدة النحو، أو حكم النحو" بدلاً من قياس النحو التي وردت، وأجزم بأن المعنى لا يتغير جراء هذا الاستبدال لأن الرجل، في اعتقادي، لا يقصد غير ذلك، حيث أراد أن يبين للفرزدق بأنه قد خالف القاعدة النحوية فعبر عنه بالقياس.

(1) محمد الخضر حسين، القياس في اللغة العربية : ص 27، بتصرف قليل.

(2) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء : 12/1.

(3) السابق نفسه : 14/1.

(4) نفسه السابق : 17/1، والشمال : الريح الباردة، والحاصب : ما تنافر من دقائق البرد والتلج الزواحف:

الإبل التي أعياها السفر، تَرْجَى : تساق، الرير : المخ الرقيق أي أجدها السير فهزلت.

بعد ذلك يكتسب القياس معنى جديداً ويُعطى تعريفاً كالذي جاء في الاقتراح نقلاً عن ابن الأنباري من أنه "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه" ⁽¹⁾ وهو ما عبر عنه أيضاً الشيخ محمد الخضر حسين بقوله: "إعطاء الكلم حكم ما ثبت لغيرها من الكلم المخالف لها في نوعها، ولكن توجد بينها مشابهة من بعض الوجوه" ⁽²⁾ كإجازة الجمهور، ترخيم المركب المزجي (غير المنقول) نحو: بعلبك: فيقال: يا بعلبُ قياساً على الأسماء المنتهية بتاء التانيث (المنقول) نحو: يا فاطمُ.

وقد جاء الحمل في كتب النحو بأنواع شتى كحمل النظم على النظم وحمل الضد على ضده، والحمل على الأكثر، والحمل على المعنى، والحمل على الوزن، والحمل على ضرورة الشعر، وحمل الأصل على الفرع، والفرع على الأصل، وغير ذلك.

ولم يقف القياس عند هذه الصورة من الاستعمال التي أعتبرها بسيطة بل تأثر النحاة بمنهج القياس الأرسطي في المنطق فأصبح له عندهم أركان أربعة: الأصل وهو المقيس عليه، وفرع وهو المقيس وحكم وعلّة جامعة ⁽³⁾ ولكل ركن شروطه ⁽⁴⁾ التي يجب الأخذ بها فقد أصبح القياس علماً يجب الإحاطة بأركانه وأقسامه وعلله وأنواعها عند التعامل به.

وقد حاول النحاة قديماً وحديثاً إصلاح نواحي القصور ومصادر الصعوبة في النحو العربي، ⁽⁵⁾ ووجهوا محاولات الإصلاح هذه إلى الكتاب النحوي، ومادة النحو، ومناهجه وفيما يخص الكتاب النحوي فقد حاول مجموعة من النحاة إصلاحه بتأليف الكتب النحوية المختصرة التي تعتمد على الإيجاز والوضوح وتستبعد الخلافات والتفريعات كتلّفين المتعلم من النحو المنسوب لابن قتيبة والموجز في النحو لابن السراج والجمل للزجاجي والمفصل للمخشّري والواضح للزبيدي وغيرها، وأما في العصر الحديث فقد تحررت كتب النحو من عيوب الكتب القديمة كالاستطراد والتكرار والتداخل والجفاف، وأما المنهج النحوي فقد ظهر نحاة من القدماء حاولوا معالجة عيوب منهج متقدمي النحاة مما سيطر على المتأخرين منهم كالمنطق والتعليل والعامل وكتاب الرد على النحاة لابن مضاء من أبرز المحاولات في هذا السياق، وقامت محاولات حديثه شاملة مثل محاولة إبراهيم

(1) السيوطي، الاقتراح: ص 94

(2) محمد الخضر حسين، القياس في اللغة العربية: ص 27.

(3) الاقتراح: ص 96.

(4) انظر السابق: ص 97 وما بعده، والأصول للدكتور تمام حسان: ص 170 - 208.

(5) من أجل التوسع في هذا الشأن، اقرأ كتاب في إصلاح النحو العربي، دراسة نقدية لمؤلفه عبد الوارث مبروك سعيد الذي غطى حركة الإصلاح النحوي قديماً وحديثاً كما ونوعاً بالتفصيل.

مصطفى في إحياء النحو " وهو أول كتاب ظهر في العالم العربي في العصر الحديث لنقد نظريات النحو التقليدية" (1) وقد ذكر صاحبه هدفه ووسيلته إذ قال: "أطمع أن أغير منهج البحث النحوي للغة العربية وأن أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو، وأبدلهم منه أسلوباً سهلاً يسيره تقربهم من العربية وتهديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها..." (2) ومما دعا إليه إلغاء نظرية العامل، وتوحيد بعض الأبواب النحوية للاختصار لأن حكمها الرفع إلى غير ذلك، وتبعها محاولات أخرى كمحاولة وزارة المعارف في مصر، والنحو الجديد ليعقوب عبد النبي، وهذا النحو لأمين الخولي، والنحو الجديد (إعادة تنظيم أبواب النحو) للدكتور شوقي ضيف، والنحو الجديد لعبد المتعال الصعيدي، والنحو المعقول للدكتور محمد كامل حسين. وهذه الكتب حددت بعض صعوبات النحو وحاولت معالجتها عن طريق التعديل والتغيير ولكنها لم تنفذ على أرض الواقع وأكثر المحاولات تكاملاً ونجاحاً هي محاولة الدكتور تمام حسان في كتابه " اللغة العربية، معناها ومبناها" الذي كشف فيه كما يقول عن أنظمة اللغة ووضعها لأول مرة في مقابل مشاكل التطبيق. (3) وحاول ربط ظواهر التراكيب بالمعنى عن طريق ربط أنظمة اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بعضها ببعض، والحقيقة أنه استفاد من منجزات علم اللسان الحديث الذي يرى في اللغة نظاماً أو بناء يتكون من عدة مستويات وكلها مترابطة.

(1) عبدالرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص 1 ج 1، هامش / 1.

(2) إبراهيم مصطفى، إحياء النحو: ص / أ.

(3) تمام حسان، اللغة العربية، معناها ومبناها : ص 9.



نشاط (6)

انظر الخلافات عند المؤرخين حول بدايات النحو العربي وأعلامها في الكتب التالية:

- طبقات ابن سلام، الجزء الأول.
- أخبار النحويين البصريين للسيرافي.
- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي.
- من تاريخ النحو للأفغاني.



أُسئلة التقويم الذاتي (6)

- 1- ما الغرض من الدرس النحوي عند العرب ؟ وما مفهوم النحو عند المتقدمين؟ والمتأخرين؟ واذكر تعريفه عند صاحب المستوفي، وبيّن فحواه، واذكر الكتاب النحوي الذي طبق هذه الفحوى.
- 2- اذكر المدارس النحوية التي تنافست، واذكر من تعرفه من علماء كل مدرسة.
- 3- اذكر ما تعرفه من أنماط التأليف النحوي، وأهم الكتب النحوية والنحاة في كل نمط.
- 4- عرّف العمل، وبين أنواع العامل.
- 5- ما الغرض من التعليل؟ وبين كيف تطوّر؟ واذكر أضرب التعليل.
- 6- ما القياس؟ وما أركانه الأرسطية؟
- 7- ما أهم محاولات الإصلاح الموجهة إلى النحو؟



تدريب (7)

- 1- ماذا نقصد بقولنا: الإعراب مظهر خارجي لفظي يخفي وراءه تحليل معنوي لأي حكم نحوي ؟
- 2- بيّن المدرسة النحوية التي يتبعها كل نحوي من التالية أسماؤهم:
المبرد، ثعلب، الفارسي، أبو موسى الحامض، ابن جني، ابن كيسان، ابن يعيش، الزبيدي، الشلوبين، الجزولي.
- 3- اذكر المقصود بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية في قوله الدكتور تمام حسان بأن التعليق هو إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية .

4.4 المستوى الدلالي

كانت حركة جمع اللغة دأبة، برحلة الرواة إلى البادية وسماعهم عن العرب، وارتحال الأعراب من البادية إلى الحواضر كالبصرة والكوفة وبغداد ليؤخذ عنهم. وكان الجمع يتم بطريقة عفوية وغير منظمة، فاجتمع لدى علمائنا ثروة لفظية من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن الشعر العربي، وما جمعه مشافهة من أقوال عرب البادية ومن المرتحلين منهم إلى الحواضر؛ فأرادوا تنظيم المتناثر منه وضم بعض المتشابه لفظاً أو معنى إلى بعضه الآخر، واجتهدوا في بيان معاني المقدرات واستعمالها عند العرب. فاتخذت الدراسة والبحث في مقدرات اللغة ومعانيها مسربين متوازيين لدى علمائنا أحدهما: مسرب عملي: تمثلته الأعمال المعجمية التي تطورت تدريجياً حتى أصبحت تياراً قوياً ورئيساً في الدراسات اللسانية عند العرب. وقد بدأ التأليف المعجمي على شكل رسائل لغوية: في غريب اللغة والقرآن الكريم والحديث الشريف مما استغلق فهمه، وأول من نسب إليه التأليف في غريب القرآن الكريم عبد الله بن عباس (ت 68 هـ)، وتوالى بعده التأليف في تفسير غريب القرآن الكريم من اليزيدي (202 هـ) وابن قتيبة (276 هـ) وثلعب (291 هـ) وكلها ضاعت ولم يبق منها سوى كتابي معمر بن المثنى وابن قتيبة. ولا ينقطع التأليف في القرن الرابع في هذا النوع من الغريب فنسب إلى المفضل بن

سلمه (308 هـ) وابن دريد (323 هـ) ونفطويه (323 هـ) والسجستاني (330 هـ) ولم يصل إلينا سوى كتاب السجستاني.

وأما غريب الحديث فقد عُزي التأليف فيه إلى النضر بن شميل (203 هـ) والأصمعي وأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، ولابن الأعرابي (ت 231 هـ) وابن قتيبة والمبرد وثلعب وابن دريد والأنباري (ت 328 هـ) وابن درستويه (ت 347 هـ)، وكلها مفقودة. وتطور التأليف فيه وتوسع على يد الزمخشري في كتابه "الفائق في غريب الحديث، وابن الأثير في كتابه " النهاية في غريب الحديث".

ووردت رسائل في اللغات، أي لهجات القبائل العربية، وأولها اللغات في القرآن الكريم لعبد الله بن عباس، ومثله في لغات القبائل ليونس بن حبيب ولأبي عبيده والأصمعي ولأبي زيد الأنصاري والشيباني.

وهناك رسائل لغوية في الإنسان والحيوان والنبات فقد نسب التأليف في خلق الإنسان إلى النضر بن شميل وقطرب وأبي عمرو الشيباني والمفضل بن سلمه وأبي عبيدة والأصمعي والأنصاري والسجستاني.

وممن صنف رسائل في الخيل: النضر بن شميل، وابن الكلبي (ت 204 هـ) والشيباني، وأبو عبيده (210 هـ) وله ثلاثة كتب والأصمعي وله كتابان، وابن الأعرابي (ت 231 هـ) وغيرهما وكان من الطبيعي أن تتطور فكرة الرسائل والكتب اللغوية وتجمع المفردات المتفرقة بتنظيم خاص أو بترتيب ما. وقد قام بأول خطوة وأهمها في هذا الاتجاه الخليل بن أحمد في محاولته ضبط اللغة وحصر ألفاظها في معجم شامل يستوعب الواضح والغريب ويميز المستعمل من المهمل من مفردات اللغة، وقد رتبته صوتياً حسب مخارج الحروف، مبتدئاً بحرف العين، وأطلق عليه معجم العين. ويتوالى التأليف، بالترتيب نفسه، أي وفق الترتيب الصوتي للمداخل كالبارع لأبي علي القالي (ت 356 هـ) وتهذيب اللغة للأزهري (370 هـ) والمحيط للصاحب بن عباد (ت 385 هـ) والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده الأندلسي (458 هـ) ويجمع بينها كلها طريقة الخليل في ترتيب الحروف من الحلق صاعداً ومنتهياً بالشفيتين فكانت كالتالي:

ع ح، هـ، خ، غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف
ب م / و ا ي.

وتجعل أيضاً كتاباً لكل حرف وتقسم كل كتاب إلى أبنية مع الأخذ بمبدأ تقاليد هذه الأبنية، وربط اللغة بشواهد من القرآن والحديث والشعر ولغات العرب.

والطريقة الثانية في التأليف المعجمي هي ترتيب الكلمات ترتيباً ألفبائياً حسب حروفها الأصلية الأولى وقد ذكر الدكتور عبد اللطيف الصوفي بأن "رائد هذه المدرسة هو الأمام البرمكي (411هـ) الذي أعاد ترتيب كتاب الصحاح للجوهري، وفق أوائل الأصول، باعتبار حروف أصول الكلمات جميعها، فهو لذلك مبتكر طريق الترتيب الهجائي في المعجم على جميع أصول الكلمة بدءاً من الحرف الأول وانتهاء بالحرف الأخير" (1) وفي الحقيقة أن أول من عرف هذه الطريقة في الترتيب المعجمي هو أبو عمر الشيباني في كتاب الجيم أو كتاب الحروف ولكنه لم يلتزم في ترتيبه هذه إلا بالحرف الأول دون الثاني فالثالث وأهمل ذلك بالنسبة لبقية حروف الكلمة.

ومما اتبع هذه الطريقة جمهرة اللغة لابن دريد ومقاييس اللغة لابن فارس وأساس البلاغة للزمخشري.

ومع حرص ابن دريد في الجمهرة على التقاليد ليتجنب شرح الكلمة الواحدة في أكثر من مكان، كان يبدأ كل باب بالكلمة التي تبدأ بالحرف المقصود، يليه مباشرة الحرف الذي يتبعه في الترتيب الألفبائي، فكل باب يصدره بحرف مع الذي يليه كالباء مع التاء أو الراء مع الزاي أو العين مع الغين؛ وعلى هذا فإننا نجد كلمة صبر في باب الباء لأنها أحد تقاليد بصر فلا نجد لها في باب الصاد، أما مقاييس اللغة فقد تبنت مؤلفه نظرية اجتماع التقاليد على معنى أساسي، التي أشبعها ابن جنّي في الخصائص في باب الاشتقاق الأكبر (2)، وجعل أحمد بن فارس منها نظرية وحاول تطبيقها في معجمه، وقد نجح في الثنائي والثلاثي، وحينما وصل إلى الرباعي والخماسي تبنت فيهما نظرية النحت فكلمة ضبط (الرجل الشديد) منحوتة من ضبط وضبر.

(1) الصوفي، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية: ص 125 - 126.

(2) ابن حني، الخصائص: ج 3/ 133. 139.

أما أساس البلاغة فيلاحظ أن ترتيبه كان محكماً بحيث انتهجت طريقة المعاجم الحديثة، حيث التزم الزمخشري بتقسيم المعجم إلى ثمانية وعشرين باباً لكل حرف كتاب وأولها كتاب الهمزة ثم كتاب الباء...الخ، وإن ما يميز مادة الكتاب إيراده العبارات الفصيحة من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب، بحثاً عن دلالات جمالية أو بلاغية لهذه العبارات غير المعاني المعجمية المثبتة، مع إفراجه الاستعمالات المجازية للألفاظ فتجده يقول في كل مادة، ومن المجاز أو ومن الكناية، أو من المستعار " فقد عرض مادته من خلال سياقاتها أو تركيبها.

ومن المعاجم الحديثة التي أتت في ترتيب موادها طريقة الزمخشري محيط المحيط لبطرس البستاني وأقرب الموارد للشرطوني، والبستان والوافي لعبد الله البستاني، ومعجم متن اللغة للششيخ محمد رضا والمعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة والهادي لحسن الكرمي.

وأما الطريقة الثالثة فهي ترتيب المواد حسب الحرف الأصلي الأخير (القافية) مع مراعاة الحرف الأصلي الأول، أو طريقة الباب والفصل التي تجعل للحرف الأخير والحرف الأول فصلاً، ومبتكر هذه الطريقة هو الفارابي (ت 350 هـ) في معجم ديوان الأدب في بيان لغة العرب، وقد ادعى الجوهري (400 هـ) أن هذه الطريقة من ابتكاره في معجم " تاج اللغة وصحاح العربية " بقوله عن ترتيبه في مقدمة الصحاح " أودعت كتابي هذا ما صح عندي من هذه اللغة...على ترتيب لم أسبق إليه، وتهذيب لم أغلب عليه في ثمانية وعشرين باباً وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلاً على عدد حروف المعجم وترتيبها" (1) والحقيقة أن هذه الطريقة هي من ابتكار خاله الفارابي وقد قام الدكتور أحمد مختار عمر بتحقيق هذه المسألة في كتابه البحث اللغوي عند العرب (2) وأثبت بالأدلة أن الجوهري قد أخذ عن ديوان الأدب نظام الباب والفصل، وإن التعديل الذي أدخله الجوهري عليها هو اطراحه الخطوات الكثيرة التي سارت عليها معاجم الأبنية" (3) أي لم يأبه الجوهري بكون الكلمات ثنائية أو ثلاثية بل اهتم بتسلسلها الهجائي.

(1) الجوهري الصحاح : ج 1 / ص 33.

(2) انظر : ص 99 وما بعدها.

(3) السابق : ص 198.

وقد اتبع هذه الطريقة ابن منظور (ت 711 هـ) في لسان العرب الذي جمع مادته من خمسة أصول هي تهذيب اللغة للأزهري والمحكم لابن سيده والصحاح للجوهري، ثم حواشي ابن بَرِّي على الصحاح والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير، وهكذا أفرغ مادة هذه الكتب وفق تنظيم محكم في معجم اللسان وقد بذل جهداً كبيراً في إضافة ما استطاع من شروح وشواهد بأنواعها كافة.

وَألف الفيروزأبادي (ت 816 هـ) معجمه المسمى "القاموس المحيط" معتمداً هذه الطريقة أي نظام الباب والفصل، وقد دون فيه فصيح اللغة وغريبها واهتم بذكر الأعلام من الأماكن والرجال والنبات وحذف الشواهد ووضع رموزاً للاختصار نحو: م: معروف، ع: موضع، ج: جمع، د: بلده، هـ: قرية.

وقام الزبيدي (ت 1205 هـ) بشرح هذا القاموس في معجم سماه "تاج العروس من جواهر القاموس، وعلى النظام نفسه، وأورد عبارة الفيروزأبادي بين قوسين ثم يورد الشرح خارج الأقواس في ملاءمة لا ينفصل فيها السياق.

وتثار في أيامنا جملة من القضايا المعجمية التي تعد من المآخذ على المعاجم العربية التي وضعت قديماً وحديثاً منها عدم اتفاقها على طريقة موحدة في ترتيب مداخلها، وهذا الأمر واضح فيما ذكرناه آنفاً من طرق الترتيب السابقة.

ومنها كذلك قضية الترتيب الداخلي لمشتقات المادة المعجمية حيث غاب عنها النسق في عرض معاني المفردات فخلت من ترتيب المشتقات التي تتبع المداخل وأصبح الخلط هو السمة الغالبة في سرد مشتقات المادة فلا منهجية تلتزم بتقديم المعاني الحقيقية على المجازية أو المعاني الحسية على العقلية، أو تنقيد بتنظيم معين للأفعال وتقديمها على الأسماء مع غياب الالتزام بتقديم المجرد على المزيد، أو اللزوم على المتعدى في الأفعال، عدا الاضطراب في إيراد الأسماء وجموعها والأعلام ومواضعها، والشواهد وضرورتها والبحوث الصرفية والنحوية. وأما طرق أداء المعاني والتعريفات فتخلو من الدقة ويقلب عليها التداخل بين المعاني اللغوية والاصطلاحية وبين المعاني الحسية والعقلية والحقيقية والمجازية.

وقد اتبع نظام آخر في ترتيب المعاجم وهو نظام الترتيب الموضوعي أو ترتيب الألفاظ في مجموعات حسب معانيها فالمفردات التي تخص النوم في باب واحد، وهو تطوير طبيعي للرسائل التي كانت توضع بجمع الألفاظ التي تنتمي أو تخص موضوعاً واحداً نحو كتب المطر، والخيل والإبل وخلق الإنسان والنبات...الخ.

وأول كتاب أتبع الترتيب الموضوعي هو الغريب المصنّف لأبي القاسم بن سلام الذي اعتمد على الرسائل اللغوية التي صنفت وكانت له مشاركة في إعداد بعضها، فلو ألقينا نظرة على أبواب الكتاب لألفينا عناوين الرسائل التي سلف ذكرها مثل: كتاب خلق الإنسان، وكتاب الخيل وكتاب النخل، وكتاب الأضداد، فكانه قد قام بجمع هذه الرسائل في كتابه، وقد فتح الطريق أمام علماء آخرين ساروا على نهجه مثل ابن السكيت (ت 244هـ) في كتاب: كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ " وقد جمع هذا الكتاب الألفاظ العربية في عدة موضوعات مثل صفات الناس والأشياء والطبيعة كالطول والقصر والشجاعة والغنى والفقر والشمس والليل إلى غير ذلك مما بوبه تبويباً موضوعياً في مائة وخمسين باباً صغيراً.

وكانت لعبد الرحمن الهمداني (ت 320 هـ) مشاركة في هذا النوع من التصنيف في كتاب سماه "الألفاظ الكتابية" الذي توزع على أبواب أو موضوعات تبلغ 367 باباً، وفي كل باب الألفاظ والعبارات التي تخص موضوعاً معيناً مع الشواهد القرآنية والشعر والأمثال خدمة لناشئة الكتاب " فليست لفظة (أي في هذا الكتاب)، إلا وهي تنوب عن أختها في موضعها من المكاتب، أو تقوم مقامها في المحاورة... فإذا عرفها العارف بها وبأماكنها التي توضع فيها كانت له مادة قوية وعوناً وظهيراً" (1).

ومن أشهر معجمات المعاني "فقه اللغة وسر العربية" للثعالبي (ت 429 هـ) الذي أفاد من جهود العلماء في المعجمات السابقة عليه باعترافه حين ذكر في كتابه "وتركت والأدب والكتب، أنتقي منها وأنتخب، وأفضل وأبواب، وأقسم وأرتب وانتج من الأئمة... من ظرفاء الأدباء الذين جمعوا فصاحة العرب البلغاء إلى إتقان العلماء (2) وقد وزع مادة الكتاب على 30 باباً مقسمة إلى 600 فصل وفي كل باب موضوع أساسي كالأكل والجوع والنوم، ووجه عنايته للألفاظ المفردة دون التراكيب واهتم بالفروق بين المترادفات، وقد يستعين بالشواهد أحياناً.

أما المخصص لابن سيده (ت 458 هـ) وهو أكبر هذا النوع من المعجمات وأجدرها بهذا الاسم، فهو على درجة عالية من التبويب والتنظيم حيث جمع ما تشتمت من ألفاظ ومترادفات في الكتب السابقة عليه، فجعل لكل موضوع كتاباً في ترتيب منطقي حيث بدأ بالإنسان فالحيوان ثم الطبيعة ثم النبات، وقسم كل كتاب إلى أبواب.

(1) الهمداني، الألفاظ الكتابية : ص 13.

(2) الثعالبي، فقه اللغة : ص 9.

وأما ثاني المسربين في مباحث المفردات ومعانيها فكان نظرياً وتمثله الدراسات النظرية للعلاقات الدلالية بين المفردات، حيث بدأت البحوث مبكرة حول الأجناس الدلالية كالتضاد والترادف والمشتراك اللفظي، والحقيقة والمجاز والخاص والعام والاشتقاق وهو الوسيلة الرئيسية لتوليد الألفاظ في العربية لتواكب مستحدثات المعاني والأفكار.

ونستطيع أن نقول بلا مغالاة إن المباحث التي تدور حول الألفاظ والمعاني من أهم الدراسات التي أذكت البحث اللغوي والبلاغي في اللغة العربية قديماً وحديثاً.

ومباحث اللفظ والمعنى عند الأصوليين من أدق المباحث التي دارت حول الألفاظ والمعاني فما من مبحث أصولي إلا ويتصدره بحث دلالي من أجل بيان الطرق الصحيحة لاستنباط الأحكام من النصوص التشريعية. والبحث الأصولي في دلالات الألفاظ يتناول حسب معناه الذي وضع له، وبحسب معناه الذي استعمل فيه وبحسب وضوح المعنى وخفائه، وبحسب دلالاته على مراد المتكلم متتبعين اللفظ في جميع أحواله مفرداً ومركباً ومقيداً، خاصاً وعماماً أمراً ونهياً وحقيقة ومجازاً، واضحاً وخفياً. ومن النظريات الدلالية عند اللغويين العرب، ما يمكن أن أنسبه لابن جني مما جاء منشوراً في مصنفاته خاصة كتاب الخصائص ونجمه في إطار شامل يمكن أن يطلق عليه نظرية دلالية يكون المعنى فيها هو المحصلة النهائية لتحليل الحدث اللغوي تدريجياً على مستوياته كافة: الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في إطار سياقاته ومناسباته وظروفه التي قيل فيها، وهي نظرية تتوافق معها نظرية فيرث⁽¹⁾ عالم اللسان الإنجليزي في الدلالة.

(1) انظر من أجل المقارنة بين نظريتي فيرث وابن جني Firth : Papers in Linguistics, modes of meaning of meaning PP142 كذلك الدلالة اللغوية عند العرب، عبد الكريم مجاهد : ص 157 - 201.



نشاط (7)

- في كتاب رواية اللغة " لعبد الحميد الشلقاني، استقص الأديار التي تمت من أجل جمع اللغة.
- قارن بين نظريتي ابن جني وفيرث الداليتين من خلال كتاب الدلالة اللغوية عند العرب للدكتور عبد الكريم مجاهد.



أسئلة التقويم الذاتي (7)

- 1- اتخذت دراسة مفردات اللغة والبحث في معانيها مسربين، اذكرهما، ووضح كل منهما تفصيلاً؟
- 2- اذكر طرق التأليف المعجمي، وأصحابها والمعاجم التي ألفت في كل طريقة مع مؤلفيها؟
- 3- اذكر قضية معجمية تثار ضمن المآخذ على المعاجم العربية وشرحها؟



تدريب (8)

- 1- كيف تستخرج معنى كلمة مستنقع " من المعاجم التالية:
العين، الجهرة، لسان العرب، المعجم الوسيط.؟
- 2- أين تجد الكلمات التالية في معاجم الموضوعات قرين كل كلمة منها:
البلح: في الغريب المصنّف، الجرأة: في كنز الحفاظ.
الأرق: في الألفاظ الكتابية. الكرى: في فقه اللغة وسر العربية.
الريم: في المخصص.

4. علاقة علم اللسان بالعلوم المساعدة

1.4 علاقة علم اللسان بعلم الاجتماع:

إن اللغة نشاط اجتماعي، أي ظاهرة اجتماعية، لأنها نتائج علاقات اجتماعية، ومن هنا جاء اهتمام علم الاجتماع بها، فأصبحت اللغة موضوعاً مشتركاً بين اللسان وعلم الاجتماع، فالحديث الكلامي له جانبان: اللغوي الذي يهتم به عالم اللسان فيقيم بحثه على وصف النظم الصوتية والصرفية والنحوية مثلاً. وأما الجانب الاجتماعي للغة فيحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وأثر الحياة الاجتماعية والنظم الاجتماعية في الظواهر اللغوية باعتبار أن هذه النظم تفرض ألواناً من السلوك اللغوي، كما أن اللغة تكشف عن الواقع الاجتماعي. وهكذا نشأ ما يسمى بعلم اللسان الاجتماعي Socio Linguistics، الذي تقام فيه الأبحاث على أن اللغة سلوك اجتماعي يفصح عن كثير من القيم الاجتماعية والعلاقات الشخصية وفهم البناء الاجتماعي، إذ اللغة عدا كونها وسيلة حياة في المجتمع، هي وسيلة كشف عن المجتمع، ف لغة الشخص تكشف مثلاً عن المستوى الاجتماعي والمستوى التعليمي، أو الحالة الاقتصادية، وهكذا نستطيع أن نلم بأحوال المجتمع من اللغة، ونفهم المجتمع من اللغة.

وإن علم اللسان الاجتماعي يربط بين علم اللسان وعلم الاجتماع، لأن من أهداف البحث فيه الوصول إلى العوامل الاجتماعية التي تفسر كثيراً من الظواهر اللغوية، والدور الذي تلعبه اللغة في الكشف عن البيئة الاجتماعية أو المنطقة الجغرافية، أو الموقف الاقتصادي أو المستوى العلمي للمتكلمين، فاللهجة قد تكون مميزاً لكل هذا، إذ أن المعطيات الاجتماعية تساهم في تحديد خصائص الأساليب الفردية. ومهمة البحث اللغوي متابعة المتكلم في مواقفه الحياتية، من أجل التعرف إلى مدى اختلاف أسلوبه الذي يتخاطب به، والألفاظ التي يجب أن يختارها وفقاً لاختلاف المواقف، لأن البشر يسعون إلى التكيف لغوياً مع المواقف الاجتماعية ويربطون بين الأشكال اللغوية والمواقف وعناصرها فلا بد، مثلاً، من اختيار الصيغ اللغوية التي تتناسب مع المواقف الاجتماعية في الأفراح والأحزان والاستقبال والوداع.

أما تطور دلالات الألفاظ، والتطور اللغوي فلا يمكن تفسيرها إلا بالاستعانة بالعوامل الاجتماعية والحضارية التي تلقي الضوء على أسباب التطور ومظاهره.

كذلك من المجالات التي يهتم بها علم اللسان الاجتماعي ما تعكسه اللغة من تفاوت بين طبقات المجتمع، وما يتبع التغير الاجتماعي من تغير في اللغة، باختفاء بعض الكلمات وبروز غيرها مع أي تغير في النظام الاجتماعي، عدا أن كل طائفة مهنية أو مجموعة إنسانية تربطها مصالحي مشتركة تختار طرق التعبير أو المصطلحات الخاصة بها⁽¹⁾.

(1) من أجل مزيد من الاطلاع : أنظر : المدخل إلى علم اللغة، للدكتور رمضان عبد التواب، ص ص 125-136، اللغة وعلوم المجتمع للدكتور عبده الراجحي ص ص 12-7، أسس علم اللغة العربية للدكتور محمود حجازي ص 51، وما بعدهما، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي لمصطفى لطفي : ص 47 وما بعدهما.

2.4 علاقة علم اللسان بعلم النفس

اللغة، كما هي ظاهرة اجتماعية، هي مظهر من مظاهر السلوك الإنساني يعبر عن كيان أو مستوى فكري، ومن هنا دخلت اللغة دائرة علم النفس، وأصبحت كذلك موضوعاً مشتركاً بين علم اللسان الذي ينصب البحث فيه على وصف جوانب اللغة الصوتية والصرفية والنحوية بهدف تمييزها وتحليلها، وعلم النفس الذي يتناول جانباً آخر من اللغة وهو البحث في كيفية إنتاج اللغة وإدراكها وفهمها، أي يركز اهتمامه على العمليات العقلية النفسية التي تسبق إنتاج الكلام، أو التي تعقبه، وكان من نتيجة ذلك أن تمخض عن هذه العلاقة بين العلمين (علم اللسان وعلم النفس) في دراسة اللغة، ظهور فرع مستقل أطلق عليه علم اللسان النفسي Psycholinguistics وموضوع هذا العلم العلاقة بين النفس البشرية واللغة بشكل عام أو بين اللغة والعقل الإنساني مثل اكتساب اللغة وإدراك الكلام وبين اللغة والفكر، وعلاقة اللغة بشخصية المتكلم النفسية وحالته الانفعالية ودراسة عيوب الكلام. وكأن الموضوع الرئيس لهذا العلم هو تحديد العوامل النفسية التي تؤثر في الأداء اللغوي أو التي تقف خلف الكفاية اللغوية في اصطلاح تشومسكي، وخلاصة القول إن علم اللغة النفسي يحاول الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التالية:⁽¹⁾

- * الأول: ما العمليات العقلية التي يتمكن بها الناس من قول ما يريدون قوله؟ أي إنتاج الكلام.
- * الثاني: ما العمليات العقلية التي يتمكن بها الناس من قول وإدراك وفهم ما يسمعون؟ أي إدراك الكلام.
- * الثالث: ما الطريق الذي يتبعه الأطفال في تعلم كيفية إنتاج اللغة وفهمها في المراحل العمرية المبكرة؟

وهكذا فإذا كان علم اللسان يدرس على المستوى الصوتي إصدار الصوت بانطلاق الهواء من الرئتين بضغط من الحجاب الحاجز ومروراً بالقصبه الهوائية والحنجرة والحنق والفم انتهاء بالشفقتين ثم انتقال هذا الصوت إلى المستقبل والعمليات السمعية التي تجعله قادراً على التقاط الصوت عبر الهواء؛ فإن علم اللسان النفسي يبحث في العمليات العقلية التي يقوم بها مستقبل الكلام لفك الرموز الصوتية من أجل فهم المقصود وإدراكه، بل

(1) جمعة محمد يوسف، سيكلوجية اللغة والمرض العقلي : ص 20.

إن هذا العلم يبعد أكثر من ذلك بالبحث عن المقدرة التي يمتلكها المتكلم أو المستمع على إنتاج اللغة وفهمها عن طريق امتلاكه لمجموعة محددة من القواعد النحوية التي تمكنه من إنتاج عدد غير محدود من الجمل وهو ما يمثل جوهر نظرية تشومسكي التوليدية.⁽¹⁾

3.4 علاقة علم اللسان بالأنثروبولوجيا (علم الإنسان)

إذا كان علماء الاجتماع قد ربطوا اللغة بالمجتمع، وعلماء النفس ربطوها بالنفس، فإن الأنثروبولوجيين يربطونها بالثقافة، أي إنها وسيلة لفهم الثقافة، فإن جميع أشكال التعبير، خاصة الشعبي منها، اكتسبت أهميتها واجتذبت العناية بها نظراً لما تتضمنه من دلالات، وما ترمز إليه من معاني ومضامين إنسانية والعلاقة وثيقة بين الحضارة واللغة، فالبنية الدلالية لمجموع النصوص الشعبية والأساطير تتنوع بتنوع تراكيبها ومفرداتها وتكاملها وما بها من خصائص وظواهر لغوية تقدم رؤية فكرية أو تفسر دلالة عقلية أو نظاماً حضارياً، أكثر مما تقدمه وثائق التاريخ أو صفحاته في بعض الأحيان.

وتأتي لخدمة هذا التصور نظرية المعنى السياقية عند اللغوي الإنجليزي فيرث تطويراً لمقولة للأنثروبولوجي مالفينوسكي مفادها أنه لا يمكن أن تؤدي النصوص معناها الحقيقي والدقيق دون معرفة الحال التي كان عليها المتكلم عند النطق بها، وقد جعل منها فيرث نظرية تقوم على سياق الحال، أي الظروف والملابسات التي تصاحب النص اللغوي، بحيث لا يمكن البت، دونها، بمعاني المفردات والجمل والعبارات. وهذا الأمر ليس جديداً على الفكر اللساني العربي فإن النصوص الشرعية استنبطت الأحكام منها بعد تفسيرها على ضوء أسباب نزولها، وكذلك تطلع كثير من لغويينا كابن جني إلى دراسة النصوص العربية في ضوء سياقاتها والأحوال التي قيلت فيها.

وقد ربط بعض الأوروبيين بين اللغات والأجناس فترى أن هناك صلة بين الخصائص

(1) لمزيد من الاطلاع، انظر: البني النحوية، تشومسكي، ترجمة يوثيل يوسف عزيز

- دراسات في علم اللغة النفسي، للدكتور داوود عبده.

- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي : جمعة سيد يوسف : ص 16 - 51.

- دراسات لسانية تطبيقية : مازن الوعر : ص 2 - 234.

- المدخل إلى علم اللغة - رمضان عبد التواب : ص 137 - 146.

- أسس علم اللغة العربية : محمود حجازي : ص 48 - 51.

المميزة للغات وعقلية الجنس الذي اصطنعها⁽¹⁾، وقد عارض ذلك عدد من الأنثروبولوجيين الذين رأوا زيف وصل اللغة بالجنس فليس هناك ما يسند ذلك من التاريخ.

واهتم الأنثروبولوجيون كذلك بدراسة اللغات البدائية واستنبطوا لها خصائص يذكرها الدكتور عبده الراجحي⁽²⁾ من مثل أنها غير قادرة على التعميم والتجريد، وعاجزة عن التعبير الدقيق، ومعرضة للتغيير وهم يبنون ذلك على أساس القدرة العقلية للمتكلم البدائي كذلك هذا الأمر لم يدم ولم يجد من يثبت كالعلة بين اللغة والجنس، وثبت أن لكل لغة نظامها الصوتي والدلالي الخاص بها.

وأما بالنسبة لأصل اللغة فمن الأنثروبولوجيين من رأى أن نشأة اللغة كان تقليداً لأصوات الحيوان، ومنهم من رأى أن اللغة البدائية تميزت بما أطلق عليه العبارة الكلية أو الكلمة الشاملة التي لا يمكن تحليلها إلى وحدات أصغر منها ومع ذلك فهي أكثر تحديداً من الصيغة الحيوانية كما يقول الدكتور عبده الراجحي⁽³⁾ وأكثر صلاحية لتحديد نشأة اللغة.

وإذا كان الأنثروبولوجيون يربطون بين اللغة والعرق والثقافة والعقل حيث يستدل من خلالها على ثقافة الشعوب وأجناسها وعقليتها؛ فإنه قد يكون وراء التغيرات اللغوية، التي تطرأ على الألسنة، دوافع اجتماعية أو نفسية من جراء تعامل فئة من الناس مع اللغة باعتبارها مظهراً اجتماعياً أو سلوكاً نفسياً فعلى سبيل المثال، نجد أفراداً من أهل الريف... ممن سكنوا المدن يميلون إلى مجازاة أهلها ليتكيفوا اجتماعياً ونفسياً معهم، يلجؤون إلى إحداث تغيير في أحاديثهم، أستعملها ألفاظ لم يألّفوا أستعمالاً في الريف الذي أتوا منه، أو باستبدال بعض الأصوات. بغيرها مما جرت به ألسنة أهل المدينة - فالقاف تصبح همزة، بدل أن كانت كافاً مثلاً والذال والأو زايأ، والكاف التي اعتاد أن يكشفشها تصبح غير مكشكشه؛ كل ذلك يخفي رغبة نفسية أو اجتماعية. في الارتقاء بلغته التي قد تصادف (استهجاناً أو استهزاء أو سخرية من أهل المدن تصبح التغيرات اللغوية واللهجة مثلاً) من مسئلمات الاندماج نفسياً واجتماعياً في المجتمعات⁽⁴⁾ وقد يعكس الاقتصاد في

(1) الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع : ص 51.

(2) السابق : ص 17 - 18.

(3) نفسه : ص 19.

(4) انظر مكتبته في هذا المجال الدكتور إسماعيل عمارة في بحثه الموسوم بجوانب من التفسير النفسي والاجتماعي للغة « في مجلة البلقاء - العدد الأول - المجلد الرابع حزيران 96 م - محرم 1417 هـ ص ص 105 - 128.

الجهد العضلي كالذي يتم في الادغام والحذف والمماثلة رغبة نفسية في التخفيف مما يثقل على اللسان نطقه.



أسئلة التقويم الذاتي (8)

- 1- هناك علاقة جدلية قائمة بين اللغة والمجتمع ؟ اذكر جوانبها وأبعادها؟
- 2- ما دور علم اللسان الاجتماعي في ربطه بين اللغة والمجتمع؟
- 3- لِمَ دخلت اللغة دائرة علم النفس؟ وما العلم الذي تمخّض عن هذه العلاقة؟ وما موضوعه؟
- 4- اللغة عند الأنثروولوجيين وسيلة لفهم الثقافة وضح هذا الأمر وهل هناك من علاقة بين اللغة والجنس؟



تدريب (9)

- 1- كيف يمكن أن يتم الربط بين المواقف الاجتماعية والأشكال اللغوية ؟
- 2- وكيف يمكن الربط بين الأداء اللغوي والعوامل النفسية ؟
- 3- وهل للظواهر اللغوية دلالة ثقافية أو عقلية ؟

5. الخلاصة

- 1- القيت الضوء على الاصطلاحات التي شاعت عند العرب قديماً وبيّنت المقصود منها نحو: العربية والنحو، واللغة وفقه اللغة وعلم اللغة.
- 2- بينت مفهوم علم اللسان الحديث ولمّ وقع الاختيار عليه ؟
- 3- تتبعت مجالات الدرس اللغوي عند العرب في أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وبيّنت مفاهيمها لغة واصطلاحاً، وتتبعها تاريخياً، وما صنّف فيها من كتب مع الإشارة إلى مناهجها.

6. لمحة عن الوحدة الدراسية الثانية

سنتكلم في الوحدة التالية عن جهود علماء العربية القدماء من خلال بيان دوافع البحث اللساني عندهم ومدى تأثير العرب بغيرهم من الأمم المجاورة في علم اللسان كالسريان واليونان والهنود، وسنتحدث في هذه الوحدة أيضاً عن الموضوعات التالية: نشأة اللغة، والإعراب، وهي موضوعات تقع ضمن البحث اللساني العربي قديماً في كتب الخصائص والصاحبي في فقه اللغة والمزهر.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

عن طريق الإعراب نفرق بين المعاني النحوية كالفاعلية والمفعولية والإضافة.

تدريب (2)

- 1- مفردات ذات دلالات جزئية. يقصد بها الدلالة المعجمية، ويضاف إليها معنى الصيغة الصرفية (كالمبالغة في صيغة المبالغة أو الدلالة على الزمن الماضي بالإنضافة إلى الحدث في صيغة الفعل الماضي). وأما الدلالة النحوية فهي الوظيفة النحوية كالفاعلية أو المفعولية التي تكتسبها من خلال تنظيم التركيب أو الحركة الاعرابية.
- 2- علم اللغة يُدَلّ على أنه يعني به علم اللسان العام. فقه اللغة يُدَلّ على أنه يعني به علم اللسان العربي، والموضوعات الخاصة به.

تدريب (3)

- 1- أي إن علم اللسان يدرس النظم الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية دراسة خالية من التعصب والهوى. للوصول إلى حقائق مجردة أو نتائج موضوعية نحو إن النظام النحوي العربي يقوم على الإعراب والتركيب، بغض النظر عن مميزات هذا النظام أو سلبياته.
- 2- استخدام ابن خلدون مصطلح اللسان بمعنى: اللغة واستعمل اصطلاح اللغة بمعنى اللهجة، التي تدل على تنوع صوتي أو دلالي.

تدريب (4)

العناصر الصوتية:

أ، ب، ت، ث، ج، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ح، خ

العناصر الصرفية:

إبدأ / بـ / إصلاح / نفس / ك / فـ / إن / في / هـ / صلاح / أبناء ك.

فعل / حرف / مصدر / اسم / ضمير متصل / حرف / حرف / حرف / ضمير / مصدر / اسم (جمع) / ضمير.

العناصر النحوية:

فعل أمر / حرف جر / اسم مجرور / مضاف إليه، مضاف / ضمير في محل جر بالاضافة / تعليلية / حرف توكيد ونصب / جار / في محل جر وهما متعلقان بالخبر، اسم إن مؤخر مضاف / مضاف إليه، ومضاف / ضمير في محل جر بالاضافة.

تدريب (5)

1. ترتيبها في العين: هـ، ق، ج، ش، ض، ص، ت، د، ر، م.
2. الترتيب الألفبائي لا يتقيد بالمخارج وهو: ألف، باء، تاء، ثاء، جيم، حاء، خاء، هاء، واو، ياء، ترتيب بأسماء الحروف.
- أما الترتيب الصوتي فهو ترتيب يتقيد بمخارج الحروف على المدرج الصوتي وهو ترتيب الخليل وفي العين مثلاً الذي يبدأ بالحروف الحلقية: ع ح هـ غ، خ وينتهي بالحروف الشفوية: ف ب م، ويليهما الحروف الهوائية واي.
3. سياق الحال: الظروف والملابسات التي تحيط بالحدث اللغوي.
- الفونيمات غير التركيبية: الأصوات المصاحبة للكلام كالنبر في الكلمات أو التنغيم في آخر الكلام. وهي لا تدخل في التركيب كتابة وإنما تظهر نطقاً.
- الدلالة الذاتية الطبيعية: وهي الدلالة التعبيرية للحروف كأن يدل الحرف أو الصوت " غ" على الغيبة والإخفاء والراء على التردد والتكرار.
- الدلالة الاحتياطية: وهي دلالة الكلمات على معانيها بالوضع والاتفاق والاصطلاح دون أن يكون هناك أية علاقة بين حروفها ومعناها.

تدريب (6)

- 1- إن التركيب سلسلة من المباني يمثل الأبواب النحوية، التي تؤدي الوظائف النحوية كالفاعلية والإضافة، فلولاً هذه المباني بما تحمله من معانٍ باعتبارها صيغاً اسمية أو فعلية يتم تنظيمها وإعرابها فتؤدي المعاني النحوية المقصودة.
- 2- هي التعريف: بأل أو بالاضافة أي بزيادة مورفيم مفيد أو مورفيم صفرى.

التحديد: بزيادة مورفيم أو حذف آخر.

فالمفرد يحدد من الجمع بحذف الواو والنون مثلاً نحو: "المؤمنون" ومؤمن".
ويحدد اسم الفاعل بزيادة المؤلف بعد قاء الفعل: ضرب ضارب.

التوزيع: أضرب، يضرب، نضرب، تضرب، تم تنويع المضارع بتوزيع مورفيمات بإحلال مورفيم كل آخر.

التصنيف: كالتنبيه والجمع والتأنيث والتذكير الذي يتم بزيادة مورفيمات أو حذف أخرى. أو التفريق بين اسم الفاعل واسم المفعول: بكسر ما قبل الآخر أو فتحه.

تدريب (7)

- 1- إن الحركة الإعرابية لها دور في أبيات المعاني النحوية في التراكيب.
- 2- المبرد: بصري / ثعلب: كوفي / الفارسي: بغدادي ذو ميل بصري / أبو موسى الحامض: بغدادي ذو ميل كوفي / ابن جني: بغدادي ذو ميل بصري / ابن كيسان: بغدادي ذو ميل كوفي / ابن يعيش: من مدرسة مصر والشام.
الزبيدي أندلسي / الشلوبين: أندلسي / الجزولي: مغربي.
- 3- القرائن اللفظية: كالإعراب والتنغيم والمطابقة، والأدوات.
القرائن المعنوية: الإسناد، التبعية (التوابع).
القرائن الحالية: تعرف من سياق الحال بظروف وملابساته.

تدريب (8)

- 1- نجرد الكلمة من الزوائد فتصبح نفع:
في العين يفتح باب العين (كتاب العين) حسب الترتيب الصوتي.
- الجمهرة: حسب الترتيب الألفبائي نجدها أيضاً في باب العين لأنها سابقة للنون والقاف في ترتيبها.
- في اللسان: باب العين فصل النون.
- في المعجم الوسيط باب النون ثم القاف والعين. (الحرف الأول وما يثنيه وما يثنيه).

2- البلح في كتاب النخيل، الجرة في كتاب الشجاعة الأرق في باب السهر، الكرى في باب النوم، السريم في كتاب الحيوان.

تدريب (9)

- كل موقف اجتماعي يحتاج إلى تراكيب أو عبارات لغوية مناسبة فما يقال في التعزية غير الذي يقال في التهنية، وكل شكل لغوي ينم عن الموقف الذي يقال فيه.
- كثير من الألفاظ أو العبارات تعبر عن حالة من الرضا أو السخط أو الفرح أو الحزن.
- كاستعمال أدوات الربط بكثرة أو استعمال الجمل القصيرة، أو المترادفات أو الميل إلى الجمل الفعلية أو الاسمية قد يكون لكل ذلك دلالات على ثقافة الأفراد أو الأمم.



8. المراجع

أ- المراجع العربية :

- (1) الأستراياني، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، بيروت: دار الكتب العلمية، 1395هـ-1975م.
- (2) الأشموني، أبو الحسن علي نور الدين بن محمد بن عيسى، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك شرح محمد محي الدين عبد الحميد، ط3، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1970م.
- (3) أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط9، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1979م.
- (4) الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الإنصاف في مسائل الخلاف بشرح محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، بلا ت.
- (5) الأنصاري، أحمد مكي، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو، القاهرة: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، 1962م.
- (6) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية؛ القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1962م.
- (7) أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، ط6، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1975.
- (8) أيوب، عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1957م.
- (9) بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، مصر: دار المعارف، 1969م.
- (10) البكوش، الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث؛ ط2، تونس، مؤسسة عبد الكريم عبد الله، 1969م.
- (11) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ط4، بيروت: ط محمد فاتح النادية، بلا ت.
- (12) الجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني بلا ت.

- (13) ابن جني، أبو الفتح عثمان، التصريف الملوكي، تحقيق محمد سعيد النعمان، ط1، مصر: 1310هـ-1913م.
- (14) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، بيلات.
- (15) ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن الهنداوي، ط1، دمشق: دار القلم، 1405هـ-1985م. وتحقيق السقا وزملائه، مصر: 1374هـ-1954م.
- (16) الجوهري، أبو نصر، إسماعيل بن حماد، صحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، 1404هـ-1984م.
- (17) حجازي، محمود فهمي، أسس علم اللغة العربية، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1979م.
- (18) حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978م.
- (19) حسام الدين، كريم زكي، أصول تراثية في علم اللغة، ط2، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1985م.
- (20) حسان، تمام، الأصول؛ مصر، بغداد: الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988م.
- (21) حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م.
- (22) حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1992م.
- (23) الحموي، ياقوت، معجم الأدياء، دار المأمون: بيلات.
- (24) أبو حيّان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط، ط2، القاهرة: دار الفكر، 1398 هـ - 1978 م.
- (25) الخثران، عبد الله حمد، مراحل تطور الدرس النحوي، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1314هـ-1993م.
- (26) الخضري، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، القاهرة: المطبعة الميمنية، 130هـ.

- (27) الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن سنان، سر الفصاحة، بيروت: دار الكتب العلمية، 1402هـ-1982م.
- (28) ابن خلدون، المقدّمة، القاهرة، ط المكتبة التجارية، بلات.
- (29) خلف الأحمر، مقدّمة في النحو، تحقيق عز الدين التتوخي، دمشق: 1961م.
- (30) دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1985.
- (31) الراجحي، عبده، فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت: دار النهضة العربية، 197م.
- (32) الراجحي، عبده، اللغة وعلوم المجتمع، الإسكندرية 1977م.
- (33) الراجحي، عبده، النحو العربي والدرس الحديث، الإسكندرية: 1977م.
- (34) الرّمّاني، أبو الحسن، الحدود في النحو، تحقيق إبراهيم السامرائي، عُمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، 1984.
- (35) رمضان عبد التّواب، المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة، الرياض: مكتبة الخانجي، دار الرفاعي، 1402هـ-1982م.
- (36) الزبيدي، أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف بلات.
- (37) الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، بيروت: دار النفائس، 1973م.
- (38) ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405 - 1985م.
- (39) السكاكي، مفتاح العلوم، القاهرة: 1317هـ.
- (40) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.
- (41) ابن سيده الأندلسي، المخصص في اللغة، بولاق، 1316 هـ - 1321 هـ.
- (42) السيرافي، أبو سعيد، أخبار النحويين البصريين، تحقيق محمد إبراهيم البنا، ط1، دار الاعتصام القاهرة، 1405هـ-1985م.

- (43) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسن الطيّان، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1403هـ-1983م.
- (44) السيوطي، جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق أحمد محمد قاسم، ط1: القاهرة، 1396هـ-1976م.
- (45) السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: 1384هـ-1965.
- (46) السيوطي، جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفيقه دار الفكر: بلات.
- (47) السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، تصحيح محمد بدر الدين النعساني، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، بلا.
- (48) شاهين، عبد الصبور، في علم اللغة العام، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ-1980م.
- (49) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ-1980م.
- (50) شوقي، ضيف، المدارس النحوية، مصر: دار المعارف بلات.
- (51) الصبان، أبو العرفان محمد علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1305هـ.
- (52) الصوفي، عبد اللطيف، اللغة ومعاجمها، دمشق: دار طلاس، 1986م.
- (53) عبد الوارث، مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ط1، الكويت: دار القلم، 1406هـ-1985م.
- (54) ابن عصفور، الإشبيلي، الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، ط4، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1399هـ-1979م.
- (55) عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ط4، القاهرة: عالم الكتب، 1402هـ-1982م.
- (56) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ط1، القاهرة: عالم الكتب، 1396هـ-1976م.

- (57) الفارابي، أبو نصر، إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1968م.
- (58) ابن فارس، أحمد، الصحابي في فقه اللغة، تحقيق عمر فاروق الطباع، ط1 بيروت: مكتبة المعارف: 1414هـ - 1992 م.
- (59) الفارسي، أبو علي، التكملة، تحقيق حسين شاذلي فرهود، الرياض: 1401هـ - هـ.
- (60) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق عبد الله درويش، بغداد، مطبعة العاني، 1967م.
- (61) القرطبي، ابن مضاء، الرد على النحاة، تحقيق محمد إبراهيم البنا، ط1، القاهرة، دار الاعتصام، 1399هـ - 1979 م.
- (62) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، تونس: نشر الجامعة التونسية، 1966م.
- (63) كحالة، عمر رضا، اللغة العربية وعلومها، دمشق: مكتبة النسر، 1391هـ - 1979م.
- (64) كرستال، ديفيد، التعريف بعلم اللغة، ترجمة حلمي خليل، ط1، الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م.
- (65) اللغوي، أبو الطيب، مراتب، النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: 1955م.
- (66) ابن مالك، جمال الدين الطائي الجياني، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، القاهرة: دار الكاتب للطباعة والنشر، 1978 - 1388 م.
- (67) ماييه، أنطوان، منهج البحث في اللغة ترجمة محمد مندور، ضمن كتابه النقد المنهجي عند العرب، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بلاط.
- (68) المبرد، أبو العباس، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، بيروت: عالم الكتب، بلاط.
- (69) محبوب، فاطمة، دراسات في علم اللغة، القاهرة: دار النهضة العربية، بلاط.
- (70) محمد الخضر، حسين، القياس في اللغة العربية، ط2، بيروت: دار الحدائق للطباعة والنشر، 1983م.

- (71) محمود، عبد الله ربيع وعلام، عبد العزيز أحمد، علم الصوتيات، ط2، مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، 1408هـ-1988م.
- (72) المخزومي، مهدي، في النحو العربي، صيدا: المطبعة العصرية، 1964م.
- (73) مصطفى، إبراهيم، إحياء النحو، مصر: ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1964م.
- (74) مطر، عبد العزيز، علم اللغة وفقه اللغة، قطر: دار قطري بن الفجاءة 1405هـ-1986م.
- (75) المنصور، وسمية، عيوب الكلام عند اللغويين العرب، الحولية السابعة من حوليات كلية الآداب-جامعة الكويت، 1406هـ-1986 م.
- (76) ابن منظور، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف، بلات.
- (77) ميشال، زكريا، الملكة اللسانية عند ابن خلدون، ط1، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1406 هـ - 1986 م.
- (78) ابن النديم، الفهرست، تحقيق فلوجل، بيروت: مكتبة خياط بلات.
- (79) الهيني، عبد القادر رحيم، خصائص مذهب الأندلس النحوي، بغداد: نشر جامعة بغداد، 1989م.
- (80) الوعر، مازن، دراسات لسانية تطبيقية، ط1، دمشق: دار طلاس للنشر، 1989م.
- (81) وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ط8، القاهرة: دار النهضة مصر للطبع والنشر، بلات.
- (82) ابن يعيش، علي، شرح المفصل، بيروت، القاهرة: عالم الكتب، مكتبة المتنبي، بلا.
- (83) يوسف، جمعة، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1990م.
- (84) مجلة اللسان العربي، العدد 36، الرباط: دار التعريب، 1413هـ-1992م.
- (85) مجلة كلية الآداب -جامعة البصرة: العدد 6، 1392هـ-1972م.

ب - المراجع الأجنبية:

- (1) Firth; papers in Linguistics, London Oxford university Press, 1967.
- (2) Jerpersen; Language, Its Nature, Development, and Origin, London Goerge Allen, Unwin Ltd. , 1997
- (3) Ladefoged; A Course In Phonetics, Harcourt Brace, USA, Jananovitch, 1975.
- (4) Raja Nasr: The Structure of Arabic, Beirut: Librairie du Liban, 1967.



الوحدة الثانية

أصالة جهود علماء العربية القدماء
في علم اللسان

محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
103	1. المقدمة.....
103	1.1 تمهيد.....
103	2.1 أهداف الوحدة.....
103	3.1 أقسام الوحدة.....
104	4.1 القراءات المساعدة.....
104	5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة.....
105	2. دوافع البحث اللساني عند العرب.....
105	2.1 الدافع الديني.....
106	2.2 الدافع العاطفي القومي.....
106	2.3 الدوافع الذاتية.....
106	2.3.1 الاستجابة للنزوع العلمي.....
107	2.3.2 الباعث الاجتماعي والسياسي.....
	3. أسس أصحاب نظريات التأثيرات الأجنبية (السريان، اليونان، الهنود)
108	في علم اللسان العربي والرد عليهم.....
108	3.1 الدور السرياني.....
118	3.2 الدور اليوناني في مرحلة النشأة.....
121	3.3 الدور اليوناني بعد القرن الثاني الهجري.....
122	3.4 الدور الهندي.....
124	4. أظهر الموضوعات التي تناولتها كتب فقه اللغة عند القدماء.....
124	4.1 نشأة اللغة.....
134	4.2 الإعراب.....
144	5. الخلاصة.....
144	6. لمحة عن الوحدة الدراسية الثالثة.....
144	7. إجابات التدريبات.....
146	8. المراجع.....

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس: أرحب بك لدراسة الوحدة الثانية من مقرر علم اللسان العربي وعنوانها، أصالة جهود علماء العربية القدماء في علم اللسان، وهو عنوان أريد أن أثبت فيه بالدليل على أن جهود علمائنا، في مستويات البحث اللساني التي ذكرتها في الوحدة السابقة، أصيلة ولم تكن نشأتها بتأثيرات أجنبية، والتأثير جاء فيما بعد النشأة، وذلك لأن نشأة علوم اللسان العربي كانت دوافعها ذاتية والأسس التي أقيمت عليها ترد إلى عوامل ذاتية كذلك، وسنتناول بعض الموضوعات اللسانية التي تناولتها كتب اللغة العربية القديمة نحو: نشأة اللغة، والإعراب.

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك بعد دراسة الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

1. تحدد دوافع البحث اللساني عند العرب.
2. تبين موقع علم اللسان العربي في نشأته من علم اللسان عند غير العرب وبخاصة عند السريان واليونان والهنود.
3. توضح مدى تأثير علم اللسان العربي في مراحل لاحقة على مرحلة النشأة بعلم اللسان عند غير العرب وبخاصة عند السريان واليونان.
4. تبين أظهر الموضوعات اللسانية التي اهتمت بها كتب التراث اللساني، نحو: فقه اللغة للشعالي والصاحب في فقه اللغة لابن فارس، وما يتعلق بفكرتي الأصول والنحت من كتاب مقاييس اللغة لابن فارس، والخصائص لابن جني والمزهر للسيوطي.

3.1 أقسام الوحدة

تتألف هذه الوحدة التي بين يديك من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: دوافع البحث اللساني عند العرب، ويغطي الهدف الأول.

القسم الثاني: الأسس التي بنى عليها أصحاب نظرية التأثيرات الأجنبية تصورهم في رد علم اللسان العربي إلى السريان واليونان والهنود ومناقشة آرائهم في ذلك، والأسس التي ترد علم اللسان العربي إلى عوامل ذاتية ومناقشة ذلك، وهذا يغطي الهدفين الثاني والثالث.

القسم الثالث: أظهر الموضوعات التي تناولتها كتب فقه اللغة عند القدماء مثل: نشأة اللغة، الإعراب، وهذا يغطي الهدف الرابع.

4.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

1. دراسة الوحدة.
2. قراءة كتاب (المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية لإسماعيل عمايره ص ص40-90).
3. تلخيص الآراء التي قال بها كل من أنيس فريخه، وفولف ديتريش فيشر، وبريتيريوس، وتلمون في دعم نظرية التأثيرات الأجنبية اليونانية والسريانية.
4. تلخيص الآراء التي قال بها كل من "جيرار تروبو" جوزيف فايس" في أصالة نشأة الدراسات اللغوية عند العرب.
5. قراءة نص الخوارزمي في كتابيه مفاتيح العلوم عن "وجود الإعراب على مذهب فلاسفة اليونانيين" (ص 31).
6. مناقشة المصطلحات والآراء الواردة في الوحدة مع المشرف.
7. قراءة الفصل الثاني من كتاب فقه اللغة في الكتب العربية، لعبد الرحمان، وعنوان الفصل " فقه اللغة وعلم اللغة عند العرب".
8. تكليف الدارس الرجوع إلى فصول محددة من الكتب الآتية:
أ. فقه اللغة للثعالبي، باب سر العربية.
ب. فكرتاً " الأصول " و "النحت" من كتاب مقاييس اللغة لابن فارس (المجلد الأول 465 والمجلد الثالث 329).
- ج. الخصائص لابن جني، مباحثه في مقاييس العربية، والقياس والاشتقاق.
- د. مسألة نشأة اللغة في كتابي الصاحب، والخصائص.
- هـ. المزهر للسيوطي، ومباحثه في المولد والمعرب، والترادف، والاشتراك والتضاد.



5.1 القراءات المساعدة

1. أنيس، إبراهيم: من أسرار العربية، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1976م.
2. أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، ط3، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1976م.
3. حسان، تمام، الأصول، مصر، بغداد: الهيئة المصرية للكتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988م.
4. عبده، داوود: أبحاث في اللغة العربية، بيروت: مكتبة لبنان، 1973م.

2. دوافع البحث اللساني عند العرب

لقد انطلق البحث اللساني عند العرب من القرآن الكريم من أجل ضبط ألفاظه وإتقان قراءاته وفهم معانيه، لذا فقد تنوع البحث اللساني أيضاً وتناول هذه الجوانب فنجد من صنف في مفردات القرآن، خاصة غريبها. وقد عُزي أول كتاب في غريب القرآن الكريم إلى عبد الله ابن عباس (ت 68 هـ) كما نسب إليه تصنيف أول كتاب في لغات القرآن الكريم، وهي الفترة نفسها التي ظهر فيها أول بحث في علم العربية (النحو) على يد أبي الأسود الدؤلي لوفاته 69 هـ. وهما توجهان يخدمان ألفاظ القرآن الكريم، مفردة ومركبة، لضبط قراءتها وبيان معانيها، مع أن القراءة القرآنية ملتزمة بالنقل، إلا أنه قد ظهر اللحن في ضبط أواخر الكلمات؛ فتقدم أبو الأسود بمحاولته فوضع نقط الإعراب. وأما ابن عباس فكانت تأتبه الوفود ويسأله الرجال عن مقاصد القرآن الكريم، ومعاني ألفاظه فكان يبين معناها اللغوي ويستشهد لما يقول بشعر العرب وهو صاحب مقولة: الشعر ديوان العرب. وتضافرت الجهود ونظمت وتقدم البحث اللساني وتوسع وتطور مدفوعاً بغايات وأسباب أخرى، مع انتشار اللغة العربية وامتداد الدولة العربية الإسلامية، وانضمام شعوب أخرى من غير العرب وقشو اللحن على السنة الجميع؛ وبناء عليه يمكننا إجمال دوافع البحث اللساني عند العرب بما يلي:

1.2 الدافع الديني

ويمثله السعي الحثيث من الدارسين إلى المحافظة على النص القرآني، ودفع غائلة اللحن والتحريف التي فشت على الألسن، عربية وعجمية، فهو دستور الإسلام والأمة، وتستخرج من نصوصه الأحكام الشرعية، وقراءته تعبدية، فكان لا بد من وضع إشارات تضبط حركة أواخر الألفاظ، وهذا أمر تكفل به أبو الأسود الدؤلي بوضع نقط الشكل أو الإعراب تلاه ضبط الإعرام وتطوير نُقط الإعراب التي تحولت إلى فتحة وضمة وكسرة. فكانت عملية الضبط هذه الخطوة الأولى في البحث النحوي التي حفظت للقرآن الكريم نقاءه ودقته الإعرابية، وحفظته من تسرب اللحن إليه، وظل نصه موثقاً معجزاً معرباً، فأعرابه أتاح على مر العصور قراءته مضبوطاً ونقله مشافهة وغير مشافهة.

عدا ما ساهمت به الحركة الإعرابية من بيان معاني القرآن الكريم، فلا يستغني درس التفسير عن الدرس النحوي أبداً؛ لما تحمله الحركة الإعرابية من دلالات ولا يخفى ما لذلك من تأثير على استنباط الأحكام الشرعية من هذا الدستور الخالد. أما بيان معاني

المفردات القرآنية، خاصة الغريب منها، فقد تكفل به ابن عباس ومن جاء بعده ممن صنف في الرسائل اللغوية ومعجمات اللغة. وقد مزج عبد الله بن مسعود بين التفسير بالمأثور والتفسير اللغوي المستفاد من الأشعار في فهم مفردات القرآن الكريم وتراكيبه جرياً على طريقة ابن عباس.

2.2 الدافع العاطفي القومي

وأقصد به تعلق العرب بلغتهم، واستجابة للتحدي القومي الذي كانوا يواجهونه؛ فبإزاء الانقراض من الجنس العربي لم يكتفوا بحفظ اللغة وآدابها في صدورهم بل أخذوا في دراستها وتعميق البحث فيها؛ لتكوين ثقافتهم الخاصة بهم التي يمكنهم بها أن يناقشوا الثقافات الواردة. فإن بناء الثقافة العربية الإسلامية الأصلية لمواجهة ثقافة الفرس واليونان والهند أصبح أمراً لا بد منه؛ فاستجابة لهذا النزوع وإدراكاً من علماء العربية لهذا التحدي بذلوا جهوداً علمية ضخمة في علم اللسان وغيره في مواجهة حضارات الشعوب التي فتحت بلدانها وأصبح العرب قوامين عليهم.

3.2 الدوافع الذاتية

وأقصد الدوافع التي تحقق طموحات خاصة ورغبات فردية ويمكن تقسيمها إلى:

1.3.2 الاستجابة للنزوع العلمي

فكما أن الإقبال على الشعر مثلاً وروايته يوفر متعة فنية أدبية، كذلك يمكن تصور النزوع إلى اللغة والاختلاف إلى مجالس تعليمها وجمع مفرداتها والتصنيف فيها، واستخلاص قوانينها، بأنه يوفر متعة البحث والاستقصاء ويشبع الرغبة العلمية بمحاولة الإجابة عن جميع الأسئلة التي يثيرها حب الاستطلاع إذا صادفت في النفس همة ومثابرة وفي العقل قدرة وافتاحاً وهو ما يمثلته الخليل بن أحمد خير تمثيل بانقطاعه إلى العلم والدرس، وزهده في الدنيا، وكان من الطبيعي أن تثير اللغة التي جمعها الرواة الانتباه وأن تستنهض همة الجامعين والمتلقين ومن كان لهم قدرة على الدرس والبحث من أجل فهم معانيها وملاحظة مخارج حروفها وسلامة إعرابها والاستفادة من فصاحتها؛ لتنظيم قوانينها وضبط قواعدها. وفي اعتقادي أن هذا الأمر يليح حاجة نفسية بشرية تتوق لمعرفة المجهول تقف وراء كثير من التقدم العلمي.

2.3.2 الباحث الاجتماعي والسياسي

حيث ظهرت فئة من العرب وغير العرب تسعى لتحقيق مجدها، من أجل أن تتبوأ مكانة اجتماعية أو تكسب رزقها أو تحتل منزلة سياسية في الدولة، فوجدت ضالتها في اللغة وحفظها ودراساتها فأخذت ترتاد مجالس تدريس العربية من أجل تحصيل نحوها أو حفظ مفرداتها فصرفت همتها إلى التعمق في دراستها كما فعل سيبويه والكسائي. فأما الأخير فقد نال الخطوة في قصور الخلفاء العباسيين وتبعه الفراء وغيره من الكوفيين في الوقت الذي حاول فيه سيبويه أن ينافسه في بغداد ولكنه لم يوفق في ذلك، فيما نجح فيه غيره كأبي علي الفارسي وابن جني وابن فارس الذين أهدوا كتباً صنّفوها لأمرأ نالوا لديهم الخطوة كالإيضاح العضدي من أولهم وسر صناعة الإعراب من ثانيهم والصاحب في فقه اللغة من ثالثهم وهذه مجرد أمثلة. وقد جاهر أحد النحاة بأنهم يسعون لكسب عيشهم من دروسهم النحوية ولا شيء غير ذلك، وبعضهم على سبيل المثال كان يتقاضى أجره من غيره من النحاة على شرح كتاب سيبويه.



أسئلة التقويم الذاتي (1)

وضح دوافع البحث اللساني عند العرب.



تدريب (1)

لقد واجهت العربية تحديين بعد امتداد الدولة العربية الإسلامية ودخول غير العرب الإسلام. فما هما ؟

3. أسس أصحاب نظريات التأثيرات الأجنبية (السريان، اليونان، الهند) في علم اللسان العربي والرد عليهم

لقد تحدثنا آنفاً عن عوامل نشأة علوم اللسان العربي، وهي تشير بوضوح إلى أنها وليدة بيئة عربية إسلامية باعتبارها علوم الآلة المساعدة لغيرها من العلوم الإسلامية التي سعت إلى المحافظة على النص القرآني في شكله ومضمونه، إن صح التعبير. والمقصود من ذلك ضبط قراءته وحمايته من خطر اللحن والتحريف، وقد تكفل بذلك علم القراءات، هذا من ناحية. وأما الناحية الأخرى فتتمثل في الحرص على فهم معانيه من تراكيبه بدقة واقتضى ذلك نشأة علم التفسير الذي اعتنى بالنصوص التي هي مناط الأحكام الفقهية باعتبار القرآن الكريم هو الدستور الإسلامي الخالد، ومن له أدنى دراية بالنص القرآني، قراءة وتفسيراً، يعرف أن وجوه التفسير وتنوع القراءات يلزمها إلمام كافٍ بالنحو العربي لاعتمادها على التوجيهات والتعليقات النحوية الشكلية والمعنوية، بحيث لا يمكن أن نتصور قيام علم للتفسير أو للقراءات دون أن يسندهما علم الآلة وهو علم النحو الذي كون معهما الضلع الثالث، إذا افترضنا، دون تجاوز، أنها تكون معاً مثلثاً، مما يعني بالضرورة أن هناك تلازماً في النشأة.

ولم يقم ادعاء ذو بال يرمي علمي القراءات والتفسير بالتأثر بمؤثرات أجنبية بعكس علم النحو الذي كان هدفاً لكثير من التشكيك في نشأته منهجاً وموضوعاً، فقد استكثر كثير من الدارسين عرباً وغير عرب، قديماً وحديثاً، أن يقوم العرب بابتداع علم بهذا النضج والاكتمال ولا تخفى بواعث ذلك، فالعقلية السامية متهمة بالضعف والفشل في كل شيء⁽¹⁾ عند رينان Renan ومن لف لفه من المستشرقين، والعقل العربي في نظرهم محدود وقاصر. وأما الدين الإسلامي فتعاليمه تتنافى في رأيهم، مع البحث الحر والنظر العميق الطليق؛ وبناء عليه رميت العلوم الإسلامية خاصة الفلسفة والنحو، بأنها عالة على علوم أمم أخرى كالإيونان والسريان والهند، ولهذا يقتضي البحث أن نقسم الحديث حسب جهات التأثير التي افترضها من قالوا بتبعية الفكر العربي إليها وهي:

3.1 الدور السرياني

إنه من الثابت في تاريخ الدراسات اللسانية عند العرب أن أبا الأسود الدؤلي هو الذي تولى ضبط المصحف بواسطة النقط التي تدل على الحركات الإعرابية أو ترمز إليها. ولكن كثيراً من الدارسين يرون أن هذا ليس من ابتكاره وإنما هو نقل عن السريان وتقليد لطريقة الضبط السريانية، ويتخذون من معاصرة أبي الأسود (ت 69 هـ / 688 م) ليعقوب الرهاوي (ت 109 هـ / 708 م) مطية ليفترضوا أن أبا الأسود هو المقلد والنقل

(1) انظر: ولفسون، تاريخ اللغات السامية: ص 13.

لما ابتدعه الرهاوي من ضبط؛ فنجد صدق ادعاءات المستشرقين عند علمائنا فأحدهم وهو عبد الحميد حسن يعتبر سبق السريان حقيقة ويختتم حديثه بتساؤل أقرب إلى التقرير منه إلى الاستفهام بقوله: المعروف في تاريخ اللغات السامية أن السريان هم الذين ابتدعوا علامات الحركات في لغتهم، وأخذها عنهم سائر الساميين وكانت هذه العلامات نقطاً فوق الحروف أو تحته أو وسطه: فهل من صلة بين هذا وبين ما عمله أبو الأسود الدؤلي في اللغة العربية⁽¹⁾ ويجيب عليه الدكتور حسن عون الذي يقرر: "إن طريقة الشكل وهي اللبنة الأولى في بناء النحو العربي قد استمدتها أبو الأسود الدؤلي من النحاة السريانيين"⁽²⁾ لأن أبا الأسود في رأيه كان على صلة بالسريانية، وأنه على الأرجح قد تعلم منهم السريانية" ويردف قائلا "أليس من العناد إذن أن نقول أن أبا الأسود الدؤلي لم يستمد طريقة نقط الشكل من السريانيين الذين سبقوه بنفس العمل"، أما محمد عطية الإبراشي فيرى "الإمام (أبا الأسود) متصلاً ببعض علماء اليهود في الكوفة الذين كانوا على علم بنحو اللغة السريانية وهنا تعرض لنا شبهة تأثر النحو العربي بالنحو السرياني: وكان عندهم (أي السريان) نقط هي حركات وضعها يعقوب الرهاوي قبيل ذلك الزمن وكانت ترسم مع الحروف ثم تحولت إلى نقط مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث، وما زالت عندهم إلى اليوم، والظاهر أن أبا الأسود اقتبس هذه الحركات"⁽³⁾ ويؤيد هؤلاء الترزي وأيس فريجه من الذين انقادوا وراء المستشرق فيرستينغ الذي قرن بين نظامي أبي الأسود ويعقوب الرهاوي في ضبط الحروف⁽⁴⁾، والدكتورة زاكية رشدي تؤيد وجهة النظر هذه وتقرر "أن أبا الأسود قد استخدم طريقة الشكل بالنقط عند النساظرة في وضع الشكل العربي.... وقد نقل اليهود عن العرب هذه الطريقة في الشكل في اللغة العبرية في الأندلس"⁽⁵⁾.

ولكننا نجد نصاً في كتابها هذا يدحض هذه المقولة ويكاد يثبت أن العكس هو الصحيح أي إن يعقوب الرهاوي أو النساظرة هم الذين استفادوا من ابتداع أبي الأسود عندما أراد السريان ضبط القراءة الصحيحة للنصوص المقدسة "فقام يعقوب الرهاوي زعيم الفرقة الغربية (نقصد اليعاقبة) باستعارة الصوائت اليونانية وهي O, H, E, A ووضعها بين الحروف، ولما كان السريان لم يألّفوا وجود الصوائت بين الحروف فقد

(1) عبد الحميد حسن، القواعد النحوية: ص 79.

(2) حسن عون، اللغة والنحو، ص 248.

(3) الإبراشي، الآداب السامية: ص 199 في الهامش: ص 200.

(4) إسماعيل عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم: ص 48.

(5) زاكية رشدي، السريانية نحوها وصرغها: ص 23.

نفروا من استخدام هذه الطريقة فرأى الرهاوي أن يضع هذه الصوائت إما فوق الحروف وإما تحتها على السواء في المكان الذي يوجد به فراغ في الحرف، وبذلك عم استعمال هذه الطريقة في الكتابة السريانية، وأبى النساطرة استخدام هذه الطريقة وابتدعوا لهم طريقة أخرى لضبط الحركات وهي طريقة النقط المعروفة فاستعملوا نقطة أو نقطتين توضع فوق الحروف أو تحتها رأسية أو أفقية أو مائلة ليوضح كل شكل حركة من الحركات⁽¹⁾ وتقول الدكتوراة أيضاً في مكان سابق من الكتاب "أنشأ اليعاقبة في أواخر القرن السابع خطأ مستقلاً بهم هو الخط الغربي أو السوطا أي السريع كما أنشأ النساطرة حوالي القرن الثامن خطأ جديداً لهم هو الخط النسطوري أو الشرقي"⁽²⁾ أي الخط المنقوط الذي ذكرته آنفاً.

أمام هذه الحقائق التاريخية نستطيع أن نتبين المغالطات وأكاد أسميها افتراءات يمكن تفنيدها بما يلي:

أولاً: تنقل الدكتوراة زاكية عن المستشرقين أن الخطين اليعقوبي والنسطوري قد تمّا بين أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن، ونحن نعرف أن أبا الأسود قد توفي سنة 69هـ أي سنة 688م، والروايات تقول أن الضبط بتنقيط القرآن الكريم قد تمّ في زمن سيدنا علي في رواية أو في أيام ولاية زياد بن أبيه على البصرة في رواية أخرى، أي إن الأمر قد تم قبل عام 40 للهجرة وهي السنة التي استشهد فيها سيدنا علي، وأما زياد بن أبيه فقد كانت ولايته على البصرة أيام معاوية الذي توفي سنة 60 هـ، ولو افترضنا أن التنقيط قد تم في أقصى هذين التاريخين (40هـ - 60هـ) وهو 60 هـ الذي يعادل 680 م، أي قبل نهاية القرن السابع الميلادي بعشرين سنة، لثبت لدينا أن المبتدع هو أبو الأسود، والسريان هم المتأثرون بنقطه.

ثانياً: إنهم يحددون ولادة يعقوب الرهاوي عام 34 هـ/ 633 م، وأما أبو الأسود في السنة الأولى الهجرية، وهو أمر تقديري، وقد يكون ميلاده قبل ذلك أي كان عمره على أقل تقدير، أربعاً وثلاثين سنة حين كان الرهاوي طفلاً رضيعاً وعليه فتصوّر أن يكون المبتدع هو أبو الأسود والمتبع هو الرهاوي هو الأولى والأحق بالنظر والاعتبار. ثالثاً: لم يستطع أحد أن يثبت بالدليل والبرهان أن يكون أبو الأسود قد اتصل اتصالاً مباشراً بعلماء السريان إلا عن طريق الافتراض الذي قد تجيزه المعاصرة: وأما محمد عطية الإبراشي فقد افترض أن لأبي الأسود اتصالاً باليهود أو ببعض علمائهم ممن كان لهم معرفة بالسريانية ونحوها؛ فيكون قد اكتسب منهم طريقة النقط وهذا القول مردود

(1) السابق: ص20، وهي هنا تنقل كما أشارت في الهامش عن المستشرقين دوفال ونولدكه.

(2) المصدر السابق نفسه: ص18، نقلاً عن ولفنسون.

عليه بأنه لو كان هذا النقط معروفاً لدى بعض علماء اليهود لنقلوه إلى لغتهم التي كانت تفتقر لذلك؛ بدليل أنهم نقلوا هذا النقط إلى لغتهم عن العرب في الأندلس فيما بعد، وهو ما ذكرته الدكتورة زكية رشدي⁽¹⁾ نقلاً عن ولفنسون.

رابعاً: يقال إن سبب لجوء السريان إلى النقط هو حاجتهم إلى ضبط قراءة النصوص المقدسة، ولنا أن نتساءل أين كانت حاجتهم للضبط قبل أواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن أي قبل 708 م وهي سنة وفاة الراهوي أم لم تكن لهم حاجة؟! وهل كانت نصوص الكتب الدينية واضحة في أول عهدها بالسريانية. ثم فسد اللسان السرياني بعد ذلك فأرادوا أن يصلحوا ما فسد بالتنقيط؟!

وهو ما حصل في رأيي إذ وجد النساطرة هم والراهوي أنموذجاً يمكن احتذاءه، وهو نقط أبي الأسود بعد اختلاطهم بالعرب الذين بدأت شوكتهم تقوى وسلطانهم يمتد ولغتهم تنتشر مع فتوحاتهم، وبدأت العربية تزحج لغتهم السريانية وتحل مكانها شيئاً فشيئاً، وكأنهم أرادوا أن يزودوا لغتهم بعناصر تقويها قد تمكنها من الصمود أمام الصراع اللغوي الذي بدا يهاجمها في عقر دارها وهي الرها التي فتحت سنة 17 هـ.

وفي الأغلب الأعم من دروس التاريخ أن المغلوب هو الذي يقلد الغالب وبتأثر به؛ فلما رأوا نقط العرب في كتبهم المقدس وهو القرآن الكريم نقلوه إلى لغتهم ليضبطوا به نصوصهم المقدسة وهو الأولى بالأخذ به حتى يثبت العكس بالدليل القاطع. أما المعاصرة والافتراض فلا يقومان بدليلين قاطعين على تأثر أبي الأسود بالسريان، مع أن الملاحظات التاريخية بعد تأملها ومراجعتها توصل إلى نتيجة يقينية هي أن أبا الأسود هو السابق إلى ابتداع النقط الإعرابي.

ويسوق الدكتور إسماعيل عمايره⁽²⁾ عدة أدلة موضوعية هي عبارة عن فروق بين نقط أبي الأسود والنقط السرياني أرى من الواجب اقتباسها باعتبارها براهين تقطع الشك باليقين على أصالة النقط الذي وضعه أبو الأسود وهي:

(1) ألا نجد هذا الاختلاف البين بين طريقتيهما من حيث شكل الحركات، بل إن هذا الاختلاف يبدو واضحاً أيضاً بين شكل الحركات السريانية والشكل الذي استقرت عليه في العربية منذ الخليل بن أحمد، ولو كان هذا التأثير حاصلًا فعلاً لتشابهت الفتحة العربية، والضمّة والكسرة - سواء أكانت نقطاً كما هي عند الدولي، أم كما هي حالها التي جاءت عليها لدى الخليل - بهذه الحركات السريانية التي تعود إلى أصول يونانية.

(1) السابق نفسه.

(2) عمايره، المستشرقون ونظرياتهم: ص 52-54.

- (2) أن يتخذ العرب من حركة الرباط السريانية ما يعبرون به عن صوت الإمالة في مثل: ضحيها، وتليها، وجليها، ويغشيها، وهي مسألة ذات مساس كبير بالقراءات، وبالشكل الكتابي للقرآن الكريم الذي من أجله وضع نظام الحركات أصلاً.
- (3) أن يتشابه رمز السكون في العربية والسريانية، والمعروف أن أبا الأسود الدولي لم يتخذ رمزاً خاصاً بالحرف الساكن، فلو كان نظامه مأخوذاً من النظام السرياني، فما الذي منعه من وضع رمز للسكون فضلاً عن أخذه عنهم؟
- (4) أن يجد علامة كتابية خاصة بالتمييز بين المفرد والجمع في العربية، فقد رأينا كيف تدل النقطتان المتجاورتان فوق أي حرف من حروف الكلمة لدى السريان، على أن هذه الكلمة صيغة جمع، ولا نجد لهذا الرمز نظيراً في العربية.
- (5) أن يكون الدولي قد وضع علامة خاصة بالشدة، كما فعل السريان، إذ الشدة عندهم نقطة في وسط الحرف، وهذا مخالف لصورة الشدة في العربية، ولا نجد لذلك نظيراً عند أبي الأسود، فالدولي لم يضع رمزاً للشدة.
- (6) أن يكون أبو الأسود قد اتخذ رمزاً خاصة بالنبر، فالرهاوي كما قال أنيس فريحه "أوجد رمزاً للنبرة تفوق الثلاثين عدّاً"⁽¹⁾ ولا نجد لذلك أثراً عند الدولي أو سواه.
- (7) أن يفرق أبو الأسود في نظامه بين الهمزة المحققة وغير المحققة فمن المعروف أن السريان كانوا يميزون بين الهمزة المحققة، والهمزة غير المحققة، في بداية الكلمة، كهزمتي الوصل والقطع العربيتين، وتميز الهمزة المحققة عند السريان بنقطة فوق الحرف.

ولم يكتف المنادون بالتأثيرات الأجنبية في نشأة النحو العربي؛ بما ادعوه من نقل أبي الأسود التنقيط عن الخط السرياني، وهو أمر قد فرغنا من تفنيده تاريخياً وموضوعياً، نراهم يلفقون دعوى أخرى يزعمون فيها أنه كان للخليل بن أحمد علاقة بحنين بن اسحق لما رأوا أن الخليل قد طوّر النقط إلى حركات هي الفتحة والضمة والكسرة والتنوين بأشكالها المعروفة في العربية، وهم يعزون هذا التطور الذي صدر عن الخليل إلى استفادته ذلك من حنين بن اسحق المترجم السرياني الذي نقل كتباً يونانية إلى العربية في بيت الحكمة التي رأسها في عصر الخليفة العباسي المتوكل؛ وذلك لأن اليعاقبة من السريان قد استعاروا الصوائت اليونانية ووضعها الرهاوي بين الحروف باعتبارها حركات مكونة من أبعاض حروف المد وهو أمر شبيه بما فعله الخليل الذي رسم الحركات الإعرابية على شكل حروف المد فالفتحة بعض الألف ترسم ألفاً صغيرة مائلة فوق الحرف، والضمة ترسم واواً صغيرة والكسرة بعض الياء المدية.

وبما أن الخليل لا يعرف اليونانية فمن أين له بها؟ فلا يمكن أن تكون من ابتكاره وقرروا أنه قد أخذها عن السريانية. فهذا كارل بروكلمان يذكر الخليل بن أحمد ويهتمه

(1) فريحة، في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، ص 37.

بالاعتماد على السريان قائلًا عنه: "ويبدو حقًا كذلك أنه ابتكر شكل الحروف وعلامات القراءة استناداً إلى نماذج سريانية"⁽¹⁾. إضافة إلى تأثيره في زعمهم بالمنهج المنطقي اليوناني وهو أمر ستحتج مناقشته عند الحديث عن الدور اليوناني في الفكر اللساني العربي ولفقوا له التقاء مزعوماً مع حنين بن اسحق الذي أراد أن يتعلم العربية بعد إتقانه اليونانية في الإسكندرية مع لغته السريانية لكي يعمل في الترجمة فتوجه، في زعمهم إلى البصرة وتعلم العربية على يدي الخليل، مع أن كل المعطيات التاريخية تنفي التقاءهما! فالخليل بن أحمد توفي (175 هـ) على أشهر الأقوال أو في 170 هـ حسب رواية ابن النديم⁽²⁾، وأما حنين بن اسحق فقد توفي 264 هـ أو 260 هـ أي إن حوالي تسعين سنة تفصل بين وفاة الرجلين، وعليه فإن ولادة حنين كانت بعد وفاة الخليل بنحو عشرين سنة إذ يحتمل أن تكون هذه الولادة عام 194 هـ⁽³⁾. فكيف يسمح مؤرخو العرب ودارسوه لأنفسهم من: ابن جليل (ت 384 هـ) وابن صاعد الأندلسي (ت 462 هـ) والقفطي (ت 646 هـ) وابن أبي أصيبعة (ت 668 هـ) قديماً، إلى أحمد أمين والزركلي وأنيس فريحه وفؤاد حنا ترزي وإبراهيم مذكور حديثاً، أن يتخيّلوا أن حنيئاً قد تعلم العربية على يد الخليل وأن الرجلين اجتماعاً وتلازماً وخاضاً نقاشاً فيما بين العربية والسريانية من علاقات؟! وقد كفانا مؤونة الرد على هذه الأمور المتخيلة الدكتور مهدي المخزومي في كتابه "عبري البصرة"، والدكتور علي أبو المكارم في كتابه "تقويم الفكر النحوي" والدكتور يوسف المطوع في كتابه "جهود علماء النحو في القرن الثالث الهجري" والدكتور إسماعيل عمايره في كتابه "المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية" الذين برهنوا بما لا يدع مجالاً للشك بأن هذه الدعوى باطلة.

والدور السرياني لم ينته عند هذا الحد في رأي الدكتور أنيس فريحه الذي استدل على التأثير السرياني في النحو العربي من خلال وجود مصطلحات سريانية في نحو العربية وصرّحها حيث يقول: "إن هذه المصطلحات الصرفية والنحوية وجدت أولاً في السريانية ومن ثم أخذها العرب عن السريان وترجموها إلى لغتهم وإذا لم يكونوا قد ترجموا اللفظة السريانية ذاتها فإن المصطلح السرياني يجب أن يكون قد أوحى إليهم اللفظة العربية"⁽⁴⁾ وهذه المصطلحات كما أوردها هي:

الإدغام، اسم الآلة، اسم الإشارة، اسم الفاعل، اسم المرة، اسم المفعول، اسم المكان والزمان، اسم النوع، الإشارة، الإضافة، الأمر، البديل، التركيب المزجي، تصريح الفعل

(1) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ترجمة عبد الحليم النجار: ج 1/ 132.

(2) ابن النديم، الفهرست: ص 42.

(3) عمايره، المستشرقون ونظرياتهم: ص 54.

(4) فريحه، في اللغة العربية وبعض مشكلاتها: ص 38-40، وقد كرر التهمة نفسها فؤاد ترزي: في أصول اللغة والنحو: ص 113، ص 116.

مع الضمائر، التصغير، التفضيل، التوكيد، الجزم، الجمع، الحال، الحركات، الحروف، الخبر، الخفض، الصحيح، الضمير، العدد، الظرف، العطف، الغراماطيقي، الفتح، الفعل، اللازم، المتعدي، الفعل الحالي، الماضي والمستقبل، المضاعف، الكسرة، المبتدأ، المذكر والمؤنث، المصدر، المضارع، النسبة، النفي، النهي، النكرة والمعرفة، الوزن.

ويبدو فريجه، بإيراده هذه المصطلحات وعزوها إلى أصول سريانية اقتباساً أو ترجمة، أنه متحامل على العربية وعلماؤها وليس مُنصفاً بل متناقض مع نفسه وقد عرض الأمر كالتالي فوصل إلى استنتاجاته السابقة، فهو ينفي في بداية كلامه: أي تشابه بين "نحو العربية وصرفها واشتقاقها وإعرابها واللغة الإغريقية"، ويذكر أن هناك فروقاً جوهرية بين خصائص اللغات السامية، واللغات الهندية الأوروبية "ثم يثبت أن السريان وضعوا قواعد لغتهم على سنن الإغريق، ووضعوا صرفهم ونحوهم على غرار ما فعله الإغريق"⁽¹⁾، وبعد ذلك يقرر أن النماذج الأولى التي احتذاها العرب كانت علوم اللغة السريانية لا الإغريقية مباشرة⁽²⁾ مستنداً إلى استبعاده أن يكون سيبويه قد وضع مصطلحات كتابه ولا بد أن يكون قد استفاد هذه المصطلحات الصرفية والنحوية من السريان بترجمتها إلى العربية وهو الأمر الذي أهمه وأراد أن يثبته عن طريق هذه المصطلحات التي أوردها ويتساءل مندهشاً: "إن الواحد منا ليسأل كيف تسنى للعرب مصطلح لعلم اللغة تام الوضع؟ وكيف تسنى لسيبويه، وكتابه "الكتاب" أقدم كتاب تام الصنعة في علم اللغة أن يضع هذه المصطلحات: المبتدأ والخبر والإعلال والإدغام والرفع والنصب والخفض والجزم والمصدر والضمير والمضارع... الخ؟

ولتفنيد أقواله أثبت ما يلي:

(1) يقرر أن هناك فروقاً جوهرية بين اللغات السامية والهندية الأوروبية خاصة العربية التي يختلف نحوها وصرفها عن اليونانية، ولا يلبث بعد ذلك أن يثبت كذلك أن السريانية احتذت حذو الإغريقية في بناء قواعدها، والسريانية لغة سامية فكيف يجوز ذلك؟ خاصة أنه لم يبين جهة تأثير السريانية بالإغريقية إلا إذا كان يقصد الأثر الفلسفي والمنطقي ويبدو الأمر كذلك من قوله: "وإذا كان هناك من أثر للفلسفة الإغريقية والمنطق الإغريقي في الصرف والنحو العربيين فإنه أثر جاءهم عن طريق السريان"⁽³⁾ ولكنه يضرب أمثلة التأثير من المصطلحات ويجعل هم فيها، وهذه المصطلحات تعبر عن الظواهر اللغوية ولا تنبئ عن تفكير فلسفي، وهذا تناقض منهجي وقع فيه يبطل دعواه.

(1) أنيس فريجه: المصدر السابق ص24.

(2) انظر: السابق نفسه ص26.

(3) نفسه

(2) يبدي دهشة تنبئ عن انزعاج أن يكون لدى علمائنا قدرة على وضع مصطلحات تامة الصنع، دقيقة الدلالة، ودفعة واحدة، متجاهلاً أن المصطلح النحوي أو الصرفي هو في الأصل مفردة عربية لها معناها المعجمي الذي حصل له تطوير من تخصيص أو تعميم أو تغيير ما، جعل له معنى إضافياً اصطلاحياً فكل مصطلح نحوي وصرفي عربي يجد له معنى لغوياً بالإضافة إلى معناه الاصطلاحي، وهذا الأمر لا استثناء فيه مما يدل على أصالتها. أما الغراماطيق التي ذكرها فهي في الكتب المترجمة عن اليونانية؛ حيث كان أغلب المترجمين من غير العرب. ولم يطلق هذا المصطلح على النحو العربي بدليل أن كتب النحو والصرف العربية التي صنفنا، لا تجد واحداً منها ذكر هذا المصطلح ابتداءً من كتاب سيبويه إلى يومنا هذا.

(3) وإنه ليثير الغبطة أن أضع بين يدي القارئ شهادة أحد أساتذة⁽¹⁾ اللسانيات في جامعة سيدني باستراليا عن كتاب سيبويه ومصطلحاته على وجه الخصوص الذي يرى أنها وضعت لتتناسب مع محيطها الثقافي أو كما نقول نشأت في جو إسلامي عام من الناحيتين الثقافية والاجتماعية حيث يقول ولما كانت تقريباً أغلب المواد التي اعتمدها سيبويه مأخوذة سواء من القرآن أو من الشعر الجاهلي، فإن ذلك لا يفيد أنه أراد منها الجمع، كما اقترح ذلك بعضهم بل تشير عكس ذلك إلى المحيط الثقافي الذي وضع فيه الكتاب، لأنه ألف في عهد قد أدركت فيه جميع المقاييس القانونية (قد يقصد الشرعية)، والأخلاقية، والجمالية، كذلك اللغوية، وذلك في الفترات الأولى للتاريخ العربي، ولقد سعى سيبويه ضمن هذه الحدود الثقافية المضبوطة، إلى وصف اللغة العربية الكلاسيكية وصفاً كاملاً....ويقوم تحليله الكامل على الاصطلاح الذي يرى أن الكلام نشاط اجتماعي....توجد قائمة من المصطلحات التي تدل على الطريقة التي يتكلم بها الناس، والتي تؤكد أن سيبويه قد اعتبر الكلام شكلاً من أشكال السلوك، والغريب أن كل تلك المصطلحات مأخوذة من مفهوم أصلي واحد يفيد التحرك على خط، وهو استعارة مألوقة لدى الدارسين للإسلام....ولذلك الغاية حول سيبويه المصطلحات السلوكية إلى النحو....وأغار تعريف المصطلحات الأخلاقية وطبقها مستعملاً حسن وقبيح، ومستقيم ومحال".

(1) هو الدكتور ميشيل (ميخائيل أو مايكل) كارتر Michael G. Carter وقد نشر بحثه هذا في مجلة الجمعية الاستشرافية الأمريكية، عدد 2 سنة 1973، وترجمه إلى العربية الدكتور محمد رشاد الحمزاوي ونشره في مجلة دوليات الجامعة التونسية، العدد 22، 1983، ص 223-245.

(4) يرى في الاصطلاحات التي ذكرها أنها مكتسبة أو منقولة عن السريان متناسياً أنهم آراميون تنصروا وأرومتهم عربية لغة وعرقاً، ومن البديهي أن تتشابه الظواهر اللغوية في لغتهم مع العربية، فقد أصبح معروفاً أن العربية أقرب أخواتها إلى اللغة السامية الأم حتى إن بعضهم يميل إلى تسميتها اللغة العربية الأم (وهم على حق) وليست السامية وهو الاصطلاح السائد؛ وعليه؛ فلا غرابة إذا تشابهت الظواهر اللغوية أن تتشابه الاصطلاحات الدالة عليها، وهو الأمر المنطقي، لأنه لا يمكن اكتساب الظاهرة اللغوية ثم الاصطلاح أو العكس.

(5) الثابت تاريخياً أن السريان هم الذين ساروا في تععيد نحوهم وصرفهم على منهج العربية، بعد أن كانوا في بادئ الأمر قد قلدوا النحو اليوناني وتقرر ذلك الدكتوراة زاكية رشدي بقولها: "أثرت كل اللغات التي احتك بها السريان" على ألسنة السريان فاضطر العلماء إلى وضع قواعد لضبط اللغة فلجأوا في بادئ الأمر إلى النحو اليوناني يقلدونه ويحاكونه، فلما دخل العرب بلادهم ووجدوا أن اللغة العربية أقرب إلى لغتهم من اليونانية قلدوا النحو العربي عند تأليفهم في النحو⁽¹⁾، ولو فتحت كتاب نحو سرياني فستجد أن أبواب موضوعاته هي بعينها أبواب النحو العربي وصرفه نحو تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف وأقسام الاسم: الضمائر والأسماء الظاهرة، وأسماء الإشارة وأسماء الموصول، والمذكر والمؤنث والجمع والظروف والمشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول، والمصدر واسم المرة، والأعداد وأحكامها، والتصغير والنسب والفعل الثلاثي اللازم والمتعدي، والمضارع والأمر والمبني للمجهول، والأفعال المجردة والمزيدة... الخ. وفي الوقت نفسه لم يقد دليل قاطع على تأثر اللغة العربية بالسريانية وإنما هي افتراضات أو تقديرات مكلفة ليس لها أساس حقيقي كقول فريخه: "أفلا يحق لنا أن نقدر أن مبادئ الصرف والنحو عند العرب وضعت على أساس الصرف والنحو عند السريان"⁽²⁾ ويجيب: "نحن نقدر هذا"، والذي يتبنى مثل هذه المقولات الشاملة الواسعة عليه أن يحيط بالبرهنة والاستدلال على صحتها، لا أن يقف عند المصطلحات فقط ليجعل من مجرد المقارنة بينها في اللغتين أساساً للتأثر الشامل بالسريان في وضع الأسس النحوية والصرفية للغة العربية، وهذا خروج فاضح عن أسس المنهج العلمي.

(1) زاكية رشدي، السريانية نحوها وصرفها: ص 30.

(2) فريخه، في اللغة العربية وبعض مشكلاتها: ص 38.

(6) أما المصطلحات التي أقام عليها فريجه حكمه الواهي فقد تبنى الرد عليها الدكتور إسماعيل عمائره⁽¹⁾ واحداً واحداً فأثبت في قسم منها اختلاف المقصود أو المفهوم منها عند العرب عن السريان؛ لأن السريان اتبعوا في اصطلاحهم مقاصد اليونان الذين أطلقوا المصدر مثلاً وضمنوه معنى الزمان بينما العرب ضمنوه معنى الحدث وكذلك الأمر مع مفهومي الفعل والجزم، وفي قسم قد يكون هناك بين اللغتين اتفاق عل دلالة المصطلح، لكن المصطلح نفسه مختلف بلفظه بينهما، فاسم الرمز يقابله عند العرب اسم الإشارة، وكذلك المحسوس واسم الأثر والإعلال والخلف والإصرار والكيونة والزوعان أو الزيغات يقابلها في العربية على التوالي المبني للمجهول واسم المكان والإدغام والبذل والتوكيد والحال والحركات، ولو تأثر العرب بالسريان لأخذوا مصطلحاتهم نفسها، ولا داعي للتعمية، وأثبت كذلك أن هناك بعض المصطلحات في السريانية أخذت عن اليونانية ثم عدل السريان عنها بعد اختلاطهم بالعرب وأخذوا عنهم مثلها، فأصبح لديهم ازدواج اصطلاحي فالضمير كان عندهم يحمل مصطلح خليفة الاسم helef sema أو البديل عن الاسم وهو ترجمة حرفية للمصطلح اليوناني Pronominal وعدلوا عنه إلى المصطلح العربي الضمير، لأنه أقرب وأخف، فأصبح عندهم مصطلحان، وبعد ذلك يتهم فريجه العرب بأخذ هذا المصطلح عن السريان!!



أسئلة التقويم الذاتي (2)

اتهم أبو الأسود الدؤلي بأخذ النقط عن السريان كيف يمكن تنفيذ قول القائلين بذلك، تاريخياً وموضوعياً ؟



تدريب (2)

1. ضع تصوراً لنقط الإعراب الذي أملاه أبو الأسود على الكاتب الذي أتى به.
2. ما المقصود بالتعليقات النحوية الشكلية والمعنوية ؟

(1) انظر: عمائره، المستشرقون ونظرياتهم: ص 75-85.

2.3 الدور اليوناني في مرحلة النشأة

إن توجيه الاتهام للعلوم الإسلامية بشكل عام والفلسفة والنحو منهما بشكل خاص أنهما كانتا في نشأتهما ونضجهما عالة على فكر اليونان ومناهجهم هو نوع من التحامل، لأن نشأة العلوم الإسلامية خاصة الشرعية واللغوية منها، قد تحددت معالمها في عصر لم يشهد ذلك الاتصال الوثيق بين هذه العلوم وبين الفكر اليوناني. ومن أجل أن نرد مواطن الاتهام بانتظام ودون خلط وارتباك علينا أن نقسم حديث التأثير اليوناني في النحو العربي إلى مرحلتين، مرحلة النشأة، والمرحلة التالية وسنفرد لكل منهما فصلاً خاصاً.

يغلب الاضطراب على الاتهامات الموجهة إلى النحو العربي في نشأته، فتارة يوجه الاتهام إلى الفترة التي سبقت كتاب سيبويه، أي التأثير ناجم عن الاتصال المزعوم بين الخليل ابن أحمد وحنين بن اسحق، وهو اللقاء الذي افترضه أو تخيله كثير من الدارسين العرب قديماً كابن أبي أصيبعة في "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، والقفطي في "أخبار العلماء بأخبار الحكماء" وصاعد الأندلسي في "طبقات الأمم" ومن المستشرقين "أوليري في مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب"، ومن العرب حديثاً أنيس فريخه في كتابه "في اللغة العربية وبعض مشكلاتها"، وإبراهيم مذكور في بحثه "في اللغة والأدب، وغيرهما. وقد أثبتنا من خلال المعطيات التاريخية، استحالة لقائهما للفارق الزمني بين سنة وفاة الخليل وهي (170 هـ) أو (175 هـ) وبين سنة ولادة حنين بن اسحق وهي مقدرة في حدود 194 هـ وكانت وفاته (264 هـ)؛ أي ولد حنين بعد وفاة الخليل بعشرين سنة، ويمكننا أن نضيف، عشرين سنة أخرى على الأقل قبل قدومه إلى البصرة حيث يقول المؤرخون أنه بعد فشله في دراسة الطب توجه إلى الإسكندرية وتعلم اليونانية هناك، ثم رأى من الضروري أن يتعلم العربية إذا أراد أن يشتغل بالترجمة فحضر إلى البصرة وتلمذ للخليل في العربية، وكل ذلك يتطلب مرحلة من العمر لا تقل عن عشرين عاماً، وبهذا تكون دعوى تأثر الخليل بالفكر باليوناني عن طريق حنين بن اسحق باطلة.

ومع ذلك فإن بعضهم يصر على أن هناك تأثراً متقدماً بالفكر اليوناني عن طريق آخر معتمداً على أن هناك ترجمة عربية لكتب أرسطو المنطقية مثل كتاب إيساغوجي، وقاطيغورياس، وأناطيقا قام بها محمد بن عبد الله بن المقفع وليس ابن المقفع الأديب المتوفى، سنة 142 هـ، وكما يذكر بول كراوس الذي أثبت أن هذه الكتب ليست ترجمة لكتب أرسطو وإنما هي تلخيص لبعض شروحها⁽¹⁾، وهذا يدل على أنها ترجمت "بعد

(1) ظلمون: مذهب المؤرخين العرب في نشأة علم النحو العربي، نقلاً عن كتاب المستشرقين ونظرياتهم : ص 47.

تأليف كتاب سيبويه بعقود⁽¹⁾ ويدل كذلك كما يقول مهدي المخزومي على أن مذهب "الخليل في النحو قد رُسِمَتْ حدوده، وبانت معالمه قبل ظهور هذه الترجمة"⁽²⁾، كل ذلك يدحض ما قاله فيشر من: "أن موقف الخليل في تطور النحو قريب إلى حد ما من النحو اليوناني، في حين أن موقف سيبويه بعيد عنه"⁽³⁾ وفيشر هذا يرى في كتاب سيبويه بداية مرحلة تخلص النحو العربي من التأثيرات اليونانية إذ يقول: "إن سيبويه كان النحوي الذي أبعد ما بقي في النحو العربي من آثار الفكر اليوناني، وأقام بذلك النحو العربي على طريقة علمية مستقلة"⁽⁴⁾ ويقف بهذا على النقيض مما قاله مستشرق آخر وهو بروينلش الذي يعد الخليل ختاماً لمرحلة عربية خالصة وسيبويه يمثل بداية اتصال الدراسات اللغوية عند العرب بالمؤثرات الخارجية⁽⁵⁾، ومثل هذا التناقض يدل على حيرة المستشرقين وينقض آراءهم ويجعل أمر تفنيدها سهلاً ميسراً.

ولم يكتف المستشرقون بما رموا به النحاة أنفسهم من تأثرهم بمناهج النحو اليوناني في أثناء بنائهم قواعد النحو العربي، بل اتجه بعضهم إلى النحو نفسه موضوعاً واصطلاحاً نحو:

(1) إن تقسيم الكلام العربي إلى اسم وفعل وحرف هو تقسيم إغريقي وينسب الدكتور إسماعيل عميره⁽⁶⁾ هذه المقولة إلى عدة دارسين من العرب والمستشرقين والرد عليها يأتي من المستشرق ليمان الذي يشارك جوزيف بلانك رأيه ويدحض هذا الادعاء ويثبت أصالة تقسيم سيبويه في نهاية حديثه يعد أن يمهّد لذلك برأيه الوسطي فيقول: "أبداع العرب علم النحو في الابتداء، وأنه لا توجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه، ولكن لما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق تعلموا أيضاً شيئاً من النحو، وهو النحو الذي كتبه أرسطو طاليس الفيلسوف؛ وبرهان هذا أن تقسيم الكلمة مختلف قال سيبويه: فالكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، وهذا تقسيم أصلي أما الفلسفة فيقسم فيها الكلام إلى اسم وكلمة ورباط، أي الاسم هو الاسم والكلمة هي الفعل والرباط هو الحرف كما يقال في اللغات الأوروبية Conjunction أي ارتباط، وهذه الكلمات اسم وكلمة ورباط،

(1) الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص 62.

(2) المخزومي، عبقري من البصرة: ص 88.

(3) عمارة، المستشرقون ونظرياتهم: ص 65.

(4) السابق ص 66

(5) نفسه ص 65

(6) نفسه: ص 41.

ترجمت من اليوناني إلى السرياني ومن السرياني إلى العربي، فسميت هكذا في كتب الفلسفة لا في كتب النحو، أما كلمات اسم وفعل وحرف فإنها اصطلاحات عربية ما ترجمت لا نقلت⁽¹⁾، ثم إن أقسام الكلام في اليونانية ثمانية وليست ثلاثة.

وأما كارتر فيشيد بتقسيم سيبويه ويبين أنه قد صدر عن وعي منه وليس نقلاً أو اعتباطاً وبين سبب ذلك بقوله إن سيبويه "عند تحليله الكلام، قد قصر اللغة عن وعي وبانتظام على مجموعة من الوظائف...، فلقد وضع مبكراً، باعتباره نحويًا وظائفيًا، أقسام أشكال العربية مع الفصل الأول من كتابه: فهي تنحصر في قسمين اثنين متميزين صرفياً ودلالياً ونعني بهما الأسماء والأفعال، وبالتالي فهو يعرف الأشكال الباقية تعريفاً سلبياً محضاً باعتبارها ليست (صرفياً) أسماء ولا أفعال وليس لها دلالية معنى خاص، فيسميها الحروف، ولا يمكن بالتالي أن تعرف إلا بارتباطها بوظائف نحوية خاصة"⁽²⁾.

(2) ومن الاصطلاحات التي زعم بعض المستشرقين مثل روند غرين وفيرستينغ⁽³⁾ أنها أخذت من اليونانية وما زالت في العربية: الإعراب، والصرف، والقياس، والحركة باعتبارها ترجمة للمصطلحات اليونانية على التوالي:

Hellensmos, Klisis, analogia, Kinesis ويأخذ جرار تروبو على عاتقه تنفيذها، وخلاصة كلامه أن هذه المصطلحات تستعمل في اللغة اليونانية بمفهوم مختلف عنه في اللغة العربية ويخرج في نهاية حديثه بنتيجة مفادها: "أنه من المستحيل أن تكون هذه المصطلحات منقولة عن اليونانية إلى العربية، لأن المفاهيم التي تدل عليها تتباعد في النظامين كل التباعد"⁽⁴⁾.

وهكذا نستطيع أن نقول عن النحو العربي في مرحلة نشأته أنه تحدت أصوله، وقننت قواعده بعد الكشف عن ظواهر اللغة بعيداً عن تأثيرات المنطق اليونانية وفلسفته، ويحسن أن نختم حديثنا بشهادة جيرار تروبو التي يقول فيها: "إن علم النحو أعرب العلوم الإسلامية وأبعدها عن التأثير الأجنبي في طوره الأول"⁽⁵⁾. وهو على حق لأن التاريخ لم يقطع بشيء مما أثاره المستشرقون وغيرهم عن المراحل الأولى لتأسيس النحو العربي.

(1) أحمد أمين، ضحى الإسلام: ص 2/293.

(2) كارتر، حوليات الجامعة التونسية، العدد 22، 1983: ص 234.

(3) انظر: المستشرقون ونظرياتهم: ص 42.

(4) انظر دراسته "نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه" مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد الأول، 1398هـ-1978م: ص 125-138.

(5) السابق: ص 139.



أسئلة التقويم الذاتي (3)

لقد رمي النحو العربي في نشأته بتأثره باصطلاحات النحو اليوناني، كيف تفند ذلك؟



تدريب (3)

1. ماذا تستنتج من وفاة الخليل سنة 175هـ وولادة حنين بن أسحق سنة 264هـ؟
2. لقد وقع الدارسون الغربيون في ارتباك وتناقض في اتهامهم النحو العربي بتأثره بالنحو اليوناني من أين تفهم ذلك؟

3.3 الدور اليوناني بعد القرن الثاني الهجري

يكاد يجمع الدارسون على أن عهد المأمون هو البداية الحقيقية لتسرب الثقافة اليونانية بخصائصها المنطقية إلى العلوم العربية الإسلامية، نظراً لرعاية المأمون لحركتي الترجمة والاعتزال.

فحركة الترجمة نقلت أهم كتب التراث اليوناني إلى الثقافة العربية، خاصة كتب أرسطو التي يسودها الفكر المنطقي والبحث الفلسفي اللذان أمدّا الاتجاه العقلي في الثقافة الإسلامية بقوة جديدة، جعلت منه تياراً فكرياً سائداً يسر للنخاة الاتصال المباشر بالمنطق الأرسطي. وأما حركة الاعتزال فخلقت تياراً مزدهراً من النظر العقلي الذي اقتضاه الجدال والنقاش والخلاف حول أهم القضايا التي أثّرت وهي خلق القرآن التي وقف وراءها المأمون بتبنيه الاعتزال منهياً للدولة.

في مثل هذه البيئة لا بد أن تتسلل الاتجاهات المنطقية وتترك أثرها في الدرس النحوي وأصول النحو وجوانبه، شيئاً فشيئاً ولم يعد بإمكان النخاة تجنب منطق أرسطو باعتباره وسيلة عقلية ضرورية، للمعرفة مثله مثل الاستعمال اللغوي باعتباره دليلاً نقلياً وهكذا أخذ النخاة في تطبيق المنهج المنطقي الإرسطي في بحوثهم النحوية وقد حدد الدارسون الجوانب التي تأثرت بالفكر المنطقي⁽¹⁾، وهي:

(1) التعريفات والحدود.

(1) انظر: أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، ص 82-105، عبده الراجحي النحو العربي والدرس الحديث، ص 69-105، تمام حسان، الأصول، ص 54.

(2) التعليل، الأرسطي بأنواعه المادية (ما الشيء ؟)، الصورية (كيف ؟)، الفاعلية (من فعل ؟)، الغائية (لِمَ ؟) وظهرت للتعليل أضره التي جاءت في "الإيضاح في علل النحو، للزجاجي وهي العلل التعليمية، والعلل القياسية والعلل الجدلية النظرية"⁽¹⁾، مع أنها في أيام الخليل كانت تأتي مع السجية والطبع خالية من التعقيد والتنوع والتقسيم.

(3) القياس المنطقي الشكلي بأركانه: المقيس عليه والمقيس والعلة والحكم.

(4) التقسيمات العقلية للمسائل النحوية.

وقد أصبح تأثر المنهج النحوي بالفكر المنطقي في هذا الطور مسلماً به، فلا حاجة للبرهنة على وجود هذه النزعة كما يقول أحمد أمين "المنطق اليوناني صبح العلوم العربية صبغة جديدة في قلبه ووضعها على مناهجه"⁽²⁾ ولكن النحو لم يتخل عن أصوله وأحكامه التي ظلت، ولم تتسلخ عنه خصائصه، وإنما الذي استجد عليه هو دخول نماذج من التعريفات والتعليلات في بحوثه مع استخدام القياس منهجاً لاستخلاص أحكامه.



أسئلة التقويم الذاتي (4)

ما الجوانب النحوية التي تأثرت بعد النشأة بالمنطق الأرسطي ؟



تدريب (4)

لقد كانت حركتا الترجمة والاعتزال من الأسباب التي يسَّرت تسرُّب الفكر المنطقي اليوناني إلى العلوم العربية، كيف تفسَّر ذلك؟

3.4 الدور الهندي

لم يستطع أحد ممن أثاروا احتمال تأثير هندي أن يثبتوا ذلك بل إنهم سرعان ما تراجعوا عن اتهاماتهم. وأول من نقل عنهم مثل هذا التصرف John Haywood الذي يفترض على استحياء تأثيراً هندياً غير مباشر على الخليل بن أحمد⁽³⁾ ثم يقوم بعرض موجز عن التأليف المعجمي في الهند ينفي في نهايته مثل هذا التأثير حيث يقول: "إن أقدم الأعمال المعجمية، في الهند، كانت من أجل تفسير النصوص الدينية، ولسد حاجة

(1) ص 64-65.

(2) ضمي الإسلام: ص 274، نقلاً عن كتاب الدكتور فتحي الدجني، النزعة المنطقية في النحو العربي.

(3) في كتابه: Arabic Lexicography: ص 6.

الشعراء من الألفاظ النادرة، وهذه الأعمال عبارة عن مجموعات من الألفاظ المترادفة وكانت أكثر فترات النشاط المعجمي لديهم هو القرن الثاني عشر في الوقت الذي سبقهم فيه العرب إلى إنتاج أضخم معاجمهم⁽¹⁾. وبهذه المناسبة بدا له كذلك أو توهم أن هناك تأثيراً صينياً معجماً على العرب باعتبارهم، كما يقول، أنهم قد اهتموا بلغتهم على قدر اهتمام العرب بلغتهم، ويثبت أنه عملهم المعجمي الذي بلغ أوجه سنة 1717 م لم يكن له أي تأثير على العرب على الرغم من العلاقات التي كانت بين الخلافة الإسلامية والصين عن طريق خراسان وأواسط آسيا حتى إنه لإعجابه بالخليل يسمى المعجمي الصيني شون Shu wen " الذي ظهر له معجم في القرن الأول الميلادي بأنه خليل المعجمية الصينية⁽²⁾، ويقرر كذلك أن الفضل الأول، بلا شك يعود إلى العبقري العنيد، الخليل، الذي يتفوق عقله على علمه⁽³⁾ فكأنه ينفي وبشكل قاطع أي تأثير لغيره على المعجمية العربية، وهو بهذا يؤكد الحقولة التي قررها في موضع سابق وهي: "في الحقيقة أن العرب يحتلون في المعجمية وكما هو الحال في حقول أخرى، الموقع المركزي ببعديه الزماني والمكاني بين الأمم القديمة والحديثة، في الشرق والغرب⁽⁴⁾."

وأود كذلك أن أهمل كل حديث عن احتمالات، أو مجرد احتمال، كما يقول أحدهم⁽⁵⁾، تأثير هندي صوتي على الخليل لا يتجاوز الترتيب الصوتي للحروف أو تأثير هندي في بعض جزئيات النحو ثم يقوم بالرد عليها فنتبين أن ما أثر الحديث حوله هو من طبيعة اللغات، بما يعني أنها موضوعات أو اتهامات لا تستحق أن توجه أو تثار، لأنها من قبيل التصورات والافتراضات والاحتمالات التي تساق دون ضوابط علمية لأنها تبنى على مصادفات بين اللغات، فكل لغة في الدنيا، مثلاً، لا تخلو من اسم وفعل وحرف وكذلك تتعدد مخارج الحروف بتعدددها، وقد يصادف أن تترتب، بحسب هذه المخارج في أكثر من لغة، فالسبق الزمني ليس دليلاً على تقليد اللاحق للسابق.



أُسئلة التقويم الذاتي (5)

لقد حاول هيوود أن يثبت تأثر العرب في أعمالهم المعجمية بالهنود أو الصينيين، ولكنه أخفق فكيف توضح ذلك؟

- (1) السابق: ص7.
- (2) السابق نفسه: ص6.
- (3) السابق نفسه: ص9.
- (4) السابق نفسه: ص2.
- (5) الدكتور أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص34-343.



هل يمكن أن يكون السبق الزمني دليلاً على تقليد اللاحق للسابق ؟

4. أظهر الموضوعات التي تناولتها كتب فقه اللغة عند القدماء

4.1 نشأة اللغة

من الأسئلة التي ظلت تحير بني البشر، خاصة العلماء والمفكرين، كيف نشأت اللغة؟ وهل وضعها الإنسان بنفسه؟ أم ألهمها له خالقه؟ ومع أن مثل هذه الأسئلة لم تعد تشغل بال علماء اللسان الحديث؛ لأن الخوض في البحث عن إجابة لها لا يخضع إلى منهج علمي، ولا يوصل إلى نتائج مطمئنة باعتباره قائماً على افتراضات نظرية لا تخرج عن الحدس أو التخمين، وليست عاجزة عن كشف النقاب عن أولية اللغة فحسب، وإنما كانت محل خلاف قديم لم يحسم أمره إلى يومنا، وقد ظهر في كتب فقه اللغة القديمة عند العرب اتجاهان متضادان إزاء نشأة اللغة:

إحدهما: يرى أن اللغة توقيف أو الهام وحي ويمثله ابن فارس في كتابه الصحابي في فقه اللغة العربية ويعني التوقيف، أن الله الخالق أوحى إلى الإنسان الأول وأوقفه على أسماء الأشياء كلها - بكل اللغات- مباشرة أو بواسطة، بعد أن علمه النطق⁽¹⁾.

وفي باب القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح يقرر ابن فارس أن لغة العرب⁽²⁾ توقيف ويقدم أدلته بعد ذلك بقوله: ودليل ذلك قوله جل ثناؤه (وعلم آدم الأسماء كلها)⁽³⁾ وهو الدليل الذي احتج به أبو علي الفارسي كما يورد ابن جني في الخصائص بقوله⁽⁴⁾: إلا أن أبا علي رحمه الله قال لي يوماً، هي من عند الله واحتج بقوله سبحانه (وعلم آدم الأسماء كلها). وهذا دليل نقلي ويذكر السيوطي دليلاً قرآنياً آخر وهو قوله تعالى: (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)⁽⁵⁾ وعلق بقوله "والألسنة اللحمانية

(1) توفيق شاهين، علم اللغة العام، ص 50.

(2) الصحابي : ص 36 .

(3) سورة البقرة - 31.

(4) جزء 1 / ص 40 .

(5) سورة الروم - 22.

غير مراده لعدم اختلافها، ولأن بدائع الصنع في غيرها أكثر، فالمراد هي اللغات⁽¹⁾ وليس
 اللسنة العضوية. ثم يسوق ابن فارس دليلاً عقلياً ثانياً هو قوله: "والدليل على صحة ما
 نذهب إليه إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه، ثم
 احتجاجهم بأشعارهم، ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحاً لم يكن أولئك في الاحتجاج
 بهم بأولى منا في الاحتجاج لو اصطللنا على لغة اليوم ولا فرق⁽²⁾، أي إنه يجعل من
 الاحتجاج اللغوي المقيّد بزمان ومكان محددين دليلاً على أن اللغة توقيف، بمعنى أن ما
 وقفهم الله عليه هو المحتج به، ولا يستطيعون أن يتجاوزوه ويصطلحوا من عندهم على
 ما يحتجون به. ويسوق دليلاً ثالثاً يتصل بسبب من سابقه ويستمد من التاريخ بقوله
 وخلة أخرى أنه لم يبلغنا أن قوماً من العرب في زمان يقارب زمانه (أي زمان أبي الأسود
 الذي ورد ذكره قبلها وفي طبعة الشويمي زماننا أي زمان ابن فارس) أجمعوا على تسمية
 شيء من الأشياء مصطلحين، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم، وقد كان في
 الصحابة، وهم البلغاء والفصحاء، النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به، وما علمناهم
 اصطلاحوا على اختراع لغة أو أحداث لفظة لم تتقدمهم⁽³⁾، والحقيقة أن في كلامه الآنف
 الذكر نظراً؛ ففي نفيه اصطلاحهم على أحداث ألفاظ، تعميم لا يمكن الأخذ به إلا بعد عملية
 استقراء شاملة لجميع العلوم التي ظهرت، خاصة العلوم الشرعية والعربية، وهل يمكن
 أن تنشأ هذه العلوم دون أن يكون لكل علم مصطلحاته التي استجدت؟ وهذا يدل على
 تهافت هذا الدليل، والسابق عليه أيضاً لأن الاحتجاج اللغوي لم يقف عند عصر الرسول
 عليه السلام بل تعداه إلى 150 هـ في الحضر و (350 هـ) في البادية. وهناك دليل
 رابع عقلي فلسفي يذكره السيوطي يقول فيه "لو كانت اللغات اصطلاحية لاحتيج في
 التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابة ويعود إليه الكلام ويلزم إما الدور أو
 التسلسل في الأوضاع وهو محال، فلا بد من الانتهاء إلى التوقيف⁽⁴⁾ يقصد لو كانت
 توأصفاً أو اصطلاحاً لاحتاج الواضعون إلى لغة سابقة يتفاهمون بها، ولو وجدت لكانت
 توقيفية، وهو أمر معقول.

ولكن ما المقصود بالأسماء؟ وهل كان وحي اللغة من عند الله دفعة واحدة؟ وما
 اللغة التي علمها الله لأدم عليه السلام؟ ويجيب عن هذه الأسئلة ابن فارس الذي يبين في

(1) المزهر 1/18.

(2) الصحابي: ص 37.

(3) السابق: ص 38.

(4) المزهر السابق نفسه.

إجابته، من السؤال الأول المقصود من السماء في الآية الكريمة بقوله: (كان ابن عباس يقول علمه الأسماء كلها هذه التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشياء ذلك من الأمم وغيرها، وروى خفيف عن مجاهد قال: علمه اسم كل شيء، وقال غيرهما: إنما علمه أسماء الملائكة، وقال آخرون: علمه أسماء ذريته أجمعين. والذي نذهب إليه في ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس⁽¹⁾ ولما وجد ابن فارس أن قوله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها" قد تلاها مباشرة وفي الآية نفسها {ثم عرضهم على الملائكة} أدرك أن هناك تناقضاً ظاهرياً بين شرح أو تفسير ابن عباس الذي يشمل العاقل وغيره وبين قوله تعالى {عرضهم} حيث الضمير، هم يوجه في العربية لفئة واحدة مما ذكره ابن عباس، فوجه الآية على أنه من باب التغليب بقوله: "فلما قال {عرضهم} علم أن ذلك لأعيان بني آدم أو الملائكة..... قيل له: إنما قال ذلك، والله أعلم، لأنه جمع ما يعقل وما لا يعقل، فقلب ما يعقل، وهي سنة من سنن العرب، أعني باب التغليب"⁽²⁾.

ولابن جني تفسير لاختيار صيغة الأسماء دون غيرها من أنواع الكلام بقوله: "فإن قيل فاللغة فيها أسماء وأفعال وحروف، وليس يجوز أن يكون المُعَلَّم من ذلك الأسماء من دون غيرها، مما ليس بأسماء فكيف خص الأسماء وحدها؟ قيل: اعتمد ذلك من حيث كانت الأسماء أقوى القُبل الثلاثة، ولا بد لكل كلام مفيد من الاسم، وقد تستغني الجملة المستقلة عن كل واحد من الحروف والفعل، فلما كانت الأسماء من القوة والأولية في النفس والرتبة، على ما لا يخفاء به جاز أن يكتفي بها مما هو تال لها...⁽³⁾ وهذا تفسير يعتمد على اصطلاح النحاة في تقسيمهم لأنواع الكلام. وعند السيوطي تفسير أشمل وكأنه يرد على ابن جني بقوله: "فالأسماء كلها مُعَلَّمة من عند الله بالنص، وكذا الأفعال والحروف، لعدم القائل بالفصل، ولأن الأفعال والحروف أيضاً أسماء، لأن الاسم ما كان علامة، والتمييز من تصرف النحاة لا من اللغة، ولأن التكلم بالأسماء وحدها متعذر"⁽⁴⁾، وفي وقتنا الحاضر يفسر الدكتور إبراهيم أنيس الأسماء بالأعلام حيث يقول: "نرجح أن معظم الكلمات قد أخذت مدلولاتها بطريق المصادفة، أي إنها كانت أصواتاً مبهمه لا هدف منها سوى اللعب والمتعة، ثم تصادف أن نطق بها في أثناء حدث من الأحداث فارتبطت به ارتباطاً العَلَمِيَّة، وتدرج العَلَم من معناه الخاص إلى معنى عام، فإذا فسرت الأسماء في قوله تعالى {وعلم آدم الأسماء كلها} بمعنى الأعلام سائر هذا التفسير أحدث ما ينادى به اللغويون في عصرنا الحاضر"⁽⁵⁾. وعلى تساؤل إن كان وحي اللغة من عند الله دفعة واحدة

(1) الصاحبي: ص 36.

(2) نفسه.

(3) الخصائص: 1/ 41-42.

(4) المزمهر: 1/ 17.

(5) دلالة الألفاظ: ص 37.

يجيب ابن فارس " ولعل ظاناً يظن أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد، وليس الأمر كذلك، بل وقّف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمان، وانتشر من ذلك ما شاء الله، ثم علم بعد آدم عليه السلام عرب الأنبياء صلوات الله عليهم نبياً ما شاء أن يعلمه، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم... " ثم قرّ الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت⁽¹⁾، وهكذا يبسط ابن فارس مسألة تعلم اللغة فيجعلها على شاكلة تلقي الرسائل الدينية السماوية، وإن لم يبين كيفية تعلم الأنبياء للغات، ولكن الأمر لا يخرج عن الوحي أو الإلهام وبالتدريج كما هو الحال في الدعوات الدينية، واللغة الموحى بها أو الملهمة هي اللغة العربية؛ لأن الأمر انتهى إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد تلقاها عليه السلام واكتملت في عهده كما تلقى رسالة الإسلام.

ونجد عند ابن جني تفسيراً آخر لا يكون فيه الأنبياء هم الوساطة، ولا يقتصر التعليم على لغة واحدة بقوله: " قيل إن الله سبحانه علّم آدم أسماء جميع المخلوقات، بجميع اللغات: العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية، وغير ذلك من سائر اللغات، فكان آدم وولده يتكلمون بها، ثم إن ولده تفرقوا في الدنيا، وعلّق كل منهم بلغة من تلك اللغات، فغلّبت عليه، واضمحل عنه ما سواها، ليعدهم بها"⁽²⁾.

وله نص آخر يبين فيه أن السبب وراء التدريج في الوضع يكمن في الحاجة، بمعنى أن التقدم البشري يلازمه أو يرافقه وجود معان جديدة تستوجب وضع ألفاظ تناسبها أو تدل عليها وذلك في باب عنوانه: (باب في هذه اللغة: أفي وقت واحد وضعت أم تلاحق تابع منها بفارط ؟ ويقول في هذه الباب:) (قد تقدم في أول الكتاب القول على اللغة أتواضع هي أم الهام، وحكيها وجوزنا فيها الأمرين جميعاً، وكيف تفرقت الحال وعلي أي الأمرين كان ابتدأها فإنها لا بد أن يكون وقع في أول الأمر بعضها ثم احتيج فيما بعد إلى الزيادة عليه، لحضور الداعي عليه فزيد فيه شيئاً فضيئاً)⁽³⁾.

وإذا كان ابن جني يرى أن آدم قد تعلم جميع اللغات وقد ذكر بعضها كالعربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية، فإن ابن فارس لم يذكر لها سوى اللسانين العربي والسرياني، وعبر عن اللغة بالكتاب وأن آدم قد ترك كتاباً لكل لغة حيث يقول: " يروى أن أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها، (آدم) عليه الصلاة والسلام، قبل موته بثلاثمائة سنة، وكتبها في طين وطبخه فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه، فأصاب إسماعيل عليه السلام الكتاب العربي، وكان ابن عباس

(1) الصاحبي: ص 37.

(2) الخصائص: 41/1.

(3) السابق: 28/2.

يقول: أول من وضع الكتاب العربي (إسماعيل) عليه الصلاة والسلام وضعه على لفظه ومنطقه⁽¹⁾، وهو تصور ساذج لا عمق فيه للمسألة.

أما الاتجاه الثاني فكان القول بأن اللغة مواضعه واصطلاح أي وضعها الإنسان بالاتفاق، ويتخيل ابن جني الكيفية التي يتم بها هذا الأمر إذ يقول:

"إنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة، قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظاً، إذا ذكر عرف به ما سماه..... فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معنيهاً، وهلم جراً فيما سوى هذا من الأسماء والأفعال والحروف.... وعلى هذا ما نشاهده الآن من اختراعات الصنائع آلات صنائعهم من الأسماء: كالنجار، والصائغ والحائك، والبناء، وكذلك الملاح، قالوا ولكن لا بد لأولها من أن يكون متواضعاً بالمشاهدة والإيماء⁽²⁾ ولكنه لا يقول لنا ما اللغة التي يتم التفاهم بها، بين المجتمعين ومن أين تأتون بالألفاظ التي يسطلحون عليها أسماء للأشياء؟

ويحتاج أصحاب هذه النظرية على أن المواضعة تمت بين البشر بأمرين هما:

أحدهما استبعاد المواضعة من الله جل جلاله "والقديم سبحانه لا يجوز أن يوصف بأن يوضع أحداً من عبادته على شيء، إذ قد ثبت أن المواضعة لا بد معها من إيماء وإشارة بالجارية نحو الموماً إليه، والمشار نحوه، والقديم سبحانه لا جارية له، فيصح الإيماء والإشارة بها منه⁽³⁾، فبطل عندهم أن تصح المواضعة على اللغة منه"، وهذا دليل عقلي. والآخر: دليل نقلي وهو أنهم يستدلون من قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)⁽⁴⁾ أن اللغة سبقت الرسالة ولو كانت اللغة توقيفية لجاءت بعثة الأنبياء قبل اللغة، وقد حاول السيوطي رد هذا الدليل بقوله: "لا نسلم توقف التوقيف على البعثة، لجواز أن يخلق فيهم العلم الضروري بأن الألفاظ وضعت لكنا وكذا⁽⁵⁾ أي قد يلهم الله الأنبياء الأسماء بعد بعثتهم.

ويمكن أصحاب مذهب الاصطلاح كذلك أن يحتجوا بقوله تعالى: {وعلم آدم الأسماء كلها} بأن الله تعالى قد ألهمهم، وجعل فيهم القدرة على النطق بالألفاظ، وعلى حد قول

(1) الصاحبي: ص38.

(2) الخصائص: 1/44-45.

(3) السابق نفسه.

(4) إبراهيم 4 - .

(5) المزهر: 1/19.

ابن جنّي⁽¹⁾ (ذلك أنه لا يجوز أن يكون تأويله أقدر: آدم على أن واضع عليها). وبقوله تعالى كذلك (إن هي إلا أسماء سميتوها)⁽²⁾ التي احتج بها أصحاب مذهب التوقيف بأن في الآية إشارة ضمنية إلى أن هناك أسماء توقيفية، ويعني هذا من ناحية أخرى أن هناك أسماء من وضع الناس واصطلاحهم أيضاً.

ولم يصل علماؤنا إلى رأي يحسم هذه المشكلة بالاتفاق نظراً لتردد بعضهم بين التوقيف والاصطلاح كابن جنّي وأستاذه أبي علي الفارسي وأبي الحسن الأخفش مما أثبتّه ابن جنّي في الخصائص بقوله "غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، إلا أن أبا علي -رحمه الله- قال لي يوماً: هي من عند الله⁽³⁾، ثم يقول بعد ذلك عند تعليقه على الاحتجاج على التوقيف بقوله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها).... وقد كان أبو علي رحمه الله أيضاً قال به في بعض كلامه وهذا رأي أبي الحسن (يقصد الأخفش) على أنه لم يمنع قول من قال: إنها تواضع منه⁽⁴⁾ والضمير في قوله "أنه" يعود إلى الأخفش كما أفاد محقق الكتاب ويردّف ذلك بقوله في الهامش "قد صرح (أي ابن جنّي) بهذا في ج. في إحدى مخطوطات الكتاب (ففيها بعد ذكر القولين: "وكلا الأمرين أجازّه أبو الحسن وأبو علي⁽⁵⁾ ويصرّح في موضع آخر بأنه قد ثبت في روعه بأن اللغة وحي وإلهام ويذكر السبب من وراء ذلك بقوله: "وذلك أنني تأملت حال هذه اللغة البشرية، الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاص والرقّة، ما يملك علي جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر... وانضاف إلى ذلك وازد الأخبار المأثورة بأنّها من عند الله جلّ جلاله، فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه، وأنها وحي"⁽⁶⁾.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى وجود آية قرآنية يفهم منها التوفيق وقد تكون دليلاً على الاصطلاح وأخرى تفيد الاصطلاح ويفهم منها التوقف أيضاً كقوله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها)، وقوله أيضاً (إن هي إلا أسماء سميتوها).

على أن هناك ما نستطيع أن نعهده وجهة نظر ثالثة في نشأة اللغات عند العرب وهي التي تدعى نظرية المحاكاة أي إن اللغة عند الإنسان نشأت تقليداً لأصوات الطبيعة من

(1) الخصائص 1/40/41.

(2) النجم - 23

(3) السابق: 1/41.

(4) السابق: 1/41.

(5) انظر السابق نفسه، هامش رقم (1).

(6) السابق: 1/47.

ريح أو ماء أو شجر أو أصوات الحيوان كالخيل وغيرها وهي النظرية التي تدل فيها الألفاظ من خلال أصواتها على معانيها أي إن هناك مناسبة طبيعية بين الألفاظ ومعانيها، أو علاقة بين الصوت والمدلول كالرنين والحفيف والخريف والأزيز وقد عبر عنها ابن جني بقوله: " وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخريف الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقيل⁽¹⁾ وهو بهذا يضيف رأياً ثالثاً وليس بديلاً للرأيين الذين جوزهما وهما التوقيف والاصطلاح وقد أفرد له ابن جني أيضاً باباً خاصاً سماه " باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني⁽²⁾ يبدو فيه متبعاً للخليل وسيبويه ومما أورده فيه " قال الخليل: كأنهم توهموها في صوت الجندب استطالة ومدماً فقالوا: صرّ، وتوهموها في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر. وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفَعْلان: إنها للاضطراب والحركة، نحو الغليان والغثيان، فقالوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال، ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حدّاه، ومنهاج ما مثّلاه، وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة والقلقلة والصلصلة والقعقعة والجرجرة، ووجدت أيضاً (الفعلى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة نحو الجَمَزَى⁽³⁾... ومن ذلك، وهو أصنع منه، أنهم جعلوا استفعل في أكثر الأمر للطلب نحو استسقى... فرُئِبَت في هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال.... ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل فقالوا: كَسَّرَ، وقَطَعَ.... فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل.... فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب واسع... وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها.... من ذلك قولهم: خضم لأكل الرطب كالبطيخ.... وقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها....⁽⁴⁾ وقد تبني هذه النظرية في العصر الحديث أوتويسبرسن⁽⁵⁾ وقد سماها نظرية Bow - wow ويرجح فيها أن تكون نشأة الألفاظ تقليداً للأصوات الطبيعية التي سمعها الإنسان وسمى الحيوان أو عبر عن الحيوان باسم الصوت الذي يصدر عنه وكان صوته أصبح علماً عليه فالكلب

(1) السابق: 1/ 46-47.

(2) السابق: 2/ 152.

(3) وهو حمار الوحش.

(4) الخصائص: 2/ 152-157.

(5) & Allen, 422-Language, Its nature, Development, and origin: PP: 412 (5)

.Unwin, London, 1922

يصبح نبأً حاصلاً مثلاً. وقد يحدث لهذه الألفاظ تطوير فتطلق على معان جديدة وقد ضرب الدكتور إبراهيم أنيس عدة أمثلة من هذا القبيل كالنباح والفحيح والثغاء وهي على التوالي للكلب والأفعى، والغنم، ولكن معاجم اللغة تضيف إليه معاني اعتبرها معاني اعتبرها تطويراً لمعاني الألفاظ⁽¹⁾ ويمكننا أن نجدها في لسان العرب كالتالي: "الثغاء صياح الغنم" ومن معانيها التي استجدت "أنتيه فما أغنى ولا أرغى أي ما أعطاني شاة تنغو ولا بيعراً يرغو وما بالدار باع ولا راغ أي أحد،.... والثغية: الجوع وإقفار الحي⁽²⁾ وأما الفحيح فهو صوت الأفعى، ومن المعاني التي استجدت "فح الرجل في نومه وفحّج: أي نفخ والفحفاح: الأبخ من الرجال، ورجل فحفاح: متكلم أو كثير الكلام، وفحّج إذا صحح المودة وأخلصها"⁽³⁾.

"والنبّاح، والنبح صوت الكلب... والنبّاح الظبي الكثير الصياح، وكذلك الهدهد الكثير القرقرة.... والمنبوح: المشتوم، ونبحتني كلابك أي لحقتني شتائمك ورجل نبّاح: شديد الصوت.... والنبوح، ضجة الحي أو أصواتهم أو الجماعة الكثيرة من الناس وقال الجوهري: ثم وضع موضع الكثرة والعز.... والنبّاح: صدف بيض صفار، أو مناقب يجاء بها من مكة تجعل في القلائد، ويدفع بها العين"⁽⁴⁾.

وهكذا تطورت معاني هذه الألفاظ فبعد أن كانت أصواتاً تصدر عن حيوانات صارت أعلاماً على هذه الحيوانات، ثم اكتسبت معاني جديدة، أو تطورت دلالتها عن طريق التشبيه أو المجاز كما رأينا في النصوص آنفة الذكر. واعتقد أن بين هذا التطوير وبين اللغة في نشأتها الأولى مسافة وفراغاً يتعذر على العلماء سده بأن يتخيّلوا ويثبتوا الكيفية التي نشأت بها اللغة أو التي نطق بها الإنسان كلماته الأولى تعبيراً عن الأشياء والمفاهيم وأن ما جاء في المعاجم، مما ذكرناه، يصلح برهاناً على تطوير معاني الألفاظ تخصيصاً أو تعميماً أو نقلاً من معنى إلى آخر وقد يلقي الضوء على أسبابه الاجتماعية أو البلاغية من مجاز أو تشبيه ولا يصلح دليلاً على نشأة اللغة الأولى للبشر.

ويرى الدكتور علي عبد الواحد وافي أن هذه النظرية هي الأقرب إلى الصواب في نشأة اللغات لأنها في رأيه الأسلوب الذي سلكه الإنسان بإطلاقه الأسماء على الأشياء عن طريق الصوت الذي يصدر عنها وكذلك لم يقدّم دليل على خطئها من ناحية أخرى، حيث يقول متنبهاً ومفسراً ومدلاً على صحتها: "وهذه النظرية هي أدنى نظريات هذا البحث إلى

(1) أنيس، دلالة الألفاظ، ص 21.

(2) مادة «ثغاء».

(3) مادة «فح».

(4) مادة «نبح».

الصحة وأقربها إلى المعقول، وأكثرها اتفاقاً مع طبيعة الأمور وسنن النشوء والارتقاء الخاضعة لها الكائنات وظواهر الطبيعة الاجتماعية، وهي إلى هذا وذاك تفسر المشكلة التي نحن يصدها، وهي الأسلوب الذي سار عليه الإنسان في مبدأ الأمر في وضع أصوات معينة لمسميات خاصة والعوامل التي وجهته إلى هذا الأسلوب دون غيره، ولم يقدّر أي دليل يقيني على خطئها، ولكن لم يقدّر كذلك أي دليل يقيني على صحتها، وكل ما يذكر لتأييدها لا يقطع بصحتها، وإنما يقرب تصورها ويرجح الأخذ بها⁽¹⁾.

بعد أن سجل قناعته في هذه النظرية أخذ يسوق أدلته وبراهينه على صدقها بقوله: " ومن أهم أدلتها أن المراحل التي تقررهما بصدد اللغة الإنسانية تتفق في كثير من وجوها مع مراحل الارتقاء اللغوي عند الطفل، فقد ثبت أن الطفل في المرحلة السابقة لمرحلة الكلام يلجأ في تعبيره الإرادي إلى محاكاة الأصوات الطبيعية (أصوات التعبير الطبيعي عن الانفعالات، أصوات الحيوان، أصوات مظاهر الطبيعة والأشياء...) فيحاكي الصوت قاصداً التعبير عن مصدره أو عن أمر يتصل به، وثبت كذلك أنه في هذه المرحلة وفي مبدأ مرحلة الكلام يعتمد اعتماداً جوهرياً في توضيح تعبيره الصوتي على الإشارات اليدوية والجسمية، ومن المقرر أن المراحل التي يجتازها الطفل في مظهر من مظاهر تمثل المراحل التي اجتازها النوع الإنساني في هذا المظهر⁽²⁾ وفي هذا الدليل نظر فإذا قلّد الطفل صوت القط أو صوت السيارة أو نباح الكلب فإنه لا يقصد التعبير عن مصدره في الغالب وإنما قد يقصد التسلية أو اللعب أو التخويف، وكذلك لا ينتقل إلى تسمية الحيوان بصوته كذلك تلازم الصوت مع الإشارة اليدوية أو الجسمية قد يدل على معنى ما وليست الإشارة سوى عامل مساعد يقوم أحياناً مقام اللغة. وكل ذلك لا يعطينا الدليل على نشأة لغة ما وبداية الكلام بها، كذلك الأطفال غالباً ما يكونون مقلدين لما يسمعون أو يحكى أمامهم من الكبار، ولا يرتجلون الكلمات حتى الناقص منها، أما التشابه بين الطفولة باعتبارها مرحلة عمرية وبين الفترة أو الحقبة المبكرة التي اجتازتها البشرية فهو مجرد نظرية لا تصل إلى مرتبة الحقيقة فلم يثبت أن طفلاً وحده طور أصواته إلى ألفاظ، في بيئة منعزلة عن البشر حتى نقيس نشأة اللغات البشرية أو نفس هذه النشأة على ما حدث مع هذا الطفل، ثم يسوق دليلاً آخر يشبه فيه خصائص اللغة الإنسانية الأولى بما يحدث في لغة البدائيين من البشر حيث (تكثر في هذه اللغات المفردات التي تشبه أصواتها) أصوات ما تدل عليه، ولتقص هذه اللغات وسذاجتها وإبهامها وعدم كفايتها للتعبير لا يجد المتكلمون بها مناصاً من الاستعانة بالإشارات اليدوية والجسمية في أثناء حديثهم

(1) وافي: علم اللغة؛ ص 105.

(2) السابق؛ ص 105-106.

لتكملة ما يفتقر إليه من عناصر وما يعوزه من دلالة، ومن المقرر أن هذه الأمم، لبعدها عن تيارات الحضارة وبقائها بمعزل عن أسباب النهضة الاجتماعية تمثل إلى حد كبير النظم الإنسانية في عهودها الأولى⁽¹⁾ ومع ذلك يبقى الأمر افتراضاً يمكن نقضه بأن هناك قبائل بدائية لغتها بسيطة وأخرى لغتها معقدة، والاستعانة بالإشارات في الحديث يكون لأداء معنى أو تأكيد آخر أو نفيه قد يبرهن على أن الإنسان الأول استخدم مثل هذه الطريقة للتفاهم، ولكنه لا يعطي دليلاً على نشأة اللغة وارتجال الألفاظ والاصطلاح على معانيها، وهو البديل الأرقى.

ولا بأس أن ننهي الحديث بأن نذكر بعض النظريات الحديثة في نشأة اللغة بإيجاز عما أورده الدكتور إبراهيم أنيس⁽²⁾ مثل نظرية Pooh - Pooh التي يرى أصحابها أن اللغة الإنسانية بدأت في صورة شَهَقَات وتَأَوُّهَات غريزية لتعبر عن انفعالات كالفرح أو الغضب. ثم نظرية Ding - Dong التي تذهب إلى أن هناك صلة وثيقة بين ما ينطق به الإنسان من أصوات وبين ما يدور في خلدته من أفكار.

ونظرية أخرى تدعى Yo he ho وخلاصتها أن النطق الإنساني قد بدأ جماعياً، أثناء قيام مجموعة من الناس بعمل شاق فإنهم كانوا يجدون راحتهم في إصدار أصوات موحدة كالتهنيد مثلاً، وهذا يشبه إلى حد ما الأصوات التي تصدر عن العمال أو الصيادين حين أداء وظائف أو أعمال جماعية مشتركة فيما بينهم.



أسئلة التقويم الذاتي (6)

ما النظريات الثلاث في نشأة اللغة التي ظهرت في كتب فقه اللغة العربية القديمة؟



تدريب (6)

1. ما المقصود بقولنا اللغة توقيف، أو اصطلاح؟
2. لقد استشهد أصحاب التوقيف والاصطلاح بالآية الكريمة "وعلم آدم الأسماء كلها" فكيف توجه ذلك؟

(1) السابق: نفسه.

(2) انظر: دلالة الألفاظ: ص 23-26، وانظر كذلك: أنيس فريحة: نظريات في اللغة: ص 17-21، والدكتور توفيق محمد شاهين، علم اللغة العام: ص 55-57، والدكتور كاسد ياسر الزبيدي: فقه اللغة العربية ص 47-52.

2.4 الإعراب

الإعراب لغة هو الإبانة والإيضاح، وأعرب عنه لسانه، أبان وأفصح ويقال للرجل إذا أفصح بالكلام: أعرب، وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام، أنه قال: "التيب تُعَرَّبُ عن نفسها، أي تفصح"⁽¹⁾.

واستفاد النحاة من هذا المعنى اللغوي للفظ الإعراب، فاتخذوه اصطلاحاً وأطلقوه على الحركات التي تظهر على آخر الكلمات وذلك لأنهم "لما رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركات تدل على المعاني وتبين عنها سموها إعراباً أي بياناً"⁽²⁾ لذلك نجد ابن جني يعرف الإعراب بأنه "الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت، أكرم سعيد أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه"⁽³⁾ وفي السياق نفسه، يقرر ابن فارس بأن الإعراب "هو الفارق بين المعاني، ألا ترى أن القائل إذا قال: ما أحسن زيد لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذم إلا بالإعراب، وكذلك إذا قال: ضرب أخوك أخانا ووجهك وجهٌ حرٌّ، ووجهك وجهٌ حرٌّ، وما أشبه ذلك من الكلام المشتبه"⁽⁴⁾ والإعراب فيه ناحية أخرى، في تقديري، هي التي جعلت الزجاجة يسمى النحو إعراباً والإعراب نحواً⁽⁵⁾، وهذه الناحية هي عدم اللحن في اللسان: "أعرب كلامه إذا لم يلحن في الإعراب"⁽⁶⁾ وهذا يعني أن كل حركة تلحق بأواخر الأسماء أو الأفعال سواء أكانت معربة أم مبنية تعتبر إعراباً؛ فالقارئ أو المتحدث إذا أراد أن يعرب فعلية أن يعطي آخر كل كلمة حقها من الحركة، بغض النظر عن قيمتها الدلالية، بمعنى أن مراعاة حركة البناء أيضاً تعتبر من الإعراب، وأن عدم مراعاتها يعتبر لحناً، فالاسم سيبويه -مثلاً- مبني على الكسر فلو نطق ساكناً أو مضموماً أو مفتوحاً فإن هذا النطق يعتبر لحناً.

ويمكننا أن نستنتج من قول ابن هشام "والأصل في الإعراب أن يكون للفرق بين المعاني"⁽⁷⁾ أن هناك دلالة أخرى، غير الأصل، لمصطلح الإعراب وهي التغيير اللفظي الظاهر الذي يلحق بأواخر الكلمات عند تركيبها في جمل أو عبارات؛ وعليه فالحركة

(1) اللسان مادة عرب.

(2) الإيضاح في علل النحو؛ ص 91.

(3) الخصائص: 35/1.

(4) للصاحبي: 65-66.

(5) الإيضاح: ص 91.

(6) السابق نفسه.

(7) شذور الذهب: ص 158.

الإعرابية أو الإعراب وسيلة نحوية تؤدي غرضين في العربية:

(1) الغرض المعنوي: وهو دلالة الحركات على المعاني النحوية أو الوظائف التركيبية والعلاقات النحوية بين ألفاظ التركيب كالفاعلية والمفعولية والاضافة وغيرها فكأن الحركة علامة مادية تشير إليها.

(2) الغرض الشكلي: الذي يتحقق بمراعاة الحركة الواجبة على أواخر الكلمات سواء أكانت معربة أم مبنية، وهو التغيير اللفظي الذي يلحق الكلمات، وهذا يتناسب مع ما جاء في كتاب سيبويه على لسان الخليل بن أحمد من " أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به " ⁽¹⁾ فهذه الحركات تيسر للفظ أن يتكيف مع ما يجاوره صوتياً بحيث يتيح للناطق أن ينتقل من لفظ إلى آخر دون توقف وبسهولة ومرونة....

وفي الوقت الذي نصرّ فيه على أن يكون للحركات مثل هذا الدور في أواخر الكلمات المبنية والمعربة، لا نستطيع أن ننساق مع قطرب (ت 206 هـ) في اقتصار حركات الإعراب على هذا الدور وإنكاره أن يكون لها دور آخر هو الدلالة على المعاني النحوية وبيان العلاقات فيما بين الألفاظ في العبارة اللغوية بقوله: " لم يعرب الكلام للدلالة على المعاني والفرق بين بعضها وبعض... فلو كان الإعراب إنما دخل الكلام للفرق بين المعاني، لوجب أن يكون لكل معنى إعراب يدل عليه ولا يزول إلا بزواله " ⁽²⁾ وهكذا ينبغي أن يكون للأعراب دلالة وظيفية ويجعل حركات الإعراب مقتصرة على دور واحد هو وصل الكلام عند الإدراج ويسوق حجة: " إنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج فلما وصلوا وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقباً للإسكان ليعتدل الكلام... " ⁽³⁾ وهكذا، في رأيه، كان للتحريك دور واحد هو أن يكون بديلاً، للتسكين، لأن التحريك يساعد المتكلم على وصل الكلام بعضه ببعض، بحيث يتمكن من إدراج الكلمة بسرعة، حيث السكون على آخر كل كلمة يجعل الحدث بطيئاً متقطعاً مما يفقده حسن وقعه في السمع.

ويتلقف الدكتور إبراهيم أنيس هذه النظرية ويحاول بكل ما أوتي من قوة فكرية أن يجعل منها حقيقة علمية فلم يكتف بنفي أن يكون للإعراب دلالة على المعاني بقوله: "

(1) الكتاب : 242 / 241 / 4.

(2) الإيضاح في علل النحو : ص 69.

(3) السابق نفسه.

لم تكن تلك الحركات الإعرابية تحدد المعاني في أذهان العرب القدماء كما يزعم النحاة، بل لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض "نحصر الحركة الإعرابية في دور صوتي هو تسهيل نطق الكلمات عند الإدراج مستنداً إلى ما نقله سيبويه عن الخليل بقوله " وقد قرر بعض المتقدمين من ثقات العلماء أن وظيفة الحركة الإعرابية لا تعدو أن تكون لوصل الكلمات بعضها ببعض في الكلام المتصل لذلك جاز سقوطها في الوقف وجاز سقوطها في بعض المواضع من الشعر، وإن اعتبروا هذا من الضرورات الشعرية، فيقول سيبويه (وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به)⁽¹⁾.

ولم يقف عند هذا الحد، كما قلنا، بل إنه حاول هدم فكرة الإعراب من أساسها بنفي أصالتها عند العرب وأنها لم تكن في متناولهم أو من معالم حديثهم السليقية وإنها من صنع النحاة حيث يقول: "إن ظاهرة الإعراب لم تكن ظاهرة سليقية في متناول العرب جميعاً كما يقول النحاة، بل كانت صفة من صفات اللغة النموذجية الأدبية، ولم تكن من معالم الكلام العربي في أحاديث الناس ولهجات خطابهم وإنما أن ننكر تلك الروايات (يقصد روايات الكلام الملحون) في جملتها، وأن نقول إنها من صنع بعض النحاة بعد أن أسسوا قواعدهم وأصولهم رغبة منهم في أن يظهروا كل من عداهم بمظهر العجز، وأن ينفردوا هم بمعرفة تلك المقاييس الإعرابية... وحين استقرت لهم قواعدهم الإعرابية فرضوها على الفصحاء من العرب، وفرضوها على الفحول من الشعراء، ثم فرضوها في آخر الأمر على أصحاب القراءات، فمن أين أتى لهم كل هذا السلطان؟ لا ندري..."⁽²⁾.

وفي محاولة يسودها التشويش والاضطراب يتجه إلى ما حدث في اللغات السامية أو في اللغات الهندية الأوروبية وما أصابها من تطور فقدت معه كثيراً من ظواهرها فيزعم: "لما وجدوا (في العبرية) أن هذه النهايات (الإعرابية) التي تصادف وجودها في عدد قليل من الكلمات لا تنطبق على ما نعهده في النحو العربي من الربط بين الفتح والمفعولية، وبين الكسر والإضافة وبين الضم والفاعلية، زعموا أن تلك النهايات قد فقدت دلالتها (في العبرية)⁽³⁾، ويقول كذلك " لا أكاد أتصور أن العربية تحتفظ بمثل هذا النظام الإعرابي الدقيق...ثم يندثر كل هذا في اللغات السامية الأخرى⁽⁴⁾.

وخلاصة هذه التصورات وأدلتها التي يصوغها أحياناً في صورة أسئلة يمكن إيجازها بما يلي مع الرد عليها في ادعائه عدم أصالة الإعراب، ودلالته على المعاني:

(1) قوله لم تحدد الحركات الإعرابية المعاني في أذهان القدماء من العرب: كلام مردود

(1) السابق نفسه.

(2) نفسه، ص 203، 209.

(3) نفسه: 214-215.

(4) نفسه.

عليه من خلال أمثلة رويت عن العرب، فهذا أعرابي حينما يسمع المؤذن الذي أخطأ فقال: أشهد أن محمداً رسول الله بدل أن يقول رسول الله وظل الأعرابي يردد: ما بال محمد وملك ؟! حيث المؤذن نصب كلمة رسول لم يخبر وإنما وصف وظل الكلام بلا خبر، وهذا ما أدركه الأعرابي ولا سبب لهذا الإدراك سوى الحركة الإعرابية. وأعرابي آخر يسمع قوله تعالى: (إن الله بريء من المشركين ورسوله) بكسر كلمة رسول عطفاً على المشركين، فما كان منه إلا أن قال إذا كان الله قد برئ من الرسول فأنا بريء منه أيضاً، ترى من أين فهم هذا الأعرابي هذا المعنى؟! ولا دليل على هذا الفهم سوى العطف لوجود الكسرة على آخر كلمة رسوله، أي من الحركة الإعرابية، ثم هذا الحوار الذي دار بين أبي الأسود الدؤلي وابنته، ألا يدل دلالة واضحة على الفروق المعنوية التي أتاحتها الحركات الإعرابية من: ما أجمل السماء ؟ برفع أجمل وجر السماء، الصيغة الإعرابية التي تدل على الاستفهام فيجيبها بناء على هذا الفهم بأنها النجوم، فتقول له ابنته أردت التعجب فأمرها أن تقول: ما أجمل السماء ! والأمثلة تفوق الحصر التي تفرق فيها الحركة الإعرابية بين المعاني قديماً، وما زالت كذلك إلى وقتنا، وأليست دليلاً على أن القدماء قد فهموا من لغتهم ما نفهمه منها الآن ؟! وهم أولى منا بذلك.

(2) ادعاه أن الحركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض معتمداً على ما نقله سيبويه، ويظهره في ذلك قواد ترزي بقوله " فإننا نعتقد بأنها (أي حركات الإعراب)، إنما وجدت في الأصل لغرض لفظي هو تيسير ارتباط الألفاظ بعضها ببعض، ولكنها استغلت من النماء فيما بعد لأغراض معنوية في محاولة منهم لتقرير حركة واحدة للوضع الواحد⁽¹⁾ وكلاهما يحتاج كذلك بأنهم كثيراً ما يلجؤون إلى التحريك عند التقاء الساكنين، وإننا قد أقررنا سابقاً بأن الحركة الإعرابية قد تأتي لتيسير وصل الكلام وتسهيل تلاحق الكلمات، ولكننا لا نقر أبداً بأن الغاية الوحيدة من وجودها مثل هذا الأمر بدليل قول د. أنيس نفسه: يحتاج إليها في الكثير من الأحيان، أي ليس كل الأحيان، وكذلك ترزي يقول قبل كلامه آف الذكر مباشرة: "قد يصح الافتراض أن بعضاً منها (أي الحركات الإعرابية) ربما قام في عهد متقدم نسبياً على أساس معنوي لإزالة الالتباس أو تقرير معنى كما هو الحال في الفاعل والمفعول..."⁽²⁾ ولا أدري حقاً ما يمنع أن يظل الذي تم في العهد المتقدم قائماً إلى وقتنا هذا وإلى يوم الدين ما دامت اللغة بقواعدها قائمة؟! وأما اعتماد د. أنيس على ما نقله سيبويه عن الخليل فإنه لا حجة له فيه حيث النص

(1) في أصول اللغة والنحو: ص 187.

(2) السابق نفسه.

على أنهم يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به " ولا يلحقن الكلمة ولا يمكن الاحتجاج بأن سيبويه قد يقصد بالحرف أحياناً الكلمة، لأن المقام الذي سيقى فيه هذه العبارة هو حروف البديل والإعلاء، أي الحروف أو (الأصوات) التي يبدل بعضها من بعض داخل الكلمات، كالهزمة التي تبدل من الياء والواو في القضاء والشقاء، وأبدل الدال من التاء في مثل أزدجر وهكذا.... الخ، ودخول الحركات على الحروف أمر طبيعي لأنه لا يمكن في الكلمات العربية أن يتوالى حرفان ساكنان لا في كلمة واحدة ولا في كلمتين متواليتين، وعليه يكون قصد الخليل دخول الحركات على الحروف السابقة على الحرف الأخير ليتمكن نطقها، ومن الطبيعي أن تلتحق الحرف الأخير حركة الإعراب أو حركة البناء.

(3) افترضه أن الأصل في الكلمات ألا تكون محركة الآخر وأن للإعراب أسساً أخرى غير أسس النحاة مستترأ بالبحث العلمي البحث، فقد فسره بظاهرة تتصل اتصالاً وثيقاً بوصل الكلام وهي ما يسمى التقاء الساكنين⁽¹⁾ ويقول كذلك والظاهر من أقوال النحاة أن التخلص من التقاء الساكنين كان شائعاً بين جميع القبائل، والتخلص من التقاء الساكنين إنما يكون بالكسر أحياناً وبالضم أحياناً وبالفتح أحياناً ولكنهم قصروا أمره على تلك الكلمات التي لا يعقل أن تنسب لها الفاعلية أو المفعولية ونحو ذلك⁽²⁾، وفي الحقيقة أن هذا حديث متهافت فليس كل حركة إعراب أو بناء في اللغة هي للتخلص من الساكنين، بل إنه في بعض الأحيان يتم بحذف حرف العلة أو كما يقال في علم الأصوات تقصير المد الطويل في مثل: لم يَبِعْ، لم يَقُلْ، لم يَزَلْ، فالتخلص من الساكنين بين الكلمتين المتجاورتين ظاهرة جزئية في اللغة فلا يمكن تعليل وجود الحركات في أساليب اللغة على طريقة التخلص من الساكنين⁽³⁾.

(4) يقرر خلو اللهجات من الحركات الحديثة والقديمة أيضاً حين يقول بعد روايته مجموعة من اللحن ليستدل على أن الإعراب ليست ظاهرة سلفية عند العرب في لهجات خطابهم وفي الوقت نفسه يعترف بوجوده في اللغة الأدبية بقوله: " وعلى هذا يمكننا أن نتصور أن ظاهرة الإعراب لم تكن ظاهرة سلفية في متناول العرب جميعاً كما يقول النحاة بل كانت صفة اللغة النموذجية الأدبية من صفات ولم تكن

(1) من أسرار اللغة: ص-248 ص249.

(2) السابق: ص253.

(3) انظر رد الدكتور داود عيده في كتابه: أبحاث في اللغة العربية «الفصل العاشر حول حركات الإعراب، على الدكتور إبراهيم أنيس فيما قرره من أن السكون هو الأصل في العربية.

من معالم الكلام العربي في أحاديث الناس ولهجات خطابهم⁽¹⁾، ويمكننا أن نرد عليه بأن ذكر اللحن وقلة المروي منه دليل على أنه خروج عن القاعدة الأصلية وليس دليلاً على أن العربي تكلم بغير لهجته أو باللغة النموذجية فأخطأ الصواب.

وينتقل إلى الحديث من خلو اللهجات العربية الحديثة من الإعراب ليثبت أن العربية تخلو من ظاهرة الإعراب، لأنها لو وجدت فيها لتركت آثارها في اللهجات الحديثة إذ يقول: " أمام كل هذا أخذت أسائل نفسي كيف اختصت اللغة بهذا الإعراب ؟ وكيف فقدته كل لهجاتها الحديثة التي ليست إلا تطوراً لها ؟ كيف نتصور أن لهجات الكلام في كل البيئات العربية، في العراق وفي الشام وفي مصر وبلاد المغرب وفي اليمن وفي البيئة الحجازية مهد الوحي وحيث نزل القرآن الكريم وهو خير كتاب بالعربية أخرج للناس، أقول كيف نتصور أن ظاهرة الإعراب لا تترك في كل هذه البيئات أثراً، ولا تخلف فيها ما يوحي بأن الإعراب كان شائعاً على ألسنة الناس في العصور الإسلامية الأولى ؟ كما يحاول الرواة أن يفهمونا لو أن أمراً نزل من السماء ينهي الناس عن الإعراب وينذرهم بالجحيم وسوء المصير، إن استمسكوا به، ما كان هذا في رأيي، كافياً للقضاء على كل ظواهر الإعراب من ألسنتهم كما نرى الآن نتساءل بعد هذا كيف إذن نشأ هذا الإعراب الذي نظمنا لنا النحاة، وألقوا لنا فيه المجلدات الضخمة ؟⁽²⁾ إن هذا الكلام فيه مغالطة لأنه يعلم تمام العلم كيف تنشأ اللهجات فهو يقول في حديثه إن اللهجات ليست إلا تطوراً للغة ولا يأتي هذه التطور طفرة حتى نقول أنها تخلت عن ظاهرة الإعراب مثلاً دفعة واحدة، فالتطور اللغوي يأتي نتيجة لقانون طبيعي هو الميل إلى السهولة فتخففت لغة الخطاب شيئاً فشيئاً من قواعد الإعراب المتشعبة، وسادت روح التسامح والتجاوز لسبب لغوي آخر هو تداخل الحركات الإعرابية وتعاورها المكان الواحد، وتبادلها المواضع مما خلق سبلاً للتوسعة والتخفيف، ثم البناء الذي أصبح قرينة قوية لدى الناطقين بالعربية على أن الألفاظ يمكن أن تؤدي معانيها النحوية دون تحريك أو آخرها بما تقتضيه العوامل فاصبح الترتيب أو التنغيم هو الذي ينوب مناب الحركة الإعرابية في أداء الوظائف النحوية في حالة الاسم المبني، ونستطيع أن نعتبر الوقف أحد العناصر الفعالة باتجاه حركة تسكين أواخر الكلمات في العربية والاستغناء عن الحركة الإعرابية، حتى إن المبرد⁽³⁾، لبعد نظره، منع التسكين في حركة الإعراب، في القراءات القرآنية ولحن

(1) من أسرار اللغة: ص 203.

(2) السابق: ص 215-216.

(3) البحر المحيط: 1/ 206.

أبا عمرو بن العلاء على مثل هذه القراءة. وهكذا اطرح النظام الإعرابي في اللهجات الحديثة بدلالته على المعاني واستعاضت عنه اللهجات بالموقعية أو التنظيم الخاص للمفردات للإبانة والإفهام.

ولكن كل هذا لا يعني أن العرب في أقطارهم تخلو لغتهم تماماً عن الحركات دون الانتباه لدلالاتها أو قصدها فما زلنا نقول: السلامُ عليكم، برفع السلام، وخصوصاً، وصباحُ الخير، وفي المثل يقال: إمَّ لسان غلبت أمَّ فعال، وطبعاً، ومثلاً، بدايةً، أهلاً وسهلاً، دايماً.... الخ.

ويختتم كلامه في هذا الشأن بحديث خال من المنطق بافتراضه أن النحاة قد اخترعوا قواعد النحو ومعها علامات الإعراب طبعاً، وفرضوه على الفصحاء حتى يثبت أن الإعراب ليس أصيلاً في العربية؛ وانظر إليه كيف يتناقض مع نفسه حين ذكر أنهم اعتمدوا في اختراعهم على أساس نسجوا على منواله وقاموا عليه حيث يقول: "ليس من المعقول أن نزع أنه كان (أي الإعراب) كله من نسج خيالهم، وأنهم اخترعوه اختراعاً أو ارتجلوا قواعده ارتجالاً دون أساس اعتمدوا عليه ودون سماع بعض ظواهره على الأقل، من أفواه الفصحاء من العرب في صدر الإسلام على أننا ندرك تمام الإدراك أن النحاة قد ابتكروا ظواهر الإعراب وقاسوا بعض أصوله، رغبة منهم في الوصول إلى قواعد مطردة منسجمة" ⁽¹⁾، "فرضوها على الفصحاء من العرب، وفرضوها على الفحول من الشعراء... وعلى أصحاب القراءات فمن أين كل هذا السلطان لا ندري؟" ⁽²⁾ وتساؤله هذا يهدم أقواله لأنه لا سلطان لهم، ولا اختراع، بل هو بحث واستقصاء من علماء قاموا باستقراء للواقع اللغوي الذي عاشوه واستنبطوا قواعده، لا يجوز معه اتهامهم بالكذب والاختراع الذي توهمه في تصور لم يثبت علمياً.

(5) ويدعي الدكتور أنيس أيضاً أنفراد العربية بظاهرة الإعراب دون أخواتها الساميات بقوله "لا أكاد أتصور أن العربية وحدها تحتفظ بمثل هذا النظام الإعرابي الدقيق، هذا النظام المعقد الذي أعيا السابقيين واللاحقين من أبناء العربية، ثم يندثر كل هذا في اللغات السامية الأخرى غير مخلف فيها إلا تلك الآثار الضئيلة النادرة التي يلمحها المستشرقون في بعض هذه اللغات" ⁽³⁾ بعد أن يبدي في موضع سابق شكوكه في

(1) إبراهيم أنيس: السابق نفسه.

(2) السابق: ص 209.

(3) السابق: ص 215.

وجود هذه الظاهرة الإعرابية في اللغات السامية الأخرى مع أن المستشرقين لم يأثروا جهداً في تلمس الإعراب فيها بقوله: " ولعل المستشرقين حين شاهدوا الإعراب في اللغة العربية وخلو اللغات الأخرى قد خضعوا لمبدهم العام من أن العربية قد احتفظت بظواهر لغوية قديمة أكثر من غيرها، وظنوا الإعراب من بين تلك الظواهر التي ربما تعود إلى السامية الأولى، ولذا نراهم يجهدون أنفسهم وقرائحهم في تلمس آثار لظاهرة الإعراب في اللغات السامية الأخرى، ثم حدثونا عن تلك الآثار بما لمسناه من آراء لا تكاد تطمئن إليها نفس الباحث المنصف"⁽¹⁾، وكان الدارسين كلهم، من المستشرقين وغيرهم، الذين أثبتوا بما لا يدع مجالاً للشك في أصالة الظاهرة في اللغات السامية ومنها العربية، ليسوا من الباحثين المنصفين.

وليس أمامنا الآن إلا أن نقيم الحجة على الدكتور إبراهيم أنيس بأن الإعراب ظاهرة سامية مشتركة بقيت في بعض اللغات السامية كالأكدية والعربية، وما زال لها آثار في لغات أخرى وليس في إثبات هذا الأمر أي تلمس، وإنما هو لمس وإدراك للحقائق فهذا كارل بروكلمان بعد أن يذكر أن اللغة السامية الأولى كانت تفرق بين حالات الرفع والجر والنصب يقول: " وقد احتفظت العربية القديمة بحالات الإعراب الثلاث الرئيسية سالمة... وفي الحبشية بقيت حالة الرفع في الأعداد لا غير... وفي العبرية لم تبق كذلك الأحوال النصب... وفي الآرامية لم يبق، فيما عدا حالة النصب في آرامية العهد القديم إلا بعض حالات الإعراب المتجمدة قبل الضمائر المتصلة... وفي البابلية القديمة (يقصد الأكديّة)⁽²⁾ لا تزال حالات الإعراب الثلاث... "⁽³⁾ ويثبت الدكتور عامر سليمان⁽⁴⁾ بأن اللغة الأكديّة احتفظت بحالات الإعراب الثلاث في الاسم المفرد: الضمة للرفع والفتحة في حالة النصب والكسرة في حالة الجر: بيتّم، بيتّم، بيتّم، (البيت في العربية) أما المثني فعلامة إعراب الألف والنون في حالة الرفع والياء والنون في حالتي النصب والجر كما في أزنان في حالة الرفع، وأزنين في حالتي النصب والجر (وهي أذنان العربية) فهذا التشابه إلى حد التقاطع بين الأكديّة والعربية يدحض تشكيك الدكتور إبراهيم أنيس في أصالة الإعراب في الساميات. والأكديّة من أقدم اللغات السامية وهي موجودة في العراق منذ القرن الألف الرابع قبل الميلاد، وأصبحت لغة الخطاب العامة في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد، وأخذت طريقها إلى التدوين بقيام الدولة الأكديّة حتى بداية التاريخ الميلادي فقد عمرت

(1) نفسه.

(2) كان يطلق عليها اللغة البابلية الآشورية «ومنذ الخمسينيات من هذا القرن تعارف الباحثون على تسمية تلك اللغة باللغة الأكديّة، انظر: ص 8 من كتاب اللغة الأكديّة للدكتور عامر سليمان.

(3) فقه اللغات السامية: ترجمة رمضان عبد القواب: ص 100-102.

(4) اللغة الأكديّة: ص 206-207.

مدة تزيد على الألفي عام حلت الآرامية محلها التي أصبحت بخطها الأبجدي هي لغة التدين، وبدأت العربية تحتل مكانها شيئاً فشيئاً حيث اكتمل لها ذلك بنزول القرآن الكريم وظهور الإسلام⁽¹⁾.

ويسوق الدكتور رمضان عبد التواب شاهداً من الحبشة على أصالة الإعراب حيث يقول: "إن اللغة الحبشية، تكفي هي الأخرى للتدليل على أصالة الإعراب، ودلالته على المعاني في اللغة العربية إذ تظهر في الحبشية حالة النصب التي تطابق من الناحية الإعرابية نظيرتها في اللغة العربية إلى حد كبير، ففي الحبشية يقال مثلاً: RE'IKU HATTATA " رأيت خطيئة "⁽²⁾. ونختتم حديثنا في هذا المقام بشهادة يوهان فك على قدم الإعراب في العربية وأنه من السمات الموروثة وليس مخترعاً، حيث يقول: " لقد احتفظت العربية الفصحى، في ظاهرة التصرف الإعرابي، بسمه من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية - باستثناء البابلية القديمة، قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي، وقد احتدم النزاع حول بقاء هذا التصرف الإعرابي في لغة التخاطب الحي، فأشعار عرب البادية - قبل الإسلام وفي عصوره الأولى - تريناً علامات الإعراب مطردة كاملة السلطان، كما أن الحقيقة الثابتة من أن النحويين العرب كانوا - حتى القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي على الأقل، يختلفون إلى عرب البادية ليدرسوا لغتهم، تدل على أن التصرف الإعرابي كان في أوج ازدهاره آنذاك "⁽³⁾.

ويجب ألا يغيب عن بالنا أن بعض المستشرقين قد سبقوا الدكتور أنيس إلى التشكيك في حقيقة الإعراب، كالمستشرق "كارل فوللرز" الذي كان يرى أن النص الأصلي للقرآن، قد كتب بإحدى اللهجات الشعبية، التي كانت سائدة في الحجاز، والتي لا يوجد فيها كما لا يوجد في غيرها، تلك النهايات المسماة بالإعراب، وأنه انتقل إلى هذا النص فيما بعد، الشكل الأدبي للغة العربية، الذي هو عليه الآن. وهو يرى أن العربية الفصحى التي رواها لنا النحويون العرب، والتي توجد في القرآن، كما احتفظ بها الشعر في موازينه، هذه العربية يراها "فوللرز" مصنوعة، وهو ينكر على الإطلاق أن تكون هذه اللغة كانت حية في مكة، على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كما يشك أن يبدو الذين خرج من بينهم الشعراء، كانوا يتكلمون هذه اللغة⁽⁴⁾، ويخلص باول كاله Paul Kahle إلى الرأي

(1) السابق: ص 38 وما بعدها.

(2) فصول في فقه العربية: ص 34.

(3) فك، العربية: ترجمة رمضان عبد التواب: ص 15.

* ونكتفي بما ذكرناه من الأدلة والشهادات ومن أراد أن يستزيد في إمكانه أن يرجع إلى: التطور النحوي لبر جشتر أس ص 116، وتاريخ اللغات السامية لمؤلفه ولغنتسون ص 15 وقفه اللغة المقارن للدكتور إبراهيم السامرائي ص ص 118-124، وغيرها.

(4) رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، ص ص 333-334.

نفسه حين يقول: "... والنص القرآني الخالي من الضبط بالشكل يعكس بوضوح اللغة العربية التي كانت تتكلم في مكة... وقد اتخذت المادة (يقصد الأشعار، والحكايات وأخبار الحروب التي جمعت تحت عنوان "أيام العرب")، أساساً للعربية النموذجية، التي ابتدئها النحويون، ثم حذيت لغة القرآن على نمطها..."⁽¹⁾. ويبدو أن الغاية من نفي الإعراب هي التشكيك في لغة القرآن الكريم وإعجازه، وما الإعراب إلا وسيلتهم لذلك وكان على الدكتور أنيس ألا ينساق في هذا التوجه. وقد جاء الرد عليهم من مستشرق آخر وهو نولوكة الذي يقول: "من الخطأ الشنيع، الاعتقاد بأن اللغة الحية في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لم يكن فيها إعراب؛ فإن العلماء في عصر هارون الرشيد قد وجدوا الإعراب بكل دقائقه لدى البدو..."⁽²⁾ وفي موضع آخر يذكر أنه "لو كان النبي صلى الله عليه وسلم، أو أحد معارضيه من المؤمنين، قد نطق بالقرآن دون إعراب، لكان من غير الممكن أن تضع الروايات الخاصة بذلك، دون أن يبقى لها آثار فيها"⁽³⁾.



أستلة التقويم الذاتي (7)

1. ما معنى الإعراب لغة واصطلاحاً؟ وما الغرضان اللذان يؤديهما الإعراب في العربية؟
2. حاول أن يثبت الدكتور إبراهيم أنيس أن الإعراب ليس له دلالة على المعاني فساق عدة أدلة، فما هي؟ وكيف ترد عليها؟



تدريب (7)

1. قال ابن فارس عن الإعراب بأنه هو الفارق بين المعاني ألا ترى أن القائل إذا قال: ما أسسن زيد لم يفرق بين التعجب والاستفهام والزم إلا بالإعراب، كيف تفسر قوله هذا؟
2. اذكر طريقتين للتخلص من الساكنين في العربية.

(1) المرجع السابق: 334-335.

(2) السابق: ص 337.

(3) السابق نفسه.

5. الخلاصة

قد بينّا في هذه الوحدة ما يأتي:

1. دوافع البحث اللساني عند العرب من قومية إلى دينية إلى ذاتية.
2. فندنا الاتهام الموجه إلى أبي الأسود من أنه أخذ النقط عن السريان، تاريخياً وموضوعياً.
3. فندنا كذلك اقتباس النحو العربي اصطلاحاته في نشأته من النحو اليوناني.
4. بيّنا وجهات نظر علمائنا الفكرية التي استفادها النحو العربي بعد نشأته من المنطق اليوناني.
5. بيّنا وجهات نظر علمائنا في نشأة اللغات والغرض من الإعراب في العربية.
6. فندنا وجهة نظر الدكتور إبراهيم أنيس في قوله إن الإعراب ليس له من غرض سوى وصل الكلام.

6. لمحة عن الوحدة الدراسية الثالثة

سننتحدث في الوحدة التالية عن تقسيم اللغات إلى أسر على أساسين تشكيلي وقرابة لغوية للغات السامية والحامية والهندية الأوروبية، وغيرهما ثم بيان خصائص اللغات السامية، وخصائص العربية وسنتحدث عن النقوش العربية القديمة للغات الثمودية والصفوية واللحيانية.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

هما: داخلي يتمثل في اللحن الذي فشا على ألسنة العرب فضلاً عن العجم. خارجي وهو مواجهة الثقافات الواردة والانتقاص من الجنس العربي في قدراته.

تدريب (2)

1. الفتحة نقطة بين يدي الحرف /-/ الضمة نقطة على آخره: -/ الكسرة نقطة تحت الحرف /-/ التنوين (الغنة) بتكرار النقطة أي تنوين الفتح والضم والكسر يستدل عليه بنقطتين في الأماكن نفسها.

2. التعليقات الشكلية هي القائمة على الاهتمام بالضبط الإعرابي والصنعة النحوية على حساب معاني الكلام كإصرار البصريين على أنه لا يلي إذا أو إن إلا الجملة الفعلية في مثل "إذا السماء انشقت" فيعربون السماء فاعل لفعل محذوف بفسره الفعل الموجود فيتكفون التقدير إذا انشقت السماء انشقت، مراعاة للشكل بينما يعربها غيرهم مبتدأ أو فاعلاً مقدماً مراعياً المعنى دون الاهتمام بالشكل. أما التعليقات المعنوية فيمكننا أن نضرب لها مثلاً عدم دخول أن على خبر أفعال الشروع، لأن أفعال الشروع تعني أن الحدث قد بدأ، وأن تفيد أنه سيحصل في المستقبل وفي ذلك تناقض منع دخولها.

تدريب (3)

1. استنتج أنهما لم يلتقيا، وأن الأول لا يمكن أن يكون قد أخذ عن الثاني.
2. أفهم ذلك من أن بعضهم يتهم الخليل بالتأثر بالنحو اليوناني وينفي عن وليه ذلك وبعضهم الآخر يتهم سيبويه وينفي عن سببه.

تدريب (4)

لأن حركة الترجمة اقتضت الانفتاح على الثقافة اليونانية بمنطقها وفلسفتها، وأما حركة الاعتزال فاحتاجت إلى الجدل والنقاش والنظر العقلي.

تدريب (5)

لا يمكن أن يكون دليلاً إلا إذا ثبت التأثير. أما إذا كان السبق الزمني مبنياً على التصورات والافتراضات والاحتمالات فلا يثبت شيئاً.

تدريب (6)

1. المقصود بالتوقيف: إنها إلهام من الله وبتعليم منه.
2. "وعلم آدم الأسماء كلها" أهل التوقيف: أن الله عز وجل قد علم عباده، بطريقة ما، الألفاظ ومعانيها. أما أهل الاصطلاح فقد يرون أن الله قد خلق في عباده القدرة على وضع اللغة ومعانيها.

تدريب (7)

1. أ. ما أحسنَ زيداً ! (للمعجب).
- ب. ما أحسنَ زيدُ. (نفي للذم).
- ج. ما أحسنَ زيد؟ (للاستفهام).
2. أ. تحريك الساكن الأول منهما - (لم يتأخر الطالب).
- ب. تقصير العلة الطويلة - (لم يتبع، لم يتم، لم يقل).



8. المراجع

أ. المراجع العربية:

1. الإبراشي: محمد عطية، الآداب السامية، ط2، بيروت: دار الحداثة، 1984م.
2. أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط9، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1979م.
3. الأنصاري، ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، شرح شذور الذهب، شرح محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر، بلاط.
4. أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ط3، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1976م.
5. أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1976م.
6. بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، مصر: دار المعارف، 1961م.
7. ترزي، فؤاد حنا، في أصول اللغة والنحو، بيروت: 1969م.
8. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، بلاط.
9. حسان، تمام، الأصول، مصر، بغداد: الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988م.
10. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، ط2، القاهرة: دار الفكر، 1398هـ - 1978م.
11. الدجني، فتحي، النزعة المنطقية في النحو العربي، الكويت: وكالة المطبوعات، بلاط.
12. رشدي، زاكية، السريانية نحوها وصرفها، ط2، القاهرة: دار الثقافة، 1978م.
13. رمضان، عبد النواب، فصول في فقه العربية، القاهرة: دار المسلم للطباعة والنشر، 1979م.

14. الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، بيروت: دار النفائس، 1973م.
15. الزبيدي، كاصد ياسر، فقه اللغة العربية، الموصل: جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1407هـ-1987م.
16. سيبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.
17. السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفيقه، دار الفكر: بيات.
18. شاهين، توفيق، علم اللغة العام، ط1، القاهرة، الاسكندرية: مكتبة وهبه، 1400هـ-1980م.
19. ظاظا، حسن، الساميون ولغاتهم، الاسكندرية: مطبعة المصري: بيات.
20. عامر، سليمان، اللغة الأكديّة، الموصل: جامعة الموصل: وزارة التعليم والبحث العلمي، دار الكتب للطباعة والنشر، 1412هـ-1991م.
21. عبد الحميد، حسن، القواعد النحوية، مادتها وطريقتها، ط2، القاهرة: الإنجلو المصرية، 1953م.
22. عبده، داود، أبحاث في اللغة العربية، بيروت: مكتبة لبنان، 1973م.
23. عمايرة، إسماعيل، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية، ط1، إربد: دار الملاحى للنشر والتوزيع، 1408هـ-1987م.
24. عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي، عند العرب، ط4، القاهرة: عالم الكتب، 1396هـ-1976م.
25. عون، حسن، اللغة والنحو، ط1، مصر: 1952م.
26. ابن فارس، أحمد، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر الطباع، ط1، بيروت: مكتبة المعارف، 1414هـ-1993م.
27. فريحة، أنيس، نظريات في اللغة، بيروت: دار الكتاب اللبناني، بيات.
28. فريحة، أنيس، نظريات في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، بيروت: 1980م.
29. فلك، يوهان، العربية، ترجمة رمضان عبد التواب، مصر: مكتبة الخانجي، 1400هـ-1980م.
30. ابن منظور، لسان العرب، مصر: دار المعارف، بيات.
31. المخزومي، مهدي، عبقري من البصرة، 1392هـ - 1972م.

32. أبو المكارم، علي، تقويم الفكر النحوي، بيروت: دار الثقافة، بلاط.
 33. ابن النديم، الفهرست، تحقيق فلوجل، بيروت: مكتبة خياط، بلاط.
 34. وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، ط9، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بلاط.
 35. ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، بيروت: دار القلم 1980م.
 36. حوايات الجامعة التونسية، العدد 22، 1983.
 37. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد الأول، 1398هـ-1978م.
- ب. المراجع الأجنبية:
1. Haywodd, John: Arabic Lexicography, Leiden, Brill, 1965.
 2. Jespersen, otto: Language, Its Nature, Development, and Origin, Allen and Unwin, London, 1922.



الوحدة الثالثة

أصول العربية



محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة
1. المقدمة	153
1.1 تمهيد	153
2.1 أهداف الوحدة	153
3.1 أقسام الوحدة	153
4.1 القراءات المساعدة	154
5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة	154
2. الأسر اللغوية	155
3. اللغات السامية- الحامية	158
4. خصائص اللغات السامية	175
5. خصائص العربية	177
6. نقوش العربية البائدة	182
7. الخلاصة	189
8. لمحة عن الوحدة الدراسية الرابعة	189
9. إجابات التدريبات	190
10. المراجع	191

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس: أرحب بك لدراسة الوحدة الثالثة من المقرر علم اللسان العربي وعنوانها "أصول العربية" وهو عنوان أريد أن أثبت فيه موقع العربية من أسرة اللغات السامية، بعد بيان الأسر اللغوية التي تنتمي إليها اللغات وسأبين كذلك خصائص اللغات السامية، مع التركيز على خصائص العربية صوتاً وصرفاً ونحواً، والصلة بينها وبين اللغات البائدة كالثمودية والصفوية من خلال النقوش العربية القديمة.

2.1 أهداف الوحدة

- يتوقع منك بعد دراسة لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:
1. توضح موقع العربية من أسرة اللغات السامية.
 2. تبين أهمية الدراسات السامية في خدمة اللغة العربية.
 3. تشرح الصلة بين العربية الفصحى والعربيات البائدة كالثمودية والصفوية والحيانية.
 4. تشرح الصلة بين العربية واللغات الأخرى من غير الأسر السامية كالفارسية والتركية وبعض اللغات الأوروبية.
 5. تحدد خصائص العربية بخاصة وخصائص اللغات السامية بعمامة، وأثر ذلك على تاريخ العلاقة بين هذه اللغات وغيرها وبخاصة في مجال التعريب وتبادل المعاني والأساليب.

3.1 أقسام الوحدة

- تقسم الوحدة إلى خمسة أقسام هي:
1. الأسر اللغوية ويغطي الهدف الرابع.
 2. أسرة اللغات السامية ويغطي الهدف الأول.
 3. خصائص اللغات السامية أمثلة من الصوت والصرف والنحو والمعنى ويغطي جزءاً آخر من الهدفين الأول والثاني.
 4. خصائص العربية أمثلة من الصوت والصرف والنحو والمعنى ويغطي الهدف الثاني.
 5. النقوش العربية القديمة، يغطي الهدف الثالث.



4.1 القراءات المساعدة

1. بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، الرياض. جامعة الرياض، 1397هـ-1977م.
2. ظاظا، حسن، الساميون ولغاتهم، الإسكندرية: مطبعة المصري، بلات.
3. عامر سليمان، اللغة الأكديّة، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، 1412 هـ-1991م.
4. نولدكه، اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة دار النهضة العربية، 1963م.
5. وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ط 8، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بلات.
6. ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، بيروت: دار القلم، 1980م.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

1. دراسة الوحدة
2. تحديد أهم خصائص اللغات السامية التي تدرسها في الوحدة وتبحث عن أمثلة لها في كتاب فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان.
3. تحديد أظهر خصائص العربية وتبحث عن أمثلة لها خاصة في كتاب "خصائص اللغة العربية" للدكتور إسماعيل عمايرة.
4. قراءة بعض النقوش العربية من خلال كتابي الكتابة العربية السامية للدكتور رمزي البعلبكي وتاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون.

2. الأسر اللغوية

لم يتمكن العلماء من حصر اللغات التي يتكلمها البشر، ولكن الإحصاء التقريبي يقدر عدد اللغات الإنسانية بـ 2500 لغة، وبعضهم يقدرها بحوالي 3500 لغة.

وهناك نظريتان في تصنيف اللغات هما:

أولاً: الطريقة التشكيلية أو التصنيف على أساس وسائل بناء الكلمات وتوليدها⁽¹⁾ وهي نظرية شليجل في تقسيم اللغات إلى :

1- لغات تصريفية Inflectional وهي التي تدل فيها الكلمات على علاقاتها النحوية ووظائفها ومعانيها في الجمل من طريق ما يدخل على بنيتها من تغيير داخلي ويتم الربط بين مفرداتها وجملها بالأدوات كحروف العطف والجر في العربية وفي اصطلاحنا نسميها اللغات الاشتقاقية ومن هذه اللغات العربية والفارسية واللاتينية والإغريقية والعبرية.

2- اللغات الإلصاقية Agglutinative وهي اللغات التي تدخل على كلماتها سوابق في المصدر أو لواحق في العجز أو حشواً كما يحدث في الإنجليزية

Beauty + ful = Beautiful, Re+action = Reaction ويمكننا أن نضرب أمثلة لذلك من العربية، كإضافة الواو والنون والياء والنون، والألف والنون على المفرد لأداء معنى التثنية والجمع، أو حشو الياء بعد الحرف الثاني في التصغير، أو ياء النسبة على آخر الأسماء.... الخ، مما يعني أن الحدود بين القسمين الأول والثاني غير واضحة، وأنهما متداخلان وعليه نستطيع أن ندخل العبرية والإنجليزية مثلاً في هذين القسمين ومن اللغات التي ينطبق عليها وصف الإلصاق التركية واليابانية.

3- اللغات العازلة أو غير المتصرفة Isolating: أي تلتزم الكلمات صورة واحدة لا تتغير، ولها معنى ثابت، ولا تستعين بروابط تصل الكلمات أو الجمل بعضها ببعض ولكنها تؤدي المعاني فيها بالترتيب أو من خلال السياق كاللغة الصينية .

ولم تجد هذه النظرية تأييداً كاملاً من علماء اللسان، لأن هذه الأقسام قد تلجأ إليها لغة واحدة كالعربية فالنهج الغالب عليها التصريف والاشتقاق، ولكنها قد تلجأ إلى الإلصاق كما بينا، وفيها مفردات غير قابلة للتصرف كأسماء الإشارة وأسماء الموصول وضمائر الرفع المنفصلة.

(1) أسس علم اللغة: ص55.

ثانياً: نظرية القرابة اللغوية

من حيث وجوه الاتفاق والاختلاف في المستويات اللسانية في الصوت والنحو والصرف والدلالة، وتقسم اللغات بناء على هذه النظرية التي تنسب إلى ماكس مولر Muller إلى أسر لغوية كالتالي :

1- فصيلة اللغات الهندية الأوروبية وهذه أكثر الأسر اللغوية انتشاراً في العالم، حيث يتكلم بها الغالبية العظمى من شعوب أوروبا وأميركا وبعض شعوب آسيا والهند والفرس وغيرهم وأستراليا وجنوب أفريقيا وقد حظيت لغاتها بالعناية لانتماء علماء اللغة الغربيين إليها ولما تتمتع به شعوبها من مستوى حضاري قديم أو حديث. والحقيقة أنه قد تضاءلت بين فروع هذه الأسرة أوجه الاتفاق وكثر الخلاف بينها لما حدث من اختلاف بين الشعوب التي تنطق بها. ويرجع هذا الاختلاف إلى أسباب سياسية واجتماعية وحضارية، وبعضها أصبح عالمياً كالإنجليزية والفرنسية؛ لما أخذت به شعوبها من أسباب التقدم العلمي وازدهار الحضارة في جميع مناحي الحياة. وتنتمي إليها اللغات الهندية الإيرانية أو الآرية كالسنسكريتية في الهند والأردية وهي المسماة عند المسلمين في الهند أو الباكستان بالأوردو وتكتب بحروف عربية. والبنغالية في بنجلادش والبنجالية والسندية في الباكستان واللغة الفارسية (قديمة ووسيلة وحديثة) في إيران وتكتب حروفها بالعربية والأفغانية والخوارزمية والكردية والبلوشية والأرمينية أيضاً من فروعها، ومن فروعها كذلك اليونانية القديمة والحديثة، والألبانية، واللاتينية، التي تشعبت إلى عدة لغات هي الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية، والرومانية. واللغات الجرمانية التي تتكون من الألمانية والهولندية والإنجليزية والسويدية والدنماركية والأيسلندية والنرويجية. وكذلك اللغات السلافية: كالروسية والأوكرانية والبلغارية والبولندية، والتشيكية والصربية والكرواتية.

2- الفصيلة السامية - الحامية، وهذه الأسرة ستفرد لها فصلاً خاصاً بها.

3- فصيلة اللغات الطورانية: وهي التي تسمى أيضاً⁽¹⁾ فصيلة اللغات الأورالية الألتائية، وتضم هذه الأسرة اللغات التي لم تدخل في الأسرتين السابقتين، وليس بين لغاتها تقارب تشابه بين الشعوب الناطقة بها، وإنما جعلت أسرة من أجل تسهيل دراستها⁽²⁾. ولم تبين المراجع العربية اللغوية المقصود بمصطلح الطورانية، لكن يبدو أنها إشارة إلى الجنس التركي الطوراني، فالطورانيون شعب يعتقد بعض الباحثين أن أربى أوروبا وآسيا تحدروا منه وإن الطورانية حركة ظهرت في تركيا

(1) حجازي، مبدل إلى علم اللغة: ص 127، نقلًا عن بركلمان.

(2) انظر: علم اللغة: للدكتور وافي: ص 20، ودراسات في علم فقه اللغة، د. الصالح:

ص 42، والوجيز في فقه اللغة: للأطباكي: ص 75، وعلم اللغة العام: للدكتور توفيق

شاهين: ص 76، وفقه اللغة العربية: للدكتور الزبيدي، ص: 61-62.

العثمانية، أوائل القرن العشرين، ابتغاء توحيد جميع الشعوب ذات التراث التركي المشترك في ظل دولة واحدة بنيت على أساس النظرية القائلة بأن اللغات التركية والمغولية والفنلندية والهنغارية وغيرها نشأت من أصل واحد⁽¹⁾ هو الطوراني، ولأن أكثر لغات هذه الفصيلة تتشكل من لغات الترك واللغات المجاورة ممن توزعت قبائلهم في منطقة واسعة تمتد من وسط آسيا إلى شرق أوروبا مما يعني أن المصطلح الذي نقله الدكتور حجازي⁽²⁾ أدق وهي اللغات الأورالية الألتائية التي تنقسم من خلال تسميتها إلى فرعين: الأورالي نسبة إلى جبال الأورال التي تفصل آسيا عن أوروبا ولغات هذا الفرع أوروبية وأهمها الفنلندية التي أصبحت لغة الثقافة والعلم في فنلندا منذ استقلالها عن السويدية سنة 1809م وكذلك اللغة الأستونية في جمهورية أستونيا، وكذلك اللغة المجرية، المتأثرة باللاتينية والفرنسية والألمانية، فقد أصبحت لغة قومية للعلم والثقافة للشعب المجري أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.

أما اللغات الألتائية فتنسب إلى جبال الألتاي في أواسط آسيا وبينها خصائص مشتركة صوتية وصرفية ومعجمية وهناك مجموعة من المفردات الأساسية المشتركة بينها كأسماء الظواهر الطبيعية وأسماء جسم الإنسان وأسماء الحيوان وعلاقة القرابة أما لغات الترك على وجه الخصوص منها فمقاربة نحويًا ومعجميًا، ومن أهم لغات هذا الفرع اللغة التركية العثمانية ولغة الجمهورية التركية، ويتلوها لغات الشعوب التركية نحو: الأوزبكية في جمهورية ازبكستان واللغة التتارية في جمهوريتي التتار والبشكير، واللغة القازاقية في جمهورية كازخستان واللغة الأذرية في أذربيجان، والتركمانية والشوباشية والباشكيرية والقرغيزية، ويضم الفرع الألتائي أيضاً المغولية التي طورت لهجاتها إلى ست لغات.



أسئلة التقويم الذاتي (1)

هناك نظريتان في تصنيف اللغات اذكرهما، مع اللغات التي تندرج تحت الأولى والثالثة؟



تدريب (1)

1. هل العربية ؟

أ- اشتقاقية ب- إلصاقية ج- كلاهما.

- (1) موسوعة المورد الحديث، باب الشعوب، والعادات والمجتمع.
(2) انظر: مدخل إلى علم اللغة: ص 127-144، وقد نقل مصطلح اللغات الأورالية الألتائية عن بوبكلمان في فقه اللغات السامية: ص 12.

3. اللغات السامية - الحامية

وهي لغات مجموعة من الشعوب التي انحدرت من سام وحام ابني نوح حسبما ورد في التوراة وأول من استخدم هذا المصطلح العالم الألماني "شلوثر" Schlozer عندما كان يبحث في نهاية القرن الثامن عشر عن تسمية مشتركة للعبريين والعرب والأحباش الذين توجد بين لغاتهم صلات القرابة - أطلق عليهم اسم الساميين، لأن جدول الشعوب يرجع العبريين والآراميين والعرب إلى سام بن نوح⁽¹⁾ كما جاء في الإصحاح العاشر من سفر التكوين، أي إنهم سمو اللغات التي تتكلمها الأمم المنتمية إلى سام بن نوح حسب التوراة، اللغات السامية مقترضين أن هناك لغة هي الأم تفرعت عنه هذه اللغات وهي التي تكلم بها سام بن نوح ولم يجزم المؤرخون بالوطن الأول لهذه اللغة ولجميع الأمم السامية التي ارتبطت بعلاقات من العرق واللغة أُمَلَّتْها أن توصف بذلك، فمنهم من يفترض أن أرمينية هي المهد الأصلي للساميين والآريين كذلك، ثم تفرعت عنها جموع البشر ومنهم من أيد ما جاء في التوراة كجودي ولفنسون من أن أرض بابل هي أقدم أرض عمرها بنو نوح ويقول ولفنسون (وقد تكون هذه النظرية أقرب إلى الحقيقة فقد أثبتت البحوث التاريخية أن أرض بابل هي المهد الأصلي للحضارة السامية) ويعارضهما نولدكه في أن يكون جنوب العراق هو الموطن الأصلي للساميين كما يذكر ولفنسون نقلاً عن نولدكه نفسه⁽²⁾، ويبدو أن كارل بروكلمان يميل إلى أن المهد الأصلي لهذه الأمم هي الجزيرة العربية مستنداً إلى حقائق تاريخية بقوله : " إنه قد لوحظ في العصور التاريخية كيف أن بلاد الحضارة في ما بين النهرين وسوريا كانت تكتسحها دائماً وأبداً موجات من القبائل البدوية القادمة من الصحراء العربية، حتى غمرت أخيراً إحدى هذه الموجات القوية، وهي المسماة بالموجة العربية كل صدر آسيا وشمال أفريقيا - إذا تأمل المرء في كل هذا، فإنه يمكنه حقاً أن يعتقد أن الجزيرة العربية، هي المكان الذي يصلح لأن يكون مهد الساميين الأول⁽³⁾ ويذكر الحقائق نفسها ولفنسون وكأنه يناقض نفسه حين يقول : " الذي يمكن أن نجزم به هو أن أكثر الحركات والهجرات عند أغلب الأمم السامية التي علمنا أخبارها وأسماءها كانت من نزوح جموع سامية من أرض الجزيرة إلى البلدان المعمورة الدانية والقاصية في عصور مختلفة ... كذلك هاجرت البطون الكنعانية والآرامية تاركة بلاد العرب ولم تقف هذه الهجرات العربية عند العراق وسوريا وفلسطين بل جاوزتها إلى مصر أيضاً فقد توغلت قبائل سامية جاءت من ناحية الجزيرة في بلاد النيل وبسطت

(1) بروكلمان، فقه اللغات السامية: ص11.

(2) تاريخ اللغات السامية؛ ولفنسون، ص ص 4-5.

(3) فقه اللغات السامية: ص12، انظر ولفنسون كذلك، المرجع السابق.

سلطاتها على مصر⁽¹⁾، والرأي الذي أصبح مقبولاً أكثر من غيره خاصة عند العرب هو أن الجزيرة العربية هي المهد الأصلي للأمم السامية، ولذلك نجد من اللغويين والمؤرخين في العراق من يسميها اللغات الجَزَريّة بدلاً من السامية والإفريقية بدلاً من الحامية. وهذه التسمية دعا إليها طه باقر معللاً ذلك بأنه "أصبح حقيقة مجمعة عليها من الباحثين الآن وهي أن الجزيرة العربية كانت مهد أولئك الأقوام الذين شملتهم تسمية الساميين، الذين هاجروا من الجزيرة بموجات مختلفة منذ أبعد العصور التاريخية إلى الأجزاء المختلفة من الوطن العربي، بحيث يصح القول أن الأصول العربية فيها تغطي على تركيب سكانها وعلى لغاتها"⁽²⁾ ويؤيد الدكتور علي عبد الواحد وافي، أن المهد الأول للساميين كان القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية (بلاد الحجاز واليمن)، مبيّناً رجحان هذا الأمر وأنه هو أصح الآراء وأقواها سنداً وأكثرها اتفاقاً مع آثار هذه الأمم وحقائق التاريخ ومن هذه الحقائق التي كانت السبب المباشر في حدوث هذه الهجرات من الجزيرة ما ينقله عن بروكلمان، مما ذهب إليه الأمير كيتاني دويتانو وأيده توينيني من أن هذا القسم كان في العصور السابقة للتاريخ كثيف السكان خصب الأرض موفر الخيرات، تخترقه ثلاثة أنهر كبيرة على الأقل، وإنه على أثر بعض الظواهر البحرية وانحسار جبال الثلج الكبيرة إلى الشمال فقد خصبه وجفت أنهاره فنزح معظم سكانه إلى جهات أخرى⁽³⁾. وقد ظهرت دعوات في سوريا تدعو إلى تسميتها باللغات العروبية أو العربية بدلاً من السامية، وللأسف لم يصل لغويونا أو مؤرخونا حتى الآن إلى تسمية تثبت أصالة هذه اللغات في نسبتها إلى الجزيرة العربية.

والبحث في اللغات السامية بحث قديم نسبياً، وقد ابتدأ عندهم في القرن السابع عشر وازدهر في القرن التاسع عشر. وقد سارت دراسة هذه اللغات على يد المستشرقين في اتجاهين: اتجاه تاريخي عام يتناول نشأة هذه اللغات وحياتها وتطورها في ماضيها وحاضرها، ومن أقدم الذين كتبوا في هذا الاتجاه الفرنسي رينان الذي ألف كتاب: التاريخ العام للغات السامية "في منتصف القرن التاسع عشر، ونحو كتابي تاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولفنسون، واللغات السامية لنولدكه، اللذين "اقتصرا على الناحية التاريخية ولم يتجاوزاها إلى مقارنة القواعد إلا في النزر اليسير" كما يقول الدكتور رمضان

(1) ولفنسون، السابق، صفحة 5-6.

(2) تراثنا اللغوي القديم: ص 17، نقلاً عن فقه اللغة العربية للدكتور كامد الزيدي، ص 69،

انظر كذلك: اللغة الأكديّة للدكتور عامر سليمان، ص ص 67-68.

(3) وافي، فقه اللغة، ص ص 11-13.

عبد التواب⁽¹⁾. أما الاتجاه الثاني فهو المقارنة بين هذه اللغات على مستويات الصوت والصرف والنحو والدلالة؛ لبيان أبعاد العلاقة التي تربط بينها وقد بدأت في القرن الثامن عشر على يد الهولندي شلتنس بمقارنة العبرية بالعربية وفي عام 1890 م ألف " وليم رايت " كتابه " محاضرات في النحو المقارن للغات السامية " ... وألف "لاندرج" كتابه : " النحو المقارن للغات السامية " وكذلك صنع تسمرن في كتابه الذي سماه النحو المقارن للغات السامية " ونشره في برلين عام 1898م ... وجاء بعد هؤلاء جميعاً عملاق هذا الفن المستشرق كارل بروكلمان فألف كتابه الضخم " الأساس في النحو المقارن للغات السامية " في جزأين⁽²⁾ هذا غير كتابيه " فقه اللغات السامية " الذي ترجمه الدكتور رمضان عبد التواب، ومختصر النحو المقارن للغات السامية، ويجدر أن نذكر هنا كتاب برجشتراسر أقصد التطور النحوي للغة العربية " الذي ألقاه محاضرات على طلبة الجامعة المصرية، عام 1929 م، وقارن فيه بين العربية وبقية الساميات .

أما الاهتمام بدراسة اللغات السامية عند العرب، فقد اعتمد على ما قدمه المستشرقون في صورة ترجمة لكتبهم كما فعل الدكتور رمضان عبد التواب في مصر حيث ترجم كتابين هما : اللغات السامية " لنولدكه، وفقه اللغات السامية لبروكلمان، وفي صورة كتب صنف نعد منها : غرامطيق اللغة الآرامية السريانية للقس بولس الكفرنيسي صدر ببيروت، 1929، وتاريخ الأدب السرياني لمراد كامل ورفيقه، القاهرة 1949، المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية للدكتور عبد المجيد عابدين، مصر 1951م، وقواعد اللغة المصرية للدكتور عبد المحسن بكير، مصر 1954 م، المفصل في قواعد اللغة السريانية وأدائها، والموازنة بين اللغات السامية لمحمد عطية الأبراشي، وله مع مجموعة من زملائه: الأساس في الأمم السامية ولغاتهما، وقواعد اللغة العبرية وأدائها، وله الآداب السامية مع اهتمام باللغة العربية، والساميون ولغاتهم للدكتور حسن ظاظا، والسريانية نحوها وصرفها للدكتورة زكية محمد رشدي، وللدكتور محمد سالم الجرح " المنهج المقارن في مبادئ اللغة العربية وفقه اللغات السامية"، وللدكتور السيد يعقوب بكر " في أصول اللغة العبرية، وللدكتور رمضان عبد التواب : اللغة العبرية قواعد ونصوص، وقواعد الساميات، وللدكتور عبد الرزاق قنديل : العبرية وللدكتور شعبان سلام : اللغة العبرية، وفي العراق كان الأستاذ طه باقر من أوائل المهتمين بهذا الأمر فقد صدر له " من تراثنا اللغوي القديم"، وللدكتور عامر سليمان كتابان : التراث اللغوي، حضارة العراق " و : اللغة الأكديّة : ولأستاذ سامي سعيد الأحمد " اللغات الجزرية "

(1) في مقدمة ترجمته لكتاب كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية: ص5.

(2) المرجع السابق: ص6.

وظهر في أواخر الخمسينيات كتاب دروس اللغة العبرية للدكتور ربحي كمال لتدريسه في جامعتي دمشق وبيروت العربية .

ولا يفوتنا أن نذكر أن كثيراً ممن صنفوا كتباً في فقه العربية قد خصصوا فصلاً أو أكثر فيها عن اللغات السامية وعلاقة العربية بها كما فعل الدكتور علي عبد الواحد وأفي في كتابيه " علم اللغة " و " فقه اللغة " وكذلك الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه " فصول في فقه العربية " والدكتور صبحي الصالح في كتابه : دراسات في فقه اللغة : والدكتور محمود حجازي في كتابه : مدخل إلى علم اللغة : والدكتور إبراهيم السامرائي في " فقه اللغة المقارن " والدكتور كاسد الزيدي في كتابه " فقه اللغة العربية " وقد جمع الدكتور إسماعيل عمارة بحوثه في هذا المجال في كتابه الذي ظهر سنة 1996م تحت عنوان " بحوث في الاستشراق واللغة " وهو مجموعة من البحوث العلمية الأصيلة في المقارنات بين اللغات السامية وبيان خصائصها ومناهج المستشرقين ونظرياتهم في دراساتهم حولها. ومما يلاحظ على المصنفات العربية أنها قد ألقت غالبيتها في النصف الثاني من هذا القرن بعد أن استوى علم الساميات في الغرب ونضج على يد المستشرقين، وأن جل ما جاء فيها كان معتمداً على ما قرره المستشرقون، كذلك نجد في أيامنا هذه من⁽¹⁾ يرغب في إعادة النظر في تاريخ هذه اللغات وشعوبها، باعتبار أن هذا الأمر يخصنا أكثر من غيرنا الذي تركناه يكتب لنا تاريخنا. واللغات السامية تنقسم جغرافياً إلى قسمين : شرقية وغربية .

والسامية الشرقية : هي اللغة الأكديّة وهو الاسم الذي أطلق منذ الخمسينيات من هذا القرن⁽²⁾ على ما كان يعرف باللغة البابلية الآشورية، أي كانت تتكون من لهجتين هما البابلية والآشورية .

والبابلية هي لغة الساميين الذين أقاموا، بعد هجرتهم من الجزيرة في الوسط الجنوبي من العراق واتخذوا، من العراق، بابلونيا عاصمتهم وأطلق على هؤلاء الساميين اسم البابليين وعلى دولتهم الدولة البابلية نسبة إلى عاصمتهم المذكورة .

(1) كالدكتور أحمد داود الذي يتحدث في مناظرات تلفزيونية ويرى فيها أن العربية الأولى كانت موجودة في الجزيرة العربية، قبل سام بن نوح، وأنها انقسمت إلى ثلاث لهجات هي السريانية في الشرق والفنيقية في الغرب، والعربية العرباء التي بقيت في الجزيرة العربية ويرى أن اليونانية القديمة هي الفنيقية، ولا يوجد هنا مصطلح لغات سامية أو هندية أوروبية معتمداً في ذلك على الدراسات التاريخية والأثرية والبحوث اللغوية.

(2) عامر سليمان: اللغة الأكديّة: ص8.

وأما الآشورية فهي لغة الساميين الذين أقاموا في مدينة آشور شمال العراق بعد هجرتهم من الجزيرة في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد، اتخذوا مدينة آشور عاصمة لهم مع أنهم استبدلوا بها بعد ذلك بمدينة نينوي إلا أنهم اشتهروا باسم عاصمتهم آشور فسموا بالآشوريين ودولتهم بدولة آشور ومعظم علماء اللغة المحدثين يطلقون كلمة البابلية وحدها على الشعبة الجنوبية من هذه اللهجات أو على المجموعة كلها في العصر الذي كانت فيه السيادة لمناطق الجنوب، ويطلقون كلمة الآشورية وحدها على الشعبة الشمالية من هذه اللهجات، أو على المجموعة كلها في العصر الذي كانت فيه السيادة في لمناطق الشمال⁽¹⁾، وهذه اللغة أخذت تنتشر في العراق القديم المكون من بلاد سومر وأكد وبابل وآشور .

منذ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، وأخذت تزاحم اللغة السومرية، باعتبار أنها أصبحت لغة تخاطب في الوقت الذي كانت فيه السومرية لغة المكاتبات الرسمية، وكان لا بد أن يقوم الصراع بين اللغتين الذي ينتهي بقلية الأكديّة مع قيام الدولة الأكديّة في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد بأن أصبحت لغة الخطاب والتدوين والمكاتبات الرسمية والشعبية، ولكن لم ينته التعامل بالسومرية التي ظلت تستخدم على نطاق محدود وفي نصوص معينة ونتج عن ذلك ثنائية لغوية نشأت عنه أولى المحاولات في تأليف المعاجم اللغوية سجلت فيها قوائم من المفردات والمصطلحات السومرية وما يقابلها من (الأكديّة)⁽²⁾.

وقد وصلت إلينا الأكديّة بفرعيها البابلي والآشوري مكتوبة بالخط المعروف عند العرب بالمسماري وعند غيرهم بالإسفيني وهو خط الشعب السومري الذي تغلب هؤلاء الساميون عليهم ولكنهم لم يستطيعوا أن يغلبوه حضارياً فكانت الغلبة للثقافة السومرية التي يمثلها خطهم.

ولم يبق من هذه اللغة سوى النقوش المكتوبة على ألواح من الطين، ومن أشهر نقوشهم شريعة الملك البابلي حمورابي، ونقوش من عهد الملك نبوخذ نصر .

وظلت اللغة الأكديّة بلهجتها البابلية الحديثة لغة للخطاب والمكاتبات حتى عام 539 ق.م.، وهو العام الذي وقعت فيه بلاد بابل وآشور تحت الاحتلال الإخميني الفارسي، الذي أصبحت تستخدم على أثره في نطاق ضيق ومحدود النصوص الدينية والعلمية. ويبدو كذلك أنه قد دخل عامل حضاري قوي كان له أثر كبير في إنزياحها تدريجياً وهو عبور موجة سامية ما بين القرنين الرابع عشر والثاني عشر قبل الميلاد

(1) علي عبد الوحد وافي: فقه اللغة: 27.

(2) المرجع السابق: ص 38.

إلى بلاد الرافدين وهم الآراميون ولغتهم الآرامية بخطها الأبجدي البسيط الذي يمكن كتابة حروفه بالحبر على، أي سطح لين أو جاف كالرقاع والجلود وورق البردي؛ فلم تستطع الأكديّة أن تقاوم هذا الغزو بخطها المسماري المعقد الذي يحتاج إلى ألواح طينية لكتابتها؛ يلزمها وقت حتى تجف بالنار أو بالشمس فدخلت طي النسيان في أواخر القرن الأول الميلادي حتى بطل استخدامها نهائياً⁽¹⁾ بعد أن عمرت مدة تزيد على ألفي عام في مساحة واسعة من الأرض ظلت خلالها لغة التفاهم والتدوين والمكاتبات الرسمية .

. ومن الخصائص التي احتفظت بها اللغة الأكديّة ظاهرة الإعراب فالأسماء ترفع وتنصب وتجر، وحركات الإعراب فيها الضمة والفتحة والكسرة، وقد تكون علامة الأعراب في المثني الألف والنون في حالة الرفع، والياء والنون في حالتي النصب والجر إضافة إلى دلالتها على التثنية العربية كما نرى .

كذلك بسبب تدوينها بالخط المسماري السومري الذي كان يعتمد النظام المقطعي، وليس له رموز صوتية محدّدة ودقيقة، ومن عيوبه كذلك تعدد الطرق التي تكتب بها المقاطع؛ فقدت بعض الأصوات الحلقية⁽²⁾ التي لا توجد في اللغة السومرية كالحاء والعين والغين وهي الحروف التي اختفت من نقوشها على الأقل، وبذلك تكون حروفها ثمانية عشر حرفاً: أ، ب، ج، د، ز، ح، ط، ك، ل، م، ن، س، پ، ص، ق، ر، ش، ت⁽³⁾ وتكتب برموز بالابجدية الصوتية الدولية كالتالي: t, s, r, q, s, i / y, b, z, d, d, s, n, m, l, k, t, وقد وضع ولفنسون حاء بدلاً من الخاء ونقله غيره عنه كذلك وهو غير صحيح لأن الحاء من الأصوات التي فقدت في الأكديّة، ولم يدع أحد من المصنفين أن الخاء هي التي اختفت، ثم إنني قد تتبعت كثيراً من الكلمات فيها فوجدت فيها خاء أما الحاء كالعين فيستعاض عنها بالكسرة الممدودة، كما في: تَلَقَّ التي كانت تَلْقَح بمعنى أخذت، وأشمي بمعنى اشمع وكانت اشمع.

واستعاضوا⁽⁴⁾ عن الحروف التالية : ذ، ث، ظ، ض .

بالحروف : ز، ش، ص، ص، أما الألف (ā)، والواو (ū)، والياء (ī)، فُتستعمل حركات أو عللاً طويلة كالفتحة a والضمّة u والكسرة i التي هي علل أو حركات قصيرة . أما القسم الغربي من اللغات السامية فيتنفرح إلى شعبتين هما : الشمالية والجنوبية

(1) السابق نفسه: ص 41.

(2) انظر: السابق: ص 186، د. حجازي: مدخل إلى علم اللغة: ص 87.

(3) ولفنسون: تاريخ اللغات السامية: ص 38.

(4) انظر: اللغة الأكديّة: د. عامر سليمان، ص 193.

أما اللغات الشمالية الغربية، فهي مجموعة اللهجات التي تفرعت عن الكنعانية، بالإضافة إلى الآرامية وهي :

1 - الفرع الكنعاني : ولغاته تتكلمها القبائل العربية التي استوطنت بلاد الشام فاللغة الكنعانية هي اللغة الأم لهذه اللهجات التي تحولت إلى لغات وهي الأوجاريتية وهي اللغة التي اكتشفت نقوشها 1929⁽¹⁾، في رأس شمرا على الساحل السوري للبحر المتوسط، وكانت قد دُوِّنت سنة 1400 ق.م. وإذا كانت الأكديّة أقدم لغة سامية شهدتها العراق فإن الأوجاريتية هي أقدم اللغات الكنعانية التي عرفتها سوريا الكبرى، ويرجع الفضل إلى الأوجاريتين في تطوير نظام الكتابة المسماري المقطعي إلى نظام أبجدي يعبر فيه الرمز الواحد عن الصوت الواحد؛ حيث كانت المسمارية الأكديّة تأخذ المقاطع لترمز صوتياً، وهي مجتمعة بضمها، إلى اسم أو لفظ يدل على معنى بغض النظر عن معاني المقاطع التي تشترك في أدائها فكلمة حمورابي مثلاً اسم يجمع عدة مقاطع، كل منها له معنى وهي⁽²⁾ : Ha (بمعنى سمكة) mu (بمعنى اسم) Ra (بمعنى ضرب) bi (بمعنى

شراب)، أي خ، مو، را، بي، وهي كما نرى مقاطع تتألف من صوت صحيح وعلة قصيرة أو طويلة وكل مقطع يؤدي بمفرده معنى مختلفاً، ولكن عند ضمها تؤدي كلمة واحدة هي اسم العَلَم حمورابي. أما في الكتابة الأوجاريتية فأصبحت كلمة حمورابي مؤلفة من الحروف الأبجدية التالية هي :

الخاء + الفتحة + الميم + الضمة الطويلة + الراء + الفتحة الطويلة + الباء + الكسرة الطويلة - صوت صحيح + علة + صوت صحيح + علة + صوت صحيح + علة + صوت صحيح + علة .

وبهذا التبسيط للكتابة، انتشرت هذه الطريقة بين باقي الشعوب .

2- اللغة الفينيقية : وقد عرفناها عن طريق النقوش التي عثر عليها في مواطن الفينيقيين في المدن على ساحل بلاد الشام وهي صور، صيدا، جبيل، وفي جزر البحر المتوسط مثل قبرص ومالطا، وفي شمال أفريقيا في قرطاجنة التي شاعت فيها اللهجة البونية. وأبجدية هذه اللغة متأثرة بالأبجدية الأوغاريتية، ولكنها لم تكن متطورة. وتؤرخ النقوش الفينيقية للفترة ما بين 1200 ق.م. إلى 100 م .

(1) إسماعيل عميرة، المستشرقون ونظرياتهم، ص28.

(2) عامر سليمان، اللغة الأكديّة، ص125.

3- اللغة العبرية : ويرفض ولفنسون أن تكون العبرية فرعاً من الكنعانية أو أنها لهجة كنعانية⁽¹⁾، وهي في رأيه شقيقة لها حين يقول : كانتا لغة واحدة لهجت بها تلك الأمم التي كانت تسكن فلسطين وطور سينا في مدى قرون فلما تفرقت تلك وتباعدت اختلفت لهجاتها وتميزت فكانت إحداهما العبرية وكانت الأخرى الكنعانية وذلك سبب التشابه بين هاتين اللغتين⁽²⁾ وهو بهذا الرأي "يستند على ما ترويه الكتب المقدسة عن تاريخ الإسرائيليين"⁽³⁾ ، كما يقول الدكتور ربحي كمال، بينما الدكتور عبد الرازق قنديل يذكر أن من "أصحاب هذا الرأي اليعازر بن يهودا اليهودي الروسي الأصل الذي هاجر إلى فلسطين واهتم اهتماماً كبيراً بإحياء اللغة العبرية باعتبارها من مقومات القومية اليهودية التي كان يدعو إليها هو وغيره ... في بدايات القرن العشرين والنصف الثاني من القرن التاسع عشر"⁽⁴⁾. والحقيقة أن نشأة اللغة العبرية يكتنفها الغموض فلو أراد أحد أن يحاكم الأخبار والتواريخ التي وردت عن بني إسرائيل منذ اللحظة التي سموها بذلك فلن يصل إلى نتيجة يقينية واعتقد أنه قد حدث هذا في مصر بعد أن أحضر إليها سيدنا يوسف إخوته " وإن مكوثهم قد بدأ باستقرار يوسف بن يعقوب وإخوته بمصر"⁽⁵⁾ وقد "ظهر اسم إسرائيل قبل موسى بكثير أي قبله بعدد من مئات الأعوام وكون أن نرى الاسم مذكوراً على نصب يرجع تاريخه إلى فرعون منبّاح أمر لا يدهش ... وإن النصب يشير إلى جماعة يسميها "إسرائيل" فإنه لا يستطيع أن يشير إلى جماعة مستقرة، حيث أن هذا التسجيل يرجع إلى نهاية القرن الـ 13 قبل الميلاد وحيث أن مملكة إسرائيل لم تتكون إلا في القرن العاشر قبل الميلاد"⁽⁶⁾ واسم إسرائيل كان اسماً لشخص وهو سيدنا يعقوب، وليس لوطن. ولكن ما اللغة التي كان يتكلم بها نسل إسرائيل في مصر؟ وللإجابة لا بد أن نضع في اعتبارنا أن خروج بني إسرائيل مع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، كان في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، حيث إن الفرعون منبّاح حكم بين سنتي 1204-1224 ق.م. " وإن اليهود كانوا مستقرين بأرض كنعان في العام الخامس

(1) تاريخ اللغات السامية: ص79.

(2) السابق نفسه.

(3) دروس اللغة العبرية: ص36.

(4) العبرية: ص9.

(5) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلوم: ص254.

(6) المرجع السابق: موريس بوكاي: ص266.

من حكم منبتاح وأن خروج العبريين من مصر قد كان وقع قبل ذلك الوقت⁽¹⁾ وإنهم كذلك قد "مكثوا بمصر طيلة 400 سنة أو 430 عاماً دون المجازفة بالوقوع في خطأ كبير"⁽²⁾ كل ذلك يعني أن يوسف وأخوته قد حضروا إلى مصر في القرن السابع عشر قبل الميلاد، وقد أكد ذلك بوكاي بقوله: "إن المتخصصين يقولون حالياً بعد النظر إلى كل الاحتمالات بتواكب حركة الهكسوس نحو مصر في القرن الـ 17 ق. م. مع وصول يوسف وآله، وإنه في مدينة أفاريس، بالدلتا، استقبل عاهل هكسوسي يوسف وأخوته استقبلاً حسناً"⁽³⁾ ويستخلص من كل هذا أن بني إسرائيل قد خرجوا من أرض مياعدهم إلى مصر وعادوا ثانية عليها في أثناء وجود الكنعانيين الذين كان نزوحهم من جزيرة العرب قبل 2500 ق. م. حين جرت سيول القبائل الكنعانية إلى بلاد سورية وفلسطين"⁽⁴⁾ وهناك إشارة أخرى تدل على أن عبور إبراهيم النهر إلى أرض كنعان "قد وقع في بداية الألف الثاني قبل الميلاد"⁽⁵⁾ أي قبل رحيل أحفاده إلى مصر بثلاثمائة سنة، ويسمون على أثر هذه الرحلة بالعبريين. وهذه المعطيات التاريخية إذا أضفناها إلى معطيات لغوية تقول: "إن العبرية تشبه اللغة الفينيقية التي هي لغة صور وصيدا كل التشابه فهما من مصدر واحد (يقصد الكنعانية) وتشبه قواعد اللغة الفينيقية قواعد اللغة العبرية، وتتفق اللهجتان العبرية والفينيقية في الحروف الصحيحة وتشبه مجموعة الكلمات الفينيقية مجموعة الكلمات العبرية"⁽⁶⁾ فإني سأخلص إلى نتيجة مفادها أن العبرية ما هي إلا الكنعانية التي حرّفها اليونانيون في لغتهم إلى الفينيقية، أي إن الكنعانية والفينيقية ما هما إلا اسمان لمسمى واحد ودليلنا ما نقله الأبراشي حين يقول: "قد أثبت (سنكين يتن) الكنعاني أن كنعان هو أول من سماه اليونان فينيقس (Phoenix) من غير أن يظهر أنهما اسمان مفترقان، ولم يكن في لغة اليونان القديمة اسم آخر للدلالة على الكنعانيين، ولم يخطر لهؤلاء أن في تسميتهم بالفينقيين خطأ من اليونان، وقد آل بهم الأمر أخيراً إلى استعمال هذه التسمية كأنها اسمهم الحقيقي، ولو أنه مشوه بالتصحيف والتحريف، من هذا يتضح

(1) المرجع السابق: ص 265.

(2) السابق: ولكن المؤرخين اليهود يرون أن بني إسرائيل قد مكثوا في مصر 210 سنوات. وهو الشائع في الأدبيات الإسرائيلية.

(3) نفسه: ص 255.

(4) ولفسون: ص 54.

(5) الساميون ولغاتهم: ص 72.

(6) الآداب السامية: ص 39-40.

أن اسم الفنيقيين لم يكن في الأصل إلا تحريفاً لاسم الكنعانيين السامي⁽¹⁾ يقوي ذلك ما ذكره ولفنسون " وكان الإغريق يسمون الكنعانيين بالفنيقيين ولكن سواء أكانت هذه التسمية خاصة بأهل الشاطئ أم كانت عامة تشمل جميع الكنعانيين؟... تشملهم جميعاً..... " (2) وهذه الفنيقية انتقلت إلى شمال أفريقيا وسميت في قرطاجنة بالبونية؛ نظراً لما أصابها من تطور أبعدهما عن الفنيقية في صور وصيدا أو عن الكنعانية، وهذا يحملني على القول أنه كان في سوريا الكبرى لغة واحدة في الداخل تسمى الكنعانية، وعلى الشاطئ تسمى الفنيقية، وفي قرطاجنة سميت البونية.

ويتوصل (ولفنسون) إلى أن الكنعانية والعبرية لغة واحدة، وقد فوجئت بما توصل إليه حين وقع عليه نظري مصادفة حيث يقول: "وأما شدة القرب بين اللغتين (يقصد الكنعانية والعبرية) فلا يمكن أن يدل إلا على شيء واحد هو أن اللغتين في الواقع لغة واحدة" (3) ويضيف سبباً آخر لذلك بقوله: "ويعد الكنعانيون من أقرب أقرباء بني إسرائيل لاشتراكهم معهم في اللغة ومشابهتهم لهم في أخلاقهم وحضارتهم القديمة" (4) بدليل أنه "ما كاد يوشع بن نون (قائدهم بعد سيدنا موسى) يموت حتى سادت الفوضى في بني إسرائيل وارتد كثير منهم إلى وثنية الكنعانيين وعبادة الأصنام وفي مقدمتها بعل وعشتروت" (5)، وكأنه إرث قريب لهم ارتدوا إليه يعد الجهود التي بذلها سيدنا إبراهيم وأحفاده للابتعاد عنه، ولا صحة لما رده أكثر من مرة محمد عطية الأبراشي في كتابه الآداب السامية من أن لغة اليهود في مصر كان الآرامية (6) لأكثر من سبب، ومن حيث المبدأ فإن إطلاق اسم اليهود وهم في مصر غير صحيح أيضاً فالتسمية بهذا الاسم متأخرة فالديانة التي أتى بها سيدنا موسى في التوراة ليست اليهودية وإنما هي ديانة التوحيد بالله عز وجل، خالق الكون ورب السموات والأرض والإله الواحد للبشر وإن كانت قد نزلت على بني إسرائيل. وأما الديانة اليهودية فهي التي نسبوها إلى ما ادعوه أنه إله خاص بهم وهو يهوه .

ولو كانت الآرامية لغة بني إسرائيل العائدين لما سمي بعد ذلك كتابهم المقدس بالترجوم أي المترجم عن العبرية، كما يفترض، إلى الآرامية، ثم إن التاريخ يسجل أن بني

(1) السابق ص 38-39.

(2) تاريخ اللغات السامية: ص 56.

(3) السابق: ص 55.

(4) نفسه: ص 54.

(5) الساميون ولغاتهم: ص 80.

(6) انظر الآداب السامية: ص 29، ص 44، ص 48، ص 49.

إسرائيل كانوا من ألد أعداء الآراميين والحرب بينهم كانت سجالاً⁽¹⁾.

وقد ذكرنا آنفاً أن سيدنا إبراهيم قد دخل أرض كنعان سنة 2000 ق.م. وأن أحفاده أي يوسف وأخوته قد ارتحلوا إلى مصر سنة 1700 ق.م. أي قبل ظهور الآراميين على مسرح الأحداث الذي كان في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، مع أن هجرتهم من الجزيرة إلى سوريا قد حدثت حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد أي يعد مرور ألف عام على استقرار الكنعانيين في أرض العمران⁽²⁾؛ وعليه فالأولى بالأخذ به أمام هذه الحقائق التاريخية أنهم هاجروا إلى مصر ولغتهم الكنعانية ورجعوا بها لمحافظتهم عليها ففي سفر أشعيا (18:19) "عندما دخل الموسويون أرض كنعان تحدثوا الكنعانية في بلاد الشام"، لأنهم عاشوا في مجتمع منفصل عن المصريين الذين اعتبروهم أجنبياً وراحوا يضطهدونهم على هذا الأساس ويفرضون عليهم السخرة والضرائب ويمعنون في قتلهم حتى قرروا ترك البلاد بزعامة سيدنا موسى⁽³⁾. وأستشهد على صحة ذلك بما ذكره الأنطاكي من أن "اللسان العبري شديد الشبه باللسان الكنعاني، بل إنه في الأزمنة القديمة لم يكن يعرف بهذا الاسم، فصحف العهد القديم تسميه مرة باللسان اليهودي، ومرة أخرى باللسان الكنعاني"⁽⁴⁾.

ولم تذكر التوراة "اللغة العبرية نصاً" رغم إشارتها الواضحة إلى لغات قديمة أخرى كالآرامية ويشير الباحث الإسرائيلي حديثاً وهو موشيه ديفيد كاسطو إلى أن "اللغة العبرية ليست سوى لهجة انفصلت من الجذع الكنعاني، وهذه الفرضية لا يمكن دحضها"⁽⁵⁾ في رأيه.

واستقرت العبرية باعتبارها لغة العبريين، إذ صارت تنسب لهم بعد أن كانت تسمى الكنعانية التي يتكلم بها كل من سكن أرضها، فلا بد من تميزهم لغوياً باعتبارهم شعب الله المختار، الذي تميز دينياً بالشرائع والتعاليم التي تلقاها سيدنا موسى، لأن ذلك من المقومات التي سيعتمدون عليها في إقامتهم دولتهم المستقلة التي ستضمن لهم الكرامة والتحرر من سيطرة الآخرين، وقد تحقق حلمهم طبعاً قديماً بإقامة مملكتهم التي ما لبثت أن انقسمت فيما بعد إلى دولة في شمال فلسطين وأخرى في جنوبها الأولى إسرائيل

(1) ولفنسون: ص ص 116-117.

(2) السابق: ص 115.

(3) الساميون ولغاتهم: ص 75.

(4) الوجيز في فقه اللغة: ص ص 91-92.

(5) نقلاً عن مقالة للباحث جودت السعد في الدستور الثقافي الأردني عدد الجمعة بتاريخ 28/3/1997 : ويثبت الباحث نفسه أنه كلما وردت لفظة الكنعانية القديمة وضع الباحثون التوراتيون بعدها العبرية القديمة بين أقواس للإحياء بالتطابق، وعلى رأس هؤلاء وليم أولبرايت.

والثانية دولة يهوذا أو الدولة اليهودية، ويتم تدمير الأولى سنة 722 ق. م. والثانية بالسبي البابلي 586 ق. م. على يد نبوخذ نصر .

وقد مرت العبرية بطورين وكل طور يمكن قسمته إلى فترتين⁽¹⁾، أما الطور الأول فقد بدأ حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد أي منذ دخول بني إسرائيل أرض كنعان، بعد خروجهم من مصر، إلى عام 70 م حيث ينتهي بهدم الهيكل على يد تيطس الروماني، وهذه هي التي يطلق عليها عبرية العهد القديم والفترة الأولى من هذا الطور تنتهي بالسبي البابلي سنة 586 ق. م. حيث أقاموا كيانهم السياسي المستقل بقيام أول مملكة لهم بلغت أوجها في عهدي داود وسليمان وقد انعكس إيجابياً على لغتهم التي بلغت فيه منزلة رفيعة في بلاغة أساليبها، وصارت فيما بعد أنموذجاً للمحاكاة من قبل مفكرهم وأدبائهم، وقد تم في هذه الفترة تدوين أهم أسفار العهد القديم التكوين والخروج والتثنية ويوشع والقضاة بما فيه القصيدة الحماسية الدينية " قصيدة دبورة " وصموئيل وأمثال سليمان ومزامير داود، وكتب الأنبياء المتأخرين كإرميا وأشعيا واختلفت في هذه الفترة لغة الشعر بتركيبه وصيغه ومعانيه عن لغة النثر.

أما الفترة الثانية فتبدأ بعد السبي البابلي الذي أعقبه اضمحلال وزوال المملكتين الإسرائيليتين الشمالية والجنوبية وتم نفيهم - أي بني إسرائيل - إلى أرض بابل وقد عاد ذلك على لغتهم بالوهن والضعف لأنها لم تعد لغة الحديث، بل انحسر استخدامها وصار محصوراً في إقامة شعائر العبادات بالطقوس الدينية، فقد تغلبت عليها اللغة الآرامية التي أخذ يمتد نفوذها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت لغة الكتابة والحديث لجميع الشعوب من بلاد فارس والرافدين إلى ساحل البحر المتوسط، وما كاد ينتهي القرن الرابع قبل الميلاد حتى أصبحت العبرية في عداد اللغات الميتة شعبياً، واقتصرت على التعامل بها في أمور الحياة على النصوص الدينية، وأهم ما وصلنا من عبرية هذه الفترة هو نص المشنا، وهو كتابهم المقدس الثاني، ويتضح فيه التأثير الآرامي كما يتضح في سفر دانيال .

الطور الثاني : ويبدأ في أعقاب خراب الهيكل منذ عام 70 م على يد تيطس الروماني حيث زال الكيان السياسي لبني إسرائيل الذين تفرقوا وأصبحوا يشكلون تجمعات دينية سواء في العراق أو في فلسطين وشمال إفريقيا والأندلس في عهد الدولة الإسلامية ويقسم هذا الطور أيضاً إلى فترتين :

الأولى : فترة العصور الوسطى : التي ازدهرت فيها العبرية في إطار الحضارة العربية الإسلامية فكتبت بها النصوص الأدبية والدينية والفلسفية، وبدأ اليهود يدرسون لغتهم متأثرين بما حدث للعربية فوضعوا لها نظام التنقيط والحركات والنظام النحوي

(1) مستندين في ذلك على ما جاء في كتاب العبرية للدكتور عبد الرزاق قنديل: ص 12-39.

والمعجمي. وتعد هذه الفترة في العبرية فترة خصبة في تاريخ الفكر اليهودي وثقافته خاصة بعد انتقال نشاطهم من العراق إلى الأندلس وشمال أفريقيا فقد ازدهرت الدراسات اللغوية العبرية والإنتاج الشعري والفكر الفلسفي، حتى يمكننا القول إن العبرية قد بلغت عصرها الذهبي في الأندلس خاصة في ظل الدولة الإسلامية وحضارتها، وتنتهي هذه الفترة بخروج العرب من الأندلس حيث اتجه اليهود إلى الدول الأوروبية المجاورة .

والفترة الثانية : هي الفترة العبرية الحديثة التي بدأ يحرص كتابهم وأدباؤهم أن يكتبوا بها باعتبارها لغتهم القومية خاصة بعد ظهور الحركة الصهيونية التي دعت إلى إحياء العبرية في الصحافة والقصة والرواية والشعر، وبدأت الهجرة إلى فلسطين تتوالى وبدأت محاولات إحياء العبرية لغة للخطاب والحديث بين أوساط اليهود فيها، ومن أهم ما حدث في سبيل إحيائها المعجم الذي قام : اليعازر بن يهودا بجمعه من مفردات العبرية قديمها ووسيطها واستمرت الجهود الفردية والجماعية في إحيائها حتى أصبحت اللغة الرسمية لليهود في أعقاب قيام دولة إسرائيل في فلسطين، وأهم ما يلاحظ في هذه الفترة هو تهاونهم في الأصول الصوتية والصرفية والنحوية التي تشترك فيها العبرية مع خصائص اللغات السامية، وحاولوا أن يطبقوا فيها ما جري في اللغات الأوروبية من استخدام السوابق واللاحق في الكلمات من أجل مسايرة مخترعات العلم الحديث .

ويبقى من اللهجات الكنعانية المؤابية التي يدل عليها نقش ميشع ملكهم الذي يصف فيه انتصارهم على ملك إسرائيل، ولا يتجاوز هذه النقش 900 ق. م. ويقال أن هؤلاء المؤابيين من نسل لوط ابن أخي إبراهيم الخليل .

ب - الفرع الآرامي : ويتفرع إلى الآرامية وهي لغة القوم من ذرية آرام بن سام الذين استقروا في سوريا بعد هجرتهم من الجزيرة العربية حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد ويبدو أنهم كانوا مجموعة من القبائل التي ظلت على بداوتها في صحراء الشام وأطراف العراق ولم تتحدث فيما بينها حتى إذا تكونت لديها عدة ممالك كما في دمشق وحران أو غيرها ظلت تتنافس فيما بينها وتنازع غيرها من الممالك المجاورة كملكة آشور وملكة إسرائيل ورغم سقوط الدولة الآرامية في سوريا لم يكفوا عن التدخل في شؤون الدول المحيطة بهم وكان لهم دور حضاري ملته لغتهم التي أصبحت اللغة الشائعة والمشاركة بين جميع شعوب المنطقة من بلاد فارس إلى البحر المتوسط وقد حلت في فترة تاريخية طويلة محل الأكدي والعبرية؛ لخطها الأبجدي البسيط بحيث حل محل الخط المسماري.

ويقسمها المستشرقون إلى شرقية في العراق تنقسم إلى شمالية وجنوبية وإلى غربية وتطلق على لهجاتها في سوريا وفلسطين وقد كتب التلمود الفلسطيني بالآرامية الغربية والترجوم وسفر دانيال وأما التلمود البابلي فنصوصه بالآرامية الشرقية .

2- السريانية : وهي لغة المسيحيين من العاقبة والنساطرة، وهي امتداد للغة الآرامية التي دخلت بلادها المسيحية في القرن الثاني الميلادي فأنف أهلها اسم الآرامية المرادف للوثنية بعد أن تنصروا، وسارعوا بالأخذ بكلمة سريان تلك التسمية التي أطلقها عليهم اليونان الذين كانوا يحتلون بلادهم كما سموا لغتهم السريانية⁽¹⁾. وعليه فالسريانية هي لغة السريان المسيحيين في الرها، وترجم إليها الكتاب المقدس والآداب اليونانية وعلومها وفلسفتها حتى أصبحت وسيلة التعبير الفكري لدى نصارى مصر والشام والعراق وإيران⁽²⁾، وتحولت من لغة شعبية إلى لغة أدبية . والسريانية شرقية قديمة، وغربية حديثة يتكلم بها في سوريا والعراق.

وقد قامت هذه اللغة بدور كبير ومهم في خدمة الثقافة العربية فقد كانت وسيلة نقل التراث اليوناني إلى اللغة العربية فقد قام بهذا الدور الجليل المترجمون السريان كحنين بن إسحق وزملائه.

ومن اللهجات الآرامية الأخرى المندعية أو المندائية وهي لهجة للصابئة في جنوب العراق⁽³⁾ وما زالت يتحدث بها إلى اليوم، وهم قوم ديانتهم خليط من المسيحية واليهودية⁽⁴⁾. واللهجة التدمرية⁽⁵⁾ لغة أهل تدمر المملكة العربية التي تربعت على عرشها زونببا التي دارت بينها وبين الرومان حروب خلدها التاريخ وكادت أن تقضي على نفوذهم، ووجدت هذه النقوش على الصخور والمغاور والكهوف . كذلك النبطية⁽⁶⁾ وهي لهجة النبط وهم عرب أيضاً وخط نقوشها حروفه متصلة، والأنباط والتدمريون " ينتمون إلى أصول عربية ولكنهم كانوا يستخدمون الآرامية لغة كتابة"⁽⁷⁾.

وبدأت العربية تحتل مكانة الآرامية والسريانية شيئاً فشيئاً حتى أصبحت لغة الخطاب والتدوين ساعداها على ذلك نزول القرآن الكريم بها وما تبع ظهور الإسلام من فتوحات تغلبت فيها العربية وورثت الآرامية في انتشارها الذي فاق انتشار الأكديّة وغيرها من اللغات السامية التي سادت وبادت.

الشعبة الغربية الجنوبية من اللغات السامية وتتفرع إلى :

أ - العربية الجنوبية أو اليمنية القديمة أو القحطانية وأحياناً تسمى الحميرية أو السبئية

(1) زاكية رشدي، السريانية، نهوها وصرفها: ص 9-10.

(2) المرجع السابق: ص 12.

(3) ظاظا، الساميون ولغاتهم: ص 117.

(4) ولفنسون، تاريخ اللغات السامية: ص 145.

(5) وافي، فقه اللغة: ص 63-64، كاسد الزبيدي، فقه اللغة العربية: ص 86، ونولدكه: اللغات السامية، ص 54.

(6) نولدكه: نفسه، وافي: نفسه، وكاسد: نفسه: ص 87.

(7) وافي: فقه اللغة: ص 65.

باسم إحدى لهجاتها وهي مختلفة عن العربية الشمالية في الصوت والدلالة ونحوها
وصرفها، وأهم لهجاتها :

1- اللهجة المعينية : وتنسب إلى المعينيين الذين أقاموا دولتهم في جنوب اليمن في
القرن الثامن قبل الميلاد، وقد عرفت هذه اللهجة عن طريق النقوش التي عثر
عليها .

2- اللهجة السبئية : وهي لهجة دولة سبأ التي قوضت أركان الدولة المعينية وكانت
عاصمة مملكة سبأ مدينة مأرب وقد وصلت هذه اللهجة عن طريق نقوش أيضاً
وجد كثير منها في منطقة مأرب .

3- اللهجة الحضرية : وهي لهجة مملكة حضرموت التي أقامت حضارة ازدهرت
في حضرموت ولكن نزاعها مع مملكة سبأ انتهى بها إلى الزوال .

4- اللهجة القتبانية : وهي لهجة منطقة قتبان التي أنشئت فيها مملكة انتهت أيضاً
نزاعها مع مملكة سبأ بانقراضها واندماجها فيها.

ب- اللغة الحبشية : وهي التي " نشأت في الحبشة نتيجة لهجرة عربية جنوبية من
جزيرة العرب إلى شرق أفريقيا وتنقسم إلى اللهجات الآتية :

1- اللهجة الجعزية : باسم الشعب الجعزي الذي نزع من الجزيرة إلى الحبشة وهي
أقدم لغة سامية دخلتها وقد ترجم إليها الكتاب المقدس وبعض النصوص
الدينية فأصبحت مرتبطة بالمسيحية، ولم تعمر هذه اللهجة طويلاً وما لبثت أن
أصبحت لغة الطقوس الدينية في الحبشة وما زالت كذلك .

2- اللغة الأمهرية : وهي اللغة الرسمية الآن في الدولة الحبشية ليس في ميدان
المكاتبات والدواوين بل في ميادين المحادثة والخطاب، وأصبحت لغة الصحافة
والإعلام.

3- التجرينية والتيجرية : اللهجتان المتفرعتان عن الجعزية ولا تستخدمان في
الكتابة بل في المشافهة، وتستعمل الأولى في تيجرينيا ومن ضمنها مدينة
أكسوم والثانية في المنطقة الواقعة شمال منطقة تيجرينيا، " وهما أكثر اللغات
انتشاراً في أرتيرية " ⁽¹⁾.

(1) السابق نفسه.

- ومن اللهجات المتفرعة من الأمهرية : الجوراجية لغة منطقة جوراجيا، اللهجة الهررية ويتكلم بها أهل مدينة هرر⁽¹⁾.

ويبدو أن هذه اللغات حديثة مختلطة من السامية والحامية.

الشعبة الغربية الشمالية من اللغات السامية التي تنقسم إلى قسمين :

أ - العربية البائدة: وهي عربية النقوش الموجودة في النقوش اللحيانية والصفوية والنمودية، وسنفردها فصلاً خاصاً .

ب - العربية الباقية : وهي العربية التي نزل بها القرآن الكريم، لغة القبائل العربية في تميم وما جاورها في وسط الجزيرة وشرقها، والحجاز وما جاورها واليمن، وما زالت باقية باعتبارها لسان أمتنا العربية في الأدب والعلم والمحادثة.

وأما اللغات الحامية: فهي اللغة المصرية القديمة واللغة البربرية واللغات الكوسية كالصومالية واللغة التشادية ومنها لغة الهوسا.



أسئلة التقويم الذاتي (2)

1. لم سميت اللغات السامية بهذا الاسم؟ ومن سمّاها بذلك؟
2. اذكر اللغات التابعة لفصيلة اللغات السامية. وأي الشعوب التي تتكلمها؟
3. اذكر بعض اللغات التابعة لفصيلة اللغات الحامية؟

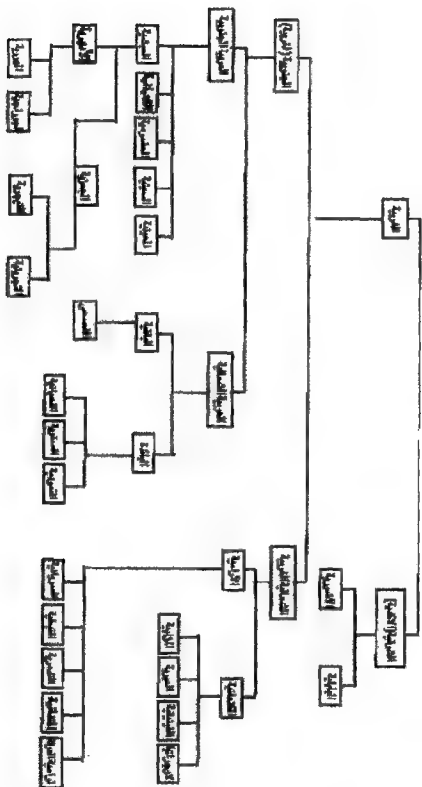


تدريب (2)

1. لقد كان للخط المسماري السومري أثر سلبي على اللغة الأكديّة وضح.
2. ماذا نقصد بقولنا العربية الباقية ؟

(1) وافي: فقه اللغة، ص95.

شجرة اللبن السامية



4. خصائص اللغات السامية

إن أهم ما يميز فصيلة اللغات السامية عن غيرها ما يلي :

- 1- تعتمد اعتماداً كبيراً على الأصوات الصامتة في أداء المعاني الرئيسة للكلمات⁽¹⁾، فمثلاً نجد الحروف : ج، م، ل هي التي تؤدي معنى الجمل المعروف بغض النظر عن الحركات القصيرة أو الطويلة المصاحبة لهذه الأصوات الصامتة⁽²⁾:

عربي	أشوري بابلي	عبري	آرامي	العربية الجنوبية بما فيها الحبشية
جَمَلٌ	جَمَلو	جَمَل	جَمَلَا	جَمَل
رَكِبَ	رَكِب	رَكِب	رَكِب	رَكِب
نَمَ	نَمُو	نَم	نَمَا	نَم
قَرَبَ يَقْرَب	قرب يَقْرِب	قَرِب يَقْرِِب	قَرِب	قَرِب

- 2- تغلب على اللغات السامية الأصوات الحلقيّة كالعين والغين والحاء والخاء والهاء والهمزة والأصوات الطبقيّة كالصاد والطاء⁽³⁾، وهي موجودة بدرجات متفاوتة طبعاً، فالأصوات الحلقيّة والطبقيّة موجودة كاملة في العربية الجنوبية والشمالية بينما الأمهرية تخلو من العين وفي الأكديّة الهمزة والخاء فقط .

- 3- تتألف الكلمات السامية في الغالب من جذر ثلاثي من الأصوات الصحيحة أو الساكنة نحو : ح ف ر، زرع، طحن، فتح، نفخ، وقر .

هذا طبعاً بغض النظر عن حروف المعاني والضمائر وأسماء الشرط والإشارة .

- 4- إن دلالة الأفعال على الماضي والحاضر والمستقبل من وجهة النظر الموضوعية؛ من ناحية انتهائه في الماضي أو عدم انتهائه (المضارع والأمر) وليس من وجهة نظر الإنسان⁽⁴⁾؛ لذلك نجد أن العربية تستخدم أدوات أخرى للدلالة على الزمن بصورة أدق نحو لم، ولن، والسين وسوف ولذلك نجد بريجستراسر يعد العربية أدق من اللغات الأخرى في التعبير عن الوقت إذ يقول " فاللغة العربية أكمل اللغات السامية وأتمها

(1) انظر: فقه اللغات السامية: ص14، تاريخ اللغات السامية: ص14، فصول في فقه العربية: ص30.

(2) عن تاريخ اللغات السامية: ص285، 287، 286، 291، وتمثل العبرية اللهجات الكنعانية والعبرية، والسريانية جميع اللهجات الآرامية، والجعزية تمثل لهجات العربية الجنوبية.

(3) فقه اللغات السامية: 15، فصول في فقه العربية: ص31.

(4) السابق: نفسه.

في هذا الباب أي باب معاني الفعل الوقتية وغيرها ⁽¹⁾.

5- لا تعرف اللغات السامية تركيب الكلمات ⁽²⁾ أي إدغام كلمة في أخرى حتى تصير الاثنان كلمة واحدة تدل على معنى مركب من معني كلمتين مستقلتين ⁽³⁾، كما في العربية الحديثة نحو، أفرو آسيوي (أفريقيا وأسيا)، شمطرية (شمسية) من الشمس والمطر، ورأسمالي (رأس ومال) والحقيقة أنَّ مثل هذا التركيب موجود في العربية منذ القدم، وإن كانت أمثلته قليلة وقد يختلط بما يطلق عليه حديثاً اسم النحت نحو: عبشمي، وعبدري ومرقسي وعبقسي وتيملي في النسب إلى عبد شمس، وعبد الدار، وأمريء القيس وعبد القيس، وتيم اللات .

6- تتشابه اللغات السامية في كثير من المفردات خاصة الدالة على أعضاء الجسم نحو أذن والضماير وصلبة القرابة ⁽⁴⁾ نحو أب وأم وابن وأخت، والأعداد من 2 - 10 والجهات، ونسوق أمثلة من تاريخ اللغات السامية لولفنسون ⁽⁵⁾، كالتالي :

عربي	أشوري وبابلي	عبري	آرامي	العربية الجنوبية
أَبْ	أَبو	أَب	أَبا	أَب
ابن	بُنو	بن	بُرأ	بن
أخ	أخو	أخ	أخا	أخو
أذن	أَزْنو	أَزَن	أودنا	أزن
أُم	أُمُو	أُم	أما	أُم
أربع	أربعو	أربع	أربع	أربع
يوم	أمتو	يوم	يَوما	يوم

7- يحدث في الغالب تأنيث الاسم والصفة في اللغات السامية بإضافة تاء إلى المذكر واختص الدكتور وافي ⁽⁶⁾ بهذه الخصيصة ولم يذكر مثلاً، ولعله يريد ما يمكن أن تمثل له ب: عادل : عادلة، وقاض : قاضية، وحسن : حسنة، وجميل : جميلة.

(1) التطور النحوي: ص90.

(2) نصول في فقه العربية: ص31.

(3) ولفنسون: تاريخ اللغات السامية: ص15.

(4) فقه اللغة: د. وافي ص21، واللغات السامية، تولدكه: ص10.

(5) تاريخ اللغات السامية: ص283، 294، ورمز e، للدلالة على الفتحة الممالة، و 5 للضمة المفتوحة،

نحو: سولم في سالم وأنظر كذلك التطور النحوي لبرجستراسر، المشترك السامي من المفردات من

صفحة 208-210.

(6) فقه اللغة: ص21.

8- أما في بناء الجملة فكانت الجمل في اللغات السامية قديماً قصيرة وترتبط ببعضها بالواو، وهي ما يسمى بظاهرة التوازي⁽¹⁾، ولكن هذه الظاهرة افتقدت حديثاً.



أسئلة التقويم الذاتي (3)

ما أهم خصائص اللغات السامية ؟



تدريب (3)

اذكر ضميرين مشتركين بين العربية والعبرية ؟

5. خصائص العربية

اتسمت العربية الفصحى بخصائص، انفردت ببعضها وشاركتها في بعضها الآخر غيرها من اللغات السامية نذكر منها ما يلي :

1- تمتاز اللغة العربية في مجموع أصوات حروفها، بسعة مدرجها الصوتي حيث تدرج وتتنوع في مخارجها ما بين الشفتين من جهة وأقصى الحلق من جهة أخرى⁽²⁾، مما يؤدي إلى التوازن والانسجام فيما بين الأصوات في اللفظة الواحدة وذلك لأن العرب كانت تستبعد أن تنطق الألفاظ التي تتألف حروفها فكما قال الجاحظ " فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تأخير والزمن لا يقارب الطاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير " ⁽³⁾.

2- ومن الخصائص الصوتية كذلك للكلمة العربية ثبات أصوات الحروف فيها على مدى العصور والأجيال⁽⁴⁾، حيث حافظت الأصوات العربية في الفصحى على صفاتها ومخارجها وبقيت على وضوحها وخير ما يمثل ذلك الأصوات في قراءات القرآن الكريم.

3- وكذلك الألفاظ العربية لا تبدأ بساكن لذلك كان العرب يأتون بهمزة الوصل لتتحمل الحركة إذا كان الحرف الأول ساكناً كذلك لا يجتمع ساكنان في كلمة عربية ولا بين كلمتين متجاورتين كغيرها من اللغات.

(1) محمود حجازي: أسس علم اللغة العربية: ص 149.

(2) محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية: ص ص 249-250 وانظر كذلك صبحي الصالح: ص 319.

(3) البيان والتبيين: 1/ 69.

(4) محمد المبارك: السابق، ص 251.

- 4- ومن أخص الخصائص التي تميز العربية ظاهرة الإعراب وقد شاركتها فيها قديماً الأوجارية والأكدية وبها تؤدي العربية غرضين هما: الإبانة عن المعاني بالألفاظ⁽¹⁾، لأنه هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ⁽²⁾، وإن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها⁽³⁾، ولوصل الكلام بعبء بعض عند الإدراج⁽⁴⁾.
- 5- الاشتقاق، وإن لم تنفرد به، يعتبر الوسيلة الأولى والرئيسية في نمو اللغة العربية واتساعها، ويجعلها قادرة على استيعاب ما يستجد من ألوان الحضارة ومظاهر المدنية وتقدم العلم بتوليد الأبنية والأوزان التي تكون وعاء للمعاني بأنواعها وتعددتها ويتجلى ذلك في اختلاف المشتقات وأوزان الأفعال وصور المصادر فكأنها القوالب التي تصب فيها المعاني والأفكار والاصطلاحات والمفاهيم .
- 6- يعتمد الاشتقاق في العربية على أصول ثلاثية في الغالب، وأن الألفاظ التي تنتمي لهذا الأصل لا بد من توافر هذه الأصول فيها من أجل المحافظة على أصل المعنى.
- 7- ومن خصائص العربية كذلك أن القلب والإبدال من وسائل تنمية العربية وهما من سنن العرب في كلامهم⁽⁵⁾ ويقصد بالقلب المكاني كجذب وجبذ وبالإبدال إقامة حرف مكان آخر سواء قاربه مخرجاً أم لم يقاربه نحو فلق وفرق، ومدحه ومدمه، وعنوان وعلوان أراق وهراق.
- 8- ومن خصائص العربية في التركيب ما تحدث عنه برجستراسر⁽⁶⁾ في ثلاث مسائل:
- الأولى : ضمير الشأن : حيث يقول : " ومن خصائص العربية، إن مبتدأ الجملة الحركية، ربما كان ضميراً للغائب، لا علاقة له بالجملة الخبرية ولا راجع إليه فيها، وهذا ما سماه النحويون : ضمير الشأن نحو : "إنه لا يفلح الظالمون"⁽⁷⁾ وأكثر ذلك بعد إن كما هو في هذا المثال أو بعد أن، على الجمل الفعلية نحو: لا يفلح الظالمون فهذا مما يشهد بمزية العربية شهادة مبينة، فغيرها من اللغات السامية، قد يقدم أمثال (إن) على الجمل الفعلية وإن كان موضعها أول الجمل الاسمية فقط، والعربية أعمت الشواذ، وأقصت قاعدة إلحاق إن وأخواتها بالجمل الاسمية فقط، وهي مع ذلك اخترعت وسيلة لقب الجملة الفعلية، اسمية، بغير تغيير تركيبها، وكثرة ذلك من خصائص العربية مع كون أصله سامياً شائعاً في غير العربية أيضاً.

(1) الخصائص: 35/1.

(2) الصاحبي في فقه اللغة: ص75.

(3) دلائل الإعجاز: ص23.

(4) الإيضاح في علم النحو: ص69.

(5) الصاحبي: ص208-209، وفقه اللغة للثعالبي: ص347.

(6) التطور النحوي: ص ص139-140.

(7) إنها فاصلة آيات كثيرة في سور عدة منها: سورة الأنعام 6-21.

الثانية: نائِبُ الفاعل : حيث قال: "والجملة الفعلية أبسط تركيباً من الجملة الاسمية ولا ينبغي لنا أن نتكلم هنا تفصيلاً، بل يكفي الكلام عن مسألة واحدة من مسائلها وهي مسألة الفعل المَعْدوم أو المَسْنَد إليه، أما الأول فهو فعل ما لا يسمى فاعله نحو ضَرَبَ زيدٌ فهو مَعْدوم الفاعل، ليس بمَعْدوم المَسْنَد إليه فنراه أَسْنَد إلى زيد وهو مفعوله، فإذا نقلنا جملة ضربت زيداً إلى ما لم يسمى فاعله صار المفعول وهو زيد مَسْنَداً إليه وحذف الفاعل، وفي العربية قد يسند فعل ما لم يسم فاعله في بعض الأوقات إلى ما لم يكن مفعولاً بل كان منصوباً غير مفعول نحو: سير فرسخان، أصلها ساروا فرسخين، وصيم رمضان أصلها صاموا رمضان، ولا نظير لذلك في غير العربية".

الثالثة: إسناد الفعل أو الخبر إلى ظرف زمان حيث قال: "ومن غرائب العربية التي تتميز بها، ليس عن سائر اللغات السامية فقط بل عن أكثر اللغات على العموم، إسناد الفعل أو الخبر إلى ظرف زمان نحو: إذا ما نام ليل الهَوَجِل⁽¹⁾ أي إذا نام البطيء والأحمق ليله، ومن مثل ذلك: أخذ وصف الزمان بالفعل نحو "يوم عاصف"، وإضافة الفعل إليه، نحو: "يل مكر الليل والنهار"⁽²⁾.

9- ومن أبرز السمات التركيبية في العربية التقديم والتأخير مع الاستفهام والهمزة كقولك: أفعلت؟ فيكون الشك في الفعل نفسه لتقدمه، أما إذا قلت: ألأنت فعلت؟ سيكون الشك في الفاعل لتقديم الاسم وكقوله تعالى: "ألأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟"⁽³⁾. كذلك التقديم والتأخير مع النفي كقولك: ما قلت هذا، وما أنا قلت هذا، في الأولى تنفي عن نفسك فعلاً لم يثبت أنه حاصل، وأما الثانية فتتنفي عن نفسك ما ثبت أنه قد حصل.

هذا غير التقديم والتأخير بين المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية، مما قد يكون له أسباب أو أسرار تعود إلى انفعال المتكلم أو حرصه على الموسيقى أو للاهتمام بالمتقدم أو للضرورة الشعرية أو للتبرك أو التعجب أو التفاؤل أو التشويق أو التخصيص أو التنبيه أو لتمكين الخبر في ذهن السامع أو لتعجيل المسرة أو غيرها أو لتقوية الحكم أو تعميمه⁽⁴⁾.

(1) البيت لأبي كبير الهذلي في ديوان الهذليين: 1073/3، وصدده: فأنت به حوش الجنان مبطناً: سهداً...الخ.

(2) سورة سبأ: 33.

(3) سورة إبراهيم: 18.

(4) اللغة العربية والوعي القومي: من خصائص اللغة العربية، أحمد مطلوب: ص-136 ص142.

10- مما يميّز العربية أنها تعبر عن أحوال أمتها وخصائص طبيعة الحياة فيها مما يجعلها لغة حية في رأي العقاد⁽¹⁾ والعربية لغة معبرة بهذا المعنى الواسع كدلالتها على الروابط الاجتماعية وعن طبيعة الحياة في المجتمع وضرب أمثلة على ذلك: فالأمة هي الجماعة التي تؤم مكاناً واحداً أو تأتم بقيادة واحدة، والشعب هو الجماعة التي تتخذ لها شعبة واحدة من الطريق ... والجيل من الناس هم الذين يشتركون في مجال واحد... والنفر من القوم من ينفرون معاً للقتال أو لغيره، والقوم في جملتهم هم الذين يقومون قومةً واحدة للقتال خاصة والوطن وهو المكان يستوطن فيه والمنزل حيث ينزل الإنسان والبيت حيث يبيت بالليل والصاحب هو من يمشي معك في السفر والقريب الذي يقترب من منزلك... وتطلق السيرة على الترجمة وهي من سار يسير، وتطلق القصة على الحكاية وهي من قص الأثر .

11- وتتميز العربية بالمجاز وتبلغ مدى واسعاً في استعماله وفي الجمع فيه بين الدلالة على المحسوسات والدلالة على المجردات في كثير من المسائل الفكرية والصفات الخلقية التي تجتمع في مادة واحدة كالفضيلة والفريضة والحكمة والعقل والعظمة والعزة والنبيل والشرف والرحمة، فالفضيلة مثلاً كل بقية أو زيادة وهي الخلق الذي يدل على فضل أو زيادة عند صاحبه، والعظيم هو الكبير العظام أو كبير الأخلاق والمزايا .

12- وإذا كانت اللغات السامية لا تتجاوز حروفها اثنين وعشرين في رسمها فإن اللغة العربية تزيد عنها بستة حروف تجمعها في الترتيب الأبجدي الكلمتان "تخذ، ضغط" التي تسمى الروادف؛ لأنها تأتي رادفة للحروف الاثنين والعشرين المشتركة في اللغات السامية.

وهكذا تتميز "العربية في مجال الوحدات الصوتية "الفونيمات" ... ولا تضاهيها في ذلك أي لغة من اللغات السامية، وحسبك أن تعلم أن الأبجدية العبرية والآرامية، لا تتجاوز، عملياً، اثنين وعشرين حرفاً"⁽²⁾.

13- كما إن اللغة العربية غنية بأصواتها، كذلك هي غنية بمفرداتها، بل إنها من أغنى اللغات الحية بثروتها وكثرة المترادفات فيها. "لا مرأ في أن العربية أوسع، من حيث الثروة اللفظية، من أي من أخواتها الساميات"⁽³⁾. هذا غير ظاهرتي الاشتراك اللفظي التي يدل فيها اللفظ على معنيين فأكثر والتضاد التي يدل فيها اللفظ على معنيين متضادين، عدا أن قواعد النحو فيها مرتبة بصورة منطقية فللشرط جوابه وللفاعل فاعله وللمبتدأ خبره.

(1) اللغة الشاعرة، انظر ص ص 67-60، في فصل عن مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية.

(2) عمارة، خصائص العربية: ص 23.

(3) المرجع السابق: ص 41.

14- يتوافر للغة العربية "قَدْر من المرونة في التوسع، ومرونة في التقلص" (1) على الصعيدين النحوي والبلاغي، كالحذف والإطناب. وأما على الصعيد الصرفي فيكون التوسع بزيادة الحروف في الصيغ الصرفية. ومن المرونة كذلك ما استحدثته العربية من صيغة المبني للمجهول إلى جانب صيغ المطاوعة التي اكتفت بها اللغات السامية الأخرى، مع اختصاص العرب به. عدا ما تتفوق به العربية على أخواتها الساميات من تعدد أوزان الأفعال العربية مع القدرة على توظيفها وهو ما عجزت عنه الأكديّة مثلاً التي تفوق العربية في أوزان أفعالها. إضافة إلى خصوبة العربية في تنوع مصادر الثلاثي والمصادر الصناعية مما تفتقر إليه اللغات السامية الأخرى. وكذلك صيغ المثنى في الساميات يطلق على ما كان كذلك في الطبيعة كاليدنين والأذنين، أما في العربية فقد أطلق كذلك على التثنية للشيء نفسه كالرجلين، وعلى المتلازمين في ظاهرة التغليب كالقمرين للشمس والقمر مثلاً (2).

وهناك من يرى أن في العربية سمة ظاهرة وهي ما نسميه بالقيمة التعبيرية للحرف العربي التي تربط الأصوات (الحروف) بدلالات معينة Sound Symbolism وما ترتب عليها من تناسب بين الصوت والدلالة وقوة المعنى بقوة اللفظ وهو باب تحدثنا عنه في باب سابق عن علم الأصوات في العربية .



أسئلة التقويم الذاتي (4)

ما أهم خصائص اللغة العربية ؟



تدريب (4)

يتوافر للغة العربية قدر من المرونة في التوسع ومرونة في التقلص. ما معنى ذلك؟ اضرب أمثلة لذلك.

(1) السابق، ص 21.

(2) انظر المرجع السابق: ص ص 21، 22، 25، 40، 61، 64.

6. نقوش العربية البائدة

والمراد بالعربية البائدة هي لهجات القبائل العربية التي بادت قبل الإسلام وهي الثمودية والصفوية والحيانية التي لم تصل إلا عن طريق نقوش عثر عليها في شمالي الجزيرة العربية، وأما زمانها فيتراوح بين القرنين الخامس قبل الميلاد والرابع الميلادي .

وقسمت النقوش المكتشفة إلى ثلاث مجموعات بناءً على معايير متكاملة أهمها: أماكن وجود هذه النقوش، الخصائص اللغوية، وخصائص الكتابة فيها، ومجموع هذه المعايير يحدد لنا كون نقش بعينه صفوياً أو ثمودياً أو لحانيّاً.⁽¹⁾

النقوش الثمودية : وقد وجدت في منطقة مدائن صالح في شمال غرب الجزيرة العربية، في أعالي الحجاز في نجد ويرى Grimme أن النقوش الثمودية الحجازية أقدم من النقوش الثمودية النجدية⁽²⁾، وفي العلا وشرقي الأردن وسيناء، وأكثر النقوش الثمودية تتناول أشياء شخصية لا ترتبط بقرائن تاريخية أو أحداث هامة⁽³⁾، وقد ذكر الدكتور بعلبكي⁽⁴⁾، "إن النقوش الثمودية تتضمن ستة أشكال غير موجودة في الكتابة السامية الشمالية، وهي للأصوات S, G, D, D, H, T والصوت الأخير هو حرف الصفيّر".

أما الدكتور رمضان عبد التواب⁽⁵⁾ فينقل عن الدكتور عبد الرحمن الأنصاري أن ما يسمى بالخط الثمودي ليس إلا مخربشات من خطوط البادية قلد فيها أصحابها خط المسند، وقد قصد بذلك أن هذه القبائل المتموجة في الجزيرة العربية كانت تنهب إلى مواطن سبأ ومعين وقتبان وحضرموت وكانت تنهب إلى ديدان (يقصد العلا) والحجر، وترى هذه الخطوط جميلة ثم تحاول تقليدها، عندما تعود إلى مضاربها، وهذا ماكنّا نشاهده منذ زمن ليس بالقصير يأتي أحد أبناء البادية، ومعه ابنه، إلى الحاضرة، فيترك ابنه في أحد الكتائب لمدة أسبوع أو أسبوعين ريثما يبيع ما لديه، ويشترى ما يريد ثم يأخذ ابنه معه إلى البادية، وقد علق بذهنه صور بعض الحروف أو بعض الكلمات، ثم يطلب الأب من ابنه، كتابة رسالة إلى عمه في مكان آخر، أو التاجر الذي اشترت منه بعض السلع، وهكذا يحاول الابن تقليد ما علق بذهنه من حروف وكلمات، فالكلمات الثمودية في اعتقادي، هي من هذا النوع، نوع كتابات البادية، ولذا لا نجد فيها معلومات تاريخية

(1) حجازي: أسس علم اللغة العربية: ص221.

(2) رمزي البعلبكي: الكتابة العربية السامية: ص107.

(3) حجازي: السابق ص222.

(4) السابق: نفسه.

(5) فصول في فقه العربية: ص ص38-39، عن محاضرة للدكتور الأنصاري بعنوان:

«لمحات عن القبائل البائدة في الجزيرة العربية».

قيمة، وإنما هي عبارة عن فلان بن فلان نزل في هذا المكان، أو فلان بن فلان اشترى جملًا من فلان، كتابات لا يمكن أن تعطى حقائق تاريخية واضحة، ذات حوادث أو ذات طابع حضاري".

ومن هذه النقوش الثمودية التي يمكن أن تفك رموزه بالحروف العربية نصه كما يلي:

"دنه قبور صنعه كعبو بر حرثت للقص برت عبد منوتي أمه دي هلكت في الحجر شنة ماه وشنتين وترين بيرح تموز"⁽¹⁾ وترجمته بالعربية: " هذا القبر صنعه كعب بن حارثه للقيض بنت عبد مناة، أمه، التي هلكت في الحجر سنة مائة واثنين وستين من شهر تموز " ويعلق عليه الأستاذ ليتمان أنه يتضح من النقش أن كاتبه ما كان يعرف اللغة الآرامية معرفة صحيحة؛ لأنه أراد أن يستعمل ألفاظاً آرامية فخانه الجهل بها واضطر إلى أن يضعها في قالب عربي وأن يستعمل معها بعض الكلمات العربية⁽²⁾. وفي تقديري أنه وضع بقالب عربي لأن أكثر كلماته عربية وليس بعضها، وهذا يعني أن العربية الشمالية بدأت تأخذ طريقها إلى الانتشار، وأن الآرامية قد آلت إلى الاندثار واحتلت العربية مواقعها من قبل ظهور الإسلام، فالثموديون عرب والأصل أن يتكلموا بالعربية ويمكن أن يخلطوها ببعض الكلمات الآرامية، وانظر إلى نقش آخر بحروف ثمودية صورتها كالتالي:

ذ ن ل ق ض ب ن ت ع ب د م ن ت
+ { ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١

نقري	ثمودي	محياني	سبي
ا	𐤀	𐤁	𐤂
ب	𐤃	𐤄	𐤅
ج	𐤆	𐤇	𐤈
د	𐤉	𐤊	𐤋
هـ	𐤌	𐤍	𐤎
و	𐤏	𐤐	𐤑
ز	𐤒	𐤓	𐤔
ح	𐤕	𐤖	𐤗
ط	𐤘	𐤙	𐤚
ي	𐤛	𐤜	𐤝
ك	𐤞	𐤟	𐤠
ل	𐤡	𐤢	𐤣
م	𐤤	𐤥	𐤦
ن	𐤧	𐤨	𐤩
س	𐤪	𐤫	𐤬
ع	𐤭	𐤮	𐤯
ف	𐤰	𐤱	𐤲
ق	𐤳	𐤴	𐤵
ش	𐤶	𐤷	𐤸
ص	𐤹	𐤺	𐤻
ض	𐤼	𐤽	𐤾
ط	𐤿	𐥀	𐥁
ظ	𐥂	𐥃	𐥄
ع	𐥅	𐥆	𐥇
ف	𐥈	𐥉	𐥊
ق	𐥋	𐥌	𐥍
ك	𐥎	𐥏	𐥐
ل	𐥑	𐥒	𐥓
م	𐥔	𐥕	𐥖
ن	𐥗	𐥘	𐥙
هـ	𐥚	𐥛	𐥜
و	𐥝	𐥞	𐥟
ز	𐥠	𐥡	𐥢
ح	𐥣	𐥤	𐥥
ط	𐥦	𐥧	𐥨
ي	𐥩	𐥪	𐥫
ك	𐥬	𐥭	𐥮
ل	𐥯	𐥰	𐥱
م	𐥲	𐥳	𐥴
ن	𐥵	𐥶	𐥷
هـ	𐥸	𐥹	𐥺
و	𐥻	𐥼	𐥽
ز	𐥾	𐥿	𐦀
ح	𐦁	𐦂	𐦃
ط	𐦄	𐦅	𐦆
ي	𐦇	𐦈	𐦉
ك	𐦊	𐦋	𐦌
ل	𐦍	𐦎	𐦏
م	𐦐	𐦑	𐦒
ن	𐦓	𐦔	𐦕
هـ	𐦖	𐦗	𐦘
و	𐦙	𐦚	𐦛
ز	𐦜	𐦝	𐦞
ح	𐦟	𐦠	𐦡
ط	𐦢	𐦣	𐦤
ي	𐦥	𐦦	𐦧
ك	𐦨	𐦩	𐦪
ل	𐦫	𐦬	𐦭
م	𐦮	𐦯	𐦰
ن	𐦱	𐦲	𐦳
هـ	𐦴	𐦵	𐦶
و	𐦷	𐦸	𐦹
ز	𐦺	𐦻	𐦼
ح	𐦽	𐦾	𐦿
ط	𐧀	𐧁	𐧂
ي	𐧃	𐧄	𐧅
ك	𐧆	𐧇	𐧈
ل	𐧉	𐧊	𐧋
م	𐧌	𐧍	𐧎
ن	𐧏	𐧐	𐧑
هـ	𐧒	𐧓	𐧔
و	𐧕	𐧖	𐧗
ز	𐧘	𐧙	𐧚
ح	𐧛	𐧜	𐧝
ط	𐧞	𐧟	𐧠
ي	𐧡	𐧢	𐧣
ك	𐧤	𐧥	𐧦
ل	𐧧	𐧨	𐧩
م	𐧪	𐧫	𐧬
ن	𐧭	𐧮	𐧯
هـ	𐧰	𐧱	𐧲
و	𐧳	𐧴	𐧵
ز	𐧶	𐧷	𐧸
ح	𐧹	𐧺	𐧻
ط	𐧼	𐧽	𐧾
ي	𐧿	𐨀	𐨁
ك	𐨂	𐨃	𐨄
ل	𐨅	𐨆	𐨇
م	𐨈	𐨉	𐨊
ن	𐨋	𐨌	𐨍
هـ	𐨎	𐨏	𐨐
و	𐨑	𐨒	𐨓
ز	𐨔	𐨕	𐨖
ح	𐨗	𐨘	𐨙
ط	𐨚	𐨛	𐨜
ي	𐨝	𐨞	𐨟
ك	𐨠	𐨡	𐨢
ل	𐨣	𐨤	𐨥
م	𐨦	𐨧	𐨨
ن	𐨩	𐨪	𐨫
هـ	𐨬	𐨭	𐨮
و	𐨯	𐨰	𐨱
ز	𐨲	𐨳	𐨴
ح	𐨵	𐨶	𐨷
ط	𐨸	𐨹	𐨺
ي	𐨻	𐨼	𐨽
ك	𐨾	𐨿	𐩀
ل	𐩁	𐩂	𐩃
م	𐩄	𐩅	𐩆
ن	𐩇	𐩈	𐩉
هـ	𐩊	𐩋	𐩌
و	𐩍	𐩎	𐩏
ز	𐩐	𐩑	𐩒
ح	𐩓	𐩔	𐩕
ط	𐩖	𐩗	𐩘
ي	𐩙	𐩚	𐩛
ك	𐩜	𐩝	𐩞
ل	𐩟	𐩠	𐩡
م	𐩢	𐩣	𐩤
ن	𐩥	𐩦	𐩧
هـ	𐩨	𐩩	𐩪
و	𐩫	𐩬	𐩭
ز	𐩮	𐩯	𐩰
ح	𐩱	𐩲	𐩳
ط	𐩴	𐩵	𐩶
ي	𐩷	𐩸	𐩹
ك	𐩺	𐩻	𐩼
ل	𐩽	𐩾	𐩿
م	𐪀	𐪁	𐪂
ن	𐪃	𐪄	𐪅
هـ	𐪆	𐪇	𐪈
و	𐪉	𐪊	𐪋
ز	𐪌	𐪍	𐪎
ح	𐪏	𐪐	𐪑
ط	𐪒	𐪓	𐪔
ي	𐪕	𐪖	𐪗
ك	𐪘	𐪙	𐪚
ل	𐪛	𐪜	𐪝
م	𐪞	𐪟	𐪠
ن	𐪡	𐪢	𐪣
هـ	𐪤	𐪥	𐪦
و	𐪧	𐪨	𐪩
ز	𐪪	𐪫	𐪬
ح	𐪭	𐪮	𐪯
ط	𐪰	𐪱	𐪲
ي	𐪳	𐪴	𐪵
ك	𐪶	𐪷	𐪸
ل	𐪹	𐪺	𐪻
م	𐪼	𐪽	𐪾
ن	𐪿	𐫀	𐫁
هـ	𐫂	𐫃	𐫄
و	𐫅	𐫆	𐫇
ز	𐫈	𐫉	𐫊
ح	𐫋	𐫌	𐫍
ط	𐫎	𐫏	𐫐
ي	𐫑	𐫒	𐫓
ك	𐫔	𐫕	𐫖
ل	𐫗	𐫘	𐫙
م	𐫚	𐫛	𐫜
ن	𐫝	𐫞	𐫟
هـ	𐫠	𐫡	𐫢
و	𐫣	𐫤	𐫥
ز	𐫦	𐫧	𐫨
ح	𐫩	𐫪	𐫫
ط	𐫬	𐫭	𐫮
ي	𐫯	𐫰	𐫱
ك	𐫲	𐫳	𐫴
ل	𐫵	𐫶	𐫷
م	𐫸	𐫹	𐫺
ن	𐫻	𐫼	𐫽
هـ	𐫾	𐫿	𐬀
و	𐬁	𐬂	𐬃
ز	𐬄	𐬅	𐬆
ح	𐬇	𐬈	𐬉
ط	𐬊	𐬋	𐬌
ي	𐬍	𐬎	𐬏
ك	𐬐	𐬑	𐬒
ل	𐬓	𐬔	𐬕
م	𐬖	𐬗	𐬘
ن	𐬙	𐬚	𐬛
هـ	𐬜	𐬝	𐬞
و	𐬟	𐬠	𐬡
ز	𐬢	𐬣	𐬤
ح	𐬥	𐬦	𐬧
ط	𐬨	𐬩	𐬪
ي	𐬫	𐬬	𐬭
ك	𐬮	𐬯	𐬰
ل	𐬱	𐬲	𐬳
م	𐬴	𐬵	𐬶
ن	𐬷	𐬸	𐬹
هـ	𐬺	𐬻	𐬼
و	𐬽	𐬾	𐬿
ز	𐭀	𐭁	𐭂
ح	𐭃	𐭄	𐭅
ط	𐭆	𐭇	𐭈
ي	𐭉	𐭊	𐭋
ك	𐭌	𐭍	𐭎
ل	𐭏	𐭐	𐭑
م	𐭒	𐭓	𐭔
ن	𐭕	𐭖	𐭗
هـ	𐭘	𐭙	𐭚
و	𐭛	𐭜	𐭝
ز	𐭞	𐭟	𐭠
ح	𐭡	𐭢	𐭣
ط	𐭤	𐭥	𐭦
ي	𐭧	𐭨	𐭩
ك	𐭪	𐭫	𐭬
ل	𐭭	𐭮	𐭯
م	𐭰	𐭱	𐭲
ن	𐭳	𐭴	𐭵
هـ	𐭶	𐭷	𐭸
و	𐭹	𐭺	𐭻
ز	𐭼	𐭽	𐭾
ح	𐭿	𐮀	𐮁
ط	𐮂	𐮃	𐮄
ي	𐮅	𐮆	𐮇
ك	𐮈	𐮉	𐮊
ل	𐮋	𐮌	𐮍
م	𐮎	𐮏	𐮐
ن	𐮑	𐮒	𐮓
هـ	𐮔	𐮕	𐮖
و	𐮗	𐮘	𐮙
ز	𐮚	𐮛	𐮜
ح	𐮝	𐮞	𐮟
ط	𐮠	𐮡	𐮢
ي	𐮣	𐮤	𐮥
ك	𐮦	𐮧	𐮨
ل	𐮩	𐮪	𐮫
م	𐮬	𐮭	𐮮
ن	𐮯	𐮰	𐮱
هـ	𐮲	𐮳	𐮴
و	𐮵	𐮶	𐮷
ز	𐮸	𐮹	𐮺
ح	𐮻	𐮼	𐮽
ط	𐮾	𐮿	𐯀
ي	𐯁	𐯂	𐯃
ك	𐯄	𐯅	𐯆
ل	𐯇	𐯈	𐯉
م	𐯊	𐯋	𐯌
ن	𐯍	𐯎	𐯏
هـ	𐯐	𐯑	𐯒
و	𐯓	𐯔	𐯕
ز	𐯖	𐯗	𐯘
ح	𐯙	𐯚	𐯛
ط	𐯜	𐯝	𐯞
ي	𐯟	𐯠	𐯡
ك	𐯢	𐯣	𐯤
ل	𐯥	𐯦	𐯧
م	𐯨	𐯩	𐯪
ن	𐯫	𐯬	𐯭
هـ	𐯮	𐯯	𐯰
و	𐯱	𐯲	𐯳
ز	𐯴	𐯵	𐯶
ح	𐯷	𐯸	𐯹
ط	𐯺	𐯻	𐯼
ي	𐯽	𐯾	𐯿
ك	𐰀	𐰁	𐰂
ل	𐰃	𐰄	𐰅
م	𐰆	𐰇	𐰈
ن	𐰉	𐰊	𐰋
هـ	𐰌	𐰍	𐰎
و	𐰏	𐰐	𐰑
ز	𐰒	𐰓	𐰔
ح	𐰕	𐰖	𐰗
ط	𐰘	𐰙	𐰚
ي	𐰛	𐰜	𐰝
ك	𐰞	𐰟	𐰠
ل	𐰡	𐰢	𐰣
م	𐰤	𐰥	𐰦
ن	𐰧	𐰨	𐰩
هـ	𐰪	𐰫	𐰬
و	𐰭	𐰮	𐰯
ز	𐰰	𐰱	𐰲
ح	𐰳	𐰴	𐰵
ط	𐰶	𐰷	𐰸
ي	𐰹	𐰺	𐰻
ك	𐰼	𐰽	𐰾
ل	𐰿	𐱀	𐱁
م	𐱂	𐱃	𐱄
ن	𐱅	𐱆	𐱇
هـ	𐱈	𐱉	𐱊
و	𐱋	𐱌	𐱍
ز	𐱎	𐱏	𐱐
ح	𐱑	𐱒	𐱓
ط	𐱔	𐱕	𐱖
ي	𐱗	𐱘	𐱙
ك	𐱚	𐱛	𐱜
ل	𐱝	𐱞	𐱟
م	𐱠	𐱡	𐱢
ن	𐱣	𐱤	𐱥
هـ	𐱦	𐱧	𐱨
و	𐱩	𐱪	𐱫
ز	𐱬	𐱭	𐱮
ح	𐱯	𐱰	𐱱
ط	𐱲	𐱳	𐱴
ي	𐱵	𐱶	𐱷
ك	𐱸	𐱹	𐱺
ل	𐱻	𐱼	𐱽
م	𐱾	𐱿	𐲀
ن	𐲁	𐲂	𐲃
هـ	𐲄	𐲅	𐲆
و	𐲇	𐲈	𐲉
ز	𐲊	𐲋	𐲌
ح	𐲍	𐲎	𐲏
ط	𐲐	𐲑	𐲒
ي	𐲓	𐲔	𐲕
ك	𐲖	𐲗	𐲘
ل	𐲙	𐲚	𐲛
م	𐲜	𐲝	𐲞
ن	𐲟	𐲠	𐲡
هـ	𐲢	𐲣	𐲤
و	𐲥	𐲦	𐲧
ز	𐲨	𐲩	𐲪
ح	𐲫	𐲬	

أي ذين لقيض بنت عبد مناة (هذا قبر لقيض بنت عبد مناة)⁽¹⁾. ولا أدري حقاً على أي أساس استخلص منها ولقنسون " أن اللغة الأدبية في ذلك الحين كانت لم تزل هي اللغة الآرامية " فالكلمات عربية وتركيبها عربي؛ ويشهد لذلك قوله في موضع سابق عن النقوش الثمودية "⁽²⁾ وهي على غموضها هذا عربية وقريبة من الأسلوب العربي في عصر ظهور الإسلام أكثر من غيرها". وكذلك بناء على ما نشره في كتابه " تاريخ اللغات السامية " عن الحروف الثمودية والمحيانية والصفوية أن هناك خطاين في ترجمته للعبارة: أولهما أن حرف I في أول الجملة ليس ذالاً وإنما هو ألف؛ لذا فهي ليست (ذن) وإنما (أن) أي أنا لأنها لا تسجل هذه الخطوط الحركات الطويلة دليل ترجمتهم ذن ولقش ومننت بأنها ذين لقيض مناة، ولأنهم يعتمدون (أقصد الثموديين واللحيانيين) في كتاباتهم على الحروف الصامتة التي يكتبونها من غير الحركات على اختلاف أنواعها، وأما الآخر فقد رسم الدال (b)، ومن ينظر إلى لوحة الخطوط نفسها يجد أن الدال يجب أن تكون هكذا (d) وهي تذكرني بحرف d في اللاتينية واللغات الأوروبية، والسابقة بحرف b فيها . وقد تكون السابقة من الخط الصفوي، لأنها في الخط الصفوي ليس لها شكل ثابت أو مكان ثابت، وهو ما توضحه اللوحة السابقة . ويبدو أنها للدال أقصد الشكليين بدليل أنها جاءت في نقوش أخرى هكذا (d). ويبدو أن هناك أيضاً تناقضاً آخر وقع فيه ولقنسون حيث يقول: " وحرف (هـ) الذي جاء في صدر كلمة علم هو أداة التعريف (أل) لأن أصحاب النقوش الثمودية لم يكونوا يستعملون أل للتعريف كما هي الحال في العربية ولكن استعملوا حرف الهاء للتعريف كما هي الحال في العبرية⁽³⁾، وكما هي الحال في بعض اللهجات العربية الحديثة التي نسمع فيها، هالولد هالشارع مع الشك أنها اسم إشارة مختصر أو هي هاء التنبيه من اسم الإشارة، ويناقض نفسه في موضع آخر " والهاء في صدر كلمة رضو جاءت مكان ياء النداء (في نقش : يا رضو ساعد لهم أو ساعد شخصاً عرف باسم لهم أولهيم)⁽⁴⁾، مع أن الترجمة الأوضح في تقديري يحسن أن تكون: (الرضا والسعد، اللهم أولاهم) لما ذكره: (هرضو، سعاد، لهم) كل ذلك من أجل أن يثبت أن هناك صنماً للثموديين نسبته للعرب بعد الإسلام اسمه (رضو أو رضى). واعتبار الهاء للتعريف بمثابة أل يتسق مع ما ذكره سابقاً؛ لأن كثيراً من الظواهر السامية قد يأتي في إحدى فروعها ويبقى أثره في بعض اللهجات العربية، وهذا أولى من اعتبار الهاء حرف نداء مرة، وأداة تعريف مرة أخرى. كذلك أن نقول اللهم يتسق مع

(1) نفسه.

(2) نفسه: ص181.

(3) نفسه: ص180.

(4) نفسه: ص182.

أساليب العربية والتداء لأن الميم تسد مسد حرف التداء مع لفظ الجلالة، وهو أوفق من أن نقول لهم أو لهم على أنها اسم لشخص. ولنا سند في ذلك من ورود صيغة لا هم عن العرب بدلاً من اللهم في قول أحدهم:

لا هم إن كنت قبلت حجتج فلا يزال شاحج يأتيك بيج⁽¹⁾

النقوش الصفوية: وهي النقوش التي تنسب إلى أراض مرتفعة تتكون من حمم بركانية تقع في جنوب شرق دمشق، ووجد في المناطق المجاورة لها نقوش أيضاً، وسميت جميعها بالنقوش الصفوية لأنها تتفق في الخط وفي الخصائص اللغوية⁽²⁾، وظلت هذه النقوش يكتنفها الغموض حتى ذهب ليمان المستشرق الألماني إلى هذه المنطقة وجمع ما تيسر له من نقوشها وصل إلى 1400 نقش ودرسها وكشف أن عدد حروفها 28 كالعربية وأن خطها قريب من الثمودي وأن أصحابها من العرب، وألف في لغة هذه النقوش كتاباً سنة 1901م⁽³⁾. ومما لاحظته كذلك ليمان وجود ألفاظ تدل على حياة أصحابها الصحراوية كأسماء الحيوانات، وكثرة أسماء الأصنام الصفوية، وأن النقوش تخلو من حروف العلة⁽⁴⁾.

النقوش الحيانية: وهي نسبة إلى قبيلة عربية فرع من هذيل كانت مساكنها قبل ظهور الإسلام شمالي شرقي مكة. وقد عثر على نقوش تبين أنه كان لهذه القبيلة مملكة حيث يذكر في هذه النقوش أسماء ملوك لحيان، وخط هذا النقوش أقرب إلى المسند، وتاريخه يعود من 400 إلى 200 ق.م.

ويمكننا أن نجمل ما تتصف به هذه النقوش بما يلي:

- 1- أن خطها يقوم على أساس الخط العربي الجنوبي القديم: أي مأخوذ من الخط المسند أو الخط السبئي والمعيني وتعتبر خطوطها المرحلة الأولى في تطور الخط العربي وانتشاره⁽⁵⁾.
- 2- تتفق النقوش كلها في تدوينها الأصوات الصحيحة (الصوامت)، ولكل صوت منها حرف متميز وتعمل، باتفاق، تدوين الصوائت، الحركات الطويلة منها والقصيرة.
- 3- لغة النقوش عربية لما ورد فيها من أسماء أعلام أو أفعال أو حروف أو حيوانات صحراوية ومنها ما يدل على البيئة العربية الجاهلية خاصة من أسماء الأعلام أو أسماء الحيوانات، نحو:

(1) ورد في شرح المفصل: ج10/ ص50.

(2) حجازي، أسس علم اللغة العربية: ص222.

(3) فصول في فقه العربية: ص36.

(4) ولغنتسون: ص183، 186، 188.

(5) انظر: حجازي السابق ص224، ورمضان، فصول في فقه العربية السابق نفسه، دراسات في فقه اللغة: الصالح، ص56، وافي: فقه اللغة: ص100، ولغنتسون: ص188.

السلات، رضو، وُد، عبد مناة، لقيض، كعب بن الحارث، يغوث، أنعم (من الأعلام)،
وشتي، وحل، ساعد، سرت، صنع: أعن (من الأفعال)، وفي، على، من، الخ من
الحروف.

وجمل، أسد، غنم، غزال، ضب، ورل، مهر، الخ ... من أسماء الحيوانات
الصحراوية.

4- ومن الملاحظ فيها كذلك وجود اسم الموصول (ذ) والهاء للتعريف، والأولى من
اللهجة الطائفة والثانية في العبرية وفي العامية العربية. وقد عثر المستشرقون على
نقوش أخرى عربية في مادتها وأسلوبها، وأقرب من النقوش الثمودية والصفوية
واللحيانية إلى العربية في المفردات والقواعد وخطها النبطي الشبيه بالخط الكوفي،
أي حروفه متصلة وأول هذه النقوش، نقش العمارة نسبة إلى قصر العمارة في
الجانب الشرقي من جبل العرب (الدروز). وقد وجد في مدفن امرئ القيس بن عمرو
ملك الحيرة، ويشتمل هذا النقش الذي دُوّن سنة 328 م، على خمسة أسطر ونصها
بالحروف العربية:

- 1- تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج .
- 2- وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجا .
- 3- بزجي في حبيج نجرن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه .
- 4- الشعوب وكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك ميلغه .
- 5- عكدي هلك سنة 223 يوم 7 بكسلول بالسعد ذو ولده، وترجمته إلى العربية
كالتالي :

- 1- هذا قبر امرئ القيس بن عمرو، ملك العرب كله، الذي حاز التاج.
- 2- وملك الأسدين ونزاراً وملوكهم، وهزم مذحجاً اليوم أو بالقوة، وجاء.
- 3- بفنائم في مجتمع نجران⁽¹⁾ (أو إلى نزجي أو بزجي في حبيج نجران)⁽²⁾
مدينة شمر، وملك صعداً، وأنزل بنيه (بمعنى قسم بينهم).
- 4- الشعوب، ووكله الفرس والروم، فلم يبلغ ملك ميلغه .
- 5- اليوم (أو في القوة أو في الحول)⁽³⁾ سنة 223، يوم 7 من كسلول (كانون
أول) ليسعد الذين ولدهم .

(1) عن رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، ص40، وكذلك بفنائم في مجتمع نجران.

(2) عن ولغفسون، ص190، وتابعه، وافي: فقه اللغة، ص104.

(3) السابق نفسه.

والنقوش الثلاثة الأخرى هي :

1- نقش زَبَد وتاريخه 512 م، مكتوب بثلاث لغات هي اليونانية والسريانية والعربية. وزيد طلل في الجنوب الشرقي من مدينة حلب بين قنسرين والفرات، وهو مكون من سطرين تحتوي على أسماء عربية نحو الإله سرجو، امرئ القيس، وسعدو وسترو وشريحو.

2- نقش حران : وتاريخه سنة 568 هـ، واكتشف في منطقة تقع شمال جبل الدروز ونصه من أربعة أسطر باللغتين اليونانية والعربية وقراءة النص العربي هي:
- أنا شرحيل بر ظلمو بنيت ذا المرطول.

- سنت 463 بعد مفسد.

- خيبر.

- بعام.

وترجمته بالعربية " أنا شراحيل بن ظالم بنيت هذه الكتيبة سنة 463 بعد مفسد خيبر بعام".

يبدو هذا النقش أنه أقرب إلى عربيتنا من النقشين السابقين، أما النقش الرابع فهو نقش أم الجمال الثاني العربي ويرجع إلى أوائل القرن السادس الميلادي لأن نقش أم الجمال الأول آرامي.



أسئلة التقويم الذاتي (5)

ما أهم خصائص النقوش العربية القديمة ؟



تدريب (5)

ما المقصود بالنقوش؟ وأي اللغات التي نقصدها بهذا الوصف ؟

7. الخلاصة

لقد تكلمنا في هذه الوحدة عن:

1. تصنيف اللغات حسب تشكيلها إلى لغات تصريفية وإصاقية وعازلة ، وحسب نظرية القرابة إلى لغات هندية أوروبية وسامية وطورانية . وذكرنا اللغات التي تدرج تحت كل هذه التصنيفات.

2. وقمنا كذلك ببيان:

أ- خصائص اللغات السامية

ب- والخصائص التي تنفرد بها العربية .

3. وبيننا ما تتميز به النقوش العربية البائدة وهي النمودية والحيانية والصفوية .

8. لمحة عن الوحدة الدراسية الرابعة

وهي بعنوان العربية الفصحى واللهجات ، ونعرف اللغة واللهجة ونتعرف سمات اللهجات العربية القديمة كتسهيل الهمز ، والكشكشة والكسكسة والعنونة ... الخ ، وسنبين مصادر الاحتجاج العربية القديمة كالقرآن الكريم والشعر والحديث الشريف وكلام العرب المنثور ، وسنعرف الازدواجية وسنبين طرق الخلاص منها إن أمكن ذلك .

9. إجابات التدريبات

تدريب (1)

- 1- تصنف العربية بأنها اشتقاقية، ولكنها تلجأ إلى الإلصاق أحياناً خاصة في صيغ الجمع والتثنية.
- 2- تستمد اللغة عالميتها أحياناً من التقدم العلمي الذي يحرزه أهلها، خاصة المساهمة في مجالات التقنية والاختراعات والبحث.

تدريب (2)

- 1- فقدت الأكدية الحروف التي لم تجد ما يمثلها في الحروف السومرية مثل الأصوات الحلقية وهي: الحاء والهاء والعين والغين.
- 2- العربية الباقية هي العربية الشمالية، التي نزل بها القرآن الكريم، وما زلنا نتعامل بها إلى يومنا هذا على مستويين: الفصحح والعامي.

تدريب (3)

هما أنا ونحن مثلاً.

تدريب (4)

المرونة في التوسع تتمثل مثلاً في الإطناب البلاغي، وفي زيادة الحروف والحركات وتغييرها في الصيغ الصرفية لأداء المعاني في المشتقات مثلاً كحروف المضارعة، وألف فاعل، والميم وفتح ما قبل الآخر أو كسره في اسم المفعول واسم الفاعل. فضلاً عن زيادة المعاني بزيادة المباني.

أما مرونة التقلص كالايجاز البلاغي، والحذف النحوي الجائز والواجب، والحذف في الصيغ الصرفية.

تدريب (5)

النقوش هي الخطوط العربية المنقوشة على الحجارة أو غيرها. واللغات التي وجد لها نقوش هي النوبدية والصفوية واللحيانية.



10. المراجع


1. الابراشي، محمد عطية، الآداب السامية، ط2، بيروت: دار الحداثة، 1984م.
2. الأنطاكي، محمد، الوجيز في فقه اللغة، بيروت: دار الثقافة، بلاط.
3. باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، طرابلس: جامعة طرابلس، 1973م.
4. برحشتراسر، التطور النحوي، إخراج وتعليق رمضان عبد التواب، القاهرة: الرياض: مكتبة الخانجي، دار الرفاعي.
5. بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، الرياض: جامعة الرياض، 1397هـ- 1977م.
6. البعلبكي، رمزي، الكتابة العربية السامية، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1981م..
7. بوكاي، موريس، القرآن الكريم والإنجيل والتوراة والعلم، القاهرة: دار المعارف، بلاط.
8. الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة وأسرار العربية، بيروت: منشورات، دار مكتبة الحياة، بلاط.
9. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ط4، بيروت: ط محمد فاتح الداية، بلاط.
10. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تصحيح محمد عبده والشنقيطي، مصر: 1321هـ.
11. ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، بيروت، دار الهدى للنشر، بلاط.
12. حجازي، محمود فهمي، أسس علم اللغة العربية، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1979م.
13. رشدي، زكية، السريانية نحوها وصرفها، ط2، القاهرة: دار الثقافة، 1978م.
14. الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، بيروت: دار النفائس، 1973م.
15. الزبيدي، كاسد ياسر، فقه اللغة العربية، الموصل: جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي 1407هـ- 1987م.

16. السكري، ديوان الهذليين وشرحه، تحقيق عبد الستار فراج، القاهرة: 1965م.
17. الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1973م.
18. شاهين، توفيق، علم اللغة العام، ط11، القاهرة، الاسكندرية: مكتبة وهبة، 1400هـ-1980م.
19. ظاظا، حسن، الساميون ولغاتهم، الإسكندرية: مطبعة المصري، بلات.
20. عامر، سليمان، اللغة الأكديّة، الموصل: جامعة الموصل، وزارة التعليم والبحث العلمي، دار الكتب للطباعة والنشر، 1412هـ-1991م.
21. العقاد، عباس محمود، اللغة الشاعرة، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1960م.
22. ابن فارس، أحمد، الصحابي في فقه اللغة، تحقيق عمر الطباع، ط1، بيروت: مكتبة المعارف، 1414هـ-1993م.
23. قنديل، عبد الرازق، العبرية، 1983م.
24. كمال، ربحي، دروس اللغة العبرية، بيروت: دار النهضة العربية، 1978م.
25. المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، ط7، دار الفكر، 1401هـ-1981م.
26. نولدكه، تيودور، اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة دار النهضة العربية، 1963م.
27. وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، ط9، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بلات.
28. وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ط8، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بلات.
29. ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، بيروت: دار القلم، 1980م.
31. مركز دراسات الوحدة العربية مع المجمع العلمي العراقي ومعهد البحوث والدراسات العربية، ندوة اللغة العربية والوعي القومي، ط1، بيروت: 1984م.



الوحدة الرابعة

العربية الفصحى واللهجات



محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
197	1. المقدمة
197	1.1 تمهيد
197	2.1 أهداف الوحدة
197	3.1 أقسام الوحدة
198	4.1 القراءات المساعدة
198	5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة
199	2. اللغة واللهجة وما تتميز به إحداهما عن الأخرى
200	1.2 الاختلاف المتعلق بالجانب الصوتي
200	2.1.2 الشدنة
201	2.1.2 الكشكشة
203	3.1.2 الكسكسة
205	4.1.2 الاستنطاء
205	5.1.2 التلثة
205	6.1.2 الطمطمانيّة
206	7.1.2 العَجْجَة
208	8.1.2 العنينة
209	9.1.2 الفحفة
209	10.1.2 الغمغمة
210	11.1.2 العجرفية
210	12.1.2 اللخلخانية
210	13.1.2 الوتم
210	14.1.2 الوكم
211	15.1.2 الوهم
211	16.1.2 تسهيل الهمز
214	2.2 اختلاف اللهجي في بنية الكلمات
216	3.2 اختلاف اللهجي في الجانب النحوي
218	4.2 اختلاف اللهجي في الجانب الدلالي

الموضوع	الصفحة
3. مصادر الاحتجاج اللغوي	224
1.3 القرآن الكريم وقرآئاته	224
2.3 الحديث الشريف	228
3.3 الكلام العربي	333
4. الازدواجية	239
5. الخلاصة	250
6. لمحة عن الوحدة الدراسية الخامسة	251
7. إجابات التدريبات	251
8. المراجع	253

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس :

أرحب بك لدراسة الوحدة الرابعة من مقرر علم اللسان العربي، وعنوانها : العربية الفصحى واللهجات.

وهو عنوان أريد به بيان الخصائص الأساسية التي تتميز بها العربية الفصحى عن اللهجات والفرق بين اللغة واللهجة وأظهر خصائص اللهجات العربية القديمة، وصلة الفصحى باللهجات ومصادر الاحتجاج اللغوي في الفصحى، والازدواجية بين الفصحى والعامية.

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك، عزيزي الدارس، بعد دراسة الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

1. تحدد الخصائص الأساسية التي تتميز بها العربية الفصحى عن اللهجات.
2. تحدد الفروق العامة بين اللغة واللهجة بشكل عام .
3. تبين أهمية دراسة اللهجات العربية القديمة والحديثة.
4. تحدد مصادر الاحتجاج اللغوي، والأطر الزمانية والمكانية للاحتجاج اللغوي.
5. تذكر أظهر خصائص اللهجات العربية القديمة كالشنشنة والكشكشة والكسكسة والعججة، ومدى امتدادها في اللهجات العربية المعاصرة.
6. تشرح الصلة بين العربية واللهجات وأثار ذلك سلباً وإيجاباً على الناطقين بالعربية.

3.1 أقسام الوحدة

تقسم الوحدة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول تعريف اللغة واللهجة، وما تتميز به أحدهما عن الأخرى، يغطي الأهداف الأول والثاني والثالث والخامس والسادس.

القسم الثاني مصادر الاحتجاج اللغوي، ويغطي الهدف الرابع.

القسم الثالث الازدواجية، ويغطي الهدف السادس.



4.1 القراءات المساعدة

1. الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، ط3، دمشق: مطبعة جامعة دمشق، 1964م.
2. أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ط6، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1984م.
3. بدوي، السعيد، مستويات العربية المعاصرة في مصر، مصر: دار المعارف، بلا.
4. تيمور، أحمد، لهجات العرب، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة الثقافية، العدد 29، 1393هـ-1973م.
5. الجندي، أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1384هـ-1965م.
6. رمضان، عبد التواب، فصول في فقه العربية، القاهرة: دار المسلم للطباعة والنشر، 1979م.
7. الفيصل، سمر روجي، المشكلة اللغوية العربية، طرابلس: جروس بروس، 1992م.
8. الموسى، نهاد، قضية التحول الى الفصحى في العالم العربي الحديث، ط1، عمان: دار الفكر، 1987م.
9. يعقوب، إميل، فقه اللغة العربية وخصائصها، بيروت: دار العلم للملايين، 1982م.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

1. دراسة الوحدة.
2. تكليف الدارس بتتبع بعض الظواهر اللهجية القديمة في عصور لاحقة من تاريخ العربية.

2. اللغة واللهجة وما تتميز به إحداهما عن الأخرى

اللهجة في الاصطلاح العلمي هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة⁽¹⁾ التي قد تكون مدينة أو قرية، أو حياً من مدينة ما. وكل لهجة لا بد أن تكون جزءاً من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة⁽²⁾، وهكذا لكل مجموعة بشرية قلت أو كثرت، عاداتها الكلامية المشتركة التي تتواصل وتتفاهم بها، ويطلق على هذه العادات الكلامية التي نشأت واعتادت عليها هذه المجموعة، اسم اللهجة. ومن مجموع هذه العادات الكلامية، بسماتها وخصائصها المشتركة، تتكون اللغة أو اللسان، كالعربية التي تتوزع لهجاتها قديماً على عدة قبائل، وحديثاً على عدة بيئات في الوطن العربي يصعب حصرها وهي العاميات. ويترتب على ذلك وبشكل منطقي أن ترتبط اللغة واللهجة بعلاقة العموم والخصوص، حيث اللغة، بما تشتمل عليه من عدة لهجات، هي التي تمثل العام، وكل لهجة من لهجاتها تعتبر جزءاً منها وتمثل الخاص بالنسبة لها.

وكان العرب قديماً يعبرون عن اللهجة باللغة فقد ورد عنهم، لغة قريش ولغة تميم، واللغة العليا، واللغة السفلى، واللغة الرديئة، واختلاف اللغات وكلها حجة كما ورد في الخصائص: "باب اختلاف اللغات وكلها حجة ألا ترى أن لغة التميميين في ترك أعمال ما يقبلها القياس، ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك" ⁽³⁾ وفي الصحابي "باب القول في اختلاف لغات العرب وباب اللغات المذمومة" ⁽⁴⁾. وفي الوقت نفسه يطلقون مصطلح اللغة على المعنى الشامل أي اللسان الذي ينضوي تحته عدة لهجات كما في الخصائص كذلك: باب في هذه اللغة... أتواضع هي أم إلهام؟ ⁽⁵⁾، بالإضافة إلى مصطلح اللسان أي اللغة بمعناها الشامل، كما في قوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) ⁽⁶⁾ وقوله تعالى: (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) ⁽⁷⁾ وبالضرورة يجب أن يكون لكل لغة أو لسان سمات وصفات تميزها عن اللغات الأخرى ولو كانت من فصيلتها، كالعربية التي عرفنا أهم خصائصها التي تميزها عن بقية الساميات في الوحدة

(1) أنيس، اللهجات العربية: 16.

(2) المرجع السابق.

(3) ابن جني: 2/10.

(4) ابن فارس: ص50، ص56.

(5) ابن جني: 1/33، 2/28.

(6) سورة إبراهيم- آية 14.

(7) سورة الروم- آية 30.

السابقة ومما يجدر ذكره أن اللغة مر عليها عهد كانت فيه لهجة ثم أخذت بسبب ظروف تاريخية أو جغرافية أو اجتماعية تنفرد بخصائص تميزها عن أخواتها من اللهجات، حتى استقلت شيئاً فشيئاً وأصبحت لغة.

أما الصفات الكلامية التي تتباين فيها اللهجات وتتمايز فيما بينها من ناحية، وتخالف فيها اللغة التي تفرعت عنها أو انبثقت منها من ناحية أخرى، فيمكن توزيعها على الجوانب اللغوية التالية:

1.2 الاختلاف المتعلق بالجانب الصوتي

من حيث طبيعة الأصوات وكيفية نطقها أي ما يتعلق بصفات الأصوات ومخارجها ويقصد بذلك " الصفات الصوتية التي كانت عليها اللهجات العربية، وهو ما كان سببه إبدال صوت بأخر، سواء أكانا صوتين صامتتين، أم كانا صائتين، أم كان أحدهما صائناً طويلاً والآخر صائناً قصيراً، متفقين في المخرج أم متقاربين " (1)، ويقصد بالصائت الطويل الألف، والواو والياء إذا كان مداً، والصائت القصير قد يكون فتحة أو ضمة أو كسرة، ويختص هذا الجانب بأكثر الظواهر اللهجية العربية، بروزاً وانتشاراً قديماً وحديثاً؛ بما تحدده من خصائص في اللهجات العربية القديمة يمكن أن نجد لها امتداداً في اللهجات الحديثة على امتداد الوطن العربي، وبيان هذه الخصائص اللهجية كالتالي :

1.1.2 الشدشنة

في لغة اليمن تجعل الكاف شيئاً مطلقاً كلبيش اللهم لبيش (2) أي لبك اللهم لبك. ولكن ابن جنبي يحصر الإبدال في كاف المؤنث ولم يسمها شدشنة حيث يقول: "ومن العرب من يبدل كاف المؤنث في الوقف شيئاً حرصاً على البيان، لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفى في الوقف، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوها شيئاً فقالوا : عَلِيشْ، ومنشْ، ومررت بشْ " (3) وهناك خلط بين هذه الظاهرة وظاهرة الكشكشة، مع أن الأخيرة ليست قلب الكاف شيئاً وإنما هي صوت آخر مزجي بين الجيم والشين مما سنوضحه تالياً. والشدشنة خاصة باليمن وهي قلب الكاف شيئاً صريحة وهذا لا شك عندي فيه؛ لأنني سمعته في مدينة تعز، حيث سمعت أحدهم وهو حضرمي يخاطب طفلة تبكي يقول: مالشْ، مالشْ، أي مالك، وسمعت أحدهم يذكر في غناء شعبي يقال ترحيباً بالعروس : ألا يا مرحباً يشْ، وبهليشْ (أي يا مرحباً بك، وبهلك، وبالجمل ذي رحل يشْ (أي بالجمل الذي

(1) كاسد الزبيدي، فقه اللغة العربية: ص 210.

(2) السيوطي، المزهري: 1/ 222، الاقتراح: 201.

(3) ابن جنبي، سر صناعة الإعراب: 1/ 206.

رجل بك)، وقد سمعت كذلك رجلاً من قرية تسمى بُعْدَان في لواء إب يقول: " أبوش، أمش، خالِش، اختِش، أخوش، في: أبوك، أمك، خالك، أختك، أخوك، وهذا يعني أن هذه اللهجة القديمة ما زالت ممتدة إلى يومنا هذا في اليمن، ولكن للأمانة العلمية لم أسمع هذه الشين إلا بدلاً من كاف المؤنثة المخاطبة.

2.1.2 الكشكشة

وقد تابعت كتب اللغة القديمة ما ذكره سيبويه الذي وصف هذه الظاهرة وفسرها بأنها واحد من أمرين أو كلاهما معاً، وهما: إبدال الكاف شيناً، أو إلحاق الكاف شيناً، بقوله: " فأما ناس كثير من تميم وناس من أسد فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين، وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف، لأنها ساكنة في الوقف فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث بهذا الحرف كما فصلوا بين المذكر والمؤنث بالنون حين قالوا: ذهبوا وذهبن وأنتم وأنتن، وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها، لأنها مهموسة كما أن الكاف مهموسة، ولم يجعلوا مكانها مهموساً من الحلق لأنها ليست من حروف الحلق، وذلك قولك: إنش ذاهية، وما لَش ذاهية، تريد إنك ومالك ... وقوم يلحقون الشين، ليبينوا بها، الكسرة في الوقف كما أبدلوا مكانها للبيان، وذلك قولهم: أعطيتكش وأكرمتكش فإذا وصلوا تركوها ... " ⁽¹⁾، والغريب أن سيبويه لم يسم هذه الظاهرة مع أن اسمها كان معروفاً، ويظهر أنه لم يكن شائعاً لدى النحاة، وقد سماها بهذا الاسم رجل من جلساء معاوية بن أبي سفيان وكما رواها المبرد في الكامل ⁽²⁾ عن الأصمعي أن معاوية قال: من أفصح الناس؟ فقام رجل من السباط فقال: قوم تباعدوا عن فراتية العراق، وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس فيهم غمغمة قضاة ولا طلمطمانية حمير، فقال له معاوية، من أولئك؟ فقال: قومي يا أمير المؤمنين، فقال له معاوية: من أنت؟ قال: أنا رجل من جَرَمَ، قال الأصمعي: وجَرَمَ من فصحاء الناس، ورويت في درة الغواص بفروق واضحة تستحق الذكر حيث جاء " قوم تباعدوا عن عنعنة تميم وتلتة بهراء وكشكشة ربعية ... قال: قومك يا أمير المؤمنين " ⁽³⁾ والاختلاف بين الروايتين يقع في إسناد العنعة لتميم والكشكشة لربعية وإضافة التلتة لبهراء، ثم نسب الفصاحة لقوم معاوية وهم قريش، بعكس رواية المبرد التي تنسب الكشكشة لتميم وليس لربعية

(1) الكتاب: 4/ 199-200.

(2) المبرد، الكامل في اللغة والأدب: 1/ 370-371 (ط بيروت) وانظر كذلك شرح المفصل ج9/ ص48، وخزانة الأدب 11/ 464.

(3) الحريزي، درة الغواص في أوهام الخواص: ص250.

وأضاف فراتية العراق وحذف العنونة والتثنية ونسب الفصاحة لجرم وليس لقريش.

وقد نسبت الكشكشة لربيعة، كما رأينا في رواية الحريري، وهو مسبوق بهذه النسبة من ابن جني في الخصائص⁽¹⁾، وقد نسبها السيوطي في الاقتراح⁽²⁾ لربيعة ومضر، وأما في المزمهر فينقل نسبتها عن أمالي ثعلب إلى هوازن فقد ورد فيه: "قال ثعلب في أماليه: ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم.... وكشكشة هوازن...." ⁽³⁾ وفي موضع آخر ينسبها نقلاً عن ابن فارس في فقه اللغة إلى تميم⁽⁴⁾ مع أن ابن فارس في الصحابي ينسبها إلى أسد فقد جاء فيه "وأما الكشكشة التي في أسد....." ⁽⁵⁾ وفي لهجات العرب لأحمد تيمور ينقل نسبتها كذلك إلى: سليم⁽⁶⁾ وبكر⁽⁷⁾ وثعلب⁽⁸⁾ وقضاعة⁽⁹⁾ .

نخلص إلى أن الكشكشة لهجة عربية قديمة، وهي لغة لبعض العرب، ويبدو أن من ذكرها من اللغويين لم يسمعها بنفسه أو لم تجر على لسانه وإلا لما اختلفوا في دلالتها (إبدال الكاف شيئاً أو إلحاقها شيئاً) وكان اعتمادهم في الدلالة على الإبدال، على بيت شعر لمجنون ليلى... يخاطب فيه ظبية ويشبهها بليلى:

فعينا ش عيناها وجيدش جيدها سوى أن عظم الساق منش دقيق

وله في رواية أخرى دون إبدال الكاف بالشين، والبيت لشاعر من بني عامر ولم يذكر أي من اللغويين أنها من المتحدثين بهذه اللغة. كذلك اعتمدوا على شواهد أخرى من القراءات القرآنية ومن كلام العرب. وأما إلحاق الكاف شيئاً فضرّبوا له مثلاً وهو قولهم: رأيتكش وبكش وعليكش، وأعطيتكش⁽¹⁰⁾.

وإذا كان لنا من رأي في هذه الظاهرة فمن الأولى أن نقول إنها قلب الكاف صوتاً مزدوجاً هو "نش" وليس قلبها شيئاً أو إلحاقها شيئاً؛ لأن قلب الكاف شيئاً صريحة

(1) ج 2/ 11.

(2) ص 199.

(3) المزمهر: 1/ 211.

(4) انظر: المرجع السابق، 1/ ص 222.

(5) الصحابي في فقه اللغة: ص 56.

(6) أحمد تيمور، لهجات العرب: ص 66.

(7) السابق: ص 70.

(8) نفسه: ص 74.

(9) نفسه: ص 78.

(10) الخصائص: 2/ 11، الاقتراح: ص 199.

أطلقنا عليه مصطلح الشنشنة وإنه من قبيل الخلط والبلبله لو أطلقنا مصطلح الكشكشة عليه أيضاً، وإذا كانت الكشكشة هي التي ما تزال باقية فيما نسمعه اليوم في شرقي الجزيرة العربية والخليج العربي والعراق وفي فلسطين والأردن وسوريا فإنها بقينا وحقيقة، صوت مزدوج " تش " وهو ما يمكن أن نصوره كتابة بالصوت الانجليزي ch تلفظ كما في: Child, Church ومن هنا جاء اللبس لدى اللغويين القدامى عندما أرادوا تصوير هذا الصوت كتابة لم يجدوا ما يقابله في الأبجدية العربية فرموا له بالشين لأنه صوت بين الجيم والشين كما ذكر ابن دريد في جمهرته " وإذا اضطر الذي هذه لغته قال : جيدش وغلماش بين الجيم والشين " ⁽¹⁾، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإن هذه الظاهرة حديثاً ليست خاصة بإبدال كاف المؤنثة المفردة، وإنما قد يحدث الإبدال لأية كاف أخرى في بيئة الكلمة فإننا نسمع في الخليج من يقول : كذي ويلفظ الكاف صوتاً مزجياً " تش "، ونسمع هذا الصوت في العراق وفلسطين والأردن في مثل احكي، كيف حالك، كذاب، سكر، وفي اليمن نسمع في المحويت " أهلاً بش " ⁽²⁾ أي أهلاً بك. وشاهدنا على أن قلب الكاف صوتاً مزجياً ليس محصوراً قديماً أيضاً في كونها كاف خطاب للمؤنث، قول الراجز فيما نقله البغدادي في الخزنة عن : أبي العباس ثعلب: ⁽³⁾

عليّ فيما أبْتَغِي أَبْغِيْش	بيضاء ترضيني ولا ترضيش
وتطلبني وَدُ بَسْنِي أَبِيش	إذا نَدَوْتُ جَعَلْتُ تَنْدِيش
وإن نَأَيْتِ جَعَلْتُ تَنْدِيش	وإن تكلمتِ حَسَّتْ في فيش

حتى تنقي كتحقيق الديش

حيث قلب كاف الديك صوتاً مزجياً وهي ليست كاف خطاب، وهذا دليل على أن العربي قديماً قد نطق الكاف صوتاً مزجياً، بغض النظر عن موقعها وإلا كيف نفسر تفشي هذه الظاهرة حديثاً في مواطن عدة من بلاد العرب تمتد من الخليج إلى ساحل البحر المتوسط؟! سوى أنه امتداد لما كان يحدثه بعض العرب في أصواتهم من قلب أو إبدال مثل تميم وأسد وبكر الذين كانت مواطنهم قديماً هي المواطن نفسها التي يحدث فيها مثل هذا القلب أو الإبدال أي وسط الجزيرة أو شمالها، وشمالها الشرقي كالعراق وبلاد الشام .

3.1.2 الكسكسة

نسبت لبكر كما في النص الذي نقلناه عن الكامل للمبرد ⁽⁴⁾ ونسبت لربيعة ومضر في

(1) الجمهرة: ج1/ص5.

(2) لهجات اليمن قديماً وحديثاً: ص84، والمحويت اسم مدينة في اليمن.

(3) البغدادي، الخزنة: ج1/ص461، وسر صناعة الإعراب: 1/207.

(4) 1/370-371 فقه اللغة للثعلبي، 73 درة الغواص، ص:250.

الاقتراح⁽¹⁾ والمزهر⁽²⁾ ولهوازن في الخصائص⁽³⁾. وهي أن يجعلوا بعد الكاف أو مكانها في المذكر سيناً كأن تقول في أبوك وأمك: أبوس وأمس، وفي عليك: عليس أو في أعطيتك: أعطيتس، ومنكس، وعنكس، ولعل إنك، إنكس، منهم من جعلها في الكاف المكسورة لا غير⁽⁴⁾، وقد ذكر الدكتور رمضان عبد التواب، أنه " ما تزال هذه الكسكسة حية في مناطق نجد من الجزيرة العربية، فقد سمعتهم يقولون مثلاً تسيف حالك⁽⁵⁾؟ في كيف حالك " ويلاحظ على ما سمعه أن الكاف تحولت إلى صوت مزدوج "تس"، إضافة إلى أن الكاف المعقوبة صوتاً مزدوجاً ليست كاف خطاب، كما اشترط اللغويون في الكاف التي تقلب شيئاً أو سيناً أو صوتاً مزدوجاً. كذلك يُثبت ما سمعه الدكتور رمضان في ظاهرة الكسكسة، وما أثبتناه آنفاً عن ظاهرة الكشكشة؛ من أنها عبارة عن نطق الكاف صوتاً مزدوجاً هو "تش"، وأن هذا الإبدال "تش أو تس" ما هو إلا الإبدال الصحيح الذي يحصل للكاف ويصدق عليه مصطلحا الكشكشة والكسكسة، وهو الذي ما زال ممتداً في العاميات الحديثة. ونجدها في عامية بني صخر خاصة بطون الخريشا والزبن في الأردن حالياً فيقال للفتاة عساتس طيبة! شو أخبارتس؟ وهذا التغير خاص بكاف المؤنثة وليس في كل كاف. ويمكننا اعتباره دليلاً حياً وباقياً في شرق الجزيرة العربية ودول الخليج العربية والعراق وسوريا وفلسطين والأردن. علاوة على أن هذه الأصوات المزدوجة أقصد (تش، تس) منطوقة في لغات أخرى كالإنجليزية والألمانية وليس بمستغرب أن تنطق هذا الأصوات في العربية في لهجاتها القديمة وعاميتها الحديثة، وقد سبقني إلى هذا التوجه الدكتور إبراهيم أنيس؛ أي التماس تفسير الظواهر اللهجية القديمة من اللهجات الحديثة حيث يقول " والذي يجعلنا نرجّح أن ما سمعه الرواة ليس شيئاً وإنما هو تش، شيوخ هذه الظاهرة في اللهجات العربية الحديثة على صورة "تش"⁽⁶⁾ وهو في رأيي يغني عن تصورات اللغويين في كتابة هذه الكاف شيئاً مرة، وكش مرة أخرى في مثل أعطيتش أو أعطيتكش، وهو أمر يداخلني شك قوي في أن تكون العرب قد نطقت به على هذه الصورة فهو انتقال إلى النطق الأصعب، والأصل الانتقال إلى الأسهل، لذلك فإن هذا النطق ليس شيئاً صريحاً، وإن الشين الصريحة هي النطق الشائع لها في وسط اليمن (تعر وب) وجنوبها (حضر موت) وهي التي يصدق عليها مصطلح الشنشنة.

(1) ص199.

(2) ص211.

(3) كما في الخزانة: 462/11.

(4) فصول في فقه العربية: ص127.

(5) السابق نفسه.

(6) إبراهيم، أنيس، في اللهجات العربية: ص125.

4.1.2 الاستنطاء

وهو من سمات لهجات " سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس، وفي الأنصار⁽¹⁾، وفي هذه الظاهرة " تجعل العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء كأنطى في أعطى⁽²⁾ " وقد قريء بها " إنا أنطيناك الكوثر⁽³⁾، وجاءت في حديث للرسول (صلى الله عليه وسلم): "واليد المنطية خير من اليد السفلى المنطاة " وفي حديث آخر " اللهم لا مانع لما أنطيت ولا منطى لما منعت"، ويحاول الدكتور إبراهيم السامرائي أن يعطي تفسيراً لإبدال النون من العين بقوله " أنطى، من أتى، بتشديد التاء فك الإدغام في العربية وفي غيرها من اللغات السامية، يستدعي تعويض أحد الحرفين المتجانسين بالنون كثيراً وربما كان بحرف كالياء أو الراء، فيحصل من ذلك " أنتى " ثم يبدل بالتاء طاء فتصير أنطى⁽⁴⁾ ويبدو أن هذه السمة اللهجية قديماً وحديثاً خاصة بكلمة أعطى فقط وليس في كل عين وهي شائعة في فلسطين وفي الأردن وفي العراق وفي لغة الأعراب بصحارى مصر⁽⁵⁾.

5.1.2 التثنية

وهي كسر حرف المضارعة كقولهم، تعلم، تدري، ونسبت في تفسير أبى حيان إلى قيس وتيم وأسد وربيعه⁽⁶⁾ حيث قريء " نستعين" بكسر النون، وعزاها الحريري⁽⁷⁾ إلى بهراء.

وهذه السمة اللهجية ما زالت ممتدة في العاميات الحديثة فيقال في فلسطين مثلاً، إنت تدري ...، وتعرف إنك شاطر، أنت لازم تشري من الصبح وتشترى من السوق.

6.1.2 الطمطممانية

تعرض في لغة حمير كقولهم طاب أمهواء، يريد طاب الهواء⁽⁸⁾ والسيوطي يقول: " وقد تخلفه (أل)، أم في لغة عزيث لطيء وحمير⁽⁹⁾ " وأما ابن يعيش فيفسر الطمطممانية

(1) الاقتراح: ص201، والمزاهر 1/222.

(2) السابق نفسه.

(3) الكوثر 1-.

(4) إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن: ص95.

(5) انظر: رمضان عبد القواب، فصول في فقه العربية: ص103، حفني ناصف، مميزات لغات العرب:

ص13.

(6) البحر المحيط: 1/23.

(7) درة الغواص: ص250.

(8) الثعالبي، فقه اللغة: ص73.

(9) الهمع: 1/79.

بأن يكون الكلام مشتبهاً بكلام العجم يقال رجل طُمطم أي في لسانه عجمه لا يفصح ⁽¹⁾ ، وأما الهمداني فيذكر مواطن هذه السمة غير الفصيحة حين يتكلم عن لغات أهل الجزيرة ويبدأ باليمن فيقول : " سرو جُمَيْر وجعدة ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير ... فيقولون يابن معم في يابن العم ... وبلد سفيان بن أرحب فصحاء إلا في مثل قولهم أم رجل ... ويشركهم في إبدال الميم من اللام في الرجل والبعر وما أشبهه، الأشعر وعك وبعض حكم من أهل تهامة " ⁽²⁾ وقد خاطب الرسول (عليه الصلاة والسلام) وفدًا يمنيًا بهذه اللهجة حين قال لهم: " ليس من أمبر امصيام في امسفر، أي ليس من البر الصيام في السفر " وفي اللسان مادة سلم حين استشهد للسُّلَمَة، واحدة السُّلَم، وهي الحجارة بقول الشاعر الطائي بجير بن عنمه:

وإن مولاي ذو يعاتبني لا إحنة عنده ولا جِرمَة
ينصرتني منك غير معتذر يرمي ورائي بأفْسهم وأمْسِلْخَة
(وأراد والسُّلَمَة، وذو في البيت هذه هي الطائية التي بمعنى الذي).

وهذه السمة اللهجية ظاهرة عامة في مناطق يمنية، وهي موجودة في سهل تهامة على وجه الخصوص، وفي لواء تعز خاصة في ميناء الحَخَا، وفي لواء إب خاصة جبَلَة، وفي لواء الحديدة، وربما لها وجود في ألوية البيضاء ومأرب وحجة حسبما أفادني طلابي في جامعة صنعاء، وقد سمعت أحد طلابي وهو من قرية جبَلَة يقول: امسجد، امدرسه أي المسجد والمدرسة " ويشيع حديثاً في بعض البلاد العربية قولهم "إمبارح" كما في مصر وبلاد الشام.

7.1.2 العَجَجَة

وجاء وصفها نسبة دون اسمها في الكتاب بقول صاحبه : " وأما ناس من بني سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف " ⁽³⁾ كقولهم تميج بدلاً من تميمي وفي اللسان وصفها ونسبها وسمّاها ⁽⁴⁾ بقوله " والعَجَجَة في قضاة يحولون الياء جيماً مع العين يقولون هذا راعِجٌ خرج معج أي راعي خرج معي كما قال الرازي :

خالي لُقَيْطٌ وأبو علج المطعمان اللحم بالعَشِجِ
وبالغداة كَسَرُ البَرْجِجِ يُفْلَغُ بالودِّ وبالصَّصِجِ

(1) شرح المفصل: 49/9.

(2) الهمداني، صفة جزيرة العرب: ص 284، ص 250.

(3) سيبويه: 182/4.

(4) مادة عجع.

أراد : علي والعشي والبرني والصيصي " والبرني من أجود أنواع التمر أو هو ثمر الشجر وهي فارسية الأصل، والود هي الودد، والصيصي، هي قرون البقر كانوا يقلعون التمر المخصوص بالودد والقرن .

ولم تقيد الياء بالتشديد مع أن الياء في الأبيات المستشهد بها، مشددة كما نص ابن يعيش، والسيوطي⁽¹⁾ على ذلك، ولكن ابن يعيش⁽²⁾ ينقص ما نص عليه بقوله : وقد أبدلت من غير المشددة في قوله :

لا هم إن كنت قبلت حجتج فلا يزال شاحج يأتيك بج

يقصد حجتني وبني، وهي أمثلة أو شواهد لياء المتكلم وهي غير مشددة. كذلك اشترط في اللسان تحويل الياء جيماً مع العين، والشواهد تنقص ذلك فالبرني والصيصي وحجتني وبني وغيرها لا وجود للعين فيها، ولم يذكر هذا القيد غيره إلا حفتني ناصف في العصر الحديث، ويستغرب الدكتور رمضان عبد التواب ذلك فيتساءل بقوله: "ولست أدري من أين نقله؟"⁽³⁾ ويبدو أنه لم يطلع على نص اللسان، وإلا لما استغرب وحاول تفسير هذا القيد بقوله: "على أن هذا القيد (يقصد وقوع الياء المبدلة جيماً بعد العين) ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية، اللهم إلا تبرير اللقب الذي وصفت به تلك الظاهرة "العججة"⁽⁴⁾.

وهناك قيد آخر ورد عند سيبويه وهو أن يكون إبدال الجيم من الياء في الوقف، ويشترطه ابن يعيش كذلك بقوله : " والجيم أبدلت من الياء المشددة في الوقف "⁽⁵⁾ ويؤيد ذلك إبراهيم أنيس من أجل قبول تحول الياء إلى جيم، لأنها لو كانت مداً فلا تبدل، وفي الوقف لا تكون كذلك، فيقول: " ويظهر أن الياء فيما ساقوه من أمثلة، لم تكن في نطق القضاعيين ياء مد، بل كانت صوتاً ساكناً أي إنه كان ينطق الراعي، حتى يمكن أن نتصور قلبها إلى جيم "⁽⁶⁾.

ويبدو أن الاشتراك الصوتي بين الجيم والياء من حيث الجهر والمخرج جعلهما يتبادلان المواقع، فقد ورد إبدال الجيم من الياء عند بني تميم حيث يقولون في الصهرج وجمعه الصهاريج : الصهري والصهاري، كما روى أبو زيد أن بعض بني تميم قال

(1) شرح المفصل: 50/10، الاقتراح: ص201، والمزمز: 222/1.

(2) المفصل: 50/10.

(3) فصول في فقه العربية: 115.

(4) المرجع السابق نفسه.

(5) شرح المفصل: السابق نفسه.

(6) في اللهجات العربية: ص126.

"شجرة" للشجرة وعلى ذلك أنشدت أم الهيثم :

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنّي فأبعدكن الله من شيرات⁽¹⁾

تريد شجرات " . وهذه الظاهرة شائعة عند عرب الخليج في عصرنا الحاضر، وتنسب هذا السمة اللهجية إلى قضاة وبني سعد كما سبق عند سيوييه وفي اللسان وفي الاقتراح والمزهر. وأما في شرح المفصل فقد نسبت إلى بني حنظلة فقد أتى فيه: " قال أبو عمرو: قلت لرجل من بني حنظلة ممن أنت ؟ فقال: فقيم، فقلت: من أيهم ؟ قال: مُرْجُ " (2) يقصد فقيمي ومُرْجُ.

8.1.2 العننة

وهي في اللسان⁽³⁾ إبدالهم العين من الهمزة، كقولهم (عن) يريدون (أن) وقال ذو الرمة :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم
أراد أن ترسمت

وقال جرّان العوّد :

فما أبّن حتى قلن يا ليت عُنّا ترابٌ وعن الأرض بالناس تُخسف.

وينقل عن الفراء نسبتها إلى تميم وقيس وأسد ومن جاوره : " يجعلون ألف أن إذا كانت مفتوحة عيناً يقولون : أشهد عُنك رسول الله، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف وابن الأعرابي لعُنك لبني تميم " (4). ويبدو أن هذا النطق للهمزة هو نوع من أنواع تسهيلها فالهمزة صوت صامت شديد وعملية النطق بها شاقة حيث تنطق عندما ينطبق الوتران الصوتيان بإحكام في فتحة المزمار فينحبس الهواء، وهو هواء النفس الآتي من الرئتين وكان نطقها عملية اختناق قصيرة لأن الهواء يُمنع من الخروج. فإنهم في البيئات الحضرية كالحجاز كانوا يسهُّلونها بقلبها مداً من جنس حركة ما قبلها أو بإسقاطها لتسهيل خروج الهواء فيقال ضان في ضان، ثار في ثار، آمن في آمن، وأوثر في أوثر، وإيمان في إلمان، ونبي في نبيء، والمرى في المريء. وأما في البيئات الأكثر بدواة في نجد فكان النجديون يميلون إلى تحقيقها، وهذا الأمر صحيح بإجماله ولكن عند تفصيله (1) القلب والإبدال لابن السكيت: ص29، والإبدال لأبي الطيب: 261/1، نقلاً عن فصول في فقه العربية، ص113.

(2) ابن يعيش: السابق نفسه.

(3) مادة عنن.

(4) المصدر السابق.

لا بد أن نعتز على من كان يسهل منهم بالحذف أو بتحقيق الهمزة من نوع آخر ليس فيه شدة نطقها فتنتطق عيناً لأن أقرب الأصوات إليها هو العين، وكما يقول ابن دريد: إن بني تميم عندما يحققون الهمزة يجعلونها عيناً⁽¹⁾ فالعين لا ينحبس معها الهواء خلف الوترين الصوتيين اللذين ينفرجان فيندفع الهواء ويتبدد في فراغ الحلق. وبهذا يكون نطقها عيناً نوعاً من أنواع التحقيق الذي أرى أنه أسهل من نطق الهمزة بصفتها ومخرجها المعروفين، فيجمع بذلك بين السهولة والوضوح في النطق.

وهذه السمة اللهجية ما زالت باقية في العاميات العربية الحديثة فنجد في صعيد مصر وفي أرياف فلسطين من يسمعه يقول: لع في لأ، وسعال في سؤال، وبدي أسعلك أي أريد أن أسألك.

9.1.2 الفحفة

في لغة هذيل يجعلون الحاء عيناً⁽²⁾ وقد قرئ بها قوله تعالى: (حتى حين)⁽³⁾ عتي حين، ويلاحظ الدكتور رمضان عبد التواب، أن هذا الإبدال خاص بكلمة حتى، معتمداً على ما نقله ابن السكيت عن أبي عبيدة وهو " قوم يحولون حاء حتى فيجعلونها عيناً كقولك: قم عتي آتيك "⁽⁴⁾ وعلى ما نقله أيضاً عن أبي الطيب اللغوي " ويقال: اصبر حتى آتيك، وعتي آتيك "⁽⁵⁾، ولكن ابن الأنباري ينقل في كتابه إيضاح الوقف والابتداء⁽⁶⁾: "دُبِحَ بدلاً من دُبِخَ، بعد نقله العكس عن لهجة هذيل وهو إبدال العين حاءً في: "رُبِحَ بدلاً من رُبِعَ وهو الفصيل.

10.1.2 الغمغة

وهي أن تسمع أصواتاً ولا تحدد منها الحروف ولا يبين الكلام، وقد ذكر صاحب الخزانة أن الغمغة أن لا يتبين الكلام وأصله أصوات الثيران عند الذعر وأصوات الأبطال عند القتال⁽⁷⁾ وتنسب لقضاة⁽⁸⁾.

(1) الجمهرة: 237/1.

(2) الاقتراح: ص 200، المزهر: 222/1.

(3) سورة يوسف: 35.

(4) الإبدال: 295/1.

(5) القلب والإبدال: ص 23.

(6) ص 13.

(7) الخزانة: 465/11.

(8) انظر: الكامل للمبرد 1/370-371، ولهجات العرب لأحمد تيمور ص 130 معتمداً على العقد الفريد

48/2.

11.1.2 العجرفية

وهي الجفاء وتنسب لضبّة. ومما ينسب في اللسان⁽¹⁾ لقبيلة طيء القُطعة أنها كانت تميل إلى قطع اللفظ قبل تمامه فيقال مثلاً : يا أبا الحَك بدلًا من (أبا الحكم).

12.1.2 اللخلخائية

يظهر أنها تعني حذف الأصوات من الكلام من خلال المثل الذي تضربه كتب اللغة وهو قولهم: مشا الله في ما شاء الله وتعرض هذه السمة في لغة أعراب الشَّحْر وعُمان⁽²⁾.

13.1.2 الوتم

وهو قلب السين تاء، لغة لبعض العرب⁽³⁾، كقولهم : النات في الناس وأكيات في أكياس، كما جاء في قول علباء بن أرقم اليشكري⁽⁴⁾ :

يا قبح الله بني السَّعْلاة عمرو بن يربوع شرار الناتِ
غير أعفاء ولا أكياتِ

14.1.2 الوكُم

في لغة ربيعة وهم قوم من كلب يقولون عليكم وبكم حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة⁽⁵⁾، فيقال : السلام عليكم، ويذكر أن مثل هذه اللهجة موجودة في فلسطين فيقال: زقاقيتُكم (جمع زُقُم)، الحاجم (جمع لحية) بشرط أن تلفظ الكاف صوتاً مزجياً "تش".

وقد نسبها سيديويه إلى بكر بن وائل وحدد موقع الضمير بعد الكسر وجاء في الكتاب: "وقال ناس من بكر بن وائل: من أحلامكم، وبكم شبهها بالهاء لأنها عُلِمَ إضمار وقد وقعت بعد الكسرة، فأتبع الكسرة بالكسرة حيث كانت حرف إضمار، وكان أخف عليهم من أن يضم بعد أن يكسر، وهي رديئة جداً، سمعنا أهل هذه اللغة يقولون: قال الحطيئة:

وإن قال مولا هم على جلِّ حادث من الدهر ردوا فضِّل أحلامكم ردوا⁽⁶⁾

(1) اللسان مادة قطع، وفي اللهجات العربية: ص: 134.

(2) فقه اللغة للثعلبي: ص 73، والمزهر 223/1.

(3) اللسان: نوت، أنس.

(4) النوادر لأبي زيد/ 345، سر الصناعة: 1/ 155، الاشتقاق لابن دريد: 277، شرح المفصل: 1/ 36.

(5) والسعلة هي القول والأكيات هي الأكياس.

(6) المزهر: 1/ 222.

(7) الكتاب: 4/ 197.

ويبدو أن الوكم خاصٌ بضمير الكاف فقط.

15.1.2 الهم

وهو خاص على ما يبدو بضمير الهاء ففي باب ما تكسر فيه الهاء التي هي علامة الإضممار يقول سيبويه : فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة ".... وقال بعضهم : عليهِمْ... وأعلم قوماً من ربيعة يقولون : مِنْهُمْ، أتبعوها الكسرة ولم يكن المُسَكَّن حاجزاً حصيناً عندهم" (1).

وقد نسبت هذه السمة اللهجية في المظهر والاقتراح لقبيلة كلب، حيث قال السيوطي : " الهم في لغة كلب يقولون : مِنْهُمْ وعنهم وبينهم، وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا الكسرة (2) بعكس ما اشترطه سيبويه من وجوب أن يكون قبل الهاء ياء أو كسرة.

16.1.2 تسهيل الهمز

والهمزة كما يقول إبراهيم أنيس صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس، لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً... ولا شك أن انحباس الهواء عند المزمار انحباساً تاماً ثم انفراج المزمار فجأة عملية تحتاج إلى جهد عضلي... مما يجعلنا نعد الهمزة أشق الأصوات" (3) لذلك نجد في بعض اللهجات العربية من يفر من نطقها، وقد جاء في اللسان بيان لمواطن في الجزيرة العربية يتخفف الناطقون من الهمز فيها فقد نقل عن أبي زيد : " أهل الحجاز وهنيل، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، فقال : ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا قال : وقال أبو عمر الهذلي قد توضّيت، فلم يهمز وحولها ياء" (4) ويقصد بالنبر الهمز وتحقيق الهمزة، وأصحابه هم التميميون ومن جاورهم من البيئات البدوية. وأما الذين لا ينبرون ولا يحققون الهمزة، أي الذين يتخففون من نطقها فهم الحجازيون وبيئاتهم الحضرية في المدن الحجازية، ولا غرابة في ذلك؛ فالتسهيل مسائر للتيسير الذي تميل إليه الطبيعة البشرية، " إذ التخلّص من الهمزة نوع من الميل إلى السهولة والبعد عن التزام التحقيق في النطق بالأصوات (5).

(1) السابق: 4/ 195-196.

(2) المظهر: 1/ 22، الاقتراح: 200.

(3) الأصوات العربية: ص 90.

(4) لسان العرب: طبعة دار المعارف، ج1، ص 26.

(5) في اللهجات العربية: ص 77.

وأوضح صورة لهذا النهج اللهجي نجدها في القراءات القرآنية " فما أحد من القراء إلا ورد عنه تخفيف الهمزة وقد أفرد له علماء العربية أنواعاً تخصه وقسموا تخفيفه إلى واجب وجائز إذ من المحال أن يصح في القراءة ما لا يسوغ في العربية، بل قد يسوغ في العربية ما لا يصح في القراءة وقال بعضهم : لغة أكثر العرب الذين هم أهل الجزالة والفصاحة ترك الهمزة الساكنة في الدرج، والمتحركة عند السكت" (1) ففي البحر المحيط أن " الماضي (رأى) عينه همزة تحذف في مضارعه والأمر منه ... تقول يرى وترى ونرى وأرى، ورز زيداً ولغة تميم إثبات الهمز فيما حذف منه غيرهم فيقولون يראى وأراى " (2) أي أراى ويرأى لغة تميم وما سبقتها يرى وترى ونرى وأرى، ور هي لغة الحجازيين أو البيئات الأكثر حضارة، ومثل هذا التخفيف في لغة الحجازيين كثير حيث يقومون بحذف الهمزة في حين يثبتها التميميون، فأهل الحجاز يقولون جَنَّبَنِي، هي خفيفة وأهل نجد يقولون أجنبني شره وجنبني شره " (3) وأهل الحجاز يقولون فتنت الرجل، وأهل نجد يقولون : أفتنته (4).

وقد يكون التسهيل أو التخفيف بإبدال الهمزة فيه حرف مد بحسب حركة ما قبلها فلفظ "بؤس" تصبح " بوساً " في البيت الذي رواه ابن السكيت ونقله صاحب اللسان لبهيس الفزاري حيث يقول:

أَبْسُ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا

وقد كان هذا يحدث كثيراً في قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع وهو بهذا يمثل بيئة الحجازية لأنه قارئ المدينة فقد قرأ بقلب الهمزة مداً من جنس حركة ما قبلها (5)، نحو : يُومنون، يُوتي، موتفة، لولو : في يؤمنون ويؤتي وموتفة ولؤلؤ.

- بيس، جيت، شيت، نبي : في بئس، وجئت، وشئت، ونبيء.

- فاتوهن، فاذنوا، ماوى، إيتنا في فاتوهن، فاذنوا، ماوى، ائتنا.

- يوده، يواخذ، موزن في يؤده، يُواخذ، مُؤذَن، (الهمزة مفتوحة وما قبلها مضموم فقلبت واواً) (6).

(1) النشر في القراءات العشر: 1/ 429.

(2) أبو حيان: 1/ 294.

(3) الفراء، معاني القرآن: 2/ 78.

(4) المرجع السابق: 2/ 394.

(5) النشر: 1/ 390.

(6) المرجع السابق: 1/ 395.

- رياء، خاسياً، ناشية : في رياء، خاسئاً، ناشئة (الهمزة مفتوحة وقبلها مكسور فقلبت ياء)⁽¹⁾.

- مستهزون / الصائبون، متكون : في مستهزون، الصائبون، متكون، وهي هنا مضمومة بعد كسر، وبعدها واو فإن أبا جعفر يحذف الهمزة ويضم ما قبلها من أجل الواو⁽²⁾ وهكذا تكون الأمثلة التي سقناها من القراءات القرآنية قد عكست واقعاً لهجياً ألا وهو تسهيل الهمز.

وأما تسهيل الهمزة في العاميات الحديثة فأمره ظاهر نحو : جيت في جئت، اطفى الضوء في أطفئ الضوء، المره في المرأة، لا بأس عليك في لا بأس عليك، ذيب في ذئب، ميذنه في مثذنه ... الخ .

وهناك ظواهر لهجية صوتية لم يعرف لها اسم كإبدال القاف حرفاً بين القاف والكاف تماثل الصوت G في كلمة God الإنجليزية، وهي لغة نسبها السيوطي إلى تميم⁽³⁾ وقد ذكر ابن خلدون أيضاً أنها لغة مضر الأولين ولعلها لغة النبي ﷺ بعينها⁽⁴⁾. وأما ابن فارس فيصف هذا اللهجة وينسبها ويضرب لها شاهداً شعرياً بقوله " فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف باللهاء حتى تغلظ جداً فيقولون " القوم " فيكون بين الكاف والقاف وهذا لغة فيهم قال الشاعر :

ولا أَكُولُ لِكَبْرِ الكَوْمِ قد نضجت ولا أَكُولُ لباب الدار : مكفول .⁽⁵⁾

أي : ولا أقول لِكَبْرِ القوم قد نضجت، ولا أقول لباب الدار : مكفول، وهذا الصفة الصوتية للقاف منتشرة في الوطن العربي في وقتنا هذا، في الجزيرة العربية، والخليج العربي واليمن والعراق، والأردن وفلسطين خاصة في بدوها وفي قرى الخليل وغزة وشمال أفريقيا وصعيد مصر.

ومنها أيضاً إبدال القاف كافاً في قراءة ابن مسعود⁽⁶⁾ وأما اليتيم فلا تكهر⁽⁷⁾، وقد جاء في صحيح مسلم⁽⁸⁾ أن رجلاً تكلم في صلاته وكان يتوقع أن يؤنبه النبي ﷺ ولكنه نصحه بما يتوافق مع طبعه ﷺ فقال الرجل :

(1) السابق: 1/395.

(2) السابق: 1/396.

(3) المقدمة: 4/1274.

(4) المزهري: 1/222.

(5) مختصر في شواذ القرآن: ص175.

(6) صاحب: ص57.

(7) باب تحريم الكلام عند الصلاة: 2/70.

(8) الضمى: 9.

" فوالله ما كَهَرَنِي ولا ضَرَبَنِي ولا شَتَمَنِي " يريد ما قهرني.

وهذا صفة صوتية ممتدة إلى يومنا هذا في كثير من قرى فلسطين خاصة محافظات نابلس وطولكرم وقلقيلية.

هذا عدا الإمالة التي كانت الصفة الشائعة بين قبائل وسط الجزيرة وشرقها⁽¹⁾ وشاعت الإمالة كذلك في القراءات القرآنية في البيئة العراقية خاصة في الكوفة لشيوع اللهجات فيها من القبائل التي أقامت فيها أو نزحت إليها أو كانت قريبة منها.

فقد ذكر الداني⁽²⁾ أن حمزة والكسائي كانا يُميلان كل ما كان من الأسماء والأفعال من ذوات الياء نحو: موسى وعيسى، الهدى، العمى، يخفى، يرضى، أُنَى، منى وكذلك جميع ذوات الواو من الأسماء والأفعال نحو: الصفا، عصا، خلا، دعا، بدا ... الخ.

وهناك روايات أخرى متناثرة في كتب اللغة والأدب تنسب صفات صوتية إلى قبائل عربية، ولكن هذا الروايات، للأسف، ناقصة تحتاج إلى تتبع دقيق في دراسة لهجية متكاملة للصفات في اللهجات القديمة والعاميات الحديثة، لأن الارتباط بينهما وثيق.

2.2 الاختلاف اللهجي في بنية الكلمات

فقد تتباين الأبنية بين اللهجات بتغير أو باختلاف الحركات، أو أصوات اللين القصيرة، أي يكون المبنى واحداً ولكن يحصل الاختلاف بين اللهجات عن طريق تغيير حركة أحد حروف هذا المبنى. وأظهر ما يكون هذا المميّز اللهجي في حركة عين المضارع في الأفعال الثلاثية نحو: قَنَطُ يَقْنُطُ وَيَقْنُطُ قُنوطاً وقال ابن جني: قَنَطُ يَقْنُطُ، كَأَبَى يَأْبَى، وفيه لغة ثالثة: قَنَطُ يَقْنُطُ قَنْطاً ... وقال الأزهري: وهما لغتان: قَنَطُ يَقْنُطُ وَقَنْطُ يَقْنِطُ قنوطاً في اللغتين⁽³⁾، ومثله: هَلَكُ يَهْلِكُ ويَهْلِكُ وكل ذلك لغات⁽⁴⁾. ومنه نَزَفَ يَنْزِفُ ويَنْزِفُ ونَزَعَ يَنْزَعُ وينْزَعُ ونَشَلَ يَنْشُلُ وينْشُلُ وطَعَنَ يطْعُنُ ويَطْعُنُ⁽⁵⁾، ومنه: رَكِنَ إلى الشيء وركن يركن ويركن، قال الجوهري وهو على الجمع بين اللغتين وقال كراع: ركن يركن ولغة أخرى ركن يركن وليست بفصيحة⁽⁶⁾.

(1) في اللهجات العربية: ص 63.

(2) التيسير في القراءات السبع: ص 46.

(3) انظر اللسان: مادة قنط.

(4) اللسان مادة هلك.

(5) انظر اللسان في أبوابها.

(6) السابق: باب ركن.

وقد عقد السيوطي باباً في المزهر سماه ذكر ألفاظ اختلفت فيها لغة الحجاز ولغة تميم⁽¹⁾ ومنه : أهل الحجاز يقولون يَبْجُش وتميم يَبْطُش. وفي البحر المحيط⁽²⁾: نَفْرُغ لغة الحجاز ونَفْرَغ تميمية ونَفْرَغ لغة مضر. ويمكننا أن نلاحظ أن حركة العين هذه غير مستقرة في اللهجات العربية لأنها غير قياسية. وقد أدرك لغويونا القدامى مثل هذا، فقد ورد عن أبي زيد الأنصاري أنه قال : " طفت في عليا قيس وتميم مدة طويلة أسأل عن هذا الباب، لأعرف ما كان بالضم أولى، وما كان بالكسر أولى، فلم أجد لذلك قياساً، وإنما يتكلم كل امرئ منهم على ما يستحسن ويستخف لا على غير ذلك "⁽³⁾.

وقد يكون الخلاف بين اللهجات مبنياً على تغيير صوت اللين الطويل وليس الحركة في البناء الواحد فأهل الحجاز يقولون : أَقْلُوهُ لِلْبَرِّ وتميم أقلّيه⁽⁴⁾ ومثله : حاز يحوز ويحيز وحاك يحوك ويحك وطفى يطفئ ويطفو⁽⁵⁾. ويقع كذلك في أبنية الأسماء " تنحرف الصيغة واللفظ واحد نحو قولهم : الطَّنْفَسَة والطَّنْفَسَة، وكذلك رَغْوَة اللين ورُغْوَة رويننا ذلك كله "⁽⁷⁾ وقد يكون انحراف الصيغة في الأسماء بتغيير أحد الحروف، وفي رأي ابن جني ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات نحو : اختلف رجلان في الصقر فقال أحدهما: الصقر (بالصاد)، وقال الآخر: السقر... وقال الثالث، إنما هو الزُّقْر أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة، كيف أفاد في هذه الحال إلى لغته لغتين أخريين معها، وهكذا تتداخل اللغات "⁽⁸⁾ ومن ذلك قولهم: بغداد وبغدان والصيدلاني والصيدلاني للذي يبيع العطر والعقاقير والقَنْسُوة والقَنْسُية⁽⁹⁾ وقالوا أيضاً بغداد وبغدان ومغدان، وطبرزل وطبرزن⁽¹⁰⁾ وقالوا للحَيَّة : أَيْم وأَيْن "⁽¹¹⁾ فالأيم هو الثعبان عند هذيل وفي الحجاز بالتخفيف، وفي تميم أين "⁽¹²⁾ وما أشبه هذا بما يقال في العامية الفلسطينية: علوان

(1) ج2/ ص 275 ص 276.

(2) أبو حيان: ج8/ 194.

(3) المزهر: 1/ 207-208.

(4) السابق: 2/ 272.

(5) انظر اللسان في أبوابها.

(6) هو دوبيه أعظم من الذباب شيئاً.

(7) الخصائص: 1/ 373.

(8) المرجع السابق: 1/ 372، 374.

(9) نصيح ثعلب: ص 83.

(10) هو السكر الأبيض معرب عن الفارسية.

(11) الخصائص، 1/ 372.

(12) في اللهجات العربية: 160، واللسان مادة أيم وأين.

وعنوان جبريل وجبرين واسماعيل واسماعيلين وفي البيئات الريفية منها يقال : سيلة في سيرة، وسرطة في سُلطة.

3.2 الاختلاف اللهجي في الجانب النحوي

وأظهر ما يكون ذلك في الإعراب خاصة إعمال الأدوات، فكثير من الخلافات النحوية رَدَّت إلى خلافات في لهجات القبائل والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

1- إهمال ليس إذا اقترن خبرها بإلا عند بني تميم حملاً لها على "ما" التي ينتقض نفياً فتفك عن العمل في مثل : ليس الطيب إلا المسك " حكى ذلك أبو عمرو بن العلاء فبلغ ذلك عيسى بن عمر الثقفي فجاءه فقال : يا أبا عمرو ما شيء بلغني عنك؟ ثم ذكر له، فقال له أبو عمرو، تمت وأدلج الناس، ليس في الأرض تميمي إلا وهو يرفع ولا حجازي إلا وهو ينصب، ثم قال لليزيدي ولخلف الأحمر: انهما إلى أبي مهدي فلقناه الرقع فإنه لا يرفع وإلى المنتجع التميمي النصب فإنه لا ينصب، فأتياهما وجهدا بكل منهما أن يرجع عن لغته فلم يفعل، فأخيراً أبا عمرو وعنده عيسى فقال له عيسى: بهذا فُكَّتْ الناس".⁽¹⁾

2- إعمال ما عمل ليس فقد ذكر ابن جني في باب اختلاف اللغات وكلها حجة " اعلم أن سعة القياس يتيح لهم ذلك ولا تحظره عليهم؛ ألا ترى أن لغة التميميين في ترك إعمال ما يقبلها القياس، ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك، لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به "⁽²⁾ فاللغة الأولى أقيس والثانية أفصح⁽³⁾ وبها ورد الكتاب العزيز قال الله تعالى : " ما هذا بشراً "⁽⁴⁾. وكذلك (لا) تشبّه بليس، وهو خاص أيضاً بلغة الحجاز دون تميم⁽⁵⁾. ويظهر أن النحاة لم يتفقوا على إعمالها عمل ليس، فقد ذكر السيوطي: " قال أبو حيان لم يصرح أحد بأن إعمال لا عمل ليس بالنسبة إلى لغة مخصوصة، إلا صاحب المقرب ناصر المطرزي فإنه قال فيه بنو تميم لا يعملونها وغيرهم يعملها، في كلام الزمخشري أهل الحجاز يعملونها دون طيء، وفي البسيط : القياس عند بني تميم عدم إعمالها ويحتمل أن يكونوا وافقوا أهل الحجاز على إعمالها"⁽⁶⁾.

(1) مغني اللبيب: 1/325-326.

(2) الخصائص: 2/10.

(3) شرح المفصل: 1/108.

(4) يوسف 31.

(5) شرح الأسموني: 1/473.

(6) معجم الهوامع: 1/125.

3- أما لعل حرف الترجي المشبه بالفعل، فقد ورد " الجر بها لغة لُعْقِيل ومنه قول كعب الغنوي⁽¹⁾ : فقلت :

ادعُ أخرى وارفع الصوت جهرةً لعل أبي المغوار منك قريب
وقول شاعر آخر :

لعل الله فضلكم علينا بشيء أن أمكم شريم

4- وقد جاءت متى جارة على لغة هذيل ومن كلامهم : " أخرجها متى كمه، ومنه قولهم:

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لُجَجْ خُضِرْ لهن نثيج⁽²⁾

5- عمل إذن الناصبة للمضارع وقد سجل ذلك السيوطي بقوله : " وإلغاء إذن مع اجتماع الشروط لغة لبعض العرب حكاهما عيسى بن عمر وتلقاهما البصريون بالقبول ووافقهم ثعلب⁽³⁾."

6- إن النافية التي تعمل عمل ليس عند الكسائي والمبرد، وهي غير عاملة عند سيبويه والفراء والإهمال عند ابن هشام هو لغة الأكثرين⁽⁴⁾.

وأما في التركيب فأول الخلافات اللهجية نجدما في لغة أكلوني البراغيث أي إسناد فاعلين لفعل واحد وقد جاء على مثال هذه اللغة قوله تعالى: " وأسروا النجوى الذين ظلموا"⁽⁵⁾، وعلى هذه اللغة روى قوله ﷺ " يتعاقبون فيكم ملائكة ..."⁽⁶⁾ وجاءت هذه اللغة عند عدد من الشعراء نذكر منهم قول أمية بن أبي الصلت:

يلومونني في اشتراء النخ — ميل قومي فكلهم ألوم.
وقول الفرزدق :

ولكن ديافي أبوه وأمه — بحوران يعصرن السليط أثاربه.
وقول عبد الله بن قيس الرقيات :

تولى قتال المارقين بنفسه — وقد أسلماه مَبْعَدٌ وحميم

(1) المغني: 1/ 317، شرح ابن عقيل: 2/ 4.

(2) شرح ابن عقيل: 2/ 6 والنثيج هو الصوت العالي، والمغني: 1/ 372.

(3) الهمع: 2: 7، وانظر كذلك الكتاب: 3/ 16.

(4) المغني: 1/ 19-20.

(5) الأنبياء: 3.

(6) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة.

وقد نسبت هذه اللغة لأكثر من قبيلة عربية نحو أزد شنوءة وبلحارث بن كعب وطيء وضبة⁽¹⁾.

وهذه السمة اللهجية القديمة هي السمة الأبرز بعد الاستغناء عن الحركات الإعرابية، في العاميات العربية الحديثة. ويبدو أن هذه الظاهرة اللغوية قد انتقلت من السامية الأم إلى اللهجات التي تفرّعت عنها واستقلت، فأصبحت لغات : كالعربية والسريانية والعبرية؛ بدليل ظهورها في هذه اللغات، خاصة في العربية، وهي أقرب إلى اللغة السامية الأم؛ حيث ظهرت في لهجاتها القديمة وامتدت في عاميتها الحديثة، حتى إن مجمع اللغة العربية بالقاهرة أجازها في أحد قراراته الذي لم يلبث أن تراجع عنه .

وقد وقع الاختلاف اللهجي في مثل تثنية زيد عسى أن يقوم، وجمعه وتأنينه فيقال على لغة الحجاز : الزيدان عسى أن يقوما، والزيدون عسى أن يقوموا، وهند عسى أن تقوم، والهندان عسى أن يقوما، والهندات عسى أن يقمن، ويقال على لغة تميم : الزيدان عسيا أن يقوموا، والزيدون عسوا، وهند عست، والهندان عستا، والهندات عسين⁽²⁾.

4.2 الاختلاف اللهجي في الجانب الدلالي

فالسدفة في لغة تميم : الظلمة وفي لغة قيس : الضوء ... ولمقت الشيء إذا كتبته في لغة بني عقيل وسائر قيس يقولون: لمقته : محوته⁽³⁾.

وينقل كذلك السيوطي عن الجمهرة : الشَّعْبُ : الافتراق، والشَّعْبُ : الاجتماع وليس من الأضداد وإنما هي لغة لقوم⁽⁴⁾. فليس ذلك من الأضداد فإذا جاء الحرف إلى معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحى من العرب والمعنى الآخر لحى غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء، قالوا: فالجَوْن الأبيض في لغة حي من العرب، والجَوْن الأسود في لغة حي آخر⁽⁵⁾.

وفي اللسان "أهل الحجاز يقولون الهجرس القرد، وبنو تميم يجعلونه الثعلب"⁽⁶⁾ وفيه أيضاً السُّرْحَان والسَّيْد الأسد بلغة هذيل والذئب في لغة غيرهم⁽⁷⁾ وفيه أيضاً القينة

(1) انظر: شرح الأشموني: 1/171، شرح التصريح على التوضيح: 1/275، الهمع: 1/160، والمغني: 1/404، ورايين: Ancient West Arabian P. 97.

(2) شرح الأشموني: 1/525.

(3) المزهر: 1/389-390.

(4) المرجع السابق: 1/396.

(5) السابق: 1/401.

(6) مادة هجرس.

(7) مادة سرح.

المتزّين باللباس من الرجال وهي كلمة هذلية وعند غيرهم الأُمة⁽¹⁾، ومن تتبع مثل هذه الخلافات في كتب اللغة والأدب فإنه سيحظى بقدر وفير من الألفاظ التي تختلف دلالتها باختلاف ورودها لدى القبائل العربية.

وبناء على ما تقدم فإن اللغة الفصحى المشتركة يجب أن ترتفع عن مستوى هذه اللهجات، وعن مستوى العامة لأنها لغة الثقافة والأدب، فلا تتضمن شيئاً من خصائص اللهجات التي مر ذكرها.

فهي اللغة النموذجية الأدبية للعرب التي يكتب بها شعرهم، دون أن تكون لغة سليقة لعامة العرب قديماً وحديثاً فهي أعلى من مستواهم، لأن لغة السليقة هي اللهجة التي تتضمن خصائص محلية تميمية أو حجازية مثلاً ينطق بها المتكلم دون شعور منه بهذه الخصائص ويؤديها بألية اكتسبها على مر الأيام منذ طفولته.

وقد نشأت اللغة المشتركة في مكة لأسباب دينية وسياسية واقتصادية جعلت منها مركزاً للوحدة اللغوية؛ بحيث لا يمكن الادعاء بأنها لغة قريش وحدها، ويعتقد أنها استخلصت من لغات العرب فقد "كانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقّة ألسنتها إذا أنتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصغى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم، وسلاتهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب"⁽²⁾، فخلت لغتهم من خصائص اللغات أو اللهجات المذمومة عليها كالعننة والكشكشة وغيرهما، وضمت إليها ما استحسنته من صفات اللهجات الأخرى ما استحقت معه أن يطلق على هذه اللغة، اللغة العربية الفصحى التي كان عمادها لغة قريش للغات ويمكنني أن أصوغ الأمر بشكل آخر، أرى أنه يتوافق مع المعطيات التاريخية السامية ومع ما حصل في اللغات الأوروبية الحديثة والتصور لدي أن العربية كانت موحدة ومشتركة بين العرب جميعاً كغيرها من اللغات، وبفعل عوامل التطور الاجتماعية والسياسية والجغرافية تفرعت وتوزعت، إلى ما سمي عند اللغويين العرب، إلى لغات، أو لهجات، كما في اصطلاحنا، لم تستطع أن تتخلى تماماً عن النظام اللغوي القياسي والمعياري للغة الأولى بنظمها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بل ظلت محتفظة بكثير من هذه الملامح أو النظم الفرعية، وكان أكثرها التزاماً بذلك لغة قريش، حسب الأوصاف التي وردت عنها في كتب اللغة القديمة كالصاحبي وابن جني وغيرهما؛ فكانت أشبهها باللغة الأم وأقربها لذلك؛ فكان من الطبيعي أن تكون عماد اللغة المشتركة الأدبية التي يكتب بها الشعر لضيق الشقة بينها وبين اللهجات الأخرى، وينزل القرآن

(1) مادة قين:

(2) الصحابي: ص 55.

الكريم الذي يحمل من معالمها وملاحها الكثير فيعزز مكانتها، وإذا أضفنا ما كان لمكة وقريش من مكانة اقتصادية ودينية واجتماعية بين العرب باتفاقهم، مما قد يترتب عليه مكانة لغوية فائقة جعلت من لغة مكة مركزاً للتوحيد اللغوي بين العرب كاتفاق الإنجليز في وقتنا هذا على لهجة لندن، والفرنسيين على لهجة باريس والإيطاليين على لهجة روما، والألمان على لهجة هانوفر التي تُرجم إليها الإنجيل دون غيرها من لهجات المدن الألمانية، وهذا التفسير الذي ارتاح إليه لأنه يعيد للعربية الأولى وحدتها التي ارتضى العرب أن تكون لغتهم الأدبية الفصحى التي يتبينون فيها لهجاتهم بوضوح وليس في إمكان أحدهم أن ينكرها أو يتنكر لها أمام إجماع الآخرين عليها محتجاً بأن عمادها لغة قريش، خاصة أن القرشيين، كما ذكر ابن فارس، كانوا يتخبرون من لغات العرب الآخرين ويضيفون إلى لغتهم مما يعطي انطباعاً أنها كانت اللهجة المألوفة لدى العرب فإذا انتقلوا إليها فإنهم لا يفارقون مستواهم إلى مستوى غريب بعيد الشقة عنهم، ويبدى الدكتور تمام حسان اعتراضه على مثل هذا التوجه الذي أصبح مستقراً فيقوم بنقل ثلاثة آراء في اتخاذ اللغة المشتركة عند الأمم حيث يقول : " وفي الحق إن اتخاذ لغة مشتركة لأمة تتعدد فيها اللهجات ربما دعا إلى إيجاد صورة جديدة من الاستعمال تتجاوز اختلاف اللهجات، وقد تكون هذه الصورة المشتركة مبنية على إحدى اللهجات الهامة (كما رأينا من دعوى البعض بالنسبة للهجة قريش)، ولكنها قد تكون محاولة مقصورة لخلق لغة جديدة يتمثل فيها الكثير من الخواص المشتركة بين عدد من اللهجات، وفي حالات أخرى يكون بواسطة الجهد والتعمد (كما رأينا العبرية المعاصرة) ومن الطبيعي أن يشتمل جهد اتخاذ لغة عامة لأي أمة على إيجاد معيار كتابي في صورة نظام أبجدي مع ما يصحب ذلك من نشر معجم للغة المشتركة، وإنشاء نحو لها نستعين به على إرساء قواعدها. ومع ذلك قد يحدث إيجاد اللغة المشتركة في مجتمع لا يعرف الكتابة كما حدث بالنسبة لمحميات هوميروس التي ألفها في صورة لغوية فوق اللهجات الإغريقية⁽¹⁾، فلا تمثل أية لهجة منها بعينها وكان ذلك قبل اختراع الكتابة الإغريقية ويعلق مؤيداً التوجه الأخير قائلاً: ولو نظرنا إلى العربية في ضوء هذا المثال الإغريقي لسهل علينا أن نتصور مدى الخطأ الذي تشتمل عليه أن هذه الفصحى كانت في أصلها لغة قريش "، وقد جانبه الصواب، في تقديري، لأكثر من سبب أولها تناسيه بأن اللغات الأوروبية استقلت معتمدة على لهجة إحدى المدن فالفرنسية اتخذت لهجة باريس نموذجاً وإيطالية لهجة روما، والإنجليزية لهجة لندن والألمانية لهجة هانوفر، والأسبانية لهجة مدريد ولماذا لا يصح في العربية اعتماد لهجة مكة أي قريش؟!

(1) الأصول: من 78، نقلاً عن كتاب New Invitation To Linguistics P:95

وثانيهما: إن اليونانية اعتمدت نصاً واحداً هو أشعار هوميروس بينما العربية الفصحى بنيت على أئتلاف من عدة صفات احتفظت بها لهجة قريش واللهجات العربية الأخرى من العربية الأولى وشكلت الملامح الرئيسية لها أي للفصحى ونسج الشعراء على منوال يخلو من الخصائص المذمومة في لهجاتهم وهو ما يحصل في وقتنا إذا جلس مجموعة من المتعلمين فإن كل واحد منهم يحاول أن يتحدث بلغة تخلو من السمات المحلية فيكون اتفاقهم عرضاً على لغة يتفاهمون بها وهو ما يؤديه بنفسه حيث يقول في موضع سابق " وكذلك كان العرب الأقدمون فيما يبدو مع فارق هام هو أن العربي الأول كانت له سليقة في الفصحى إذ يأخذها ويكتسبها مع لهجته القبلية أثناء النشأة ⁽¹⁾ وتهاياً لهذه الفصحى الانتشار في الأسواق الأدبية، وينزول القرآن الكريم الذي تحمل أساليبه ملامحها ومعالمها، تحقق لها الثبات والانتشار.

وخلاصة الأمر عندي أنه كانت هناك لغة عربية مشتركة، وكانت في وقت ما من لغة البدو ولغة الحضار من شرق الجزيرة ووسطها وغربها، وتفرعت عنها لهجات القبائل، التي قسمت أحياناً بإجمال إلى لغات عربية شرقية مركزها لغة تميم ولغات عربية غربية ومركزها لغة الحجاز؟! أما كيف تفرعت؟ فسؤال يجيب عليه الدكتور علي وافي بقوله: "والعامل الرئيسي في تفرع اللغة إلى لهجات هو سعة انتشارها...فتتكم بها جماعات كثيرة العدد وطوائف مختلفة من الناس، يستحيل معها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً فلا تلبث أن تتشعب إلى لهجات... وذلك بفعل عوامل اجتماعية وسياسية وجغرافية..." ⁽²⁾، وفي اعتقادي أن هذه العوامل قد تكون مشتركة أيضاً فيكون التشابه فيما بينها أكثر من الاختلاف، فتكون عامل توحيد أقرب منها إلى أن تكون عامل تفریق فلا يصل التباعد فيما بينها إلى درجة الانفصال الذي يؤدي إلى تميزها وتشكيلها لغات مستقلة.

ومع أن الدكتور إبراهيم أنيس ⁽³⁾ يتحدث عن العوامل الجغرافية والاجتماعية وأثرها في تشعب اللغة الواحدة إلى لهجات إلا أنه يوجز نشأة اللهجات في العالم ويردها إلى عاملين هما:

أ - الانعزال بين بيئات الشعب الواحد

ب - الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات

وقد تحقق هذان الأمران للهجات العربية قديماً فقد انقسمت بيئات الجزيرة العربية إلى بيئات بدوية وحضرية، وجهات شرقية وغربية ووسط الجزيرة وأطرافها، وانتقل

(1) تمام حسان، الأصول: ص 77.

(2) دوافي، علم اللغة: انظر ص ص 172-175 بشيء من التصرف.

(3) في اللهجات العربية: ص 21.

العرب بلهجاتهم إلى البلاد المفتوحة وتأثرت بلغة هذه البلاد وأثرت فيها فكان ذلك أحد الأسباب الرئيسة في نشأة العاميات العربية حيث حدث، بعد خروج العرب إلى الأمصار أن تلاقحت لهجاتهم بلغات البلاد المفتوحة التي تركت فيها آثاراً كدخول كثير من المفردات إلى هذه اللهجات من الفارسية والآرامية والقبطية والبربرية واليونانية والتركية، مما ساهم في تطوير هذه اللهجات، ومع طول الزمن وبفعل العوامل اللغوية والاجتماعية والسياسية، تشكلت العاميات أو لغات الأمصار من تلك اللهجات التي كان لها الغلبة في كل قطر على حدة وعلى حد قول الجاحظ صار: "كل مصر يتكلم على من نزل به من العرب".

وإذا كانت الدراسات اللهجية التي عنيت باللهجات العربية الحديثة مشوبة بشبهة سياسية لأنها بدأت على يد المستشرقين وخوفاً على الفصحى من أن تحل محلها العاميات العربية، فإن هذا الأمر مستبعد لأسباب تاريخية ودينية وقومية حالت دون نجاح الدعوة إلى العامية في فترات ضعف الأمة. فما بالك في هذا الوقت التي بدأت فيه الأمة بالنهوض ويتسلم أبناؤها زمام شؤونهم، وأصبح مطروحاً ضمن التخطيط اللغوي أن نتجه إلى تقريب هذه العاميات من الفصحى نظراً لأصالة هذه العاميات وعمق صلتها بالعربية الفصحى الأم باعتبارها امتداداً للهجات القديمة، وبهذا الاعتبار أيضاً يمكن التخطيط لتحويل العامية إلى الفصحى بوسائل يمكن وضعها، وهكذا يمكن إقامة الدراسات اللهجية من أجل أحد غرضين أولهما باعتبارها موروثاً اجتماعياً يحمل في ثناياه كثيراً من عاداتنا وتقاليدها وثقافتنا وأدبنا، ومكارم أخلاقنا وصور كرمنا.

وثانيهما: باعتبارها ميراثاً حضارياً علمياً حياً بما فيها من نظم لغوية أو مظاهر فصيحة يربط بين هذه العاميات وأصلها الفصحى مما يمكن الاستفادة منه في التخطيط التعليمي.



أسئلة التقويم الذاتي (1)

1. عرّف اللغة واللهجة ؟
2. اذكر بإجمال الصفات الكلامية أو الجوانب اللغوية التي تختلف فيها اللهجات عن اللغة الأم. ثم فصل القول في الاختلاف الأول.



تدريب (1)

1. ما الفرق بين الكشكشة والشنشنة وأين موطنهما ؟
2. ما الصفتان الصوتيتان اللتان تصيبان الهمزة؟ وأين تشتهر كل صفة قديماً وحديثاً ؟
3. ما السليقة في اللغة؟ وهل يمكننا أن نقول إن اللغة الفصحى لغة سليقة ؟

3. مصادر الاحتجاج اللغوي

لقد أقيم وصف العربية ووضعت نظمها الصوتية وأبنيتها الصرفية وتم تقنين أساليبها التركيبية وضبط قواعدها الإعرابية وبيان معاني مفرداتها ودلالات عباراتها، بل إنها حافظت على وجودها، من خلال اعتماد لغويينا على القرآن الكريم والشعر العربي والحديث الشريف وكلام العرب المنثور وهي الأصول النقلية، التي قام عليها الاحتجاج والاستشهاد والتوثيق اللغوي، من الناحية النظرية. ولكن الاحتجاج بها كان متفاوتاً من الناحية العملية ولم يكن الاعتماد عليها بدرجة متساوية؛ ففي حين كان للشعر الصدارة في الاستشهاد، لقي الحديث صدوداً من جمهرة النحاة. ولم يأخذ النص القرآني وقراءته المكانة اللائقة به باعتباره أوثق الأصول، مما سنتناوله بالحديث عن كل أصل منها على حدة.

1.3 القرآن الكريم وقراءاته

لم يَقمْ خلاف بين النحويين على أن القرآن الكريم أصل من أصول الاحتجاج والاستشهاد في اللغة والنحو، بوصفه أفصح أساليب العربية على الإطلاق الذي لم يطرأ عليه تعديل وتغيير، وبناءه المحكم يعتبر، مع قراءاته، سجلاً لظواهر الفصحى. "وكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً، أم آحاداً، أم شاذاً، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة العربية، إذا لم تخالف قياساً معروفاً، بل ولو

خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه، كما يحتج بالمُجمَع على ورودهِ ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه...وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة، لا أعلم فيه خلافاً بين النحاة....⁽¹⁾

وكان على النحاة بناء على ما تقدم أن يجعلوا القرآن الكريم الأساس الأول في الاستشهاد، وأن يعتمدوا نصوصه وقراءاته قبل غيرها لتقعيد القواعد؛ فروايته أوثق، بل هي الأوثق على الإطلاق مما نقله إلينا الرواة من شعر أو نثر، فأساس القراءات السماع والمشاهدة، كما هو معروف، ومع ذلك لم يكتفِ علماء القراءات والنحاة واللغويون بهذا الحد وقاموا بجمع القراءات؛ للمحافظة عليها؛ ووضعوا لها أصولاً وحدوداً وميزوا بين الصحيح المتواتر والشاذ الفريد واشترطوا للقراءة الصحيحة المتواترة أن توافق العربية ولو بوجه، وأن توافق أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وأن يصح سندها⁽²⁾، وأول من نهض بهذا العبء كما يقول شوقي ضيف هو ابن مجاهد الذي اختار، بعد البحث والفحص الطويل، سبعة من أئمة القراءات حمل عليهم المسلمين في جميع أقطارهم، وأمصارهم وبذلك لَمْ الشعث، وأدرك الأمة قبل أن يتسع بينها الخلاف في قراءات كتابها السماوي على أنه عاد فألف كتاباً في ذكر الشواذ من القراءات⁽³⁾ وقام تلميذه أبو علي الفارسي بوضع كتابه "الحجة في علل القراءات السبع" وفيه كما يذكر في مقدمته "وجوه قراءات القراء الذين تثبت قراءاتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن مجاهد"⁽⁴⁾، أي يذكر الوجوه النحوية والعلل الإعرابية مستعيناً على ذلك بالشواهد الشعرية، مع تسجيل تحفظي على هذا النهج؛ لأننا نحتج ونعلل للأثبت في النقل والأوثق في الإسناد وهي القراءات المتواترة بما هو أدنى منه ثقة في الرواية وصحة إسناد وهو الشعر الذي قد يكون مجهول القائل أو مصنوعاً أو ما فيه من الضرورة والشذوذ ما فيه، وهذا منطق معكوس وقلب للحقائق قامت عليه حركة علمية وأصبح نهجاً شائعاً ومقبولاً خدمة للقرآن الكريم. وأما ابن جني تلميذ أبي علي فقد قام بذكر الوجوه النحوية والتعليقات الإعرابية واللغوية للقراءات الشاذة التي ألف فيها ابن مجاهد، فقد ذكر ابن جني في تقديمه: "وأنا، بإذن الله، بادئ بكتاب أذكر فيه أحوال ما شذ عن السبعة....وعلى أننا ننحي فيه على كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، رحمه الله، الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءات"⁽⁵⁾ ويسير على نهج أستاذه في الاستعانة بالشواهد الشعرية مضيفاً إليها شواهد من لغات العرب، أقصد لهجات قبائلهم، وقامت حركة علمية كبيرة لتوثيق القراءات وتعليلها، المتواتر منها والشاذ؛ فيضاف إلى فصاحة السماع صحة القياس، ويجمع بين الرواية والدراية وبين

(1) الاقتراح: ص48. (2) ابن الجزي، النشر في القراءات العشر: 9/1.

(3) كتاب السبعة في القراءات: ص15، وابن مجاهد هو أبو بكر بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، كان حافظاً للقرآن وتفسيره ومعانيه وقراءاته بطرقها ورواياتها المتواترة والشاذة، ت324هـ.

(4) الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع: ج1/ص3. (5) ابن جني، المحتسب: 1/34-35.

النقل والعقل، مع أن القراءة سنّة متبعة تعتمد على الأثبات في الأثر والأصح في النقل والرواية⁽¹⁾. وبهذه المثابة تبلغ الغاية في الفصاحة لقوة إسنادها، فلا يربها قياس بل لا تحتاج له لاعتمادها، وأين النص اللغوي الذي يتوافر له مثل هذا الضبط والتوثيق؟

ولكن جاء الأمر عند معظم النحاة على عكس ما هو متوقع أو مقترح، وعلى رأسهم سيبويه الذي كان عليه أن يجعل القرآن الكريم أساساً لوضع القواعد النحوية... ثم تأتي بقية الشواهد في المرتبة الثانية... ولكنه عكس الوضع فجاء الهرم مقلوباً عنده ومعظم النحاة بعده... ولعلها واحدة من الآثار السلبية التي خلفها كتابه⁽²⁾، وقد لخص الدكتور أحمد مكي الأنصاري وجهة نظر سيبويه من القراءات في أربعة مواقف هي :

- 1- موقف المعارضة لبعض القراءات.
 - 2- موقف المعارضة الخفية آخر بحيث يضع القاعدة النحوية التي تصطدم بالآية، دون أن يصرح بالآية نفسها.
 - 3- موقف التأويل والإخضاع للآيات التي تتعارض مع القاعدة البصرية.
 - 4- موقف الموافقة التي تندرج تحت القواعد النحوية.
- ويمكنني أن أزعّم أن هذه المواقف توزعها النحاة فيما بينهم على درجات متفاوتة، حسب اقتناع كل منهم بالموقف. ويمكننا أن نمثل للموقف الأول بقراءة عبد الله بن عامر وهو من القراء السبعة التي فصل فيها بين المضاف والمضاف إليه في الآية الكريمة التالية : " وكذلك زين كثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم " ⁽³⁾ فجمهور البصريين يمنعونها، متقدموهم ومتأخروهم، ولا يجيزون ذلك إلا في ضرورة الشعر⁽⁴⁾ ومن ضمنهم طبعاً سيبويه فهو من متقدميهم ولا يرى الفصل بغير الظرف⁽⁵⁾، وأنكرها كذلك أبو علي الفارسي والزمخشري وابن الأنباري⁽⁶⁾. وهي مؤيدة بالضرورة من الكوفيين لأنهم يجيزون الفصل بين المتضايقين في السعة وهي النثر وضابطها أن يكون المضاف إما اسماً يشبه الفعل وأن يكون الفاصل بينهما معمولاً للمضاف وأن يكون منصوباً... وإحداها أن يكون المضاف مصدرًا والمضاف إليه فاعله والفاصل إما مفعوله كقراءة

(1) النشر: 1/11.

(2) انظر: أحمد مكي الأنصاري، سيبويه والقراءات: ص 241، وكذلك حسن عون تطور الدرس النحوي: ص 56.

(3) الأنعام - 137.

(4) البحر المحيط: 4/229-230.

(5) البغدادي، خزانة الأدب: 2/416.

(6) الخزانة: ج 4/ص 422، 423.

ابن عامر، وهو الحق عند الكوفيين كما وصفه الأزهرى⁽¹⁾، ويؤيده ما ذكره ابن الأنباري بقوله: "ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الخفض بضرورة الشعر"⁽²⁾ وتأييد القراءات منهج عام عند الكوفيين وهو أمر طبيعي، فرأس المدرسة الكوفية، وهو الكسائي، كان أحد القراء السبعة، ففقدوا كثيراً من أحكامهم على ما جاء فيها.

وجاء في شرح الكافية للأسترباذي "وقد جاء في السعة الفصل بالمفعول إن كان المضاعف مصدرأ والمضاف إليه فاعلاً له كقراءة ابن عامر... أنكر أكثر النحاة الفصل بالمفعول وغيره في السعة"⁽³⁾ فكانه لا ينكر القراءة ولكن يذكر من ينكرها.

ودفاع أبي حيان الأندلسي عن القراءة⁽⁴⁾ يعني تأييده لها، وهكذا اتخذ النحاة من قراءة ابن عامر السبعية موقفين متعارضين، الموافقة الصريحة من الكوفيين، إلا الفراء⁽⁵⁾، وأبي حيان الأندلسي والاسترباذي والأزهرى والبغدادى⁽⁶⁾. والمعارضة الصريحة من سيبويه والبصريين، وأندهم الفراء وأبو علي الفارسي والزمخشري وابن الأنباري. وهو موقف يصعب تفهمه مع إيراد النحويين شواهد شعرية ومن كلام العرب عدا أنها قراءة سبعية وابن خالويه يقول في القراءات السبع: "إنني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل، وإتقان الحفظ، المأمونين على تأويل الرواية واللفظ فرأيت كلاً منهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهباً من مذاهب العربية لا يدفع، وقصد من القياس وجهاً لا يمنع فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار"⁽⁷⁾.

وليت النحاة استقرؤوا قواعد النحو من القرآن الكريم، فالكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر كما يقول الفراء⁽⁸⁾ وكان عليهم أن يعوا أن النحو العربي ثمرة من ثمرات الدراسات القرآنية، والقرآن نصوصه محصورة بين دقتي المصحف، محكم في اختيار ألفاظه وانتقاء أساليبه، لا يلحقه نقض أو نقص أو اختلاف ويمثل لغات العرب جميعاً. وإننا مع الفخر الرازي في تعجبه من النحاة وإنكاره عليهم في بحثهم عن حجة من الشعر أو كلام العرب لإثبات ما خالفت قياسهم الذي وضعوه، بقوله: "إذا جَوَزْنَا إثباتها بالقرآن العظيم أولى، وكثيراً ما نرى النحويين متحيزين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن،

(1) شرح التصريح على التوضيح: ج2/ص57. (2) الإنصاف، المسألة 60: ج2/ص427.

(3) شرح الكافية للأسترباذي: ج1/293. (4) البحر المحيط: السابق.

(5) خزائن الأدب: 4/420-421. (6) المرجع السابق.

(7) الحجة في القراءات السبع: ص61. (8) معاني القرآن: 1/14.

فإذا استشهدوا في تقريرها بيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم، فإنهم إذا جعلوا ورود القرآن دليلاً على صحتها كان أولى ⁽¹⁾، لأن الأصل في القرآن أن يقاس عليه وأن يستشهد به فنصه صحيح ثابت متواتر، ومن الأئمة من يرى أن قراءته توقيفية وليست اختيارية ⁽²⁾. وقد دعا الأستاذ سعيد الأفغاني إلى " أن يمعن النحاة في القراءات الصحيحة فما خالف منها قواعدهم صححوا به تلك القواعد ورجعوا النظر فيها، فذلك أعود على النحو بالخير ... " ⁽³⁾.



أسئلة التقويم الذاتي (2)

اذكر موقف كل من البصريين خاصة سيبويه والكوفيين من القراءات القرآنية.



تدريب (2)

اذكر أسماء القراء السبعة ومواطنهم.

3.2 الحديث الشريف

والحديث عند النحاة واللغويين هو قول الرسول العربي محمد ﷺ، وإنما يهتم النحويون بالقول لأنه موضوع النحو ومنبع استدلالهم ومرجع أحكامهم ⁽⁴⁾، وأضاف إليه الشيخ محمد الخضر حسين: الأقوال المنسوبة إلى الصحابة والتابعين متى جاءت من طريق المحدثين تأخذ حكم الأقوال المرفوعة إلى رسول الله ﷺ من جهة الاحتجاج بها في إثبات لفظ لغوي أو قاعدة نحوية ⁽⁵⁾.

ولم تكن فصاحة الرسول ﷺ، محل شك يوماً ما، لا قديماً ولا حديثاً، ولكن إجازة رواية أحاديثه ﷺ بالمعنى جعل بعض النحاة يترددون في الاستشهاد بها، لأن الأصل أن تُروى هذه الأحاديث بلفظه ﷺ، وقد حرص الرواة على نقله بحرفه ولكن ثبت جواز نقله بالمعنى بشرط تمنع أن يتطرق الخلل إلى لفظه أو معناه، ولكن السيوطي يشك في

(1) الرازي، التفسير الكبير: 3/ 193 (سورة النساء).

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 1/ 321.

(3) الأفغاني، في أصول النحو: ص 32.

(4) أصول النحو السماعية: للشيخ محمد رفعت: ص 48، نقلاً عن كتاب: النحاة والحديث النبوي للدكتور حسن الشاهر.

(5) دراسات في العربية وتاريخها: ص 167.

هذا الأمر ويرى " أن ما روي باللفظ نادر جداً وأن غالب الأحاديث مروية بالمعنى، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها، فرووها بما أدت إليه عبارتهم، فزادوا ونقصوا، وقدموا وأوجه شتى، بعبارة مختلفة، ومن ثم أنكر على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث " (1)، ونفهم من كلامه ما يلي، وهو ما يمكن أن نلخص به قضية الاستشهاد بالحديث :

- 1- ندرة الأحاديث المروية بلفظه ﷺ، مما يبعث الشك في الاستشهاد بمجمل أحاديثه ﷺ، أي إن الندرة لا تشفع ولا تعطي شرعية الفصاحة لغيرها من الأحاديث.
- 2- أغلب الأحاديث مروية بالمعنى، وهنا تعددت الروايات بتعدد الرواة، وقد تتداخل الروايات التي قد تخلو من الضبط والالتزام؛ فتكون هنا زيادة وهناك نقص مما يشكك في بلاغتهم ويفرغها من الفصاحة وهي مُعْتَمَدُ الاستشهاد.
- 3- رواية الأحاديث من غير العرب قبل تدوينها أوقع اللحن فيها، وهذا يتنافى مع فصاحته ﷺ.
- 4- استنكار إثبات القواعد النحوية، بناء على ما تقدم، بألفاظ الحديث، وإيقاع اللوم على من فعل ذلك كابن مالك.

وقد يكون السيوطي في كلامه المتقدم قد ترسم خطى أبي حيّان الأندلسي الذي نقل إنكاره في الاقتراح على ابن مالك بقوله: "قد أكثر هذا المصنّف من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب، وما رأيت أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريق غيره، على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين والكسائي والفاء، وعلي بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين، وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس..." (2) وهذا حديث يبعث الدهشة والاستغراب في النفس، والشك كذلك؛ فهو مرسل، في تقديره، على عواهنه دون تحرر للحقيقة؛ فقد دحضه بنفسه عملياً: فلو تصفحنا كتابه تذكرة النحاة وأحصينا المواضع التي استشهد فيها

(1) الاقتراح: ص 52.

(2) المرجع السابق نفسه.

بالأحاديث فسنجد أنها أربعة وعشرين⁽¹⁾. وأما ادعاؤه على سيبويه فبرده أنه استشهد بثمانية أحاديث في الكتاب كما جاء في فهرسه⁽²⁾. وأما الفراء فقد أثبت الدكتور أحمد مكي الأنصاري أنه انتهج منهجاً جديداً في الاستشهاد بالحديث الشريف وذلك أنه اعتمد الحديث واحتج به في النحو واللغة احتجاجاً مباشراً....⁽³⁾

كذلك من المانعين لاستشهاد بالحديث أبو الحسن بن الضائع، بل قد يكون أولهم، الذي يمكن أن يكون السيوطي قد تأثر به، محتجاً (أقصد ابن الضائع)، بالرواية بالمعنى كما نقل عنه البغدادي حيث جاء: قال أبو الحسن بن الضائع في شرح الجمل: تجوز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة، كسيبويه وغيره، الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلام النبي ﷺ، لأنه أنصح العرب...⁽⁴⁾، وقد بيناً آنفاً أن سيبويه قد استشهد بالحديث الشريف، وهذا ينفي ما ادعاه.

وفي العصر الحاضر لم يجد الاستشهاد بالحديث معارضة، ووجدنا اهتماماً بهذه القضية عند اللغويين ومنهم من استوفأها بحثاً كالشيخ محمد الخضر حسين الذي ناقش أدلة المانعين وتحدث عن تدوين الحديث، مع ظهور اللحن وفساد لغة المتحدثين ومع ذلك يقرر أن قسماً كبيراً من الأحاديث دونه رجال يحتج بأقوالهم في العربية، وأن كثيراً من الرواة كانوا يكتبون الأحاديث عند سماعها؛ وذلك مما يساعد على روايتها بألفاظها، بالإضافة إلى التشديد في رواية الحديث بالمعنى، وما عرف من احتياط أئمة الحديث وتحريمهم في الرواية، فيحصل الظن الكافي لرجحان أن تكون الأحاديث المدونة في الصدر الأول مروية بألفاظها ممن يحتج بكلامه⁽⁵⁾.

وتحت عنوان تفضيل وترجيح⁽⁶⁾ يقسم الأحاديث من حيث الاستشهاد إلى أقسام

ثلاثة هي:

- 1- من الأحاديث ما لا ينبغي الاختلاف في الاحتجاج به وهي ستة أنواع: أولها: ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته ﷺ كقوله "حمي الوطيس، ومات حتف أنفه".

- (1) انظر: تذكرة النحلة لأبي حيان، أرقام الصفحات التي وردت فيها الأحاديث كما جاء في فهرس الأحاديث الشريفة: ص 756-775.
- (2) انظر منه: 32/5، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.
- (3) انظر: أبو زكريا الفراء: ص 394.
- (4) خزائن الأدب: 1/10.
- (5) دراسات في العربية وتاريخها: ص 175.
- (6) المرجع السابق: ص 177.

ثانيها: ما يروى من الأقوال التي كان يتعبد بها أو أمر بالتصبر بها كألفاظ القنوت والتحيات.

ثالثها: ما يروى شاهداً على أنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم (نحو: ليس من امبر إمصيام في إمسفر).

رابعها: الأحاديث التي وردت من طرق متعددة واتحدت ألفاظها.

خامسها: الأحاديث التي دونها مَنْ نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة كمالك بن أنس وابن جريج والشافعي.

سادسها: ما عرف من حال رواته أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة.

2- ومن الأحاديث ما ينبغي الاختلاف في عدم الاحتجاج به وهي الأحاديث التي لم تدون في المصدر الأول، وإنما تروى في كتب بعض المتأخرين.

3- والحديث الذي يصح أن تختلف الأنظار في الاستشهاد بألفاظه هو الحديث الذي دون في المصدر الأول، ولم يكن من أنواع المنبه إليها آنفاً وهو على نوعين:

حديث: يرد لفظه على وجه واحد، وحديث: اختلفت الرواية في بعض ألفاظه .

وخلاصة البحث كما ذكرها، أننا نرى الاستشهاد بألفاظ ما يروى في كتب الحديث المدونة في المصدر الأول وإن اختلفت فيه الرواية، ولا نستثني إلا الألفاظ التي تجيء في رواية شاذة أو يغمزها بعض المحدثين بالغلط أو التصحيف غمزا لا مرد له، ويشد أزرنا في ترجيح هذا الرأي أن جمهور اللغويين وطائفة عظيمة من النحويين يستشهدون بالألفاظ الواردة في الحديث وعلى بعض رواياته ⁽¹⁾.

أما الأستاذ سعيد الأفغاني فمن رأيه أن يتقدم الحديث سائر كلام العرب من نثر وشعر في باب الاحتجاج في اللغة وقواعد الإعراب، إذ لا تعهد العربية في تاريخها بعد القرآن الكريم بياناً أبغ من الكلام النبوي؛ ولا أروع تأثيراً ولا أفعلى في النفس ولا أصح لفظاً ولا أقوم معنى؛ ولكن ذلك لم يقع كما ينبغي؛ لانصراف اللغويين والنحويين المتقدمين إلى ثقافة ما يزودهم به رواة الأشعار، انصرافاً استغرق جهودهم، فلم يبق لرواية الحديث ودرايته بقية، فعملوا لعدم احتجاجهم بالحديث بعلل، كلها وارد بصورة على ما احتجوا به هم أنفسهم من شعر ونثر ⁽²⁾.

(1) السابق: ص180.

(2) في أصول النحو: 49-50.

ويعمل، كما نرى، انصراف النحاة عن الاستشهاد بالحديث بانشغالهم بالشعر ولقلة درايتهم برواية الحديث. والنحاة لم ينصرفوا عن الاستشهاد به فسيبويه والفرأء قد فعلا ذلك أي استشهدوا به، وقد أثبت الدكتور حسن الشاعر هذا الأمر في كتابه النحاة والحديث النبوي وقال الكلمة الفصل؛ فهو لم يكتف بجمع آراء المانعين والمؤيدين والمتحفظين قديماً وحديثاً. وذكر على سبيل الخصوص ابن الضائع وأبا حيان الأندلسي أنهما قد استشهدا بالحديث مع أنهما من منكري ذلك. بل قدم دراسة إحصائية بلغة الأرقام الدامغة تتبع فيها عشرين كتاباً من أشهر كتب النحو لمقدمي النحاة كسيبويه ومتأخريهم كالأشموني وقام بإحصاء الأحاديث التي استشهد بها في كل كتاب، وقد رأيت أن أوردتها كالآتي⁽¹⁾؛

الرقم	الكتاب ومؤلفه وتاريخ وفاته	عدد الأحاديث فيه
1-	الكتاب - سيبويه (180 هـ)	10
2-	المقتضب - المبرد (285 هـ)	3
3-	الجمال - الزجاجي (337 هـ)	2
4-	معاني الحروف - الرماني (384 هـ)	4
5-	الأزهيّة في علم الحروف - الهراوي (415 هـ)	4
6-	المرتجل - ابن الخشاب (567 هـ)	3
7-	أسرار العربية - الأثيري (577 هـ)	3
8-	الإنصاف - الأثيري (577 هـ)	10
9-	شرح المفصل - ابن يعقوب (643 هـ)	40
10-	المقرب - ابن عصفور (669 هـ)	3
11-	عمدة الحافظ - ابن مالك (672 هـ)	47
12-	شرح الكافية - الرضي (688 هـ)	66
13-	رصف المياني - المالقي (702 هـ)	13
14-	الجنى الداني - المرادي (749 هـ)	22
15-	شدور الذهب - ابن هشام (761 هـ)	35
16-	أوضح المسالك - ابن هشام (761 هـ)	27
17-	معنى اللبيب - ابن هشام (761 هـ)	95
18-	شرح ابن عقيل - ابن عقيل (796 هـ)	14
19-	معهم الهوامع - السيوطي (911 هـ)	15
20-	شرح الأشموني - الأشموني (929 هـ)	86
	المجموع	642

(1) عن الدكتور حسن الشاعر: النحاة والحديث النبوي؛ ص93، وجزئ الله الدكتور حسن خير الجزاء؛ لأنه، في تقديري، أشجع هذه القضية ولم يُبق لمستزيد فيها قولاً، فقد أُلِّم بجميع أطرافها.



أُسئلة التقويم الذاتي (3)

من النحاة الذين اعترضوا على الاستشهاد بالحديث الشريف؟ وما حجّتهم في ذلك؟ وكيف تدحض مقولتهم؟ وكيف قسّم الشيخ محمد الخضر حسين الأحاديث من حيث الاستشهاد بها؟ وما موقفك من الاستشهاد بالحديث الشريف؟



تدريب (3)

ما الفرق بين الحديث النبوي والسُنّة؟ وماذا أضاف الشيخ محمد الخضر حسين إلى الحديث النبوي؟ وما سبب الخلاف بين النحاة حول الاستشهاد به؟

3.3 الكلام العربي

بشعره ونثره هو المصدر الأول والرئيس الذي اعتمده النحاة واللغويون في تععيد نحو العربية وهو كما قال ابن الأنباري " هو الكلام العربي الفصيح، المنقول بالنقل الصحيح، الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة، وعلى هذا يخرج ما جاء من كلام العرب من المولدين، وما جاء شاذاً في كلامهم⁽¹⁾، وهو بهذا يشترط في الكلام أن يكون فصيحاً وتحقق هذه الفصاحة بما يلي :

1- أن يكون نقل الكلام صحيحاً عن الموثوق بعربيّتهم بالتواتر وأن يكون ناقله عدلاً ولو كان الناقل واحداً⁽²⁾.

2- لا يحتج بكلام المولدين مما يعني وضع حدود زمانية للاحتجاج.

3- أن لا يكون شاذاً أي خارجاً عن القياس والسماع.

وأما الفصحاء الموثوق بعربيّتهم، فهم عند اللغويين، كما يذكر ابن جني، أهل الوبر، أي الفصاحة تكون مع البداوة. ففي باب ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر، يقول " وعلّة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخلط.... وكذلك أيضاً لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب بالأئسنة وخبالها، وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها⁽³⁾.

(1) الخصائص: 5/2، الاقتراح: ص84.

(2) المرجع السابق: ص86.

(3) الخصائص: 5/2.

وهكذا اشتراط ابن جني للاستشهاد بالكلام العربي حدوداً مكانية حصرها بسكان البادية، ولكنه لم يذكر القبائل البدوية التي يحتج بكلامها وترك لغيره على ما يبدو تحديدها فقد سبق القول منه أن اللغات على اختلافها كلها حجة⁽¹⁾.

وقد أخذ الفارابي على عاتقه أمر تحديد القبائل البدوية الفصيحة الذي حصرها بقوله " ... متى تأملت أمر العرب فإن فيهم سكان البراري وفيهم سكان الأمصار، وأكثر ما تشاغلو بذلك يعني تتبع اللغة ودراستها - من سنة تسعين إلى سنة مائتين - وكان الذي تولى ذلك من بين أمصارهم أهل الكوفة والبصرة من أرض العراق، فتعلموا لغتهم والفصح منها من سكان البراري منهم دون أهل الحضر، ثم من سكان البراري من كان في أوسط بلادهم ومن أشدهم ... جفاء، وأبعدهم إنعانا وانقياداً وهم : قيس وتميم وطيء ثم هذيل، فإن هؤلاء هم معظم من نقل عنه لسان العرب، والباقون فلم يؤخذ عنهم شيء، لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد السننهم للألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر⁽²⁾ وإن هناك اختلافاً بين نص الفارابي في كتابه الحروف والنص نفسه الذي نقله السيوطي⁽³⁾ في المزهرة والاقتراح، فنص الفارابي لا ذكر فيه لقريش التي وصفت لغتها في بداية نص السيوطي " بأنها أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما في النفس"⁽⁴⁾ ثم أضاف السيوطي للقبائل بعض كنانة وبعض الطائيين وليس القبيلة كلها كما جاء في نص الفارابي الذي خلا أيضاً من بعض كنانة. وقام السيوطي أيضاً بتفسير وتفصيل ما ذكره الفارابي في آخر نصه بإجمال حين قال : والباقون فلم يؤخذ عنهم شيء لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم ... المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر " حيث قال (أقصد السيوطي) : " وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقيط، ولا من قضاة وغسان وإياد، لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية ولا من تغلب واليمن، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ؟! ولا من بكر لمجاورتهم القبط والفرس، ولا من عبد قيس وأزد عمان، لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة

(1) المرجع السابق: 2/ 10.

(2) الفارابي: كتاب الحروف: ص 147.

(3) انظر: المزهرة: 1/ 211-212، والاقتراح: ص 56.

(4) انظر: المرجع السابق نفسه.

وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف، لمخالطتهم تجار اليمن المقيمة عندهم، ولا من حاضرة الحجاز، لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت لغتهم....⁽¹⁾ وهكذا تتقيد قائمة الفارابي بالإينال في البداية مع الابتعاد عن العجمة. وأما ابن خلدون فيزيد عليها قيدا آخر وهو اقتراب القبيلة من قريش عندما يقول: "ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها، لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان، وبني تميم، وأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة، وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبيشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطهم الأعاجم، وعلى نسبة بُدْهم من قريش، كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية"⁽²⁾.

وهذه الحدود والشروط وقائمة القبائل التي حددت على أساسها، يبدو أنها بصرية، كذلك يبدو أنها خاصة بالنثر من كلام العرب ولم يفرقوا بين اللغة الأدبية واللهجات الخاصة.

أما الكوفيون فلم يكن لهم قائمة محددة فاللغات على اختلافها كلها حجة عندهم، فكأنهم سبقوا ابن جني في مقولته تطبيقاً، فالكسائي رأس مدرستهم "كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلاً وقيس عليه، واختلط بأعراب الأبلّة فأفسد بذلك النحو"⁽³⁾ كما قال ابن درستويه، وإنهم أي الكوفيين "لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول، جعلوه أصلاً وبُوبُوا عليه، بخلاف البصريين"⁽⁴⁾، وكما يقول عنهم الأستاذ سعيد الأفغاني "جعلوا من عدم المنهج في سماعهم منهجاً خاصاً لهم، فسمعوا الشاذ والحن والخطأ، وأخذوا عن فساد لغته من الأعراب وأهل الحضر، حتى أصبحت لهم قواعد بعد ما جمعوا من الشواهد"⁽⁵⁾ فكان الشاهد أو المثال هو الأصل الذين يبنون عليه بغض النظر عن قائله.

أما الحد الزمني فيبدأ بمنع الاحتجاج: بكلام المولدين والمحدثين في اللغة العربية... وأول الشعراء المحدثين بشار بن برد... ونقل ثعلب عن الأصمعي خُتم الشعر بابن هرمة، وهو آخر الحجج⁽⁶⁾، وقد قسم العلماء الشعراء إلى طبقات أربع من أجل تحديد المحتج بشعره منهم وهي⁽⁷⁾:

(1) السابق نفسه والنص فيه بعض المغالطات من مثل اقتران تغلب واليمن في الجزيرة، وأين بكر من القبط؟ فيكر جنوب العراق في شرق الجزيرة، والقبط في مصر.

(2) المقدمة: ص 49 (فصل في أن اللغة ملكة صناعية). (3) السيوطي، بغية الوعاة: 2/ 164.

(4) الاقتراح: ص 202. (5) الأفغاني، من تاريخ النحو: ص 71.

(6) الاقتراح: ص 70. (7) انظر: الخزائن: ج 1/ ص 5-6.

الطبقة الأولى : الجاهليون، وهم قبل الإسلام كامرئ القيس والأعشى.
الطبقة الثانية : المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كلبيد وحسان.
الطبقة الثالثة : المتقدمون ويقال لهم الإسلاميون وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير والفرزدق.

الطبقة الرابعة : المولدون، ويقال لهم المُحَدَّثُونَ وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد وأبي نواس.

فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعاً، وأما الثالثة فالصحيح الاستشهاد بكلامها ... وأما الرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم " واستشهد الزمخشري بشعر أبي تمام في الكشف وتبعه البغدادي في الخزانة⁽¹⁾. وأما أبو عمرو بن العلاء فيبدأ المولد عنده من الطبقة الثالثة وكان يقول : " لقد حَسُنَ هذا المولد حتى لقد هممت أن أمر صبياننا برواية شعره، يعني بذلك شعر جرير والفرزدق، فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان من المتقدمين، قال الأصمعي : جلست إليه عشر حجج، فما سمعته يحتج ببيت إسلامي "⁽²⁾، وأبو عمرو هذا كما أن له حدوده الزمانية التي تنهي الاحتجاج بنهاية الطبقة الثانية، له حدوده المكانية الخاصة كذلك، حيث جاء في المزهري عن السيوطي عن أبي عمرو: أفصح الشعراء ألسناً وأعربهم أهل السروات: هذيل، ثقيف، وأزد شنوءه وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث"⁽³⁾.

على أننا يمكن أن نلاحظ أن الحدود الزمانية رسمت للشعر وليس للنثر، كما أن الحدود المكانية رسمت للنثر أكثر من كونها للشعر، حيث اهتم اللغويون ببيان أسماء القبائل التي يؤخذ عنها القول والخطبة والمثل والحكمة؛ بينما اهتموا في الحدود الزمانية بتوزيع الشعراء وتقسيمهم إلى طبقات مراعين الفترات الزمنية التي عاشوا فيها دون العناية والاهتمام بذكر القبائل ومواطنها؛ وقد سبب ذلك خلطاً بين اللهجات والعصور والمستويات لذلك تجد النحاة يحتجون بشعر لشعراء من عدة بيئات في الجزيرة العربية من جميع جهاتها فاستشهدوا بشعر امرئ القيس في جنوب الجزيرة وعمر بن أبي ربيعة من المدينة وأحتجوا بشعر عدي بن زيد الذي عاش في بلاط كسرى، وأبي دؤاد الإيادي، وقبيلته إياد كانت تعيش على تخوم دولة الفرس في شمال الجزيرة، وكذلك استشهدوا بشعر مجهول القائل، وهكذا ارتضوا كل نظم من شعر في جميع أنحاء الجزيرة العربية، كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب⁽⁴⁾: عدا أن الشعر كان لدى النحاة هو الأصل في

(1) المرجع السابق: 1/ 6-7.

(2) السابق نفسه: 1/ 6، نقلاً عن ابن رشيقي في العمدة والنص موجود في 1/ 56 منه.

(3) المزهري: 2/ 483.

(4) فصول في فقه العربية: ص85.

الاحتجاج والمقدم في الاستشهاد على الأصول كلها وكما يقول الدكتور محمد عيد : " إن الظاهرة الواضحة في كتب النحو العربي هو الاعتماد الأساسي على الشعر، إذ يكون وحده العنصر الغالب في دراسات النحاة المتقدمين والمتأخرين، من بين مصادر الاستشهاد، وذلك باستثناء ابن مالك الذي اعتمد على الحديث، وأبي حيان الذي اهتم بإيراد الكثير من لغات القبائل في كتابه ارتشاف الضرب من كلام العرب، وابن هشام الذي وجه عناية خاصة لنصوص القرآن" (1).

وقد كانت الحدود الزمانية للاحتجاج 150 هـ للبيئة الحضرية أو نهاية القرن الثاني الهجري، وفي البيئات البدوية 350 هـ أو أواخر القرن الرابع الهجري كما ورد في قرار لمجمع اللغة العربية في القاهرة ونصه " إن العرب الذين يوثق بعربيتهم ويستشهد بكلامهم هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع" (2).

والحقيقة التي يجب أن نواجهها أن اللغة الفصيحة السليمة لا ترتبط بمكان أو زمان ولا يجنس طبعاً؛ بل الدربة والمعاناة هي التي تنتج لغة سليمة خالية من الخطأ؛ لذلك فإنني أضف صوتي إلى صوت الدكتور عبد الصبور شاهين في أننا يجب " أن نطلق مقاييس الاستشهاد اللغوي إطلاقاً موضوعياً لا يتقيد بالزمان بل بالمادة اللغوية التي أنتجتها أقدام عُرف عنها الحرص على اللغة والتعصب لها والتنوع في استعمالها والتنزه عن إسفاف العاميات وبذلك نجدد للغة شبابها" (3) وهو أقرب إلى منهج الكوفيين قديماً للذين يقوم منهجهم على أسس ثلاثة:

- 1- قياسهم على المثال الواحد، لأنهم " إذا سمعوا لفظاً في شعر أو نادر كلام جعلوه باباً " كأنهم يشعرون بأن ما يقوله الأعرابي أو الأعرابية إنما يمثل بيئة لغوية.
- 2- حرصهم على أن تكون الأصول خاضعة للأمثلة المسموعة، فما يكادون يسمعون مثلاً يشذ عن أصل موضوع حتى يسرعوا إلى إعادة النظر في هذا الأصل وتغييره، حتى يتلاقى مع هذا المثال.

3- إمعانهم في التتبع اللغوي، واستبعادهم أساليب المنطق، ومجافاتهم للتأويلات التي يخالفها الظاهر، ومن أجل هذه كانوا يمتازون بفهم العربية فهماً يستند إلى فقه الطبيعة اللغوية لا إلى تكهنات تمحلية وكان مذهبهم أقرب إلى تصوير العربية تصوراً واقعياً، ونحوهم أكثر تمثيلاً للغة العربية بلهجاتها المخلفة" (4) وأعتقد أننا لو

(1) محمد عيد، الرواية والاستشهاد باللغة، ص: 38.

(2) عباس حسن، اللغة والنحو، ص: 24.

(3) عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية، ص: 83.

(4) مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة، ص: 396.

اتخذنا الأعمال الأدبية الحديثة وما قدمته حركة الشعر الحديثة من نماذج رصينة في الفكر والتعبير لمجموعة من الكتاب والشعراء التي يتجلى، فيما قدموه، روح البيان العربي وروح التطور اللغوي المعاصر فإننا لا نجد لدى هؤلاء انحرافاً عن مقاييس الفصاحة، أكثر مما نجد لدى بعض من يستشهد بأقوالهم⁽¹⁾، عند الكوفيين، بل أكد أجزم أن أصحاب الكتابات الرصينة والإبداعات الشعرية الأصيلة كالعقاد والرافعي وطه حسين والزيّات وغيرهم في الوطن العربي مما يمكن أن يكون أدبهم أنموذجاً في فكره وأسلوبه، قد بلغوا مرحلة في إتقان اللغة وتمثلها تفوق أعراب قطر بل الذين كان الكوفيون يأخذون عنهم؛ وعيّبوا عليه كما يعرف كل دارس للعربية.



أسئلة التقويم الذاتي (4)

ما الحدود الزمانية والمكانية للاستشهاد بالكلام العربي؟ مبيّنا رأي البصريين والكوفيين فيمن يؤخذ عنهم .



تدريب (4)

1. ما الفرق بين القياسي والفصيح من الكلام ؟
2. ما شروط الفصاحة عند ابن جني والفارابي؟ وماذا أضاف إليها ابن خلدون ؟

(1) انظر: عبد الصبور شاهين: المرجع السابق: ص 82.

4. الازدواجية

إن انتشار اللغات في مناطق واسعة، واستعمالها من طوائف مختلفة يجعلها عرضة إلى التشعب والانقسام، لأنها لا تستطيع أن تحتفظ في رحلتها عبر الزمان والمكان، بوحدها؛ ولا بد أن تدخل في دور من التطور تتشعب فيه إلى لهجات متباينة بحيث تتميز بعضها في كثير من المظاهر اللسانية. وينشأ عن هذا الوضع ظاهرة لسانية تتعدد فيها المستويات اللسانية التي تعمل فيها اللغة، فإلى جانب النمط اللغوي الأساس، وهو المستوى الرفيع الذي يبقى في العادة للاستعمال الكتابي الرسمي والأدبي، هناك مستوى آخر أو أكثر تتطور عنه تطور الفرع عن الأصل. وغالباً ما يستعمل في الحديث اليومي، وهو أمر طبيعي وهي الظاهرة اللسانية التي يطلق عليها في العربية غالباً، الازدواجية، ومنهم من يطلق عليها الثنائية، كالديكتور إميل يعقوب⁽¹⁾.

والازدواجية، كما يقول ديفيد كريستال⁽²⁾، من مصطلحات علم اللغة الاجتماعي تشير إلى استعمال لهجتين في المجتمع الواحد، ولكل منهما استعمالتها الخاصة. وإذا كانت إحدهما تسمى الفصحى فإن الثانية تسمى العامية. ويجري تعلم الأولى في المدارس وتستخدم في الأغراض الدينية والبرامج الإذاعية والأدب الجاد، وبالتالي فهي تحتل مكانة اجتماعية مرموقة. أما الأخرى العامية فتعتبر غير رسمية؛ لاستخدامها في الحديث العام اليومي، وضرب مثلاً لذلك اليونانية والعربية وبعض اللهجات الألمانية.

وأول من تكلم عن هذه الظاهرة هو اللغوي الألماني كارل كرمباخر، في حديثه عنها في اليونانية والعربية ونصح اليونان والعرب بترك الفصحى في لغتيهما وتبني إحدى اللهجات بدلاً عن الفصحى فيها. وأول مصطلح نحت لها كان في الفرنسية هو *la diglossie* على يد العالم الفرنسي وليم مارسيه، وعرفه في مقالة له عن هذه الظاهرة في العربية بقوله: "هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث"⁽³⁾، وأما في اللسان العربي فيرى الدكتور نهاد الموسى أن هذا الاصطلاح يستعمل للدلالة على تقابل شكلين أو مظهرين أو مستويين في إطار أي لغة، وفي إطار العربية بين العربية ولهجاتها، أو الفصحى وعامياتها"⁽⁴⁾ حيث أصبحت الفصحى في وقتنا الحاضر

(1) إميل يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها: ص 146.

(2) انظر: مادة A Dictionary of Linguistics And Phonetics: Diglossia

(3) انظر: دراسة الدكتور محمد راجي الزغول وعنوانها: ازدواجية اللغة في كتاب: دراسات في اللغة: ص 95.

(4) قضية التحول إلى الفصحى: ص 29.

قسيم العامية، إذ المستوى الفصحى يمثل لغة الكتابة بينما العامية تمثل لغة الحديث. أما الفصحى المؤلفة من اللهجات العربية القديمة المحتج بها، فلا تكون مع هذه اللهجات وضعا ازدواجيا، فالفروق بينها وبين اللهجات التي تألفت منها ليست شاسعة لأن هذه اللهجات، على اختلافها، حجة وإن تفاوتت درجة فصاحتها. وإنني مع من ذهب إلى هذا الرأي، ففي تقديري أن الذي حصل في اللغة المشتركة هو عملية تخلص أو استبعاد الصفات المذمومة للهجات، وبعبارة أخرى إن اللغة المشتركة هي اللغة النقية الخالية من شوائب اللهجات التي ألقت منها وكان يعرفها الجميع ويقولون بها شعرهم الذي كانت تظهر فيه أحيانا مثل هذه الشوائب أو الصفات المذمومة ولا نستطيع أن نعد مثل هذا الشعر الذي يظهر فيه سمة لهجية ما، من اللهجة العامية، إنه شعر عامي كما درجت تسمية أي شعر يصدر بلهجة بلده المحلية في عصرنا؛ وإن لم يتقيد بأعلى درجات الفصاحة فهو ما زال في مستوى من الفصاحة لتقيده بسمات أخرى من الفصحى كالإعراب والتركيب العربي الصحيح في بناء مفرداته وتكوين عبارته، وإن ضعفت السليقة عند بعضهم بدليل إحصائهم للحن، مما يدل على أن المعداد هو المخالف للأصل.

ولسنا مع الدكتور السعيد بدوي فيما ذكره من وجود ازدواج لغوي عند العرب قبل الإسلام؛ مستدلا على ذلك بأن الفصحى سليقة للعرب بدليل السمات اللغوية الخاصة التي تظهر موافقة للهجة قبيلة ومخالفة للفصحى أو اللغة المشتركة كرفع خبر ما عند بني تميم وكأنه يريد أن يقول أن هذا الأمر خارج عن الفصاحة مع أن النحاة يجمعون على أن القياس هو الرفع، أي إن الأقيس في اللغة هو رفع خبر ما النافية، وإن خالف الألفصح ولكنه موافق للفصحى أي لا يخرج عن الفصاحة بحال. وقد ورد في القراءات القرآنية ما يؤيد ذلك إذ قرئت الآية التالية بالرفع { ما هذا بشرٌ } وكذلك الآية { ما هن أمهاتهم } وهكذا أعربت ووافقت وجهها من وجوه العربية، ولو كانت في إعرابها مخالفة للألفصح وهذا يدل على أن الإعراب في حد ذاته سليقة، فالنصب لخبر ما سليقة لأغلب العرب، ورفع سليقة أيضاً لبعضهم، والسليقتان ليستا متنافيتين لأنهما فصيحتان متكاملتان وليس مفروضاً أن تلغى إحداهما الأخرى، إذ السليقة في النهاية أن يتمثل المتكلم لغته ويدرك خروجه عنها إذا خالف قواعدها. وفي اعتقادي لو أن التميمي نصب خبر ما لخرج عن سليقته، ولا يعد خارجاً عن الفصاحة بل قد يكون قد دخل في درجة أعلى من الفصاحة ولا يمكننا أن نقول أن وجود الفصحى والألفصح منه قبل الإسلام يعني وجود مستويين للغة كما يذكر الدكتور بدوي⁽¹⁾، وهو بهذا يضع الفصحى قديماً في منزله العامي في عصرنا وهو أمر جانب فيه الصواب؛ إذ الازدواجية تعني أن إحدى المستويين يكون الأصل والثاني متفرع

(1) بدوي، مستويات العربية المعاصرة في مصر: ص 21، ص 22.

عنه وليس الأمر كذلك هنا فالفصحى هنا شقيق للأفصح، وهما ليسا متنافيين يراحم كل منهما الآخر فسي مجتمع واحد، ليس لكل منهما استعمال خاص مختلف عن الآخر فكلاهما يردان في أفصح نص كالقرآن الكريم وفي الشعر العربي المحتج به، وأن وضع رسالة في لحن العامة كالتي صدرت عن الكسائي لا يعني أن لغة العامة هي العامية⁽¹⁾ التي تقابل الفصحى في ذلك الوقت، بل إنه يسجل الأخطاء التي وقع فيها الناس في زمانه وهذا يعني بوضوح أنها خروج عن الأصل لدرجة يمكن عدّها في رسالة شكك محققها الراجكوتي في نسبتها للكسائي بقوله " وأما مضمون الكتاب (يقصد ما تلحن فيه العوام) فجله لا يلائم ما رواه اللغويون عن الكسائي⁽²⁾ " عدا أن الألفاظ التي وردت ملحونة تتركز حول اللحن في حركة البناء الصرفي نحو: " تقول قد نفذ المال والطعام بكسر الفاء"⁽³⁾ ويقال عندي درهم بكسر الدال وفتح الهاء"⁽⁴⁾ تقول فسد الشيء بفتح السين"⁽⁵⁾ ولم يتكلم عن ضوابط الإعراب والأخطاء فيها ولا تفسير لذلك إلا أنهم لم يكونوا قد تطلّوا من الإعراب بعد، وهو الخصيصة الأولى للعربية الفصحى، وعليه فلم تكن لغة العوام هي العامية في اصطلاحنا الحديث: أي اللغة الخاصة بالخطاب الشفوي التي تقابلها لغة الكتابة الفصيحة.

ولا يفوتني أن أذكر أن اصطلاح الازدواجية أكثر صلاحية من الثنائية من الناحية اللغوية فهي مصدر صناعي للازدواج الذي هو في اللغة التزاوج التزويج والزواج بمعنى الاقتران⁽⁶⁾، وفي المعجم الوسيط " مزدوج الثمر هو النبات الذي يحمل نوعين من الثمار مختلفي الصفات "⁽⁷⁾ والاقتران يقتضي إطاراً مكانياً وزمانياً موحداً وهذا ينطبق بوضوح على اقتران الفصحى وهي لغة الكتابة وعاميّتها على ساحة الوطن العربي، وهي لغة الخطاب الشفاهي في مرحلة معينة من الزمان، وتبقى الثنائية Bilingualism مصطلحاً دالاً على الإجابة التامة للغتين كما يعرفها بلومفيلد فيما نقلته الدكتورة شادية التل⁽⁸⁾ التي ذكرت إن الاتفاق الوحيد بين الباحثين في هذا الميدان هو أن هذه الظاهرة تعنى بمعرفة الفرد واستخدامه للغتين كالعربية والإنجليزية. فلا ترادف بين الثنائية والازدواجية إذ المصطلح الثاني يتكلم عن مستويين لغويين في إطار اللغة الواحدة، أي ينتمي المستويان

(1) إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن: 29.

(2) ثلاث رسائل، ومن ضمنها «كتاب ما تلحن فيه العوام» للكسائي: ص 19.

(3) المرجع السابق: ص 20.

(4) السابق: ص 44.

(5) نفسه: ص 46.

(6) اللسان: مادة زوج.

(7) مادة زوج.

(8) مجلة اليرموك، العدد التاسع والعشرون، 1990، ص 26.

إلى لغة واحدة، وأحد المستويين رفيع والآخر عامي منحرف أو متطور عن النمط السابق، وهذا ما لا يتوفر في تعريف الثنائية التي تقتضي أن يكون المستويان اللغويان لسانين مختلفين ولا يتعلق الثاني بالأول تعلق الفرع بالأصل، ولا يشترط في أحدهما علو المستوى اللغوي والآخر تدنيه. وهي ظاهرة عالمية تدل على الارتقاء الحضاري باعتبارها وسيلة لتبادل الآراء والأفكار ومسيرة التطور العلمي والثنائية التي يمكن أن تقود إلى وجود لغة مهجنة من اللغتين المتحدث بهما لكنها لا تصل في سلبيتها إلى أن تصبح مشكلة كالازدواجية، بما فيها من تنوع لهجي له آثاره السلبية التي تشمل الفكر والتربية والشخصية والأخلاق والفنون الجميلة⁽¹⁾ خاصة لغة الفن المسرحي حيث أثّر جدل لم يهدأ بعد حول أي المستويين أقدر على التعبير عن الجوانب العاطفية والنفسية والاجتماعية، الفصحى أم العامية؟ فمنهم من رأى في العامية شفافية أكثر ومرونة وحرية رشاقة في التعبير لا تتيحها الفصحى باعتبارها أوثق بحياة الناس، ومنهم من رأى أن العامية تلمس الشخصية وتخفيها أكثر مما تفصح عنها وتبديها، ومنهم من فصل القول ففضل أن تكون الفصحى للمسرحية المكتوبة المقروءة، خاصة إذا كانت تاريخية أو مترجمة، أما الممثلة فالعامية أولى بها.

وينبه أنيس فريحة على التأثير السلبي للازدواجية على التعبير عن النفس والفكر بقوله: "فاللغة هي قالب الفكر، فمن كان لديه ازدواج لغوي فإنه يفكر بمستوى لغوي معين وغالباً ما يكون المستوى الذي لا يحتاج إلى عناء وهو العامي الذي يكثر الخطاب فيه، وبعد أن تستقيم له الفكرة بقالبها العامي يحتاج تحويلها إلى قالب فصيح مكتوب، إلى جهد فكري آخر، وعوضاً عن أن ينصب الجهد الفكري في المعنى ينصرف إلى الشكل الذي يظهر فيه المعنى"⁽²⁾ ومن المواقف التي تعرض في حياتنا، مع التلميذ حين يريد أن يعبر عن نفسه في موضوع إنشائي أو خطاب فكري فيظهر عجز بعضهم عن إقامة جملة سليمة، وكذلك المذيع والمعلم والواعظ والخطيب والمحاضر، وهكذا تصبح الازدواجية عائقاً للتعليم والتوصيل الفكري.

وتفيض عبارات الدكتور أنيس فريحة⁽³⁾ بالمرارة، والتحاميل والمبالغة في الوقت نفسه على الفصحى باعتبارها مشكلة الازدواجية، من وجهة نظره، وليست العامية، حيث تَعْلَمُ الفصحى له آثاره الاقتصادية؛ لأنه يقتضي الانتقال من لغة إلى لغة وهذا يحتاج إلى زمن طويل وتكاليف اقتصادية يبذلها المتعلم والدولة لإتقانها كذلك يوضع في الحساب

(1) انظر: د. أنيس فريحة، نحو عربية ميسرة: ص 134- ص 166.

(2) المرجع السابق: ص 137.

(3) السابق: ص 159 وما بعدها.

ما يحتاجه أبنائها من وقت في بناء شخصيتهم من خلال تنمية قدراتهم اللغوية وترقيتها، ويعتبر د. فريحيه ازدواج اللغوي هو العائق في الوصول إلى المستوى اللائق الثقافي أو الاجتماعي أو التوجيه التربوي. وتبدو انفعالاته في أشد حالاتها حين ينسب إلى اللغة التأثير في الأخلاق والسلوك والعادات، والعكس في تقديره هو الصحيح فاللغة لا تملّي التصرف الإنساني، وإنما مُثّل الإنسان ومستواه الخلقي والاجتماعي والعلمي هي التي تعكس لغته، والمهارة اللغوية نتيجة وانعكاس وليست سبباً أو عاملاً، ولا ندري حقا على أي المستويين تلقى التبعة في موقف الناس الاجتماعي والروحي⁽¹⁾.

فالتحيات فارغة من أي مضمون، في نظره؛ لأنها تلقى في قوالب لغوية تقليدية، من العامة نحو: صبحكن الله بالخير يا مشايخ، كيف حالكن، كيف أشغالكن، كيف عيالكن، إن شاء الله الجميع مبسوطين"، لأنها تقال بدون تفكير في المعنى من وجهة نظره مع أنه لا يشك في إخلاص الناس ومحبتهم وكأنه يريد أن يقول العلة في قوالب اللغة التي لا تؤدي معنى وليس في الناس الذين اختاروها حين يعقب بعد ذلك بقوله، وإنما أنا متيقن من أن لغة بقوالبها، بتعابيرها، بمفرداتها أثرا في الأخلاق، وكلما ارتفع مستوى اللغة ارتفع مستوى الناس الخلقي والروحي⁽²⁾، إنه يلوي عنق الحقيقة ليصل إلى هدفه الحقيقي حين يلقي اللوم على اللغة دون أن يحدد المستوى فيها في تحديد سلوك الناس ومواقفهم، ولا نشك في أنه أخطأ التعبير عن فكرته، إذا كان حسن النية فاللغة تعكس المستوى الأخلاقي أو الاجتماعي أو الثقافي للمتكلم، فكلما ارتقى مستوى المتكلم ارتقت لغته لذلك نجد الآن في العربية مستوى ثالثاً مزيجا من الفصحى والعامية، بلوره المثقفون العرب، يقل في مستواه عن الفصحى، ويرتفع عن العامة يمكن أن نسميه عربية وسطى تظهر في المواقف الثقافية كالندوات والمؤتمرات العلمية والمحاضرات الجامعية والخطب السياسية والدينية وهكذا طوعوا اللغة لتعكس مستواهم اللغوي والفكري في مخاطبتهم ومحاوراتهم. وإذا كنا مع د. فريحيه في تلمسه الآثار السلبية للازدواجية فإننا لا نوافق على كثير من التوجيهات والتحليلات غير الموضوعية التي ساقها في البرهنة على وجودها؛ لما تلمسه في التعليقات من تحامل على اللغة نفسها، لا على مشكلة الازدواجية أو العامة؛ يترك إحساساً لدى القارئ أنه يرى الحل والخلاص من هذه الإشكالية، بتبني العامة واستبعاد الفصحى. وقد أجمل الأستاذ سمر الفيصل المشكلات التي نبعث عن الازدواجية، أرى أن نسوقها ونضمها إلى ما ذكره، د. فريحيه من سلبيات لها، وهي⁽³⁾:

أ- مشكلات تعليم اللغة العربية للعرب والأجانب .

(1) السابق: ص162.

(2) سمر روجي الفيصل، المشكلة اللغوية العربية: ص10.

ب- مشكلات الترجمة والتعريب في العصر التقني الحديث .

ج- مشكلات اللغة في وسائل الإعلام .

د- مشكلات الحوار في الأدب المسرحي والروائي والقصصي .

عدا خطرهما السياسي الأشمل والأعم على التماسك القومي وعلى اللغة نفسها وما قد تثيره من صراع اجتماعي.

وبدأ استشعار الخطر الحقيقي للازدواجية عند العرب حين بدأت الدراسات الأكاديمية تتوالى من المستشرقين وغيرهم، وتنصب في الغرب والشرق على العاميات العربية بدعوة صريحة إلى إحلل العامية محل الفصحى خاصة في مصر في بداية القرن العشرين، بحجة أن الأخيرة (أي الفصحى) هي المسبب الأساسي في عدم وجود قدرة الاختراع لدى المصريين⁽¹⁾ في رأي الانجليزي ولكوكس وقد نهب كرومر الحاكم الإنجليزي في مصر إلى أبعد من هذا بفرضه كتابة المناهج المدرسية باللغة الإنجليزية بحجة عدم قدرة اللغة العربية على التعبير عن العلوم الحديثة لافتقارها إلى المصطلحات العلمية الدالة على المخترعات والمبتكرات الحديثة⁽²⁾.

وانقسمت آراء الباحثين العرب حيال هذه المشكلة فكانت كالتالي:

1- منهم من رأى أنها ظاهرة ليست خاصة باللغة العربية وإنها السُّنة الطبيعية في اللغات ولا شذوذ في اختلاف لغة الكتابة عن لغة التخاطب⁽³⁾ حتى نلتمس لها علاجاً، ففي كل لغة لسان عامي ولسان فصيح، وإن هذه الظاهرة من دلائل تحضر الإنسان⁽⁴⁾، وأصحاب هذه الرأي لا يرون، طبعاً، في الازدواجية عبئاً ثقيلاً أو مشكلة تحتاج إلى حل، وهم يسلّمون بها. والتسليم بهذا الرأي والركون إليه؛ دون الأخذ بتدابير معينة للحيلولة دون استفحاله وتوسع الشقة بين المستويين فيه من السذاجة والدعوة إلى الخمول وعدم مواجهة المشكلة، خاصة في العربية، فلا يمكننا أن نقول دع الأمور تجرى في أعنتها وننام؛ لأن التطور اللغوي والميل إلى السهولة واليسر قد يصل بلغتنا إلى ما وصلت إليه اللاتينية التي لم تجد من يحميها ويدفع عنها غائلة الانقسام إلى لغات، كانت في الأصل لهجات تمادى أهلها في الابتعاد والانفصال والتطور حتى أصبحت لغات للكتابة وأصبحت قسيمة لللاتينية بعد أن كانت قسماً منها وهي الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية والرومانية. صحيح أن ارتباط العربية بالقرآن

(1) نفوسه زكرياء، تاريخ الدعوة إلى العامية: ص4.

(2) فتحي يونس، تصميم منهج لتعليم اللغة العربية للأجانب: ص134.

(3) واني، فقه اللغة: ص160-161.

(4) كمال الحاج، في فلسفة اللغة: ص222.

الكريم وبالدين وبرصيد ثقافي ضخم يوفر لها قداسة تحول دون تعرضها لما آلت إليه اللاتينية، ولكن الحذر واجب، فلغتنا الفصحى ليست كغيرها من اللغات فهي جزء من عقيدتنا ووعاء ديننا وعنوان وجودنا ومقوم أساس من مقومات وحدتنا، وفي الوقت نفسه، وهنا ممكن الخطر، لأنها يجري عليها ما يجري على اللغات من عوامل التطور، ولا يعلم أحد إلا الله ما تخبئه الأيام، فلا بد من تخطيط مستقبلي لحمايتها من غزو العامية التدريجي نظراً لسهولتها ويسرها على الألسنة، وحين تبدأ في الانزواء والتلاشي، يتسع الخرق على الراقق، فلا ينفع الندم؛ وعليه يجب أن نتحفظ على مثل هذا الرأي.

2- الهبوط بلغة الكتابة إلى لغة الحديث، باستخدام العامية في المواضيع التي تستعمل فيها الفصحى، أي لإحلال العامية محل الفصحى، وهذه الدعوة ظهرت مبكرة (1881م) على يد ولهم سببنا المستشرق الألماني أمين دار الكتب المصرية حينذاك، وصنف، من أجل أن يكون خطوة عملية على أول الطريق، كتاباً بعنوان " قواعد اللغة العربية العامية في مصر " الذي يقول في مقدمته، مبدئياً حرصه وإشفاقه على مصر وشعبها من الازدواجية وكتابة الفصحى العقيمة المعقدة فهي السبب في شل نشاطهم وتخلف أدبهم: " وأخيراً سأجازف بالتصريح بالأمل الذي راودني على الدوام طول مدة جمع مادة هذا الكتاب، وهو أمل يتعلق بمصر نفسها ويمس أمراً بالنسبة لها وإلى شعبها، يكاد يكون مسألة حياة أو موت، فكل من عاش فترة طويلة في بلاد تتكلم العربية يرى إلى أي حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الاختلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة ... و طريقة الكتابة العقيمة بحروف الهجاء التي يقع عليها بالطبع أكبر قسط من اللوم في كل هذا وبالترزام الكتابة العربية الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن ينمو أدب حقيقي ويتطور " (1) ومن الحب ما قتل حقاً فهو لشدة حبه للمصريين وحرصه على نشاطهم العقلي والأدبي يدعو إلى قتل لغتهم واغتيالها في عقر دارها ليتخلصوا من الخمول ويطوروا أدبهم: لنتصور ذلك؟! ولم يكن لدعوته أثر لأن كتابه باللغة الألمانية.

وفي عام (1893 م) دعا المهندس الإنجليزي وليام ولكوكس في محاضرة إلى استخدام اللغة العامية في الكتابة الأدبية بحجة أن الفصحى في مصر تقف حائلاً دون الاختراع والابتكار حيث يقول: " إن من جملة العوامل في فقد قوة الاختراع عند المصريين استيقاعهم اللغة العربية الفصحى، لذلك لا بد من إغفالها واستبدالها باللغة العامية اقتداء بالأمم الأخرى، وخاصة الأمة الإنجليزية ... " (2)، فكان استعمال الفصحى هو سبب التخلف

(1) نقلاً عن الدكتور هـ نفوسه زكريا.

(2) نقلاً عن أنور الجندي في الفصحى لغة القرآن الكريم: ص 128.

العلمي وبمجرد أن نعتد العامية نقضي عليه، ويتبعه سنة (1901م) القاضي ولمور في دعوته إلى الاقتصار على العامية أداة للكتابة والحديث ووضع كتاباً بعنوان "العربية المحلية في مصر" (1).

ويحاضر لويس ماسينيون في باريس (1929 م)، وفي بيروت (1931 م) من أجل الدعوة إلى العامية وإلى كتابتها باللاتينية أيضاً. واتجر وراء هذه الدعاوات من أعلام العرب لطفي السيد وقاسم أمين، وسلامه موسى الذي حمل على الفصحى حملة شعواء مردها لسببين في رأيه أولهما: صعوبة تعلمها وعجزها عن تأدية أغراضنا الأدبية والعلمية.. إننا نتعلمها كما نتعلم لغة أجنبية، وإن أحسن كتابنا يخطئ فيها.... الثاني: أنها تبعثر، على حد قوله، وطنيتنا المصرية وتجعلها شائعة في القومية العربية فالمتمعق في اللغة الفصحى يشرب روح العرب ويعجب بأبطال بغداد بدلاً من أن يشرب الروح المصرية ويدرس تاريخ مصر، فنظره يتجه أبداً إلى الشرق وثقافته كلها عربية شرقية، ليس من مصلحة الأمة المصرية أن ينزع شبابها نحو الشرق، وأنه لا نفع للشرق أن ينزع إلينا لا أن ننزع نحن إليه... أرى بعد اختصار الرأي أن نهضتنا لا تقوم إلا باتباع آراء قاسم أمين ولطفي السيد وويلكوكس باتخاذ اللغة المصرية العامية أو بإيجاد ما يشبه التسوية بينها وبين اللغة الفصحى بحيث تتمصر هذه اللغة وتصطبغ بالوان بلادنا (2)، وهكذا الروح الإقليمية الحاكمة المتعصبة هي الدافع الحقيقي وراء الدعوة إلى العامية لما تمثله العربية من روح قومية للعرب ومعين ثقافتهم وتراثهم ولو كان تعلمها صعباً لما عبر عن فكرته بهذه اللغة الرصينة الدقيقة.

وفي لبنان يدعو أنيس فريحة إلى ما يسميه اللهجة العربية المحلية المشتركة في دعوة صريحة لا مواربة فيها إلى جعل العامية بدلاً عن الفصحى المشتركة، وهي الوجه الآخر للمحلية المشتركة "التي يعتبرها لغة الحياة، والفصحى هي لغة أجيال مضى عهدها وهي بالتالي عاجزة عن أن تعبر عن الحياة، وأما العامية فلغة حية متطورة نامية تتميز بصفات تجعل منها أداة طيعة للفهم والإفهام، وللتعبير عن دواخل النفس" (3). وهذه دعوة نلمس فيها الحقد على الفصحى لهدمها والتخلي عنها، لأنه، ببساطة، لا وجود للهجة العربية المحلية المشتركة، ولا وجود مشتركاً إلا للغة الفصحى الأدبية.

فلا يمكننا في العربية أن نضع قضية الإحلال هذه بمعزل عن ارتباطاتها القومية

(1) نفوسة، تاريخ الدعوة إلى العامية: ص 109.

(2) أنور الجندي، اللغة العربية بين حمايتها وخصومها: ص 67.

(3) نحو عربية ميسرة: ص 150، ص 117، كذلك، إميل يعقوب: فقه اللغة العربية وخصائصها: ص ص 153-154، الهامش.

والدينية والفكرية والاجتماعية والثقافية، ولا محل هنا للموضوعية العلمية والنظر العقلي المجرد من حيث السهولة والواقعية ومتابعة سذاجة التطور، إذ اللغة ليست وسيلة اتصال أي فحسب حتى تتغاضى ونضرب صفحاً عن السلبات، فالأضرار والأخطار التي ستحل بالعربية من استبدال الفصحى بالعامية لا يمكن تبسيطها بنعتها بأنها سلبات بل هي عملية هدم منهجية لمعين ثقافتنا وديننا وقوميتنا، ويمكننا تنفيذ هذه الدعوة وردّها بما يحيط بالعامية نفسها من سلبات، وبما يجره استخدامها من أخطار نصلها كالتالي :

1- ضيق العامية ومحدوديتها وفقرها في المفردات وعدم وجود نظام كتابي يمنعها من استيعاب الإنتاج الأدبي والعلمي، فهي مضطربة كل الاضطراب في قواعدها وأساليبها ومعاني ألفاظها، وتحديد وظائف الكلمات في جملها، وأداة هذا شأنها لا تقوى مطلقاً على التعبير عن المعاني الدقيقة، ولا عن حقائق العلوم والآداب والإنتاج الفكري المنظم⁽¹⁾.

2- تغيّر العامية السهل وتطورها المستمر، فلا تثبت أصواتها على حال واحدة ولا دلالات مفرداتها، لذلك كثيراً ما نجد عامية الشباب مختلفة عن عامية الشيوخ، وعامية النساء مختلفة عن عامية الرجال، وعامية كل جيل تختلف في سمة ما أو مظهر ما عن الجيل السابق أو اللاحق، فمن عايشوا الحكم العثماني مثلاً نجد في عاميتهم ألفاظاً تركية، ومن عاشوا في عهود الاحتلال البريطانية والفرنسية والإيطالية اكتسبت عاميتهم مفردات من لغات هؤلاء المستعمرين، تماماً كما نجد في العامية الفلسطينية مفردات من اللغة العبرية فرضها التعامل مع سلطات الاحتلال؛ " وسيفضي بنا التسليم للعامية إلى الاسترسال معها في أطوارها المتلاحقة المتغيرة على تعاقب الأزمان بلا نهاية، وستصبح كل عامية من العاميات المتفرقة في المدى العربي الحاضر، عاميات متغايرة على تراخي الزمن"⁽²⁾، فالعاميات رمال متحركة بسرعة متفاوتة محكومة بظروف الزمان والمكان والأحوال الاجتماعية ومعنى ذلك أننا نضطر على رأس كل خمسين سنة أو كل قرن على أكثر تقدير إلى تغيير لغة الكتابة بلغة أخرى، وهذا هو أقصى ما يمكن أن تصل إليه الفوضى في شعب إنساني⁽³⁾.

3- تعدد العاميات واختلافها إلى درجة التباين أحياناً وهذا يؤدي إلى :
أ- إضعاف التواصل بين الدول العربية⁽⁴⁾ فتصبح العاميات عامل تفكيك لا عامل توحيد

(1) وافي: فقه اللغة: ص156.

(2) نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى: ص193.

(3) وافي: فقه اللغة: ص158.

(4) إميل يعقوب، فقه اللغة العربية: ص170.

بما تمثله من خصوصية عشائرية أو إقليمية تدعو، في بعض النذر والاحتمالات، إلى التدابير أو الفتنة أو التقوقع⁽¹⁾.

ب- الاختلاف الحتمي حول أي اللهجات يمكن اعتمادها للقضاء على الازدواجية فاعتماد لهجة ما قد يخلصنا من الازدواجية في المنطقة أو الوطن السائدة فيه، ولكن الازدواج يظل قائماً فيما عداها، وما أكثر العاميات على مساحة الوطن العربي، وعليه تصبح الدعوة إلى العامية موجهة إلى كل قرية، وكل حي، وكل مدينة، وكل قطر في الوطن العربي.

4- إن اصطناع العامية بديلاً، يعني الانقطاع عن تراثنا الحضاري المشترك ويقطع صلة أجيالنا بماضيها الذي تعتز به ويحول دون الانتفاع به منهم. وقد يصل بنا الأمر إلى جفوة وغربة بيننا وبين قرآننا الكريم، قد تؤدي بنا إلى عدم الالتزام بتعاليم ديننا، وعلى اهتزاز جميع الثوابت الفكرية والثقافية وربما الدينية؛ لارتباط كل ذلك باللغة؛ ففك الارتباط بين لغتنا وبين القرآن الكريم والفكر الديني والتراث الثقافي سيفقدها تلك القداسة التي تحفظها لها النفوس فتحافظ عليها، ولو تحقق ذلك لكان فيه الطامة الكبرى التي نخسر معها ديانا وآخرتنا؛ بضعف الشعور القومي والوازع الديني الذي قد يسببه فقدان الفصحى فنصبح كالممنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، ولا أظن أن هناك عاقلاً واحداً يرضى أن يتخلى عن تراثه الغني الذي يعطي لوجوده معنى.

5- أما الضرر السياسي على الصعيد القومي بفقدان الوعاء الثقافي، وضياح دعامة رئيسة من دعومات الوحدة القومية العربية، وهي العربية الفصحى التي تعد الرابطة الأقوى بين شعوب أمتنا، ثقافياً ودينياً، وعرقياً أيضاً بقوله: ﴿إِنَّمَا الْعَرَبِيَّةُ لِسَانٌ﴾ فمن نطق بالعربية فهو عربي " فالعربية هنا العروبة .

ثالثاً: الصعود بلهجة الحديث إلى العربية الفصحى أو التحول إلى الفصحى على حد تعبير الدكتور نهاد الموسى، بالارتقاء بالعامية تدريجياً إلى أن تتوحد بالفصحى، لأنه لا يمكن إطرأها بقرار مفاجئ .

وقد وضع الدكتور نهاد الموسى⁽²⁾ مجموعة من التدابير التي يمكن أن تقدم مساهمة فعالة في التحول إلى الفصحى وتعميمها تدريجياً وضمن ظروف طبيعية نأمل أن تضع القطار في مساره الصحيح ولاقتناعاً بها نرى أن نوجزها فيما يلي:

1- درس اللهجات القديمة والحديثة: بخطوات منهجية توجه إلى معرفة وجوه التقارب

(1) نهاد الموسى: قضية التحول إلى الفصحى، ص 193.

(2) أرجع إلى قضية التحول إلى الفصحى: ص ص 224-231، كذلك: الازدواجية العربية (ضمن كتاب ندوة الازدواجية في اللغة العربية) (2-3) نيسان 1987م: ص ص 98-103.

والاختلاف بينها وبين الفصحى، والبحث عن طريق لاستثمار المشترك بينهما، ورصد مظاهر التحول التي طرأت على اللهجات، من أجل تشخيص عملي نبتين الصحيح فنرده إلى أصوله ونبذ الدخيل ومحاربه، ولا يكون ذلك إلا بوضع فهارس شاملة للسلمات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية الخاصة بكل من اللهجات العربية القديمة، والحديثة ولا بأس كذلك من إجراء دراسة مقارنة بين اللغة الوسطى من جهة، وبين العامية والفصحى من جهة أخرى.

2- التعليم : وهو ما يجمع عليه الدارسون كافة، حيث سنتم، في رأيهم، الغلبة للفصحى بالتعليم والثقافة، على أن يلتزم المعلمون، قدر الإمكان بالفصحى في دروسهم ومخاطباتهم، خاصة معلمي العربية، حتى يكونوا قدوة صالحة لتلاميذهم. ويحتاج الأمر، في الحقيقة، إلى إصلاح جذري شامل في وسائل التعليم وطريقة التعليم وتأليف الكتب، مع وضع برنامج كامل لمحو الأمية .

3- الفنون الأدبية : حيث أصبح من المتعارف عليه أن لغة السرد هي الفصحى في المسرحيات المترجمة والتاريخية خاصة، ولم يتفق على لغة حوار مسرح المجتمع وقد وفق الحكيم إلى ما سمي باللغة الثالثة أو الوسطى وهي لغة صحيحة لا تجافي قواعد الفصحى، وفي الوقت نفسه يمكن أن تنطلق بها شخوص المسرحيات وممثلوها وهي لغة سليمة تفهمها الأجيال، ويمكن أن تجري على الألسنة بسهولة .

4- الإعلام : وهو في لغته يرواح بين مستويات العربية الفصحى والوسطى والمحلية، ف لغة الأخبار مثلاً بالفصحى، والمقابلات الشخصية الجادة كذلك، وأما لغة الإعلام فتراوح بينهما، والصحافة تمثل الفصحى المكتوب، والتعويل على وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة لتحقيق التقارب بين المستويات، فأطفالنا يقضون الساعات الطوال في مشاهدة التلفاز وهي وسيلة إعلام مؤثرة، وقد صادف برنامج افتتح يا سمس في تقديري نجاحاً ملموساً فقد بدأ الأطفال يرددون ما يسمعون من عبارات بسيطة سهلة ترد على ألسنة شخصية هذا المسلسل .

5- العقائد الفكرية : فقد يكون الالتزام العقدي أو القومي أو المذهب الفكري من الحوافز على التحدث بالفصحى والتمسك بها، هذا بالإضافة إلى اقتراحات أخرى قد تساهم في ردم الهوة بين العامية والفصحى لتعريب اللافات وأسماء المحال، ووضع مقابلات عربية لكل ما يستجد من مخترعات ومن أجهزة وبضائع واشتراط إتقان الفصحى من الموظفين وتحرير المكاتبات بها، ونقل التحدث بالفصحى من الإطار الفردي إلى المجال الاجتماعي بإنشاء ناد للتحدث بها في كل مدرسة وكلية وحي وقرية ومصنع ومزرعة.

وفي اعتقادي أن خيارنا الأمثل هو التخلص من العامية، وباعتناق الفصحى كإيماننا
بربنا وامتثالنا لأوامره، سيكون أول إنجاز لنا في تقديري، على طريق لمّ الشمل والعودة
إلى القوة فإن ذلك يبعث الثقة فينا ويقوي عزمنا ويضعف تيار الفشل الذي يحيط بنا
والإحباط الذي يملأ نفوسنا .



أسئلة التقويم الذاتي (5)

1. ما الازدواجية؟ وما الثنائية؟ وما الآراء التي تشكلت إزاءها؟
2. ما التدابير التي اقترحها نهاد الموسى للتحويل إلى الفصحى؟



تدريب (5)

ما الأخطار المتوقعة حدوثها من اصطناع العامية بديلة للفصحى ؟

5. الخلاصة

- 1- قمنا بتعريف كل من اللهجة، واللغة وبيننا العلاقة بينهما، وبيننا أبرز ما تتصف به اللهجات وتختلف به عن اللغة في الجانب الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي.
- 2- بيننا موقف سبويه والبصريين من الاحتجاج بالقراءات القرآنية.
- 3- أما الاحتجاج بالحديث الشريف ففصلنا القول فيه ودحضنا أقوال المعارضين بما برهن عليه أحد الباحثين وهو الدكتور حسن الشاعر، وذكرنا تقسيم الشيخ محمد الخضر حسين للأحاديث المستشهد بها.
- 4- بيننا الحدود الزمانية والمكانية للاحتجاج بالكلام العربي شعره ونثره.
- 5- وعرفنا الازدواجية والثنائية وذكرنا الحلول المقترحة للخلاص من مشكلة الازدواجية، وقددنا أقوال الداعين إلى إحلال العامية محل الفصحى، واقتبسنا التدابير التي اقترحها الدكتور نهاد الموسى للتحويل إلى الفصحى، فقد أعطاها حقها من البحث والدراسة أكثر من غيره في كتابه قضية التحول إلى الفصحى الذي يستحق الشكر والثناء بلا حدود .

6. لمحة عن الوحدة الدراسية الخامسة

عزيزي الدارس، سنتناول في هذه الوحدة وهي بعنوان "العربية والتطور اللغوي"، الثابت في العربية الذي لا يخضع لمبدأ التطور وعن التطور الصوتي والدلالي، وعن التطور الحضاري عبر العصور وأثره في ازدياد الثروة المعجمية، وعن وسائل النمو اللغوي كالاشتقاق والنحت والترادف والاشتراك اللفظي والتضاد.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

1. الكشكشة هي نطق الكاف صوتاً مزدوجاً "تش" وموطنها قديماً شرق الجزيرة العربية ووسطها وحديثاً بلاد الخليج والعراق وفلسطين والأردن بينما الشنشنة نطقها شيئاً صريحة، وموطنها اليمن.
 2. التسهيل والتحقيق، والتسهيل نطقها حركة طويلة من جنس حركة ما قبلها، وموطنه الحجاز قديماً وحديثاً هي السائدة في العامية العربية الحديثة. وأما التحقيق فيكثر في البيئات البدوية في وسط الجزيرة العربية وشرقيها.
 3. السليقية اللغوية تتمثل في اللهجات التي تتضمن خصائص محلية حيث ينطق بها المتكلم دون شعور منه بهذه الخصائص، وتؤدي بالآية.
- والفصحى ليست لغة سليقة لعامة العرب، لأنها اللغة النموذجية الأدبية التي لا تتضمن شيئاً من خصائص اللهجات.

تدريب (2)

القراء السبعة هم: قارئ المدنية:

نافع (أبو عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن أبي نُعَيْم).

قارئ مكة: ابن كثير، عبد الله. ويطلق على القارئين: الجرَّمان.

قراء الكوفة: عاصم بن أبي النجود، وحمزة الزيات، الكسائي.

قارئ البصرة: أبو عمرو بن العلاء.

قارئ الشام: عبد الله بن عامر اليحصبي.

تدريب (3)

الحديث النبوي هو أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم أما السُّنة فهي أقواله وأفعاله وما أقره من أقوال وأفعال. وما أضافه الخضر حسيين أقوال الصحابة والتابعين. وسبب الخلاف هو رواية الحديث بالمعنى.

تدريب (4)

1. القياس يجب أن يوافق القاعدة، أما الفصيح فلا يشترط فيه ذلك، بل قد يخالفها.
2. شرطها عندهما البداوة فالأول ذكر أنها تتوافر عند أهل الوبر والثاني ذكر القبائل التي تسكن البوادي. وقد أضاف اليهما ابن خلدون قرب القبيلة من قریش.

تدريب (5)

الأخطار هي:

- تقسم لغتنا إلى عدة لغات، على عدد اللهجات فيها.
- الانقطاع عن تراثنا الحضاري والفكري والثقافي والديني.
- سيكون ذلك خطوة أولى إلى تخليتنا عن الالتزام بتعاليم ديننا وعن كتابنا الكريم، دستور حياتنا في الدنيا والآخرة.
- سيحرمننا من التطلع إلى نهضة أدبية أو علمية إذ لا يتوافر للعامة نظام كتابي، عدا ضيق العامة ومحدوديتها وفقرها.



8. المراجع

أ- المراجع العربية :

1. الأزهرى، خالد، شرح التصريح على التوضيح، دار الفكر، بلات.
2. الأستراباذي، الرضي محمد بن الحسن، شرح الكافية في النحو، بيروت: دار الكتب العلمية، بلات.
3. الأشمونى، أبو الحسن علي نور الدين بن محمد، منهج السالك الى ألفية ابن مالك، شرح محمد محيي الدين عبد الحميد، ط3، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1970م.
4. الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، ط3، دمشق: مطبعة جامعة دمشق، 1383هـ-1964م.
5. الأفغاني، سعيد، من تاريخ النحو، دار الفكر، بلات.
6. الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، شرح محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر: المكتبة التجارية، بلات.
7. الأنصاري، أحمد مكي، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، القاهرة: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، 1962م.
8. الأنصاري، أحمد مكي، سيبويه والقراءات، مصر: دار المعارف، 1392هـ-1972م.
9. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1975م.
10. أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ط6، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1984م.
11. بدوي، السعيد، مستويات العربية المعاصرة في مصر، مصر: دار المعارف، بلات.
12. البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي 1402هـ-1981م.
13. التل، شادية، ثنائية اللغة، مجلة اليرموك، العدد 29، 1990م.
14. تيمور، أحمد، لهجات العرب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة الثقافية، العدد 29، 1393هـ-1973م.
15. الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة وأسرار العربية، القاهرة: دار المعارف، بلات.
16. ثعلب، أبو العباس، الفصح، تعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ط1، القاهرة: مكتبة التوحيد، 1368هـ-1949م.
17. ابن الجزي، أبو الخير محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، تصحيح علي الضباع، دار الكتاب العربي، بلات.
18. الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1402هـ-1982م.
19. الجندي، أنور، اللغة العربية بين حمايتها وخصوصها، القاهرة: مطبعة الرسالة، بلات.

20. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر.
21. ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداي، ط1، دمشق: دار القلم، 1405هـ-1985م.
22. ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف ورفاقه، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1386هـ.
23. الحريري: القاسم بن علي، درة الغواص في أوهم الخواص، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.
24. حسان، تمام، الأصول، الأصول، مصر، بغداد: الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988م.
25. أبو حيان، محمد يوسف الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر، 1398هـ-1978م.
26. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، تذكرة النحاة، تحقيق عفيف عبد الرحمن، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1406هـ-1986م.
27. ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، مختصر في شواذ القرآن، نشر بريحشتراسر، دار الهجرة، بيلات.
28. ابن خلدون، المقدمة، القاهرة: ط المكتبة التجارية.
29. الداني، أبو عمرو، التيسير في القراءات السبع، بيروت: دار الكتاب العربي، بيلات.
30. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، بيروت: دار السير، 1399-1979م.
31. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق كرنكو، حيدر آباد الدكن بالهند: 1344هـ-1351هـ.
32. الراجحي، عبده، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مصر: دار المعارف، 1969م.
33. الرازي، الفخر، التفسير الكبير، المطبعة الشرقية، 1308هـ.
34. رفعت، الشيخ محمد، أصول النحو السماعية، رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية- جامعة الأزهر، مخطوطة 8351، لسنة 1363هـ.
35. رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، القاهرة: دار المسلم للطباعة والنشر، 1979م.
36. أبو زيد الأنصاري، النواذر في اللغة، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، ط1، دار الشروق، 1401هـ-1981م.
37. الزغول، محمد راجي، دراسات في اللغة، سلسلة كتاب المورد، رقم1، بغداد: دائرة الشؤون الثقافية والنشر، 1986م.
38. السامرائي، إبراهيم، فقه اللغة المقارن، ط2، بيروت: دار العلم للملايين، 1978م.

39. سعيد، نفوسة زكريا، تاريخ الدعوة إلى العامة وآثارها في مصر، الاسكندرية: دار الثقافة، 1964م.
40. ابن السكيت، القلب والإبدال، (ضمن الكنز اللغوي في اللسان العربي)، بيروت: نشر هفتر 1953م.
41. سيويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.
42. السيوطي، جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق أحمد محمد قاسم، ط1، القاهرة: 1396هـ-1976م.
43. السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: 1384هـ-1965م.
44. السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفيقه، دار الفكر، بلات.
45. السيوطي، جلال الدين، معجم الهوامع شرح جمع الجوامع، تصحيح محمد بدر الدين النعساني، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، بلات.
46. الشاعر، حسن، النحاة والحديث النبوي، ط1، الأردن: وزارة الثقافة والشباب 1400هـ-1980م.
47. شاهين، عبد الصبور، دراسات لغوية، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة 1406هـ-1986م.
48. شرف، حسين، لهجات اليمن قديماً وحديثاً، القاهرة: مطبعة الجبلاوي، 1970م.
49. عباس حسن، اللغة والنحو، مصر: دار المعارف، 1966م.
50. ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله الهمداني، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بلات.
51. عون، حسن، تطور الدرس النحوي، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1970م.
52. عيد، محمد، الرواية والاستشهاد باللغة، القاهرة: عالم الكتب، 1972م.
53. الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، بيروت: دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، 1970م.
54. ابن فارس، أحمد، الصحاح في فقه اللغة، تحقيق عمر الطباع، ط1، بيروت: مكتبة المعارف، 1414هـ-1993م.
55. الفارسي، أبو علي، الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق علي النجدي ناصف ورفيقه، القاهرة: مصورة عن الطبعة الأولى، الهيئة المصرية للكتاب 1403هـ-1983م.
56. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ورفيقه، بيروت: مكتبة السرور.
57. فريشة، أنيس، نحو عربية ميسرة، بيروت: دار الثقافة، 1955م.
58. الفيصل، سمر روجي، المشكلة اللغوية العربية، طرابلس: جروس برس، 1992م.

59. القيرواني، ابن رشيقي، العمدة في صناعة الشعر ونقده، القاهرة: 1907م.
60. الكسائي، علي بن حمزة، كتاب ما تلحن فيه العوالم (ضمن ثلاث رسائل)، تصحيح وتعليق، عبد العزيز الميمني الراجكوتي، القاهرة: المطبعة السلفية مكتبتها، 1387هـ.
61. اللغوي، أبو الطيب، الإبدال، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق: 1960م.
62. المبرد، أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: 1956م.
63. ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى التميمي، السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، ط2، مصر: دار المعارف.
64. محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها، ط2، دمشق: 1960م.
65. المخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مصر: مكتبة البابي الحلبي، 1377هـ-1958م.
66. ابن منظور، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف، يلات.
67. الموسى، نهاد، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، ط1، عمان: دار الفكر، 1987م.
68. ناصف، حفني، مميزات لغات العرب، القاهرة: 1957م.
69. ابن هشام الأنصاري، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ورفيقه، ط2، دار الفكر، 1969م.
70. الهمداني، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب، تحقيق محمد بن علي الأكو، صنعاء، بيروت: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ودار الآداب.
71. وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، ط9، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، يلات.
72. وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ط8، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، يلات.
73. يعقوب، إميل بديع، فقه اللغة العربية وخصائصها، بيروت: دار العلم للملايين، 1982م.
74. ابن عيش، علي، شرح المفصل، بيروت، القاهرة: عالم الكتب، مكتبة المتنبي، يلات.
75. يوسف الحاج، كمال، في فلسفة اللغة، ط1، بيروت: دار النشر للجامعيين، يلات.
76. يونس، فتحي علي، تصميم منهج لتعليم اللغة العربية للأجانب، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978م.

ب- المراجع الأجنبية :

1. Crystal (David): Dictionary of Linguistics and Phonetics, 2nd ed. Basil Blackwell, B. U. K, 1980.
2. Green (Joseph): New Invitation to Linguistics, Anchor Books, Anchor Press, Doubleday, Gardea City, N. Y. 1977.
3. Rabin (Chaim): Ancient West Arabian, Tailors Foreign Press London, 1951.



الوحدة الخامسة

العربية والتطور اللغوي

محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
261	1. المقدمة
261	1.1. تمهيد
261	2.1. أهداف الوحدة
261	3.1. أقسام الوحدة
262	4.1. القراءات المساعدة
262	5.1. ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة
263	2. من مظاهر التطور اللغوي في العربية
265	2.1. التطور الصوتي
270	2.1.1. أقسام التغيرات الصوتية
276	2.2. التطور الدلالي
280	2.2.1. أشكال التطور الدلالي
283	3. من طرق النمو اللغوي في العربية
283	3.1. الاشتقاق
297	3.2. النحت
304	3.3. التعريب
305	3.3.1. التعريب لغة واصطلاحاً
307	3.3.2. أقسام المعرب حسب التغيير والإلحاق
307	3.3.3. مستويات التعريب
313	3.4. بين المعرب والدخيل والمولد
314	3.4.1. المعرب
315	3.4.2. أدلة معرفة الدخيل
317	3.4.3. المولد
321	3.5. المعرب في القرآن الكريم
325	3.6. التصنيف في الألفاظ المعربة
327	3.7. موقف علمائنا من التعريب قديماً وحديثاً
328	3.7.1. نزعة موضوعية
328	3.7.2. نزعة رافضة لمبدأ الاقتراض اللغوي

الصفحة	الموضوع
328	3.7.3 نزعة علمية تقر بوجود الاقتراض
329	3.7.4 نزعة متذبذبة
330	4. من مظاهر تعدد المعنى في العربية
330	4.1 الترادف
344	4.2 الاشتراك اللفظي
352	4.3 التضاد
359	5. الخلاصة
360	6. لمحة عن الوحدة الدراسية السادسة
360	7. إجابات التدريبات
363	8. المراجع

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس:

مرحباً بك إلى هذه الوحدة، وهي الوحدة الخامسة، من مقرر علم اللسان العربي، وهي بعنوان العربية والتطور اللغوي، الذي أرجو أن يصبح المقصود به واضحاً بعد الفراغ من دراستها.

ومن أجل الوصول إلى مفهوم واضح للتطور اللغوي الذي يصيب العربية سنتحدث عن المتغيرات في اللغة في الجانبين الصوتي والدلالي أما الجانب النحوي والصرفي فمما ثابتان نسبياً وسنتحدث عن وسائل تنمية اللغة وازدياد ثروتها المعجمية عن طريق الاشتقاق والنحت والتعريب وأما ثرائها اللغوي فيظهر من خلال تعدد المعاني للفظ الواحد في الاشتراك اللفظي والتضاد أو تعدد الألفاظ للمعنى الواحد في الترادف.

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك، عزيزي الدارس، بعد فراغك من دراسة الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

1. تبيّن مدى خضوع العربية لمبدأ التطور.
2. تحدد أسباب ثراء المعجم العربي بفعل عوامل التنمية اللغوية.
3. تميّز بين وسائل العربية في النمو اللغوي ك الاشتقاق والتعريب والنحت.
4. تميّز بين إيجابيات الثراء اللغوي وسلبياته من خلال الترادف والاشتراك والتضاد.

3.1 أقسام الوحدة

تقسم الوحدة إلى ثلاثة أقسام هي:

- القسم الأول: من مظاهر التطور اللغوي في العربية، ويحقق الهدف الأول.
- القسم الثاني: من طرق النمو اللغوي في العربية، ويغطي الهدفين الثاني والثالث.
- القسم الثالث: من مظاهر تعدد المعنى في العربية، ويغطي الهدف الرابع.



4.1 القراءات المساعدة

1. أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، ط6، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1957م.
2. رمضان، عبد التواب، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، القاهرة، الرياض: مكتبة الخانجي، دار الرفاعي، 1401هـ-1983م.
3. السيوطي، جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، والبجاوي وأبي الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، يلات.
4. شاهين، توفيق محمد: عوامل تنمية اللغة العربية، ط1، القاهرة: مكتبة وهبة، 1400هـ-1980م.
5. عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، ط1، القاهرة: عالم الكتب، 1402هـ-1982م: علم الدلالة، ط1، الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، 1402هـ-1982م.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

- 1- دراسة الوحدة.
- 2- بيان طرق العربية القديمة في تعريب الألفاظ من اللغات الفارسية والهندية واليونانية والسريانية.
- 3- بيان طرق تعريب الألفاظ في الوقت الحاضر كالاقتراض والتوليد التعريبي، والتعريب على طريقة القدماء.
- 4- الاستماع أو المشاهدة للبرامج الإذاعية والتلفازية المتعلقة بموضوع الوحدة.

2. من مظاهر التطور اللغوي في العربية

اللغة، باعتبارها ظاهرة اجتماعية، تخضع ككل نشاط إنساني إلى سنة التطور والتغير. وقد تكون حركة التطور اللغوي شاملة وعامة؛ كأن تتطور اللغة إلى لهجات، واللهجات تتحول إلى لغات كالذي حصل للغة اللاتينية التي تحولت لهجاتها في إيطاليا وفرنسا وأسبانيا ورومانيا إلى لغات وقد تصل حركة التغير مداها إلى حد أن تتحسر اللغة ويتراجع استعمالها، بحيث لا تقوى على الصمود أمام لغة أخرى تهيأت لها ظروف وعوامل وفرت لها أسباب الغلبة والانتصار كالذي حصل مع اللغة السومرية التي حلت محلها الأكديّة، التي تراجعت بدورها أمام الآرامية ووصل الأمر بالآرامية والسريانية أن يندثرأ أمام العربية، التي حلت أيضاً محل القبطية في مصر، والبربرية في شمال إفريقيا.

وقد يكون التغير جزئياً، وهو الذي يطرأ على أصوات في اللغة أو على دلالة مفرداتها، أي العناصر اللغوية التي تكون قابليتها للتطور قريبة الملاحظة والإدراك، واستخدامها بينة وواضحة. وأما العناصر اللغوية التي لا تستجيب لعوامل التغير، وتحفظ للغة جوهرها، فهي قواعد التركيب وأبنية المفردات، وهي من الثوابت النسبية التي قد يعترها التغير النسبي على تطاول الأزمان، وربما لا يلمح ذلك في عمر الجيل ولا الجيلين ولا الثلاثة، وقد يلمح بيسر، كالذي حدث في قواعد اللغة الأنجليزية⁽¹⁾ يؤكد ذلك أولمان بقوله "فالأصوات والتركيب، والعناصر النحوية، وصيغ الكلمات ومعانيها، معرضة للتغير والتطور، ولكن سرعة الحركة والتغير فقط، هي التي تختلف، من فترة زمنية إلى أخرى، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة"⁽²⁾ وتلزم الإشارة هنا إلى أن العربية في هذه المسار تختلف عن سواها من اللغات بارتباطها بكتاب مقدس هو القرآن الكريم، فما يمكن تطبيقه على غيرها، ينبغي ألا ينسحب عليها "فالتطور فيها لا يأتي بأشكال جديدة، كما هو الحال في اللغات الأخرى، وإنما يبيح للمرء أن يتنقل بين أشكال الجواز الانتقالي على ألا يخرج عليها، فإن خرج عد الخروج لحناً وبدعه مرفوضة ... فالتغير في الثوابت اللغوية مسموح به في حدود الانتقال من وجه لغوي مشروع إلى وجه لغوي آخر مشروع"⁽³⁾.

ويحسن قبل الدخول في دراسة التطورات الجزئية في اللغة العربية أن نبين بعض الأحكام العامة ذات الصلة بالتطور اللغوي، كعوامله وأسبابه أو الظروف المكانية والزمانية وما شابهها التي تقف وراءه، فقد "طبّق العالم الجيولوجي "ليل" نظرية

(1) إسماعيل عمارة، بحوث في الاستشراق واللغة: ص248.

(2) أولمان، دور الكلمة في اللغة: ص156.

(3) عمارة، المرجع السابق: ص249.

المذهب الطبيعي في التطوّر لداروين على اللغة فقرر أن الأنواع في الطبيعة، واللغات في التاريخ تتغير تبعاً لتواميس متشابهة ⁽¹⁾ ويخالفه ستيفن أولمان في كون قوانين الأصوات مطردة اطراد قوانين العلوم الطبيعية بقوله: "من المعروف أن القوانين في العلوم الطبيعية تصدق دائماً بقطع النظر عن الزمان والمكان، فالتيار الكهربائي إذا وقع تحت ظروف معينة سوف يحلل الماء إلى أوكسجين وهيدروجين في أي مكان وأي زمان، وسوف يكون في استطاعتنا أن نقتبأ ببعض النتائج الأخرى إلى حد معين. أما قوانين الأصوات فليست لها هذه الخواص، إنها تنبئ عن قدر معين من الاطراد في حدود معينة من حيث الزمان والمكان، أي إنها تشير إلى أن صوتاً معيناً قد تطوّر إلى صوت آخر بذاته في فترة كذا وفي لغة كذا، تحت ظروف معينة، ومحددة تحديداً دقيقاً" ⁽²⁾ فقوانين الأصوات، في نظره أقل اطراداً من قوانين العلوم، إنها تحتاج إلى قيود أخرى منها الحدود الزمانية والمكانية وعوامل أخرى تقلّل من فرصة انتشارها وقد أجمّلها كلها الدكتور علي عبد الواحد وافي ⁽³⁾ بقوله: "تأثّر اللغة في تطورها وارتقاها بعوامل كثيرة يرجع أهمها إلى أربع طوائف:

إحداها: انتقال اللغة من السلف إلى الخلف: فقد تختلف لغة الخلف عن لغة السلف في المظاهر الصوتية؛ لما يصيب بعض الأفراد من عيوب صوتية، أو لمّا يصيب الأفراد من تطوّر طبيعي مطرد لأعضاء النطق يترك صدى في الأصوات اللغوية. ومنه كثرة استخدام الكبار في جيل ما لبعض المفردات في غير ما وضعت له فتنتقل هذه المفردات بمعانيها الجديدة إلى الجيل اللاحق وتستقر.

ثانيها: تأثر اللغة بلغة أو بلغات أخرى فإنّ أي احتكاك بين لغتين أيّا كانت أسبابه، ومهما كانت درجته، يؤدي لامحالة إلى تأثر كل لغة بالأخرى. وأهم ناحية يظهر فيها التأثير هي الناحية المتعلقة بالمفردات حيث يكثر تبادلها واقتباسها كالذي حدث بين العربية والفارسية والتركية، وكثيراً ما ينال معنى الكلمة أو أصواتها تغيير أو تحريف عند انتقالها من لغة إلى لغة.

ثالثها: عوامل اجتماعية ونفسية وجغرافية: فاللغة مرآة تنعكس فيها مظاهر النشاط الاقتصادي للأمة، وشؤونها الاجتماعية وتقاليدها، وخصائصها العقلية، ومظاهر البيئة الجغرافية، حيث تكتسب المفردات خواص صوتية ودلالات تتناسب مع هذه المظاهر التي ستترك أثرها بلا شك.

(1) عن إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي: ص 228.

(2) أولمان، دور الكلمة في اللغة: ص 183.

(3) وافي، علم اللغة: ص ص 249-284.

رأبعتها: عوامل أدبية، تتمثل فيما تنتجه قرائح الناطقين باللغة، وما تبذله معاهد التعليم والمجامع اللغوية، فالتعبير عن الأمور المستحدثة يقتضي الدقة في أداء المصطلحات، ومن الوسائل التي تتبع في مثل هذا الأمر هو إخضاع الألفاظ إلى تطوير صوتي أو دلالي؛ فلا يمكن للمفردات أن تبقى في حالة جمود في مواجهة مستجدات الحياة والحضارة؛ لأن في ذلك انتحاراً لغوياً، إن جاز التعبير.

مجالات التطور اللغوي في العربية:

إن أنظمة اللغة كلها معرضة للتطور والتغيير بنسب متفاوتة، فأكثرها ثباتاً وأقلها استجابة للتغير هما نظاما التركيب والتصريف. فأساليب التركيب، وصيغ التصريف في العربية الفصحى مازالت محكومة بقوانين الفصاحة ومعاييرها المحفوظة منذ زمن الاحتجاج اللغوي وما يحصل في العاميات من استغناء عن الحركات الإعرابية، أو من تغيير في الأبنية الصرفية لا ينسحب على الفصحى ويبقى من أنظمة اللغة مما يقبل حركة التغيير المستمر وسرعة التطور واطراده نسبياً، نظاما الأصوات والدلالة، وسنخصصهما بالدراسة فيما يلي:

1.2 التطور الصوتي Phonetically Changes

ويتصف بخواص كثيرة أهمها ما يلي⁽¹⁾:

- 1- إنه يسير ببطء وتدرج، فإن تطوّر الأصوات لا يحدث فجأة بل يحتاج إلى جيل أو أكثر لملاحظته من جيل إلى آخر، فإدراك التغيير يحتاج إلى دراسة فيها بحث ومقارنة ومقابلة حتى يظهر بصورة جليّة.
- 2- إنه تلقائي وغير متعمد ولا دخل لإرادة المتكلم في التغيير، فالقاف مثلاً تلفظ همزة في المدينة، وكافاً في القرية من غير إرادة من أبناهما بل كل منهما ينطق على سجيته.
- 3- إنه غير فردي، فقد "ساد شطراً طويلاً من الزمن الاعتقاد بأن كل تغير صوتي إنما يصدر عن الفرد، وإنه لم يكن إلاّ تغيّراً فردياً عُمّم، وهذا إدراك للأشياء غير صحيح، فليس في وسع فرد أن يفرض على جيرانه نطقاً تنبؤ عنه فطرتهم. وليس هناك من قسّر جدير بتعميم تغيّر صوتي. فلأجل أن يصير تغيّر ما قاعدة لمجموعة اجتماعية، يجب أن يكون لدى كل أفراد هذه المجموعة ميل طبيعي لتحقيقه من تلقاء أنفسهم"⁽²⁾

(1) انظر: وافي، علم اللغة: ص 285-288، والتطور اللغوي، للدكتور رمضان عبد الثواب: ص 15-17، واللغة للفندريس ص 62-80.

(2) فندريس: اللغة. ص 69.

بينما نرى عند ستيفن أولمان⁽¹⁾ وجهة نظر أخرى يميل فيها إلى أن التغيير يبدأ فردياً أحياناً مع تجويزه أن يكون جماعياً عندما يقول: " وكل التغيرات التي تصيب اللغة- مهما اختلفت في طبيعتها أو سرعتها ومجالها- تسير وفقاً لقاعدة أساسية واحدة هي أنها دائماً وأبداً تقع على مرحلتين، المرحلة الأولى: مرحلة التغير نفسه أو الابتداء.... في الكلام الفعلي، وهو لذلك عمل فردي كالكلام نفسه، ولكن هذا لا يعني أنه مقصور على فرد واحد، فقد يتصادف أن يتفق أفراد لا حصر لهم مع الابتداء في وقت واحد، بل قد يحس عدد آخر من الجماعة اللغوية المعنية بأن هذا الابتداء كان حاضراً بأذهانهم" وقد يصدق هذا القول على بعض طلاب أو طالبات الجامعات الذين يتعمدون تغيير لهجاتهم القروية نظراً لضغوط نفسية أو اجتماعية. ثم يوجز رأيه بعد ذلك مظهراً ميله إلى البداية الفردية بقوله: " وهكذا نرى أن المرحلة الأولى فردية Individual والثانية اجتماعية Social معتمدة في أساسها على قوة التقليد".

4- إنه مطرد، وجبري وليس اختياريًا فإن "القوانين الصوتية تسير في صورة عمياء، وبحتمية عمياء"⁽²⁾ بمعنى " أنه يتم في اتجاه محدد بالتغيرات السابقة. وأنه يتحقق في صورة تامة لا مرد عنها"⁽³⁾ وأن أي تغيير يصيب صوتاً ما سيلحقه هذا التغير في الكلمات التي تشتمل عليه " وإذا حدث لأي تغيير صوتي أن صار فعالاً، في منطقة معينة، وزمن معين، فإنة يتوقع له أن يكون تأثيره عاماً، إلا إذا تدخلت عوامل أخرى أجنبية... مثل التأثيرات التعليمية، أو الافتراض الأجنبي أو اللهجي أو القياس"⁽⁴⁾. نحو نطق المصريين للظاء في ظالم زايًا، وفي نظاره ضاداً أي نضارة. وهذا ما حدا بنا أن نذكر أن التغير غالب وليس دائماً وكنطقهم القاف همزة في العادة أما في لفظ القاهرة فتبقى قافاً.

5- إنه محدود بمكان وزمان معينين، أي على بيئة خاصة "ولانسكاد نعثر على تطور صوتي لحق جميع اللغات الإنسانية في صورة واحدة، فتحول صوت القاف مثلاً إلى همزة، لم يظهر إلا في بعض المناطق التي تتكلم العربية"⁽⁵⁾ وأما من الناحية الزمنية فيكون انتشاره خلال فترة زمنية محدودة وهذا ما يراه فندريس بقوله: "الواقع أن التغيرات الصوتية محدودة بالزمان، فما دام التغير قد أصاب جميع الكلمات التي تقع تحت طائلته، يصبح القانون الذي يفسره، وكأنه قد نسخ ويمكن للغة أن تخلق

(1) دور الكلمة في اللغة: انظر ص ص 153-154.

(2) جملة قالها عالم الماني هو اللغوي: هيرمن ستوف، جاءت في كتاب فندريس، اللغة: ص 71.

(3) المرجع: ص 65، بتصرف.

(4) ماريو باي، أسس علم اللغة: ص 140 وقد عده قانوناً صوتياً في حين سماه غيره تغييراً صوتياً.

(5) واثي، علم اللغة: ص 286.

مركبات صوتية جديدة مشابهة كل الشبه للمركبات التي كان التغير يعمل فيها سابقاً، هذه المركبات تبقى دون تغير، فيقال إنها لم تعد واقعة تحت سلطة القانون⁽¹⁾. وإن أهم القوانين والعوامل التي تتحكم في التطورات الصوتية⁽²⁾:

1- قانون جرامونت: اللغوي الفرنسي الذي صاغ قانوناً سماه "قانون الأقوى" أي الصوت الأقوى يؤثر في الصوت الأضعف، في الفرنسية الصوامت الشديدة المهموسة قوية والصوامت المجهورة ضعيفة، وهذه فعلاً حالة عدد كبير من اللغات وإن الصامت الضعيف يفقد غالباً جهره أمام صامت مهموس⁽³⁾.

ويبدو أن هذا القانون لا ينطبق على أصوات العربية فالسين المهموسة تشدها الباء المجهورة قبلها فتغيرها زياً مجهورة في مثل أسبوع التي تنطق أزبوعاً في مصر (القاهرة والإسكندرية مثلاً)، وهكذا الجهر كان أقوى. وكذلك الأمر في "أصدق" التي تلفظ "أزدق" حيث أثرت الدال المجهورة في الصاد المهموسة قبلها فقلبتها زياً مجهورة. وقد يحدث العكس أيضاً فإن "اجتمع" تنطق "اشتمع" وهذا يعني أن التاء المهموسة أثرت في الجيم المجهورة فانقلبت الأخيرة معها إلى شين مهموسة. وفي "اصطاح" يؤثر مهموس مفخم وهو الصاد على مهموس مرقق وهو التاء فيحول إلى مهموس مفخم وهو الطاء. وهكذا تثبت الأمثلة في العربية أنه لا المهموس أقوى من المجهور ولا المجهور أقوى من المهموس، فقد يهمس المجهور وقد يجهر المهموس، دون تسلط أحدهما على الآخر بميزة القوة الدائمة، إلا ما نلححه من تواتر غلبة المفخم على المرقق من الأصوات في مثل: اصطاح، اضطرب، اظلم، اطرء، فإن أصوات الإطباق تمد نفوذها إلى ما يسبقها وتبعها من أصوات⁽⁴⁾، كما ينقل الدكتور أحمد مختار عمر وهو ما يورده عن العاني أيضاً "حينما يوجد صوت ساكن مفخم في داخل المقطع فإن كل المقطع يضحّم.." ويشترط اللغويون⁽⁵⁾ في الأصوات التي تتغير:

أ- تقارب المخرج أو اتحاده: كأن يكون الصوتان لثوين كالسين والزاي، أو التاء الطاء.

ب- كون الصوتين إما من الصوامت أو من الصوائت، فلا يبدل صائت من صامت أو العكس.

(1) اللغة: ص 74.

(2) انظر، أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي: ص 319 وما بعدهما، والدكتور إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ص 231-256.

(3) مالبرج: علم الأصوات: ص 108.

(4) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي: ص 329.

(5) عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية: ص 210.

2- قانون الجهد الأقل: أي الاقتصاد في الجهد العضلي في الأصوات المنطوقة، وقد أشار سيبويه إلى هذا العامل بوضوح حين قال في باب⁽¹⁾ "الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه... وإنما دعاهم إلى أن يقرّبوها ويبدلوها (أي يقرّبوا الصاد من الزاي ويبدلوا الصاد زايًا) (في قولهم في التصدير: التّزدير، وفي الفَصْد، الفَزْد) أن يكون عملهم من وجه واحد. وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد..." ويؤيد هذا العامل ماكس مولر Max Muller ووتني Whitney حيث يريان "أن التطور الصوتي يتجه نحو تسهيل النطق ويعمل على تحقيق الاقتصاد في المجهود⁽²⁾ ومن اللغويين من عارضه واعتبر أنه كلام أجوف يرفضه العلم الحديث"⁽³⁾ على أساس أن التطور الصوتي قد يحدث فيه العكس أي من أسهل إلى أصعب، والحقيقة إن التطور الصوتي ليس فعلاً إرادياً "وإن المرء حين ينطق بالصوت السهل بدل الصعب يخيل إليه دائماً أنه ينطق بالصوت الأصلي دون تغيير فيه"⁽⁴⁾. ثم إنه لا ينقض هذه النظرية أن بعض الأصوات تطوّرت من السهل إلى الصعب، مثل الذي مثّل له د. وافي⁽⁵⁾ بتطور "ذا الوقت، في لهجة مصرية إلى "دلو قيتي" ونستطيع أن نعتبره مخالفاً للأصل في العربية فعلة التخفيف على الساكن من أكثر العلل الصوتية المقصودة فيها فهذا ابن جني يفتح باباً طريفاً وغريباً في الخصائص⁽⁶⁾ يسميه باب في العدول عن الثقل إلى ما هو أقل منه لضرب من الاستخفاف "وذلك نحو الحيوان... من مضاعف الياء وأن أصله حيّان فلما ثقل عدلوا عن الياء إلى الواو، وهذا مع إحاطة العلم بأن الواو أثقل من الياء، ولكنه لما اختلف الحرفان ساع ذلك، وإذا كان اتفاق الحروف الصالح القوية الناهضة يكره عندهم حتى يبدلوا أحدها ياء نحو ديتار وقيراط.... وديوان " في دنار وقراط ودوان، فكهروا التضعيف والتقاء المثلين فهربوا منهما بالإبدال الذي يسمى المخالفة مع أن "اجتماع حرفي العلة مثلين أثقل عليهم" على حد رأيه، ويقصد بحرفي العلة الكسرتين القصيرة والطويلة أي الياء المدية. ويضرب مثّلين كذلك على العدول إلى الثقل من أجل التخفيف أحدهما: نسبتهم إلى راية يقولون "رايّي" مع أن النسبة الصحيحة رايّي "إلا أن بعضهم كره ذلك فأبدل الياء همزة لتختلف الحروف

(1) الكتاب: 4/ 477-478.

(2) وافي، علم اللغة: ص 288.

(3) أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي: ص 321.

(4) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية: ص 235.

(5) وافي، علم اللغة: ص 288.

(6) ابن جني: ص 18.

ولا تجتمع ثلاث ياءات... والهمزة أثقل من الياء⁽¹⁾، والآخر، قولهم عَمَّرَ، أبدلوا النون ميماً في اللفظ، وإن كانت الميم أثقل من النون، فحققت الكلمة لمناسبة مخرج الباء، ولو قيل: عنبر بتصحيح النون لكان أثقل⁽²⁾ وهكذا هربوا من الثقيل إلى الأثقل رغبة في التخفيف وهو الغاية الأولى المقصودة وعلّة الثقل والخفة أمر نسبي تعليله البيئة الصوتية المجاورة للصوت المقصود، وقد يكون ذلك كافياً في تحليل الانتقال من السهل إلى الصعب ومشروعيته وفي الوقت نفسه لا ينقض الأصل وهو الميل إلى السهولة والتخفيف.

3- قانون الشيع أو التردد النسبي: وخلاصته أن الأصوات الأكثر شيوعاً في الاستعمال هي الأكثر عرضة للتغير، إبدالاً أو إدغاماً، والدكتور أنيس⁽³⁾ يخرج بعد دراسة إحصائية إلى أن أكثر الأصوات العربية الصامتة تداولاً هي اللام والميم والنون، فيصيبهن التغير أكثر من غيرهن كإدغام اللام التي للتعريف في كثير من الأصوات الساكنة. وتعرض النون لكثير من الأحكام الصوتية في القراءات بين إظهار أو إخفاء أو إدغام وإقلاب والحذف، وأما الميم فأقلها تعرضاً للتغير، ومن أكثر الأصوات تغيراً في العربية، كما نعرف حروف العلة.

4- الحالة النفسية والاجتماعية، فالدعة والاستقرار لها أثرها في انتقال الأصوات من الشدة إلى الرخاوة، كما أن البيئات المتحضرة تترك أثرها في تطور الأصوات الذي يختلف عن تطورها في البيئات البدوية التي تميل إلى أصوات الشدة فنجدها مثلاً تحافظ على الهمز بينما البيئة المتحضرة تميل إلى تسهيله.

5- اختلاف أعضاء النطق: فإن بعض العلماء يربطون بين التطور الصوتي واختلاف أعضاء النطق من جيل إلى جيل، بمعنى أن كل تطور يحدث لأعضاء النطق يتبعه انحراف في أصوات الكلمات وتنسب هذه النظرية إلى روسلو "لأنه وقف قسماً كبيراً من جهوده على دراسته وتدعيمها بالأدلة القاطعة، وبوسيلة جديدة... هي الأجهزة الفونتيكية التجريبية"⁽⁴⁾ ويقرر الدكتور وافي أن حناجرنا وحبالنا الصوتية وحلقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين، إن لم يكن في بنيتها الطبيعية فعلى الأقل في استعدادها، بل إنها تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأقربين،

(1) المرجع السابق: 19/3.

(2) السابق: 20/3.

(3) السابق: 20/3.

(4) وافي: علم اللغة: ص 290.

غير أن هذا التطور يسير ببطء وتدرج، لذلك لا يبدو أثره واضح إلا بعد زمن طويل⁽¹⁾ ويبدو أن الدكتور أنيس يعترض على هذا العامل باعتباره طريقاً لتطور الأصوات عندما يقول "لم يستطع أحد من علماء التشريح البرهنة عليها، بل لقد برهن معظمهم على أن أعضاء النطق عند الإنسان تتحد في جميع تفاصيلها من وجهة نظر علم التشريح... ومصدر السيطرة على التنفس وضغط الهواء المندفع من الرئتين هو المخ، فالأمر ليس مرجعه في الحقيقة إلا إلى الناحية العقلية أو السيكولوجية"⁽²⁾.

6- البيئة الجغرافية: فالبيئة الجبلية لها أثر كبير في التطور الصوتي في نظر نفر من العلماء المحدثين وعلى رأسهم كوليتز، كما يذكر الدكتور إبراهيم أنيس⁽³⁾، حيث أشار هذا العالم إلى أن البيئة الجبلية تتطلب نشاطاً كبيراً في عملية التنفس ويتبع هذا الميل بالأصوات من الشدة إلى الرخاوة، ولكن يسبرسن Jespersen يعارضه ويرى أن مثل هذا التطور قد حدث أيضاً في البيئات السهلة والمهم هو ما تقوم به الحنجرة وسائر أعضاء النطق الأخرى⁽⁴⁾ واعتقد أن يسبرسن يجانبه الصواب في اعتراضه فإن ما نلاحظه من فروق واضحة بين أهل الريف وأهل المدن وأهل البادية في نطق القاف العربية مثلاً يبرهن على ما للبيئة من أثر، وقد نلاحظ فرقاً في نطقها بين أهل القرى الجبلية في الخليل وأهل القرى السهلية في منطقة متاخمة للبحر كقرى اللد والرملة ويافا من فلسطين، وقد يقول قائل إن هناك أسباباً أخرى فترد موافقين ونضيف إليها سبباً آخر هو البيئة الجغرافية لأننا لا نعرف بالضبط العامل المؤثر بدقة وعلى وجه التحديد في هذا التطور، فقد تكون العوامل مجتمعة.

2.1.1 أقسام التغيرات الصوتية

وتنقسم التغيرات الصوتية إلى قسمين هما:

1- التغيرات التاريخية أو التغيرات الصوتية غير المشروطة وهي ما تتعرض له الأصوات اللغوية من تطور أو تحول إلى أصوات أخرى عبر التاريخ الذي تمر فيه اللغة وأصواتها، وهو ما يمكن أن نمثل له بما حدث لبعض الأصوات العربية من تغير أو تطور إلى أصوات أخرى، كنطق كاف التانيث المخاطبة شيناً في اليمن وهو ما يسمى بالشنشنة وهي الظاهرة اللهجية القديمة التي مازالت قائمة هناك. وكذلك قلبُ

(1) المرجع السابق نفسه.

(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص 232.

(3) المرجع السابق: ص 233.

(4) المرجع السابق.

تاء المتكلم كافاً وهي ظاهرة تاريخية مازالت مستعملة في إحدى محافظات اليمن كقولهم: قُلْكُ بدلًا من قُلْتُ.

وأما ظاهرة الكشكشة فهي ظاهرة لهجية قديمة امتدت إلى بعض عاميات العرب في وقتنا الحاضر حيث تنطق الكاف حرفاً (ch) مزجياً في بلدان الخليج العربي والعراق وريف فلسطين والأردن وسوريا. وقد أصاب التغيير أصواتاً كثيرة في العربية كذلك كالجيم والقاف والثاء والذال والظاء.

أما الجيم فيرى الدكتور رمضان عبد التواب⁽¹⁾ أن النطق الأصلي له بعد الاطلاع على صفته في اللغات السامية، أنه كان غير التعطيش كالجيم القاهرية وجنوب اليمن وُعُمان، ولكنه تحول في العربية الفصحى من هذا الصوت البسيط إلى صوت مركب أو مزدوج حيث يبدأ بدال غارية وينتهي بشين مجهورة، وانحل إلى هذين العنصرين المكونين له فتراه مرة يُنطق دالاً في صعيد مصر فيقال: يُرْدا بدلاً من جرجاً، ونُدَلْ وأنْدالْ في نجل وأنجال، وأدني في أجنبي، وفي العامية الفلسطينية يقال: تُدْشيت بدلاً من تحشأت ومرة أخرى ينطق جيماً معطشة، وهو ما يطلق عليه الجيم الشامية التي هي أقرب إلى الشين. وقد جاء إبدالها شيئاً عن العرب، فقد نقل عن راجز قوله:

إذْ ذاكْ إذْ حَبَلِ الوصالِ مُدْمَشْ

أي: مُدْمَجْ، فالشين بدل من الجيم⁽²⁾

وإننا نسمع في عامية فلسطين خاصة في البيئة المدنية خاصة نابلس مَنْ يَقُولُ: وِشْ، في وجه.

وقد حدث للجيم تغيير تاريخي آخر هو تحوُّلها إلى الباء قديماً ومازالت آثار هذا التحول قائمة إلى يومنا في أقطار الخليج العربي، فقد مر معنا في السمات اللهجية القديمة⁽³⁾ أن بني تميم يقولون في الصهريج والصحاريج "الصهريّ والصهاريّ" وفي شجرة: شيره، وأنشدوا لأُم الهيثم:

إِذا لم يكن فيكَنْ ظَلٌ ولا جنى فأبعدكَنْ الله من شيرات

ترديد شجرات.

وإذا انتقلنا إلى القاف فسنجد كذلك أنها قد أصابها نصيب لا بأس به من التحولات

(1) رمضان عبد التواب، التطور اللغوي: ص 18-19.

(2) ابن جني، سر صناعة الاعراب 205/1. وابن عصفور، الممتع في التصريف 1-412، اللسان مادة دمج.

(3) انظر، الوحدة الرابعة من هذا الكتاب الخاص باللغة واللهجة-العجعة).

الصوتية، ولم يحافظ على نطقها السليم سوى مجيدي القراءات القرآنية فهي صوت شديد مهموس كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب⁽¹⁾ والقدمات، كما مر معنا، يعدونها صوتاً مجهوراً.

ومن التغيرات التي طرأت على هذا الصوت نطقه همزة في مصر وبلاد الشام، خاصة في البيئات المدنية فيها، فيقال مثلاً: آل في قال وأمر في قَمَر ... وهكذا دواليك. ويقابل ذلك .. تحولها إلى صوت أقرب ما يكون إلى الكاف في البيئات الريفية، خاصة في فلسطين فيقال: كال في قال، وأزْهَكْتُ في أَزْهَقْتُ، تكاثلنا في تقاثلنا ... وهكذا، وقد تنطق كذلك صوتاً آخر يشبه صوت الجيم القاهرية أو صوت G في كلمة Good الإنجليزية، وهذا الصوت للكاف هو النطق العادي لها في بلدان الخليج العربي، وتنطق كذلك في الأردن وفلسطين خاصة في البيئات البدوية وبعض البيئات الريفية وكذلك شمال إفريقيا، وتلفظ في الخليج جيماً في مثل: صدق يقال صِبْج (أي صِدْج)، وفي فريق (أي الشارع) فِرِيج، وتسمع في السودان غيناً فيقال الأخوة الأشقاء بدلاً من الأشقاء وكثراً نسمع طلابنا في الخليج يقولون: "نغد وبلاقة" في "نقد وبلاغة" وفي فلسطين ومصر أيضاً قد نسمعهم يقولون: يغدر بدلاً من "يقدر".

أما الثاء فتتحول إلى تاء في مصر مثلاً يقال: ثلاثة في ثلاثة، وتعلب في ثعلب، وتلج في ثلج وهكذا، وقد تنطق سينا عندهم كذلك فيقال: سواني في ثواني، وقد توجد هذه التحولات في البيئات المدنية العربية كلها.

والذال يصيحبها التغيير فتتنطق دالاً فيقال: ديب، دقن في ذيب وذقن، وهذا التحول يسمع في البيئات المدنية من مصر والشام. وقد تنطق زايأ فيقال في كذب: كَزَب كما يقال كَذَب، وَزَنَب في ذَنْب، وزكي في ذكي ورزالة في رذالة وبذر في بذر. وهذا التغييرات لها مواطنها في فلسطين ومثلها نطقهم الذال ظاء كقولهم: هاظا، وَيَظَر البظار في: هذا وبَذَر البذار.

وأما الظاء فتتلفظ زايأ مخففة في بعض البيئات المدنية العربية في مثل: عظيم وظالم وحظ. وقد تنطق ضاداً في مثل: الظهر، وظل.

وأما في شمال أفريقيا وفي البيئات البدوية والريفية أيضاً تتحول الضاد إلى الظاء فيقال مثلاً: الأرض الظالين، ظربه في: الأرض، الضالين، ضربه.

هذا عدا تسهيل الهمزة الذي أصبح من أكثر التطورات الصوتية وهو مرتبط بالتسهيل المنقول عن الحجازيين الذي ذكرنا له أمثلة من القراءات في موضع سابق.

(1) رمضان عبد التواب، التطور اللغوي: ص 20-21 (مقارناً بنطقها في اللغات السامية).

2- التغييرات التركيبية المشروطة: وهي التغييرات الصوتية التي تحدثها أعضاء النطق عند التقاء الأصوات واجتماعها متجاورة من أجل إحداث نوع من التكيف والانسجام بين هذه الأصوات التي قد تكون متنافرة أو متقاربة. وهذه التغييرات يحكمها قانونان: قانون المماثلة: وقانون المخالفة، وتفصيل الأمر كالتالي:

1- قانون المماثلة Assimilation :

والمماثلة هي عملية توافق وانسجام تحدث بين صوتين متجاورين متنافرين في المخرج أو الصفة بتغيير مخرج أحدهما أو صفته أو انتقاله إلى مخرج الآخر وصفته، فالأصوات العربية، كما هو معلوم، صامته وصائتة، ومنها المجهور والمهموس والشديد والرخو والطبقي واللثوي والأسناني إلخ، فإذا التقى صوتان متقاربان في مخرجهما كالصاد والتاء فإنهما يشتركان في صفتي الشدة والهمس وهما من الأصوات الأسنانية اللثوية مخرجاً، ولكنهما يفترقان في التفخيم والترقيق فيحدث بينهما شد وجذب؛ ولكن تأثير التفخيم يكون أقوى فتبدل التاء طاءً وهي حرف مفخم أنسب صوتياً للصاد من التاء، فتحصل عملية التماثل وهذا يفسر بصورة جلية تعريف دانيال جونز هذه الظاهرة الصوتية " بأنها عملية استبدال صوت بآخر تحت تأثير ثالث قريب منه في الكلمة " (1) يكون قبله أو بعده طبعاً، فقد حصل الاستبدال بين التاء والطاء بتأثير الصاد الواقعة قبل التاء .

والمماثلة أو المضاربة أو الترقيب كما سماها سيبويه (2) أنواع هي:

أ- المماثلة التقدمية: Progressive، حيث يؤثر الصامت الأول في الثاني وأكثر ما يرد في صيغة، افتعل، في: ادعى وأصلها ادتعى، حيث التقت الدال المجهورة بالتاء المهموسة فأثرت السابقة (الدال) باللاحقة وهي التاء؛ أي تأثر الهمس بالجهر، فجهرت التاء أي تحولت إلى دال، وأدغمت الدال في الدال. فأصبحت ادعى، والمماثلة تقدّمية وكلية؛ أي لم تكنف التاء بأخذ صفة الجهر فقط بل تحولت إلى مشابهة كلية مع الصوت السابق عليها وهو الدال، ومنها: أطلع، أطرد، أضجع.

وقد تكون المماثلة التقدمية جزئية أي بأخذ الصفة الصوتية فقط كما في: ازدهر، وأصلها ازتهر، فأثرت الزاي السابقة المجهورة بالتاء اللاحقة المهموسة، فجهرت التاء أي تحولت دالاً مجهورة، أي تشبه الزاي في هذه الصفة فقط، وعليه سميت مماثلة تقدّمية جزئية. ومن هذه الحالة: ازدهر، ازدان، ازداد، اصطنع، اصطفى،

(1) An outline of English phonetics. D. Jones, Cambridge 1947: p.50

(2) انظر: 4/ 478-477.

اصطبر. وفي الأمثلة الثلاثة الأولى جهرت التاء المهموسة، بينما التي تليها تحوَّلت التاء المهموسة إلى طاء مهموسة لتتناسب مع الصاد المهموسة. والتأثير يظهر هنا في التفتخيم المشترك بين الصاد والطاء، أي تغلبت خاصية التفتخيم في الصاد على الترقيق في التاء.

ب- المماثلة الرجعية: Regressive وهي التي يؤثر فيها الصوت الثاني بالصوت الأول أي يتأثر الصوت السابق بالصوت اللاحق كما في: اتعد وأصلها أوتعد، أثرت التاء المهموسة، في الواو المجهورة تحوَّلت الأخيرة تاء أي همست وأدغمست في التاء المؤثرة، وهذا من المماثلة الرجعية الكلية. ومنه ما جاء في بعض الآيات القرآنية الكريمة في قوله تعالى: "إِنَّا قُلِّمْنَا إِلَى الْأَرْضِ" ⁽¹⁾ أي تناقلم حيث أثرت التاء الرخوة في التاء الشديدة.

كذلك قوله تعالى: "وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا" ⁽²⁾ حيث أثرت الدال في التاء فإن أصلها تدارأتم. وكذلك "وَمَا يَذَّكَّرْ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" ⁽³⁾ أي يتذكر حيث أثرت الذال في التاء.

أما المماثلة الرجعية الجزئية فيمثلها قولهم: ارْزُقْ في اِضْدُقْ وما ينقله ابن السكيت عن العرب "والعرب تقول: ارْزُقْ بمعنى اِصْدُقْ، ولا يقولون رَزَقَ" ⁽⁴⁾. وينقل كذلك أبو الطيب قول حاتم الطائي: هكذا فرْذِي أَنَّهُ، أي قصدي أنا.... ⁽⁵⁾ وهكذا قلبت الصاد الساكنة بتأثير الدال، أي تأثرت الصاد المهموسة بالدال المجهورة فجهرت زايًا. وأما أزبوع التي تنطق في مصر في: أسبوع فتأثرت السين المهموسة بالباء المجهورة فجهرتها زايًا أيضًا.

2- المخالفة Dissimilation :

وهي تغيير أحد الصوتين المتماثلين تمامًا، إلى صوت آخر أي "تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين" وفي اعتقادي أن المخالفة بين الأصوات هي الأصل في اللغة فعن طريقها تتضح الدلالات ويتم التفاهم مهما كان في اختلاف الأصوات من صعوبة في النطق؛ لأن الجانب الدلالي لا بد من وضعه في الاعتبار ولا ننساه أمام ما تنتجه المماثلة من

(1) التوبة- 38.

(2) البقرة- 72.

(3) البقرة- 269.

(4) القلب والإبدال، ص 45.

(5) الإبدال: 2/ 126 وما بعدها.

تخفيف صوتي قد يوفر جهداً عضلياً على أعضاء النطق. والمخالفة بهذا تحقق نوعاً من التوازن مع المماثلة في كلمات اللغة " التي يجاذبها مطلبان هما: سهولة النطق وسهولة التفريق بين المعانى" (1) كذلك توفر المخالفة أيضاً نوعاً من الجهد العضلي؛ فإن نطق صوتين متماثلين متتابعين من العضو نفسه قد يتقل عليه، فتعطي الفرصة لأعضاء أخرى تعفية من تماس الحروف المتماثلة المتتابة وفي ذلك تخفيف عنه، إذا أضفنا إلى ذلك أن المخالفة قد توفر وضوحاً للأصوات يكسبها فصاحة في النطق.

وقد ثبت أن اللغات تستخدم السواكن الأنفية والترددية بشكل أكثر لتحقيق عنصر المخالفة، ويفترض هورويتز Hurwitz أن تكون الكلمات العربية الكبيرة البنية التي تشتمل على راء أو لام أو نون أو ميم قد تولدت نتيجة عامل المخالفة بين صوتين متماثلين (2) افترض أمثلة مولدة من أمثلة أخرى بالمخالفة نحو جلد من جمد، وعكب من عكب وعرق من عكب، وقلط من فطح؛ وبهذه النظرية يمكن أن نبرهن على أن كل رباعي فيه أحد هذه الحروف مبنية من ثلاثي على هذا النمط كأن نقول مع استعمال المخالفة في: عرقل من عقل، سربل من سبل، وسرمد من سمد... الخ وكأنها طريقة توليد أخرى أداتها المخالفة. وحقيقة الأمر تبيينها الأمثلة التي وردت عن العرب هي أن المخالفة يقصدها التخفيف، وقد ذكر شيئاً من ذلك ابن جني (3) في باب العدول عن الثقل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف " وضرب أمثلة نحو دينار، قيراط، ديوان، ديباج، وعمبر، راقي في دينار، قراط، دوآن، دباغ، وعنبر وراقي ".

وأما ذلك كثير في العربية فيقال: قضيت، وطنيت، واستقلت، وأملت، واستبدت، ومديت، واستقرت، واستقزيت؛ واعتزيت؛ في قصصت، ظننت، واستقللت، وأملت، واستبددت، ومددت، واستقرت، واستقزت واعتزت؛ وغيرها كثير وهذا النوع من المخالفة يوصف بأنه تخفيف سببه كراهة استعمال المثلين أو كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد، أو كراهية التضعيف، أو استئصال اجتماع المثلين كما يوصف في كتب اللغة، وقد عقد سببويه باباً لذلك بعنوان " هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام ياء لكراهية التضعيف، وليس بمطرد " وذلك قوله: تسريت وتظنيت وتقصيت من القصّة وأملت (4).

(1) المرجع السابق: ص 331.

(2) السابق: ص 330.

(3) الخصائص: 3/ 20، 18، 19، 20 وقد مر بك النص في صفحة سابقة.

(4) الكتاب: 4/ 424.



أُسْئَلَةُ التَّقْوِيمِ الذَّاتِي (1)

1. ما الجوانب اللغوية التي يصيبها التغيّر والتطوّر ؟
2. ما العوامل التي يرجع إليها تطوّر اللغات ؟
3. ما الخواص التي يتصف بها التطور الصوتي ؟
4. ما أقسام التغيرات الصوتية؟ مع تفصيل القول في القوانين التي تحكم تغييرات القسم الثاني ؟



تدريب (1)

اذكر ما تعرفه من التطوّرات الصوتية التاريخية التي تحدث في فلسطين .

2.2 التطور الدلالي

إن الحياة التي صنعها الاسلام للعرب أحدثت تطوراً وتوسعاً في مضامين كثير من كلمات لغتهم، وضيّقاً في غيرها، وتغيّراً كاملاً في دلالات أخرى؛ نظراً لما أضيف إلى حياة العرب من قيم ونُظُم.

وهكذا ظلت ألفاظ العربية عرضة للتطور بسبب التحولات التاريخية وتغير النظم الاجتماعية والعوامل الإنسانية والنفسية واللغوية والحضارية، فكانت الكلمة العربية بتطورها الدلالي تعكس مراحل تطور الحياة عند العرب، اجتماعياً وحضارياً، وخير ما يمثل هذا الدور، الألفاظ الإسلامية التي اكتسبت معاني جديدة أو خصوصيات معنوية اقتضتها الدعوة الإسلامية والعلوم الإسلامية التي انبثقت في أحضان القرآن الكريم والحديث الشريف، فجعلت من هذه الألفاظ مصطلحات شرعية.

وهذه الظاهرة، أي ظاهرة التطور، شائعة بل هي طبيعية في اللغات كلها، ترافقها في مراحل نموها، وهي ظاهرة إيجابية تجعل اللغات قادرة على مسايرة الزمن، وتستجيب للتطور الحضاري للشعوب التي تتكلم بها. وقد يمر ذلك في مراحل زمنية تطول وتقصّر بحسب ما تدعو إليه الحاجة. وقد يكون التطور متعمداً كالذي تقوم به الهيئات العلمية المتخصصة، وقد يتم دون قصد وبلا شعور ويكتب له الاستمرار ويأتي وقت يثبت ويسجل بعد دراسة أو مقارنة.

وإن لتطور معاني الألفاظ وتغيرها أسباباً يجمعها اللغوي الفرنسي أنطوان ميه في ثلاثة أسباب عامة هي : الأسباب اللغوية والتاريخية والاجتماعية⁽¹⁾ ولكنها لا تغطيها كلها بل تنسحب على أكثرها ويمكننا تفصيل الأسباب وتصنيفها على الشكل التالي:

أولاً: الأسباب الدينية: فالصلاة والحج والفقه وغيرها⁽²⁾ نظراً لحاجة شرعية حدث لمعانيها تطوّر، فالصلاة تدل في اللغة على الدعاء مطلقاً، وتطور معناها للدلالة على الشعيرة المعروفة وتخصص بزيارة البيت الحرام لأداء التَّسْكُ المعروفة بدلاً من دلالتها العامة وهي الزيارة والقصد مطلقاً لأية جهة، وهكذا حصل للفظين تطوير بتخصيصهما.

وأما مصطلح الفقه ففي اللسان الشق والفتح وتطور إلى معنى " الفهم والعلم في كل شيء وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم، واشتقاقه من الشق والفتح، وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة"⁽³⁾.

ثانياً: أسباب لغوية: ويقصد بها الانحرافات التي تصيب معاني الألفاظ نتيجة استعمالاتها اللغوية المتنوعة نحو: وضوح معنى الكلمة في الزمن، فكلما كان وضوح المعنى أكثر كانت الفرصة في التغير أقل، والعكس صحيح أيضاً بمعنى أن إبهام المعنى وغموضه يقلل من مقاومة الكلمة للتغير، فتكون عرضة لانحراف معناها اتساعاً أو ضيقاً أو نقلاً لمعنى آخر فلفظ عتيق قد يستعمل الآن بمعنى عريق أو عتيق ولكنها تعنى الحاضر المعد⁽⁴⁾.

وقد يكون التطور له علاقة بالتعبير عن المعنى بإيجاز شديد تقل فيه الكلمات، أو بتعبير قصير يلزم المعنى، كالتسميات التي تطلق مرة على شخص فتصبح بعد ذلك علماً عليه وتخصص به نحو تخصيص تعبير أمير الشعراء بأحمد شوقي، وشاعر القطرين بخليل مطران، ومحرر المرأة بقاسم أمين، وكوكب الشرق بأم كلثوم، والكتاب تخصص من بين كتب اللغة بما صنفه سيبويه في النحو.

كذلك الاستعمال المجازي للألفاظ يعطيها دلالات متطورة عن دلالاتها الأصلية، وقد يتاح الاستقرار لهذا التطور أقصد المعنى المجازي ويلزم اللفظ مع الزمن، باعتباره معنى جديداً، إلى الدلالة القديمة وقد يطغى عليها: في مثل : المعجذ: فهي في الأصل تعنى امتلاء البطن، فأجدد الإبل ملأ بطونها علفاً وأشبعها، واستعمل مجازاً في الأخذ من الشرف

(1) دور الكلمة في اللغة: ص 154.

(2) انظر، التطورات الدلالية التي تحصل للألفاظ الإسلامية في كتاب: عودة أبو عودة: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن.

(3) مادة فقه، انظر المادة وما تطوّرت إليه من المعاني بعد معناها الأصلي في اللغة، في اللسان.

(4) مادة عتد في اللسان.

والسؤدد ما يكفي⁽¹⁾ فانتقل اللفظ من الدلالة الحسية الحقيقية إلى دلالة معنوية مجازية تلازمه، بل إنها طغت عليه وبكاد لا يعرف معه المعنى الأصلي. والعقيقة في الأصل هي الشَّعْر الذي يولد الولد به، ثم أطلق بعدها على الشاة التي تذبح لذلك عقيقة⁽²⁾، مجازاً.

والظعنينة في الأصل هي الحمل يظعن عليه أو الهودج تكون فيه المرأة وسميت بعد ذلك زوجة الرجل ظعنينة، والظعن النساء وواحدتها ظعنينة⁽³⁾.

وقد يكون لقواعد اللغة دور في تطوير المعنى فإن كلمة ولد في اللغة تستعمل للذكر والأنثى وتقع على الواحد والجمع⁽⁴⁾ ولكنها في التصنيف الصرفي تخصص للمذكر المفرد.

ومن الأسباب اللغوية الاستخدام اللهجي أيضاً فكلمة بُب التي تعنى في جنوب الجزيرة "أجلس" هي نفسها التي تعنى في الشمال "أقفز" وتطويرة إلى الضد لا يمكن تعليقه إلا أن كل لهجة أو بيئة خصصت معنى لهذا اللفظ يخالف المعنى المخصص له في اللهجة الأخرى.

ثالثاً: الأسباب الصوتية: قد بسبب التطور الصوتي تطوراً دلاليّاً، إذ قد يتاح لأصوات كلمة ما أن تتطور إلى الحد الذي تشبه فيه كلمة أخرى فتكتسب معناها كالذي حصل لكلمة "كماش" الفارسية التي تعنى نسيجاً من قطن خشن، وقد تطورت فيها الكاف إلى قاف، فشابهت الكلمة العربية قماش بمعنى أراذل الناس، وما وقع على الأرض من فئات الأشياء ومتاع البيت، فأصبحت هذه الكلمة العربية ذات دلالة على المنسوجات⁽⁵⁾ وبناء عليه "فثبتت أصوات الكلمة يساعد على ثبات معناها، وقوة صلتها بالأصل المشتقة منه تساعد على ثبات مدلولها"⁽⁶⁾.

رابعاً: الأسباب الاجتماعية: إن تطور الحياة الاجتماعية لا يخلو من أن يدخل معاني جديدة على الألفاظ تطويراً أو تجديداً أو تغييراً فالثلاجة والمصعد والغسالة والهاتف والسيارة والقطار والجامعة والإخراج والتمثيل وغيرها من الألفاظ التي تطلق على المخترعات، بإعطائها مضامين ومدلولات جديدة تسير التقدم العلمي والحضاري في حياتنا. وكذلك الحريم خصصت للدلالة على النساء بعد أن كانت تطلق على كل مَحْرَم.

خامساً: الأسباب التاريخية: إن تلقي اللغة من الخلف عن السلف، لابد أن يحدث خلعة في المعنى، تضيقاً أو اتساعاً، أو أن يتغير فتنقطع الصلة بين المعنى القديم والجديد.

(1) اللسان مادة مجد.

(2) معجم العين: باب العين مع القاف.

(3) مادة ظعن في اللسان.

(4) اللسان: مادة ولد.

(5) رمضان عبد التواب: لمن العامة: ص ص 57-58.

(6) وافي، علم اللغة: ص 322.

وهذا السبب يمكن أن ينطبق على أي تطور دلالي، لأن التطور الدلالي يحتاج إلى فترات تاريخية لكي يستقر، فلفظ القهوة مثلاً " مأخوذ من قَهَى أَقْهَى الطعام أي ارتدت شهوته عنه ... وزهد فيه "، ثم سميت الخمر قهوة لأنها تقي شاربها عن الطعام، أي تذهب بشهوته، وفي فترة تاريخية تالية صارت تطلق على البن لَمَّا لوحظ أنه يذهب بشهوة الطعام بعد شرب محلوله المغلي، ويبدو أنه قد مرت فترة تاريخية طويلة حتى عرفت شجرة البن أو عرف المشروب المأخوذ من غلي ثمرها؛ بدليل أن الكلمة بهذا المعنى لم ترد في اللسان وإنما ورد " البن " بمعنى الرائحة المنتنة. واللسان كما هو معروف جمع مادته من خمسة كتب تهذيب الأزهرى ومحكم ابن سيده وصحاح الجوهري وحواشي ابن بري على الصحاح ونهاية ابن الأثير، ولا يعقل أن تكون هذه المعاجم قد فاتها كلها كلمة البن. ولفظ القهوة ورد في اللسان عن التهذيب والصحاح، وهذا يعنى بالضرورة أن إطلاق لفظ القهوة على البن مجازاً قد أخذ فترة طويلة بعد حصول الربط بين تأثير البن، ومعنى القهوة، ويشار كذلك أنه لم يعد أحد يذكر المعنى الآخر للقهوة وهو الخمر.

وهكذا تظل الدلالات في نمو وتطور مستمرين عبر الزمن ومراحل التاريخ، لأنَّ سنة الحياة لا تبقى شيئاً على حاله.

سائساً: الاقتراض اللغوي: ولا يفوتنا أيضاً أن نذكر أن الاقتراض اللغوي الذي تنتقل فيه كلمة من لغة إلى أخرى قد يساهم بنصيب لا بأس به في إحداث التطور والتغير في معاني الكلمات المقترحة؛ فكلمة زنديق في الفارسية تطلق على العالم الذي درس كتاب زرادشت، وكان أول نبي من أنبيائهم وله كتاب يسمى "زند" وفي الفارسية زنديج أي المنسوب إلى ذلك الكتاب المقدس، وقيمة الكلمة العالية واضحة في المجتمع الفارسي، وقد انحدرت قيمتها الدلالية حتى صارت تطلق في العربية على المارق الذي يضمم دين المجوسية، واتسع مدلولها فأطلقت على الملحد أو المنحرف عن الدين بصفة عامة⁽¹⁾.

سابعاً: الاصطلاح العلمي: يجب أن نضع في اعتبارنا أيضاً التغيرات المتعددة والمقصودة التي تقوم بها الهيئات العلمية والمجامع اللغوية بخلق دلالات جديدة على الألفاظ؛ مسايرة لمطالبات العصر واختراعاته ومكتشفاته التي تحتاج إلى اصطلاحات تدل عليها. والحاجة إلى المصطلح العلمي وَاكْبَ التطور الحضاري للآمة في جميع مناحي الحياة بعد الإسلام، وبدأ التصنيف والتأليف في العلوم الإسلامية الدينية واللغوية ففي النحو مثلاً استعان النحاة بالتطور الدلالي والتخصيص منه غالباً كالفاعل والمبتدأ والخبر والنعت والصال والتمييز والرفع والنصب والجر والجزم إلى آخر قائمة المصطلحات

(1) عبد المجيد عابدين، من محاضرات الدراسات العليا في علم اللغة- من فصل بعنوان " نظرية المجال الدلالي " في العام الدراسي 1978-1979 م- بجامعة الاسكندرية.

النحوية التي كانت دلالتها عامة ثم خصصت بمعنى نحوي يستفاد منها عند ذكرها في كتب النحو وبين متعلميه، طبعاً، دون أن تفرغ من معانيها الأصلية.

وفي العصر الحديث كثرت الاختراعات والمصنوعات في كل المجالات فلا بد من استحداث الاصطلاحات الدالة عليها، فيستعان بالتطور الدلالي للألفاظ فنجد ألفاظاً: كالهاتف والمذياع والسيارة والطيارة والطوافة والدراجة والمكيّف والهوائي وعجلة السيارة أو دولابها ومقودها وكوابحها إلى آخر ما هنالك من اصطلاحات خصصت لتدل على المقصود دون غموض.

2.2.1 أشكال التطور الدلالي

لقد حاول علماء اللغة حصر أشكال التطور الدلالي للألفاظ بما يلي:

1- تخصيص المعنى أو تضيقه Narrowing of Meaning

وأصل التخصيص في اللغة الانفراد بالشيء أو الإفراد له فهو من " خصّه بالشيء واختصه أي أفرد به دون غيره وتخصص له إذا انفرد⁽¹⁾ فإذا قصر اللفظ العام أو اقتصر على بعض أفرادها أو أطلق على بعض ما كان يطلق عليه من قبل سمي ذلك تخصيصاً فلفظ الحج كان أصله " قصدك الشيء وتجرّدك له ثم خص بقصد البيت الحرام⁽²⁾ ولاداء الشعائر أو المناسك المعروفة وهذا من التخصيص الشرعي. ومن التخصيص اللغوي ما حدث للفظ السبب الذي كان يعني في أصل وضعه الدهر ثم خص في الاستعمال لأحد أيام الأسبوع.

وتضييق دائرة المعنى أو شقته حتى يغطي جزءاً أو قسماً من الأفكار أو المعاني التي كان يطلق عليها سابقاً فكلمة رث كانت تطلق على كل شيء خسيس، وأصبحت تستعمل فقط فيما يلبس أو يفترش⁽³⁾ من الثياب.

ومثلها كلمة POISON تعنى في الإنجليزية والفرنسية السم ولكنها تعني في الأصل الجرعة من أي سائل ثم تطور استعمالها وتحدد مدلولها بالجرعة السامة.

2- توسيع المعنى Widening of Meaning

وهو مظهر دلالي يقوم على " توسع معنى اللفظ ومفهومه ونقله من المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى أعم وأكمل"⁽⁴⁾ وهو ما يسمى بالتعميم الوثيق الصلة بالأصل اللغوي

(1) اللسان مادة خصص.

(2) السيوطي، المزهري: 1/ 427.

(3) المرجع السابق نفسه.

(4) محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية: ص 218.

المأخوذ من " عمهم الأمر عموماً بمعنى شملهم⁽¹⁾ اللسان مادة عم. نحو " الوُزْد في الأصل إتيان الماء ثم صار إتيان كل شيء وُزْداً⁽²⁾ كذلك حصل تعميم اللفظ الوغى الذي كان يطلق على اختلاط الأصوات في الحرب ثم كثر فصارت الحرب وغى " أي جرى تعميمه على جميع عمليات القتال وأبعاده وما يجري في ساحة الحرب.

والتعميم أقل شيوعاً من التخصص، ولا تختص به العربية وحدها بل تشاركها فيه اللغات الأخرى فكلمة arrive الإنجليزية و arriver الفرنسية أصلهما اللاتيني adripare الذي يعني الوصول إلى الميناء أو الشاطئ وتطوّر المعنى وعمم حتى صار استعمال الكلمتين يعني الوصول مطلقاً.

3- انحطاط المعنى Pejorative change

وبمعنى: كثيراً ما يصيب الدلالة بعض الانهيار أو الضعف فتراها تفقد شيئاً من أثرها في الأذهان، أو تفقد مكانتها بين الألفاظ التي تنال من المجتمع الاحترام والتقدير⁽³⁾ فكلمة حاجب كانت تعني في المشرق العربي البواب، واستعملت في الأندلس بمثابة ما نطلق عليه اليوم رئيس الوزراء، ولكن معناها انحط بعد ذلك ورجعت إلى أصل مدلولها. وانحط معنى كلمة وزير في الأندلس لتعني الشرطي. أما كلمة Knave الانجليزية وتقابلها Knave في الألمانية فقد انحط معناها ليعني اللئيم الخسيس بعد أن كانت تعني مجرد خادم أو غلام.

4- رقي المعنى Raising change أو تساميه

فكلمة فردوس مثلاً المأخوذ من الفارسية تعني الوادي الخصيب والبستان ولكنها في القرآن الكريم اكتسبت معنى أرقى بدلالاتها على الجنة. وكذلك المجد في الأصل امتلاء بطن الدابة من العلف ثم ارتقت فأصبحت تطلق على الحرص الزائد على الكرم، وشتان بين العلف والكرم.

وكلمة مارشال Marshal التي تعني الآن رتبة عسكرية عالية لم تكن تعني في الأصل سوى خادم الاسطبل.

وأشار لهذه الظاهرة هنري ألكسندر Henry Alexander بقوله : " وقد يحدث العكس تماماً (يقصد عكس الانحطاط) أن تدل الكلمة في وقت ما على معنى رديء

(1) اللسان مادة عم.

(2) الصاجي في لغة اللغة: ص 96.

(3) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ: ص 156.

ويمكن أن تتحسن فتفقد هذا المعنى غير السار: حتى ينتهي بها الأمر للدلالة على معنى محايد أو فكرة جيدة، نحو كلمة Fond التي كانت تعني في الأصل Foolish (أحمق، مجنون) وأصبحت تدل على معنى آخر وهو مولع أو مغرم⁽¹⁾.

5- انتقال المعنى :

وقد نبه إليه أولمان ومثل له : بالكلمة الإنجليزية Style " أسلوب " التي ترجع إلى كلمة لاتينية معناها آلة مستدقة الرأس تستعمل في الكتابة وتظهر صورتها المصغرة في الكلمة الإيطالية Stiletto ثم حدث أن خلعت الآلة اسمها على نوع من الوظائف التي تقوم بها. ومن الواضح أن المدلولين ليسا من باب واحد⁽²⁾ كذلك الأمر حدث مع كلمة " قطار " العربية التي تدل على قافلة الإبل وانتقلت دلالتها إلى مجموعة من العربات التي تقودها قاطرة ويبدو أن هذا الانتقال قد حصل من وجه الشبه الحاصل بين تتابع الإبل وراء حاديها وبين تقاطر العربات وراء القاطرة. وكذلك الأفن انتقل من قلة لبن الناقة أو نقصه إلى نقص العقل في الرجل الذي يقال عنه إنه مأفون⁽³⁾ مثلاً.



أُسئلة التقويم الذاتي (2)

1. ما أسباب التطوّر الدلالي؟

2. ما أشكال التطوّر الدلالي؟



تدريب (2)

يبيّن ما حصل من تطوير دلالي للألفاظ التالية: عقيدة، سبجان، دين، الجر، الجزم.

(1) The Story of our Language: p.130

(2) أولمان، دور الكلمة في اللغة: ص 162.

(3) السيوطي، المزهرة: 431/1.

3. من طرق النمو اللغوي في العربية

1.1 الاشتقاق

في اللسان " اشتقاق الشيء بيانه " واشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه⁽¹⁾ ووجه الصرفيون هذا الأصل اللغوي وعَنَوْا به كل عملية لغوية تتم لتوليد لفظ من لفظ بشرط تناسبها لفظاً ومعنى، حيث جاء في المزهري " قال في شرح التسهيل : الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً وهيئة⁽²⁾، وهذا التعريف يتضمن الحدود التالية:

- 1- افتراض وجود لفظ مأخوذ منه أي أصل، وفرع مأخوذ .
- 2- اشتراط اتفاق اللفظين في قدر مشترك من المعنى.
- 3- اشتراط ترتيب الحروف الأصلية بين المأخوذ والمأخوذ منه.
- 4- اشتراط اشتراكهما في المادة الأصلية أي في الجذر.
- 5- اشتراط أن يكون في اللفظ المأخوذ زيادة معنى على المأخوذ منه وهي التي كان الاشتقاق من أجلها، وبغيرها لا ضرورة له.

ولنا ملاحظات على هذه التعريف، ففي قولهم " أخذ صيغة من أخرى " تجن على اللفظ المأخوذ حيث اعتبروه فرعاً على الصيغة المأخوذ منها التي تصبح بمثابة الأصل. ونشأ ذلك الخلاف المعروف بين المدرستين البصرية والكوفية، فالأولى اعتبرت أن أصل المشتقات هو المصدر والثانية رأت أن الفعل هو أصل المشتقات. وسأقت كل مدرسة من البراهين والحجج ما يدعم رأيها. وخلافهما نظري يدحضه وينفيه ما يحصل في الواقع فأستطيع أن أقول مثلاً بناء على قولهما ... إن الضارب مشتق من الضَرْب ومن ضَرَب أيضاً وبذلك يكون للكلمة أصلان وهذا غير معقول ولم يقل به أحد من الطرفين طبعاً ولكن يمكن افتراضه. ولا ضير علي إذا قلت إن "ضَرَب" مشتق من الضرب أو إن الضرب مشتق من ضَرَب ؛ ما دامت الشروط التي أرادوها محققة.

وعليه يصبح كل منهما مرة فرعاً وأصلاً مرة أخرى ؛ وهذا يؤدي إلى التسلسل والدور الذي لا يصل بنا إلى نتيجة. هذا إلى أن ما أورده السيوطي من خلافات اللغويين ليس لها في نظري إلا دلالة واحدة وهي أنهم متفقون على هذه الأصالة والفرعية ؛ مما حدا ببعضهم أن ينكرها " فمنهم من يقول : بعض الكلم مشتق وبعضه غير مشتق وقالت

(1) مادة " شق " .

(2) السيوطي: 346/1.

طائفة من المتأخرين اللغويين كل الكلم أصل⁽¹⁾ وقد صرح الشيخ حسين والي⁽²⁾ بأن الذي قال: الكلم كله أصل هو السيرافي (368 هـ) وأبو علي الفارسي. وقد خرج السيوطي بالنتيجة نفسها حين قال: والقول الأوسط (يقصد كل الكلم مشتق أي من بعضه الآخر) تخليط لا يعد قولاً، لأنه لو كان كل منها فرعاً للآخر لدار أو تسلسل وكلاهما محال، لا يقال أصل وفرع بوجهين" مع أنه لا ينكر مبدأ الأصالة والفرعية، إلا أنه يعترض على كون الكلام كله مشتقاً ببعضه من بعض.

ويعيب وجهة النظر الصرفية أيضاً في نظر د. تمام حسان: "أن بعض المواد يتسع لعدد من الصيغ الاشتقاقية أكثر مما يتسع البعض الآخر أو بعبارة أخرى قد توجد صيغة مستعملة في مادة ومهجورة في مادة أخرى فصيغة، فعل، توجد من مادة " وقع " ولا توجد من مادة " ودع"⁽³⁾.

والحقيقة أن نظرهم إلى المعنى واهتمامهم به وبالحروف التي تضيف دلالة جيدة هو الذي أوقعهم في مأزق الأصالة والفرعية وما ترتب عليها من خلافات، ولو نظروا إلى الحروف المشتركة والجذر الذي يبنون عليه الكلمات على أساس أنها مادة رابطة بين الكلمات وليست مصدراً أو فعلاً أو أصلاً أو فرعاً لها لكان أجدى وذلك كما فعل المعجميون الذين لا يهتمون بالصيغ والمباني " وإنما يلجؤون إلى وسيلة أخرى، تتصل بالمتن لا بالبنية وهذه الوسيلة هي أصول المادة يجعلونها رَجماً تربط بالقرابة أفراد أسرة واحدة ويجعلون حروف المادة (متفصلة) مدخلاً إلى شرح معاني هذه الكلمات المفردات، ولكنهم لا ينسبون إلى حروف المادة معنى معيناً"⁽⁴⁾، والحق أن ابن جني قد اقترب من هذا الصنيع في تقاليب الكلمة أو ما سماه الاشتقاق الأكبر لولا أن فرض معنى معيناً لهذه التقاليب، مسبقاً وحاول بكل ما أوتي من براعة وصنعة أن يرد هذه التقاليب إليه، أو يجمعها عليه.

فيما سبق يرد الدكتور تمام حسان دراسة الصرفيين للاشتقاق؛ لما يعييبها منهجياً من تصميمهم على فكرة الأصل والفرع وما ترتب عليها من خلاف ويرى أن يعدلوا إلى طريقة المعجميين حيث يقول متابعاً " خلاصة القول كما أراه في نشوء الدراسات اللغوية الحديثة أن مسألة الاشتقاق تقوم على مجرد العلاقة بين الكلمات واشتراكها في شيء معين خير من أن تقوم على افتراض أصل منها وفرع"⁽⁵⁾، والحل في نظره

(1) المزهر 1/348.

(2) في بحثه: سبيل الاشتقاق بين السماع والقياس، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد الثاني، ص 21، طبعة بولاق 1936م.

(3) تمام حسان، اللغة العربية، معناها: ص 166، وتجب الملاحظة إلى أنه قد وردت في إحدى القراءات صيغة فعل: (وما وُدَّعَ ريك وما قلى) إلى جانب القراءة المشهورة (وما وُدَّعَ ريك وما قلى).

(4) المرجع السابق، ص 167-168.

(5) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة: ص 82.

يقوم على الربط بين الكلمات بأصول المادة : فنجعل هذا الربط بالأصول الثلاثة أصل الاشتقاق وأساس منهجنا في دراسته. وبهذا لا نستطيع أن ننسب إلى هذه الأصول أي معنى معجمي على نحو ما صنع ابن جني، وإنما نجعل لهذه الأصول معنى وظيفياً هو ما تؤديه من دور تلخيص " العلاقة بين المفردات " ⁽¹⁾ يعني أنه يرى أن يكون الربط بين المفردات بالحروف التي هي الجذر الأصلي، ويريد استبعاد المعنى عن هذا الربط، فالحروف مفرغة من معناها المعجمي تقيم علاقة شكلية بين الألفاظ .

والفرق واضح بين الاشتقاق في العربية وأخواتها والاشتقاق في غيرها، فهو في اللغات الهندية الأوروبية يتم بطريقة آلية تفتقر إلى الحيوية، والتوليد فيها محدود فقد يضاف إلى الجذر، على أكثر تقدير، لاحقتان أو سابقتان وغالباً لا تجتمع، بينما الجذر في العربية نستطيع أن نشكل منه عدداً كبيراً متنوعاً من المشتقات تكون تحت تصرف الناطق باللغة، يجريها على لسانه بسهولة، ولذا استحدثت العربية صفة الاشتقاقية، وغيرها استحق صفة الإلصاقية لأن اشتقاقها ليس أكثر من ضم أو إلصاق مورفيمات أحدها إلى الآخر.

كثيراً ما نجد من يضع مقابل المصطلح الغربي Etymology كلمة الاشتقاق العربية، وكأن هذا المصطلح يعني ما تعنيه كلمة الاشتقاق أو له الدلالة نفسها، وفي ذلك تجاوز؛ لأن المصطلح يتألف من جزئين Etymon الذي يعني " أصل الكلمة " و Logy بمعنى علم فيصبح معناه " علم أصول الألفاظ " . وهو كما جاء في دائرة المعارف البريطانية " العلم الذي يعني بتاريخ الكلمة وجوهرها المشتغل على أصلها واشتقاقها، وما يمكن دراسته تحت هذا العنوان هو التثبت من أقدم صيغة للكلمة أو لأصلها، وكذلك الصيغ المقابلة والمقاربة لها، ومقارنة كل صوت في الكلمة مع الصوت الذي يماثلها في الصيغة التي اشتقت منها، والشرح المقبول والمعقول لأي انحراف صوتي للمتماثلات في اللغة، كذلك شرح أي تغيير في المعنى يحدث للكلمة مع الزمن، كذلك بيان الكلمات التي تظهر بأصوات غير أصلية في اللغة يمكن أن تكون مقترضة أكثر من كونها أصلية مورثة " ⁽²⁾، فهو يعني جملة أمور أحدها الاشتقاق بمعناه المعروف لدينا ويقابله عندهم كلمة Derivation . وقد تنبه لذلك أحد الباحثين في العربية وقابل مصطلح Etymology الأجنبي بالمصطلح العربي " علم التأثيل أو التاصيل " والتأثيل بهذا المعنى علم أوروبي في الواقع وإن كان العرب قد سبقوا إليه، وإنما اهتم الأوروبيون بتأثيل لغاتهم لأن أكثر لغاتهم من لغات أخرى فكان طبيعياً أن يبحثوا عن أصول الكلمات الأجنبية الدخيلة ولم يعظم أمر التأثيل عند العرب؛ لأن الكلمات الدخيلة في العربية قليلة نسبياً، لا تكاد تبلغ الثلاثة في المائة من مجموعة الألفاظ العربية " ⁽³⁾، لم يهتموا بغزو الدخيل من الأصل كما يصريح، بقدر ما

(1) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها؛ ص169.

(2) The New Encyclopaedia Britannica; Helen Hemingway publisher 15th edition, (2) Volume III p.9840. 1974-1973.

(3) عبد الحق فاضل، مغامرات لغوية؛ ص402.

اهتموا بأصل الكلمات وتتبعها على المستويين الصوتي والدلالي.

إنّ إطلاق هذا المصطلح ليعني الاشتقاق إنما هو من باب التجوز أو على سبيل المجاز الكلي. وهذا التعميم الكلي هو الذي يجلب الخلط وعدم التمييز بين الاشتقاق وعلم أصول الألفاظ.

والاشتقاق ذو أهمية بالغة في اللغات، وبخاصة السامية منها باعتبارها من خصائصها، وهو ميزة العربية والطريقة المألوفة فيها في صوغ الكلمات وتوليد الألفاظ للدلالة على المعاني المتنوعة وتحديداتها وتخصيصها وتقويتها لتعبر عن كل جديد. والعربية أكثر لغة سامية استثمرت الإمكانيات التي يتيحها الاشتقاق لملاحقة مظاهر التطور التي عمت جميع نواحي الحياة، وإذا كان المستشرق فرديناند وستنفلد Ferdinand Wustenfled ناشر كتاب الاشتقاق لابن دريد سنة 1854م قد عاب الاشتقاق واعتبره من نقاط الضعف في اللغة العربية، بقوله: "إن علم الاشتقاق من نقاط الضعف في تاريخ الثقافة العربية لأن الاشتقاق يتطلب الاطلاع على مختلف اللغات المتقاربة حتى تفهم مكانة الكلمة لغوياً وعلاقتها بغيرها"⁽¹⁾ فما ذلك إلا لأنه يعامل الاشتقاق في العربية معاملة الايتمولجيا Etymology في اللغات الهندية الأوروبية عن سوء فهم، لأن الاشتقاق Derivation بمفهومه العربي لسنا محتاجين عند التعامل به أو معه إلى الاطلاع على اللغات المقاربة للعربية حين توليد الألفاظ لمسيرة المعاني والأحداث، وعلم أصول الألفاظ Etymology يحتاجه في بيان الأصل من الدخيل في الألفاظ المستعملة في اللغة العربية.

وقد أدرك أهمية الاشتقاق والحاجة الملحة إليه نفر كبير من علماء العربية فألفوا فيه، يقول السيوطي "أفرد الاشتقاق بالتأليف جماعة من المتقدمين منهم الأصمعي وقطرب وأبو الحسن الأخفش وأبو نصر الباهلي والزجاج وابن السراج والرماني والنحاس وابن خالويه"⁽²⁾.

والاشتقاق على أنواع : أولها وأهمها الاشتقاق الصغير أو الأصغر وهو : " ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتتقراه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه، وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو : سلم، ويسلم، وسالم وسليمان وسلمى، والسلامة والسليم فهذا هو الاشتقاق الصغيروقد قدم أبو بكر (يعني ابن السراج) رسالته فيه بما أغنى عن إعادته لأن أبا بكر لم يأل فيه نصحاً، وإحكاماً وصنعة وتأنيساً"⁽³⁾، فابن جني يرى في عمل ابن السراج الفناء وكذلك يعتذر عن الكلام فيه ويعفي نفسه من معالجته والخوض فيه وكأن ابن السراج

(1) عن كتاب الاشتقاق لابن دريد، تحقيق عبد السلام هارون ص33-34، مؤسسة الخانجي، مصر 1378هـ-1958م.

(2) المزهر: 1/351.

(3) ابن جني، الخصائص: 2/134.

لم يترك شيئاً للمستزيد فيه، وإنني لأعجب من ابن جني كيف لم يذكر عمل الخليل في هذا الاشتقاق؟ مع أن المخزومي يقول: " وإذا أرخ للاشتقاق فيبني أن يؤرخ بالخليل وأعماله اللغوية فهو زعيم هذه المدارس التي عرضت للاشتقاق بل لم يكن عمل العلماء في الغالب إلا شرحاً لمجمل أقواله، وتوضيحاً، وتكميلاً لما فاتته منها. فالاشتقاق الصغير قد وفي الخليل وتلاميذه وطبقته حقه من البحث والدرس فلم يزد فيه المتأخرون شيئاً⁽¹⁾، ونستبعد عن ابن جني جهله أو غمطه حق الخليل وهو المعروف بسعة الاطلاع والأمانة العلمية فلا يفوته التنبيه في كل موضع أو قضية يدرسها على أول من كتب فيها وأعطاه حقه من الدرس أو لعل ابن جني قد رأى في عمل ابن السراج الإحاطة والكفاية بحيث يغني عن ذكر سابقه، ولكن هذا لا يعفيه من ذكر أول من عالج هذا الأمر.

وهذا الاشتقاق يسمى في عرف علم اللغة الحديث الاشتقاق العام وهو المقصود غالباً في الدراسات اللغوية، وقد تقدم تعريفه وبيان شروطه، وهو الاشتقاق المطرد قياساً فنحصل بوساطته على الفعل والمصدر واسم الفاعل والصفة المشبهة واسم الزمان واسم المكان واسم الآلة واسم الهيئة واسم المرة، وكلها تشتق من المادة بناء على صيغ وأوزان معروفة ولكل منها دلالة في موضعه، فالفعل يدل على الحدث والزمن، والمصدر على الحدث فقط واسم الفاعل دال على الحدث والفاعل، واسم المفعول يدل على الحدث ومن وقع عليه الحدث، واسم الزمان يدل على زمن وقوع الحدث وكذلك اسم المكان يدل على مكان وقوع الحدث، واسم الهيئة على كيفية وقوع الحدث واسم المرة على عدد مرات الحدث، وأما الصفة المشبهة فتدل على ثبوت الحدث والصفة.

وكما قلنا يجب اشتراك هذه المشتقات في المادة الأصلية وترتيب حروفها وبينها قدر مشترك من الدلالة، وفي كل مشتق منها زيادة حرف أو أكثر تكسبه زيادة معنى.

ويعيب د. السيد خليل على هذه المشتقات أننا: " لا نكاد نظفر بجديد من الألفاظ يعتمد في وجوده على الاشتقاق؛ لأن الصيغ الاشتقاقية التي تصاغ فيها الألفاظ لا تكاد تختلف على مر الأيام، فصيغ اسم الفاعل والمفعول واسم الزمان والمكان والمصادر وما إليها لم تختلف منذ أن وصلت إلينا نصوص اللغة وقد تركزت فيها هذه الأصول والقوالب الاشتقاقية"⁽²⁾ ومضمون كلام أستاذنا أن قوالب المشتقات محدودة أو الأوزان التي تصاغ الكلمات على مثالها ظلت كما هي ولم تزد وزناً أو صيغة عبر الزمن، وفي تصوري أن محدودية هذه الأوزان لا تقف حائلاً دون الوفاء بحق المعاني من التنوع والاختلاف،

(1) المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ص 92.

(2) دراسات في القرآن الكريم، ص 57.

فهي قد تكون محدودة من الناحية الكمية ولكنها ذات دلالات لا نهائية من الناحية الكيفية بحيث تترك للناطقين بها حرية التعبير بما تحمله من طاقات معنوية لا حد لها، وألا يدل تعدد معاني هذه الصيغ والأبنية على نوع من الحيوية والتجديد يغفر لها هذا الجمود الظاهري، إذ أننا نجد أن الصيغة الواحدة أحياناً تدل على معاني محددة، "فعل" تدل على الصفة الثابتة (كريم، شريف، خبير) وفي الوقت نفسه تدل على الصوت، صهيل وعويل وزئير⁽¹⁾. وقد تستعمل هذه الصيغة نفسها للدلالة على معنى غير ثابت لمن يصدر عنه الفعل إذا كانت بمعنى اسم فاعل نحو قولنا: رقيب بمعنى مراقب، وخصيم بمعنى مُخاصِم وأليم بمعنى مؤلم. وقد تدل على المبالغة في مثل: قدير، حفيظ، وقد تدل على من وقع عليه الفعل أي في صيغة اسم المفعول نحو: جريح، وأسير، وطريح، وقتيل بمعنى مجروح، ومأسور، ومطروح ومقتول. وقد يستعمل صيغة اسم الفاعل نفسه صفة مشبَّهة، أي للدلالة على ثبوت الصفة نحو: حامض، فارس، ماهر، وفي مثل قولنا: جاحظ العينين أو غائرهما أو طاهر القلب، أو ناعم العيش.

والنوع الثاني من الاشتقاق ما سماه ابن جني "الاشتقاق الأكبر" الذي نجده عند بعض الباحثين باسم الكبير. ومهما كانت التسمية فالمقصود به كما قال ابن جني: "أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه"⁽²⁾ ويضرب الأمثلة لذلك بتقاليب (ق و ل) التي يمكن أن تجتمع على معنى وهو السرعة وقوة الحركة والخفة. "ومن ذلك تقلاب (ج ب ر) فهي إن وقعت للقوة والشدة منها (جبرت العظم، والفقر) إذا قويتها وشددت منهما، والجبر الملك لقوته وتقويته لغيره، ورجل مجرَّب إذا جربته الأمور واشتدت شكيمته، والأجر القوي السرة والبرج لقوته في نفسه وقوة ما يليه به، ومنها رجبت الرجل إذا عظمت وقوت أمره"⁽³⁾، ويأتي بأمثلة عديدة في الخصائص.

ويعترف ابن جني أن هذا النوع ليس من اختراعه أو اكتشافه فهو قد أخذ طريقته عن أستاذه أبي على الفارسي، وليس لابن جني إلا إطلاق التسمية عليه فهو يقول: "هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا، غير أن أبا علي - رحمه الله - كان يستعين به ويخلد إليه، مع إغواء الاشتقاق الأصغر، لكنه مع هذا لم يسمه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة،

(1) حلمي خليل: المواد ص 98.

(2) الخصائص: 2/ 134.

(3) المرجع السابق: 2/ 135، وانظر المنصف: 1/ 39.

ويستروح إليه ويتعلل به وإنما هذا التقليل لنا نحن " (2) إذا لم يدع لنفسه ابتداء هذا النوع من الاشتقاق وإنما له فضل تسميته. ولكن هذا لا يمنعنا من القول بأن الرجل قد أغرم به وتبناه حتى أصبح يقرن باسمه حتى عده بعض الباحثين من ابتداعه كالسيوطي الذي يقول " وأما الأكبر فيحفظ فيه المادة دون الهيئة... وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جني، وكان شيخه أبو علي القارسي يأنس به يسيراً وليس معتمداً في اللغة " (2) وقد تابعه في هذا الرأي آدم متز ونسب ابتداء هذا الاشتقاق لابن جني في قوله : " وكذلك ظهرت في القرن الرابع دراسة جديدة للاشتقاق اللغوي وبقيت عصراً طويلاً، وكان أستاذ هذه المدرسة ابن جني الموصلي، وهو الذي ينسب إليه ابتداء مبحث جديد في علم اللغة، وهو المسمى الاشتقاق الأكبر، وهو البحث الذي لا يزال يؤتي ثمره إلى اليوم، والذي يختص بمادة دون هيئتها ولم يكن لعلماء اللغة من العرب إنتاج أعظم من هذا " (3).

وما ولع ابن جني بهذا النوع من الاشتقاق وتمسكه به إلا لأنه، في ظني، يستخدمه في إثبات نظرية أخرى بذورها الخليل بن أحمد وتبناها ابن جني ألا وهي العلاقة بين الصوت والمدلول. وقد صرح بهذه الصلة بين الاشتقاق الأكبر وهذه العلاقة عند ابن جني الدكتور عبده الراجحي، حين قال : " ومما هو متصل بالدراسة المعجمية ما عرض له ابن جني تحت ما أسماه " الاشتقاق الأكبر " فقد كان أبو الفتح يعتقد أن اللغة بأصواتها التي تمثلها الأبجدية إنما تقدم احتمالات لا نهاية لها من الألفاظ التي ترمز إلى معان، ومن ثم أكد أن تقلبات اللفظ الواحد تؤدي إلى معانٍ متقاربة، اعتماداً على ما قرره من وجود علاقة بين اللفظ ومدلوله " (4).

إذاً، رد التقليل المختلفة إلى معنى واحد جامع بينها كان إحدى الوسائل التي يعتمد عليها ابن جني في تثبيت أركان نظرية العلاقة الطبيعية بين الصوت والمدلول. وبالرغم من أن هذا الاشتقاق غير معتمد في اللغة كما سبق في تصريح السيوطي أو هو : " صنعة اشتهر بها أبو الفتح في تحليله لبعض الظواهر اللغوية على حد قول الدكتور عبده الراجحي (5) أي إنه استطاع أن يوجهها ويسخرها لخدمة أفكاره أو بالأحرى ما آمن به من أفكار.

ولا نشك في أن عمل الخليل في " العين " لحصر المهمل والمستعمل في مفردات اللغة هو الذي زرع فكرة التقليل ؛ فلو فتحنا المعجم على مادة (ع ق ر) مثلاً لوجدنا أنه

(1) المرجع السابق: 2/133.

(2) المزهر: 1/347.

(3) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع: 10/437.

(4) عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية: ص164.

(5) المرجع السابق: ص166.

قد أشار إلى أن تقاليبها الستة مستعملة وبين معنى كل تقليب على حده دون أن يربطها بمعنى جامع فالعقر (ع ر ق) العقم، والعرق (ع ر ق) ماء الجلد يجري من أصول الشعر، وقعر (ق ر ع) كل شيء أقصاه ومبلغ أسفله، والقرع (ق ر ع) نهاب شعر الرأس عن داء، (ع ر ق) صوت يسمع من الدابة، والرقع (ق ر ع) للثوب والرقيع الأحرق⁽¹⁾، كل هذه التقاليد مستعملة، وقد ذكر لكل تقليب أكثر من معنى ومع ذلك لم يشر لا من قريب أو بعيد إلى ما يمكن أن يكون بين هذه المعاني من نسب وتقارب أو لم يذكر المعنى العام الجامع لها كصنيع ابن جني بعد ذلك، وامت هذه البذرة على يديه بمحاولته أن يثبت، بكل ما أوتي من قوة فكر ونظر عقلي، أن هناك معنى عاماً جامعاً يربط بين تقاليد كل مادة.

ولا بد لنا أن نقر أن في هذا المسلك من ابن جني الكثير من التكلف دون طائل، لأن هذا النوع من الاشتقاق وما يتبعه من تأويل لا يؤدي إلى نمو في مفردات اللغة علاوة على أنه غير مطرد؛ إذ ليست كل مادة تقاليبها مستعملة، وليس كل المستعمل يمكن ربطه بمعنى عام جامع. ويعترف ابن جني نفسه بعدم اطراحه في قوله: "وأعلم أنا لا ندعي أن هذا (يقصد الاشتقاق الأكبر) مستمر في جميع اللغة، كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة"⁽²⁾، ولا يقلل ذلك من تمسكه وإعجابه به ويقارنه بالاشتقاق الأصغر حيث يقول متابعاً: "بل لو صح من هذا النحو وهذه الصنعة المادة الواحدة تتقلب على ضروب التقليب كان غريباً محبباً، فكيف به وهو يكاد يساوي الاشتقاق الأصغر ويجاريه إلى المدى الأبعد"⁽³⁾، وهذه مبالغة؛ لأن هذا الاشتقاق لا يصل في انتشاره وفائدته إلى الاشتقاق الأصغر ذي القوائد العملية للغة.

ولم تقف محاولة ابن جني عند حد إيجاد المعنى الجامع لتقاليد المادة الثلاثية بل رأى أن هذا المعنى الجامع يمكن أن يتوافر لأي كلمتين تشتركان في حرفين مهما كان الحرف الثالث مختلفاً وذلك في قوله: "تجد الثلاثي على أصلين متقاربين والمعنى واحد فهما يتداخلان، ويوهم كل واحد منهما كثيراً من الناس أنه من أصل صاحبه وهو في الحقيقة من أصل غيره وذلك كقولهم: رَخُو ورَخُود فهما - كما ترى - شديداً التداخل لفظاً وكذلك هما معنى". وإنما تركيب رَخُو من (ر خ و) و تركيب رخود من (ر خ د) متفقتان لكن لاهما مختلفتان أفلا ترى إلى ازدحام اللفظين مع تماس المعنيين، وذلك أن الرخو الضعيف والرخود المتثني والتثني عائد إلى معنى الضعف "والأمثلة عنده كثيرة لمثل هذا الضرب، ومن ذلك" قولهم: رجل ضَيَّاط وضبطار فقد ترى تشابه الصروف والمعنى واحد وإنما ضَيَّاط من تركيب (ض ي ط)، وضبطار من تركيب (ض ط ر)⁽⁴⁾ "ومن ذلك قولهم: عدد طَيْس وطَيْسَل فالإياء في طيس أصل وتركيبه من

(1) الخليل بن أحمد، العين: مادة (ع ر ق).

(2) الخصائص: 2/ 138، 139.

(3) السابق نفسه.

(4) الخصائص: 2/ 44-45، 48.

(ط ي س) وهي في طيسل زائدة وهو من تركيب (ط س ل) ". وهكذا نجد أن كل كلمة مما سبق تتفق مع أخرى في حرفين وتختلف معها في الحرف الثالث، ومع ذلك يلتقيان على معنى جامع، فرخو ورخود أدى اتفاقهما في الراء والخاء إلى التقائهما على معنى الضعف دون تأثير من الحرف الثالث. وكذلك نجد أن طيساً وطيسلاً قد اجتمعا على معنى واحد وهو الكثرة نتيجة لاتفاقهما في الطاء والسين ولا تأثير لاختلافهما في الحرف الثالث.

وهذا الصنيع من ابن جني شجع المحدثين على البحث عن فكرة المعنى الجامع في الكلمات المتفقة في الحرفين الأولين، أي يمكن أن نتحقق من المعنى الجامع بين الكلمات بمجرد الاشتراك أو الاتفاق في الفاء والعين فيما بينهما مهما اختلف الحرف الثالث معتمدين على صنيع ابن جني السابق، وعلى صنيعة في الاشتقاق الأكبر الذي يجعل للتقاليب معنى عاماً جامعاً .

فالمحدثون أخذوا فكرة المعنى الجامع من تقاليب الاشتقاق الأكبر، وفي رأينا أن الاتفاق في الفاء والعين تطوير لفكرة التداخل الحاصلة من تقارب الأصلين والمعنى واحد كما مر في رخو ورخود عند ابن جني، قال الأستاذ سعيد الأفغاني: "ومن المحدثين من حذا حذو ابن جني (يقصد في الاشتقاق الأكبر) فاستقرى بعض الكلم التي تشترك في الحرفين الأولين فوجد فيها كلها معنى مشتركاً" ⁽¹⁾. والمثل على ذلك ما أورده الشيخ حمروش بعد قوله: "كل كلمتين اتفقتا في الفاء والعين كان بين معنييهما اتصال" ⁽²⁾، مثلاً لذلك بالهمزة والباء وأن هناك معنى جامعاً لهما وهو النفور والبعد والانفصال مهما تلتها " الهمزة والباء مدلولهما النفور والبعد والانفصال بين الشيتين:

أَبٌ للسير : تهيأ له.

أَبَتْ اليوم : اشتد حره فقطع الناس عن أعمالهم.

أبد الوحش : نفر.

أبر النخل : قطع شيئاً منه.

أبز الطيبي : وثب وانطلق.

أبق العبد : نفر من مولاه ، وأبل : توحش.

أبه عن الشيء : تنزه عنه.

وأبى عن الضيم : فر عنه" ⁽³⁾.

(1) الأفغاني، في أصول النحو: ص106.

(2) إبراهيم حمروش: من بحث له بعنوان "في الاشتقاق الكبير" مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة 1936م: 2- ص245.

(3) المصدر السابق: ص246.

وكما أن فكرتي تقاليب الاشتقاق الأكبر والتداخل بين الأصول غير مطردتين ولا جدوى عملية لهما، كذلك فإن صنيع المحدثين غير مطرد أيضاً؛ لأنه لو اطردها لكان فيه الحل والتأييد لنظرية من قالوا بالأصل الثنائي للكلمات العربية.

ومما له اتصال بالاشتقاق بوجه عام والأكبر بوجه خاص ما ذكره ابن جني من أنه قد تشترك مادتان بالحروف نفسها، ولكن كلا منهما بترتيب مختلف عن الأخرى كجذب وجبذ؛ فيظن أن أحدهما أصل والأخرى فرع مقلوب عن ذلك الأصل. وعن طريق توضيف الاشتقاق يقدم لنا ابن جني رأياً آخر وهو أنه إذا استطعنا أن نشترك من كل منهما ما نحتاجه من صيغ كالمضارع واسم الفاعل واسم المفعول... الخ حينها نعتبر كل مادة أصلاً وليست إحداها متفرعة من الأخرى حيث يقول: "جذب وجبذ ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه وذلك أنهما جميعاً يتصرفان تصرفاً واحداً نحو جذب يجذب جذباً فهو جاذب والمفعول مجذوب، وجبذ يجبذ جذباً فهو جابذ والمفعول مجبوذ فإن جعلت أحدهما أصلاً لصاحبه فسد ذلك" (1) وإذا كانت إحدى المادتين أقل تصرفاً من الأخرى، أي لا نستطيع أن نصوغ منها مشتقات بقدر ما نصوغ من الأخرى نعتبرها مقلوبة عن الأوسع تصرفاً وذلك في قوله: "فإن قصر أحدهما عن تصرف صاحبهما ولم يساوه فيه كان أوسعهما تصرفاً أصلاً وذلك كقولهم أنى الشيء يأتي وأن يثني فإنه مقلوب عن أنى والدليل على ذلك وجود مصدر أنى وهو الأنى ولا تجد لأن مصدراً كذا قال الأصمعي" (2) فإنه يستعين بالاشتقاق الأصغر لمعرفة الأصل أو المادة الأصلية التي تنفرع عنها التقاليب الأخرى في الاشتقاق الأكبر؛ أي يمكن أن تكون مادة (ج ذ ب) مقلوبة عن مادة (ج ب ز) أو العكس، أو يكون كل منهما أصلاً له تقاليبه الخاصة ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا بتوظيف الاشتقاق الأصغر بالطريقة التي بينها.

ومما له في رأينا صلة بفكرة المعنى العام الجامع التي عالجها ابن جني في الاشتقاق الأكبر ما أورده ابن جني في الخصائص تحت باب "تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني" فهو يجرد من الألفاظ المختلفة في مبانيها معاني متقاربة تقارباً يجعلها مرتبطة بمعنى عام جامع لها تماماً كحصره لمعنى كل تقليب من تقاليب المادة الواحدة وبحثه بعد ذلك عن المعنى العام الذي يجمع هذه التقاليب ولا فرق بينهما سوى أن تقاليب الاشتقاق الأكبر؛ متقاربة في المبنى فتتفق في المعنى الجامع، بينما في باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني..... كما هو واضح أن المباني مختلفة ومع ذلك فالمعاني متفقة يربطها معنى عام واحد. ويبدو لي أن الفرق بينهما إجرائي لأنهما يؤديان إلى نتيجة واحدة، ففي الاشتقاق الألفاظ تدلنا على المعنى الجامع أي عن طريق الألفاظ

(1) الخصائص: 2/ 69-70.

(2) المرجع السابق: 2/ 113.

نصل إلى المعنى، بينما في هذا الباب نبدأ من المعنى ونصل إلى اللفظ المؤدي إليه، يقول ابن جني في هذا الباب : " وكان أبو علي - رحمه الله - يستحسن هذا الوضع جداً ونَبَّه عليه ويسر بما يحضره خاطره منه، وهذا باب إنما يجمع بين بعضه وبعض من طريق المعاني مجردة من الألفاظ، وليس كالاشتقاق الذي هو من لفظ واحد، فكان بعضه منبهة على بعض، وهذا إنما يعتنق فيه الفكر المعاني غير منبته عليها الألفاظ فهو أشرف الصنعين وأعلى المأخذين " (1) ويضرب المثل على ذلك بما يلي (2) : " كقولهم خُلِقَ الإنسان من خلقت الشيء إذا ملسته ومعناه ما قدر ورتب له، والخليفة فعيلة منه ". الطبيعة : أي طبع الشيء أي قدرته على أمر ثبت عليه، النحيتة : فعيلة من نحت الشيء أي ملسته وقررتَه على ما أردته منه. الغريزة : فعيلة من غرزت كما قيل لها طبيعة لأن طبع الدرهم وتخريزه بالآلة التي تثبت عليه الصورة وذلك استكراه له وغمز عليه كالطبع. النقيبة : من نقيب الشيء وهو نحو من الغريزة، الضريبة : وذلك أن الطبع لا بد معه من الضرب لتثبت له الصورة المرادة، النحيزة : فعيلة من نحزت الشيء إذا دققته، السجية : فعيلة من سجا يسجو إذا سكن، الطريقة : من طرقت الشيء أي وطأته وذللته، السجحة : فعيلة من سجح خلقه وإن الطبيعة قد قررت واطمأنت فسجحت وتذلت، السليقة : وهي من قولهم فلان يقرأ بالسليقة أي بالطبيعة، وكلها التمرين على الشيء وتليين القوى ليصحب وينجذب أنها تؤذن بالألف والملاينة والإصحاب والمتابعة " وإذا كنا نستطيع أن نعتبر أو نستعمل هذه الألفاظ مترادفات فإن ابن جني لم يقصد إلا إثبات المعنى الجامع لها، ودليلنا على ذلك ما أورده في المحتسب حيث قال : " التوراة من لفظ وري (وُورِيَّة، تورية، توراة)، والإنجيل من لفظ (ن ج ل)، والفرقان من (ف ر ق) والتوراة فُرُعة، والإنجيل إفعيل، والفرقان فُعْلان، فالأصول مختلفة والمياني كذلك، والمعاني واحدة ومعتمدة وكلها للإظهار والإبراز والفرق بين الأشياء " (3)، واضح أنه لا ترادف بين التوراة والإنجيل والفرقان وإن اجتمعت كلها على معنى واحد عام. إذا فهي صفة اشتهر بها أبو الفتح يتأول ويتلطف للألفاظ حتى يجمعها على معنى واحد عام أو يربط بين المعاني ويفيد ما يدل عليها.

والنوع الثالث من الاشتقاق هو " الكبير " ومنهم من يسميه أيضاً الاشتقاق الأكبر، فمن سُمي النوع السابق الأكبر سُمي هذا النوع الكبير، ومن أطلق لفظ الكبير على السابق، أطلق على ما نحن بصده الأكبر. وهذا الاشتقاق أقرب إلى الإبدال ويعرفه الأستاذ عبد الله أمين بقوله : " هو انتزاع كلمة من كلمة بتغيير في بعض أحرفها مع تشابه بينهما في المعنى، واتفاق في الأحرف الثابتة : وفي مخارج الأحرف المتغيرة أو صفاتها فيهما معاً " (4) مثل عنوان الكتاب وعنوانه، ونهق ونعق.

(1) السابق: 113/2.

(2) السابق: 113-117.

(3) المحتسب: 153/1.

(4) بحث في علم الاشتقاق، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد الأول القاهرة ص382.

ومن علماء اللغات من يتسامح ولا يشترط اتفاق الحرفين اللذين يتناولهما الإبدال في المخرج، يقول الأستاذ عبد القادر المغربي : " لكن علماء الاشتقاق إن وقفوا في متناولات الاشتقاق الأكبر " ومفهومه عند هذا الحد أي حد تناسب اللفظين في المخرج، فإن علماء اللغة أو المدققين منهم لم يوقفوا عنده بل توسعوا في تعريف الإبدال ومفهومه إلى أبعد من هذا، وجعلوه بحيث يتناول إبدال حرف من حرف آخر مطلقاً وافقه في المخرج... أو لم يوافقه بشرط حصول التناسب المعنوي بين اللفظين فمن الإبدال أو الإبدال الاشتقاقي... قولهم سمعت صرير البكرة وصرير الباب والقلم ولا تناسب بين الفاء والراء ⁽¹⁾، وهكذا يشترط الاشتقاقيون اتفاق المعنى وتشابه الحرفين في المخرج، ويتساهل علماء اللغة ويرون أن هذا الاشتقاق لا يعدو كونه إبدالاً فيعاملونه معاملة الإبدال " الذي هو إقامة حرف مكان حرف آخر قد يقاربه مخرجاً وربما لا يقاربه أو يكون بقلب الحرف نفسه لفظاً آخر على معنى إحالته عليه، والإبدال قد يتسع في جميع حروف الهجاء بلا شأن ⁽²⁾. ويؤيد هذا الاتجاه الأستاذ سعيد الأفغاني حيث يقول : " تنبعت للغويين هدت إلى عدم لزوم هذا القيد (تناسب المخارج) " ⁽³⁾، ويضرب الأمثلة المؤيدة لذلك : كالخرق والخرّب (كل ثقب مستدير) كد وكدرج، ورسا ورسب، تمطط، تمطى، وضر، وضار وبذلك يتغاضون عن التشابه في المخرج بين الحرفين المبدلين.

وقد أورد ابن جني أمثلة كثيرة لهذا النوع من الاشتقاق حيث يقول : " ومن الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه : سكر طبرزل وطبرزن وهما متساويان في الاستعمال، ومن ذلك قولهم هتلت السماء وهتنت، ألا تراهما متساويين في التصريف، سحائب هُتُن وهُتُن، ومن ذلك ما حكاه الأصمعي من قولهم : دَهَمَج البعير ودهنج ... إذا قارب الخطو وأسرع، ونحو من ذلك في البذل قولهم : فُسْطاط وفستاط، وفَسَاط ⁽⁴⁾، ومنه ما عده من قبيل " التداخل أو التزامح كقولهم : ضبغطى وضبغطر ⁽⁵⁾ وهكذا نرى بين اللام والنون في طبرزل تقارباً في المخرج، ولكنه لم يتقيد به في ضبغطى وضبغطر وفسطاط وفسَاط، وهو ما يؤيد تسامح اللغويين في قيد تناسب المخرج.

وقد نبه ابن جني على نوع من الاشتقاق وصفه بأنه غير قوي وشاذ في قوله : " لا تنظر إلى تَمَسْكَن وتَمَذَّرع فتقول أحمل تَمَعَّد على أنه " تمفعّل " بمنزلة تمدرع... لأن تمدرع قليلة، والجيدة " تذرّع وتسكن " فأما قول العامة تَمَخَّرق : فينبغي أن يكون لا أصل له وإن كان قد جاء عن العرب فهو بمنزلة تمسكن في الشذوذ، والجيدة متخَرَّق لأنهم يقولون " تمخرق فلان بالمعروف " ولم تسمعهم يقولون مخرق وإنما هو من الخَرَق وهو الكريم من الرجال، إلا أن بعض أصحابنا قد حكى مخرق وليس بالقوي " ⁽⁶⁾ إذا فهو

(1) الاشتقاق والتعريب: ص12.

(2) الأب أنستاس الكرمل، نشوء اللغة العربية ونموها واكتثالها، ص18.

(3) الأفغاني، في أصول النحو: ص105.

(4) الخصائص: 2/ ص ص 83/87، والطبرزل السكر الأبيض الصلب.

(5) المرجع السابق: 2/ 55 وهي كلمة يفرع بها الصبيان.

(6) ابن جني، المنصف: 1/ 130.

لا يستبعد لأنه قد سمعه عن العرب ولأن بعض أصحابه من اللغويين قد حكاه ولكنه يرى أنه لا أصل له وليس قوياً. ومع ذلك نجد في الخصائص يجعل لهذا النوع من الاشتقاق وظيفة دلالية حيث يقول: " قالوا تَغَفَرَت الرجل إذا صار عَفِيتاً، فهذا تَغَفَلَت وعليه جاء تَمَسَكَنَ وتَمَدَّرَع وتَمَنَطَق وتمنَدَل وتمخرق وكان يسمى محمداً ثم تمسلم أي صار يسمى مسلماً، فتحملوا ما فيه ببقية الزائد مع الأصل في حال الاشتقاق كل ذلك توفية للمعنى، وحراسة له، ودلالة عليه، ألا تراه إذا قالوا: تَدَّرَع، وتسكن وإن كانت أقوى اللغتين عند أصحابنا فقد عَرَضُوا أنفسهم لئلا يعرف غرضهم أمن الدرع والسكون أم من المدرعة والمسكنة؟" (1) إذا هذا الاشتقاق الذي قال عنه ليس قوياً إنما يعطي المعنى دقة ودلالة ووضوحاً أكثر من الاشتقاق الأصلي، فتدَّرَع وتسكن قد يلتبس اشتقاقهما: أحدهما من الدرع والسكون أم من المدرعة والمسكنة فيختلط المعنى ويبقى مبهماً غير واضح وأما تدمرع ونمسكن وإن كان في اشتقاقهما شذوذ أو خروج عن الأصل إلا أنهما في دلالتهما أقوى وأوضح.

وقد سمي الأستاذ محمد المبارك هذا الاشتقاق بالاشتقاق المركب فكان ما سبقه اشتقاق بسيط وهو الاشتقاق من المشتق كقولك: تمسكن وتمذهب وتمنطق وهي مشتقة من مسكن ومذهب ومنطق وهذه مشتقة من سكن وزهب ونطق ورنى أن نسمي هذا النوع الاشتقاق المركب" (2).

والاشتقاق يكون مطرداً وقياسياً عند بعض الباحثين إذا كان من أسماء المعاني المصدرية. وأما الاشتقاق من الجواهر والأعيان وغيرهما كقولنا: استأسد واستنوق فهو عند هؤلاء من النادر الذي يقتصر فيه على المسموع عن العرب، ولكن المحققين من علماء اللغة والاشتقاق يجيزون الاشتقاق قياساً وباطراد مما يلي مستندي إلى ما ورد عن العرب:

1- الاشتقاق من أسماء العبد: فقد ورد، في لسان العرب مادة (و ح د) يقال وَّحَدَه وأُحِدَه، كما يقال ثَنَاه وثَلَّثَه، وأما في المخصص، فقد ورد وَحَدَ وَوَحَدَ وَوَحَادَ وَوَحِدَهُ وَوَحَّدَا، وتَوَحَّدَ بقي وحده يطرد إلى العشرة وأيضاً ثنيته تثنية أي جعلته اثنين، ويقال: كانوا ثلاثة فَرَبَعْتَهُم أي صرت رابعهم، وكانوا أربعة فَحَمْسَتَهُم أي صرت خامسهم.

2- الاشتقاق من أسماء الزمان: فقد ورد عن العرب أنهم اشتقوا أفعالاً منها ففي اللسان: أخرف القوم أي دخلوا في الخريف، وشتوت بموضع كذا وتشتيت أقميت به في الشتاء، وأربع القوم دخلوا في الربيع، وأصاف القوم دخلوا في الصيف هذا عن عدا أصبح القوم وأضحوا وأمسوا وأظهروا.

3- الاشتقاق من أسماء الأمكنة: فقد جاء في المحتسب: قولهم أفضيت صرت إلى الفضاء كقولهم: أعرق الرجل إذا صار إلى العراق، وأعمن الرجل: إذا صار إلى عُمان، وأنجد: أتى نجداً (3).

(1) محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية: ص 149.

(2) المرجع السابق، ص 149.

(3) ابن جني: 1/ 316.

4- الاشتقاق من أعضاء الجسم : طبعاً هي أسماء ذوات، في اللسان : أَذَنُهُ أَذْنَا فهو مأنون : أصاب أذنه، وأَذَنَهُ أي ضرب أذنه، ويقال كذلك : يَذِنُهُ أي ضربت يده، ومعين ومعينون أي أصابته العين. ولا يفوتنا قولهم رأس القوم أي صار رئيساً لهم، ومنه تأبطه أي وضعه تحت إبطه، ومنه ترَجَّل مشى على رجله ولم يكن راكباً.
والاشتقاق من أسماء الذوات من غير أعضاء الجسم : استأسد من الأسد، وتنمر من النمر، واستنوق من الناقة.

5- الاشتقاق من الأسماء الأعجمية : فقد ورد عن ابن جني أنه قال : " حكى أبو علي عن ابن الأعرابي أظنه قال : يقال نَزَهَمْتُ الخبازي أي صارت كالدرهم فاشتق من الدرهم وهو اسم أعجمي، وحكى أبو زيد : رجل مُدْرَهَم أي كثير الدراهم " (1).

6- الاشتقاق من أسماء الأصوات : فقد أورد ابن جني: وقد كثرت اشتقاق الأفعال من الأصوات الجارية مجرى الحروف نحو: هاهيت، وحاحيت، وعاعيت، وجأجات، وسأسأت، وشاشأت وهذا كثير في الزجر، فاشتقوا من هاءٍ، وعاءٍ، وهاءٍ، وهن أصوات (2).

7 - كذلك اشتقت العرب الأفعال من الحروف: نحو قولهم: "سألتك حاجة فلوليت لي أي قلت لي: لولا... وسألتك حاجة فلأليت لي أي قلت لي: لا. واشتقوا المصدر وهو اسم من الحروف فقالوا اللالاة، واللولة، وكذلك قالوا سَوَّفت الرجل أي قلت له: سوف" (3)، وكذلك ورد عن أبي الفتح " مَوَيْته إذا كتبت ما، وَلَوَيْت إذا كتبت لا، وكوفت كافاً حسنة، ودَوَلت دالا جيدة، وزويت زايا قوية" (4)، وهكذا اشتقت الأفعال من الحروف. وكذلك " هلممت إذا قلت هلم " (5)، وهكذا اشتق من الحروف أفعال مع أن الحروف لا أصل لها وغير مشتقة.

وهكذا تثبت النقول عن أئمة اللغة وكتب التراث جواز الاشتقاق من غير أسماء المعاني، مما يدل على مرونة اللغة وقدرتها على الوفاء بحاجتنا، وهذا تصرف من العرب في لغتهم فيجوز لنا أن نحذو حذوهم وننسج على منوالهم.

(1) الخصائص: 1/ 358.

(2) المرجع السابق: 3/ 40، والمحتسب: 2/ 394، وهاهيت: زجرت الأبل قائلاً هاها، وحاحيت: زجر، وعاعيت: عاعى بالغنم زجرها، وجأجات: زجر الأبل بالقول جؤجؤ، وجأجات بالكبش زجرته، شاشأ وسأسأ في زجر الحمار.

(3) الخصائص: 3/ 34.

(4) السابق: 1/ 275.

(5) السابق: 1/ 278.



أُسْئَلَةُ التَّقْوِيمِ الذَّاتِي (3)

1. عرّف الاشتقاق. وبين حدوده.
2. ما أنواع الاشتقاق؟ وما النوع الذي يهمننا من الناحية العملية؟ واذكر المشتقات بوساطته؟ وما دلالة كل مشتق منها؟ وهل أجاز العلماء الاشتقاق من الجواهر والأعيان؟



تدريب (3)

1. استناداً إلى قانون الاشتقاق العام في العربية، اذكر المشتقات المتاحة من الجذور التالية: ق ت ل، ب ع ث ر.
2. وهل يمكن أن تصدق نظرية الاشتقاق الأكبر في تقاليب الجذر الأول أي (ق ت ل)؟
3. اذكر ما تستطيع اشتقاقه من الجوامد التالية: رَجُل، رَجُل، حَجَر.

2.3 النُّحْتُ

هو في اللغة "النشر والقشر، يقال نحت النجار الخشب ونحت الجبل قطعه" (1) وقد أخذَه اللغويون وأطلقوه على العملية اللغوية التي يتم فيها تركيب كلمة بانتزاع حروفها من كلمتين فأكثر لتدل على معنى ما انتزعت منه، وذلك لشبه هذا النزاع بنحت الخشب وقطع الحجارة. وهو ضرب من الاشتقاق له أكثر من جذر حتى أن بعضهم يسميه الاشتقاق الكُبار، ولكنه ليس اشتقاقاً تصريفياً، بمعنى أن أقيسة التصريف لا تجيز اشتقاق كلمة من كلمتين فأكثر. إذاً ليس له ضابط ولا قاعدة نحتكم إليها وأول من ذكره بهذا المعنى هو الخليل بن أحمد حيث جاء في العين بعد أن أورد أمثلة عليه: "أخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلاً" (2).

وقد اختلف اللغويون في قياسيته، فابن فارس يرى أنه قياسي حتى يرى أن الرباعي والخماسي في اللغة منحوتان حيث يقول: "اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس، يستنبطه النظر الدقيق وذلك أن أكثر ما تراه منحوت والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم حيعل الرجل إذا قال حيَّ على... فعلى هذا الأصل بنينا ما ذكرناه من مقاييس الرباعي" (3) ويكرر الرأي نفسه في الصحابي في "فقه اللغة" حيث يقول:

(1) اللسان مادة "نحت".

(2) العين: باب العين مع الحاء، 1/ 67-68.

(3) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون: 328/1.

"ومذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد ضَبَطَر من ضبط وضبر والصلَدَم من الصلَدَم والصلَدَم " (1). وكذلك ابن مالك يجيز قياسه لأنه حاول أن يضع له قاعدة للقياس عليها وذلك بناء على ما أورده السيوطي: " قال ابن مالك في التسهيل : قد ينبت من جزأي المركب فعل بفاء كل منهما وعينه، فإن اعتلت عين الثاني كمل البناء بلامه أو بلام الأول " (2). ولكن أبا حيان في شرح التسهيل يخالف ابن مالك قائلاً " وهذا الحكم لا يطرد وإنما يقال منه ما قالته العرب " (3) فهو يقف عند السماع أو بالأحرى عند المسموع عن العرب ولا يجيز القياس عليه، ويؤيده في ذلك الشُّمْنِي (4).

وهكذا يظل بين أخذ ورد وقياس وسماع بين اللغويين والنحاة تحت ضغط الحاجة ومسيرة للتطور الحضاري ومجاعة للعصر ومكتشفاته وأسوة بلغات أخرى " تجدد البحث أخيراً حول إباحته أو منعه، قرأى رجال الطب والصيدلة والعلوم الكيماوية والحيوانية والنباتية في إباحته وسيلة من خير الوسائل التي تساعد على ترجمة المصطلحات الأجنبية إلى اللغة العربية تلك المصطلحات التي يغلب عليها عند الفرنجة التركيب من كلمتين متمازتين مختصرتين أو أكثر على طريقة تشبه النحت العربي، فلو ترجمت الكلمتان أو الكلمات ترجمة حرفية بغير اختصار لنشأ من ذلك اصطلاح عربي طويل مركب من كلمتين ثقيلتين أو أكثر. أما إذا تناولها بالترجمة أولاً ثم بالنحت على الطريقة العربية فإننا نصل إلى اصطلاح عربي خفيف " (5) فالأستاذ عباس حسن يرى أن المنهج السليم في تعريب المصطلحات ليس في الاعتماد على ترجمتها حرفياً وإدماجها في اللغة؛ وذلك لثقلها، وإنما نترجمها ثم ننحت من الكلمات المترجمة مصطلحاً مقبولاً خفيفاً على السمع وعلى اللسان. ويبدو أن الأستاذ عباس حسن يرد في اقتراحه هذا على ما أدلى به الأمير مصطفى الشهابي في مجمع اللغة العربية تعليقا على البحث الذي ألقاه د. رمسيس جرجس عن النحت إذ يقول الشهابي : " رأيي أنه لا سبيل إلى إيجاد قواعد عامة للنحت يمكن تطبيقها في كل الحالات، وعندي أن كلمتين عربيتين نقرهما في مقابلة المصطلح الإفرنجي أفضل من أن نوردتهما في كلمة واحدة منحوتة مبهمه فمثلاً المصطلح مستقيمت الأجنحة الذي يقابل Athopteas أفضل من كلمة (مسجنات)

(1) أحمد بن فارس، الصحاح في فقه اللغة؛ ص 227.

(2) المزهر؛ 1/ 485.

(3) معجم مقاييس اللغة؛ 1/ 328.

(4) من بحث رمسيس جرجس بعنوان " النحت " مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد 13، ص 63.

(5) عباس حسن: اللغة والنحو؛ ص 247.

المنحوتة، ولا يضيرنا مطلقاً تأدية المصطلح الإفرنجي بكلمتين عربيتين لهما دلالتهما الواضحة وخفتها على اللسان، فالأساس الذي نبتغيه دائماً في إقرارنا للمصطلحات هو الوضوح والخفة ليقبلها الجمهور ولا تمجها الأذان⁽¹⁾.

إذاً فالأساس عندهما في قبول المصطلح هو وضوحه وخفته على اللسان ولكل منهما طريقة إلى ذلك؛ فقد رأينا الأستاذ عباس حسن يرى في الترجمة الحرفية ثقلاً، والنحت يكون من الكلمات العربية المترجمة عن المصطلح الأجنبي، ويرفض أخذ الترجمة بحذافيرها لثقلها، بعكس الشهابي الذي يرى أنه لا ضير في تأدية المصطلح الأجنبي بكلمتين عربيتين بشرط أن نتحرى في اختيارهما الوضوح والخفة، ولا يجيز النحت إلا في تحفظ وعند الضرورة القصوى بقوله: "لا نلجأ للنحت إلا عند الضرورة القصوى، وعلى شرط أن تكون الكلمة مستساغة وعلى أوزان اللغة العربية المألوفة"⁽²⁾، وكأنه يضع حدوداً وشروطاً ثلاثة للاقتراب منه:

- أولها: عدم اللجوء إليه إلا عند الضرورة الملحة يعني إذا ضاقت السُّبُل ولم نجد مفرأً من اللجوء إليه .

- وثانيها: يضع شرط الاستساغة للكلمات المنحوتة ولكنه لم يضع حداً وتعريفاً لهذه الاستساغة.

- وثالثها: أن يكون على وزن من أبنية اللغة العربية شرط أن يكون هذا الوزن مألوفاً أي ليس مهجوراً أو مهملاً.

والدكتور محمود حجازي على ما يبدو يقف رأيه في زاوية أكثر ميلاً لرأي الأستاذ عباس حسن حيث يقول: "ولقد اقترح البعض تكوين أبنية صرفية من عناصر عربية للتعبير عن المصطلحات الحديثة"⁽³⁾ ولكنه لم يبين من هم هؤلاء - "البعض" - الذين اقترحوا هذا الأمر، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يبين إن كانت العناصر العربية التي سيتكون منها البناء مترجمة عن مصطلح أجنبي وهذا ما أرجحه، أو نصلح على عناصر عربية أو حروف عربية نضمها كي تعبر عن المصطلح الحديث.

وأما د. جرجس فيجمع بين رأيي الشهابي وعباس حسن ويحصر النحت في العلوم قائلًا: "فإنما أن نُعَرَّبَ وإنما أن ننحت من المصطلحات الوصفية كلمات مفردة مستساغة لا لبس فيها ... ولا نطالب بالتوضيحية بحلاوة الجرس ولا باستعمال النحت في الأدب والموسيقى والفنون بل نشدد في حصره في العلوم كالطب والكيمياء والفيزياء والرياضة"⁽⁴⁾.

(1) مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد 13، ص77.

(2) المرجع السابق: ص78.

(3) د. حجازي، اللغة العربية عبر القرون: ص96.

(4) مجلة اللغة العربية، العدد 13، ص62.

وتحت إلحاح الحاجة وضغط الظروف المستجدة يضطر مجمع اللغة العربية في القاهرة لإصدار قراره المتحفظ في النحت ونصه : " النحت ظاهرة لغوية أخذ بها قديماً وحديثاً وقد وردت منه كثرة تجيز قياسيته فينحت عند الحاجة من كلمتين أو أكثر على أن يستعمل الحرف الأصلي دون الزائد وأن يلتزم الوزن العربي إذا كان المنحوت اسماً وأن تضاف ياء النسب إن كان وصفاً نحو عيشمي في عبد شمس وأن يقتصر على فعل وتفعّل إن كان فعلاً إلا إذا اقتضت الضرورة غير ذلك " (1).

فالمجمع يجيزه في تحفظ ويضع له الحدود والأوزان التي تضيق الخناق على التصرف، ويختمون القرار بجملة " إلا إذا اقتضت الضرورة غير ذلك، وللأسف لم يضعوا للضرورة حداً وهذه الضرورة في رأيسي هي التي تفك القيود وتتحلل من الشروط وتجعل القرار ليس أكثر من حبر على ورق، لأن الناطقين باللغة لن يتقيدوا بالمعايير التي وضعها المجمع، وإنما سيطلقون ألسنتهم تنطق دون مراعاة لهذه الوصاية، وهذا أمر طبيعي، أقول هذا لأن نظرة إلى اللغات الهندية الأوروبية، وإن كانت من طبيعة أخرى، كالإنجليزية مثلاً لا نجد لها قد قيدت الناطقين بها بطريقة وحيدة في اختيارهم لمصطلحاتهم حتى أصبح التركيب هو الطريقة الشائعة المألوفة في توليد الألفاظ، وقد أفادت كثيراً في التعبير عن مظاهر المدنية الحديثة والمخترعات الجديدة وما تستلزمه من مصطلحات علمية فلم تضع حدوداً ولا قيوداً في توليد الألفاظ فمثلاً كلمة نايلون Nylon قد أخذت حروفها من ضم بعض حروف من عدة كلمات إلى بعضها فهي مأخوذة عشوائياً من : Now ye old Nippon وقد لا يكون لهذه الجملة أي معنى حين نطق بها وأخذت الحروف وركب منها المصطلح. وكذلك كلمة Television التي لم تستقر لها ترجمة في العربية فهي مأخوذة من لصق كلمتي Tele و Vision الواحدة إلى الأخرى وكذلك الأمر في Telephone و Geography و Biology وهي على الترتيب من Tele و Phone ، ومن Geo و Graphy ومن Bio و logy وهناك طرق أخرى مثل Brunch التي تتكون عناصرها من حروف كلمتي Lunch و Breakfast بأخذ أول حرفين من Breakfast وإبعاد الحرف الأول من كلمة Lunch وأخذ باقي حروفها وقد حدث عكس هذا تماماً في كلمة Smog للدلالة على الضباب المختلط بالدخان في لندن حيث أخذت من كلمة Smoke ثلاثة حروف من أولها، وأخذت الحرف الأخير فقط من كلمة Fog وكل ذلك يطلقون عليه المزج Contamination وأحياناً في " عملية المزج هذه يحدث أن تتغير الحروف وأن

(1) المرجع السابق؛ ص 251.

ينقص منها فكلمة Double الانجليزية والفرنسية من Duoplex أي ضعيفين⁽¹⁾ " فأخذت كلمة Dou كلها وتخيرت P إلى b وحذف الحرف x . ويعرفون المزج بأنه " وجود كلمة هي خليط من عناصر مختلطة أو صيرورة الكلمتين كلمة واحدة عن طريق المزج بينهما، أو تكوين كلمة صناعية مشتملة على مزيج من أصوات كلمتين آخرين وجامعة لمعنيهما Portmanteau Word⁽²⁾ ويبدو أن لا جامع بين هذه الكلمات المنحوتة عندهم سوى المزج بأية طريقة كانت. وهكذا بعد استعمال الجمهور لها وشرائها على الألسنة تسجل في معاجمهم ضمن مفردات اللغة، كما حدث في معجم وبستر الدولي الجديد Websters New International Dictionary الذي سجل " الألفاظ المستعملة في الحديث المذهب العام سواء كان ذلك فصيحاً أم عامياً "⁽³⁾.

وكذلك على عهدة الدكتور صفاء خلوصي فإن " مستدركات معجم أكسفورد يشارك في تصنيفها ملايين الناطقين بالإنجليزية من شتى أنحاء المعمورة "⁽⁴⁾. وهذا ما حدث بالضبط للألفاظ العربية المنحوتة التي وردتنا عن العرب القدماء، وقد نطق بها العربي دون أن يكون هناك من يقنن له؛ فمثلاً شَقَّحَطَب من " شَقَّ وحطَب " ولا فرق بينها وبين Television فهي مثلها مكونة من ضمّ كلمتين، وكذلك صِلْدَم من صلد وصدَم، فهي تماثل تماماً الكلمة الإنجليزية Flush المأخوذة عناصرها من Flash و Blush فالحرفان الأولان هما أول حرفين من Flash والحروف الأخيرة من كلمة Blush، كذلك صلدَم أول حرفين من صلد والحرفان الأخيران منها هما الحرفان الأخيران من صدم.

وفي رأيي أن العربي أيضاً يميل إلى الاختصار ويستغل إمكانيات لغته؛ فهو يكتفي بكلمة (حوقل) عن قول جملة " لا حول ولا قوة إلا بالله " فقد اختصر جملة بحالها في كلمة واحدة تؤدي معناها.

وغني عن القول أنه لا العربي في جاهليته ولا الانجليزي في مدنيته قد نطقا على أساس من الضوابط وأسس من التقعيد، فاللغة تجرى على ألسنة أصحابها بما يسهل عليها بشكل عفوي، رافضة الوصاية على حركتها. ولا يعني هذا الاستغناء عن جهود المجامع اللغوية في عصرنا الحاضر، خاصة وضع المصطلحات العلمية وكذلك يجب ألا يمنع هذا

(1) جورج زيدان، الفلسفة اللغوية: ص 83.

(2) دور الكلمة في اللغة: ص 143.

(3) علي القاسمي، علم اللغة وصناعة العجم: مطبوعات جامعة الرياض رقم 19، 1395هـ- 1975م: ص 164.

(4) صفاء خلوصي: من مقال له بعنوان " نار المعاجم باكسفورد " في مجلة العربي، العدد 246، الكويت جمادي الثانية 1399هـ 1979م، ص 104.

مجامعنا وعلماءنا من المتابعة والتسجيل والتفسير والتصنيف والتأصيل لما يجري على الألسنة في الساحات العربية، لتصبح مهمتهم وصفية أكثر منها معيارية.

أشرنا سابقاً إلى أن ابن مالك في التسهيل حاول وضع الأسس التي تتبع في بناء المنحوتات وما قرار المجمع إلا استكمالاً لهذه الخطوة. وقام د. رمسيس جرجس، بعد استقراء للطرق التي اتبعها العرب في النحت، بمحاولة وضع منهج بقواعد تفصيلية لبناء المنحوتات وهذه القواعد هي :

أولاً : أجازوا الأخذ من كل الكلمات أو من بعضها مثل : جعل من جعلت فداك. وعند النحت من كلمتين أولهما ثلاثية تدخل الكلمة الأولى بتمامها في أغلب الأحيان، وتكمل صيغة فعل من الثانية مثل بسم الله وشذ سعمل من السلام عليكم، وجعف من جعلت فداك. ومن هذين المثلين يتضح أنهم كانوا لا يشترطون حفظ الكلمة الأولى بتمامها خلافاً لما ذهب إليه بعضهم. وحذفوا أداة التعريف من أول الكلمة ولامها إذا كانت حرف علة، وكذلك ضمير المتكلم المتصل يحذف في مثل حسبي الله - حسبل.

ثانياً : يلاحظ اعتبار الحروف الأصلية ما عدا ذلك فهو شاذ مثل : طبقل وقياسها طلبق من أطال الله بقاءك وحوقل قياسها حولق.

ثالثاً : لا يشترط التزام الحركات والسكنات الأصلية : سبحل من سبحان الله.

رابعاً : يصاغ وزن فعل بتكرير المقطع الأول : بأباً من أبأي أنت وأمي⁽¹⁾. وهذه القواعد، في رأينا، هي أقرب ما تكون إلى الملاحظات التي لا يمكن أن يطلق عليها أو أن تأخذ طابع المنهج لأنه تكاد أن تكون كل كلمة نموذجاً منفرداً له قانون نحته الخاص به مما يجعل من المسير وضع الضوابط لأن ما يشذ عن كل ضابط دون مبالغة أكثر مما هو مندرج تحته.

لقد احتج من منع قياسية النحت بقلة الوارد منه، ولكن هذه الدعوى ينقضها ما ذكره ابن فارس من "أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس يستنبطه النظر الدقيق وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت، وقد أوردنا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت"⁽²⁾ فهو يقرر أن هذه المنهجية ليست خاصة بالرباعي والخماسي، وإنما في كل ما زاد عن ثلاثة أحرف. ويجد قوله هذا صدقاً وتأييداً لدى الأستاذ عبد القادر المغربي بقوله : " يمكن إرجاع معظم الكلمات الرباعية والخماسية إلى كلمتين ثلاثيتين بسهولة ولا حظت أن تكون تلك الكلمات في لغة العرب إنما كان بطريقة النحت المذكورة أو بما نسميه الاشتقاق النحتي فمثل دحرج منحوته من دحرة فجري، وهرول من هرب

(1) مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد 13، القاهرة، 1961م، ص 63-65.

(2) صاحب في فقه اللغة: ص 227.

وولى وبحثر من بحث وأثار⁽¹⁾، ويبدو أن الحق إلى جانبيهما حيث أورد السيوطي⁽²⁾ أن كتاب " تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب " للظهير الفارسي في عشرين ورقة، مما يدل على كثرة ما جاء منه عن العرب وبناء على ما تقدم من كلام ابن فارس والمغربي نستطيع أن نصنف المنحوتات العربية من حيث بنيتها وعدد حروفها إلى :

1- رباعي : مثل قصلب (القوي الصلب)، وصليد (الشديد الحافر) على وزن فَعْلَل أو فَعَّلَل.

2- خماسي : الصهلق (شديد الأصوات)، وفرزدق.

3- سداسي : مثل البلهجم (أي من بني الهجم).

4- سباعي : مثل البلخيثة أي من بني الخيثة.

وهذه الأوزان تفتح الباب واسعاً لأن نقيس عليها، خاصة أن المصطلحات بطبيعتها تحتاج؛ لاستيعاب المعنى، إلى حروف عديدة.

وطبعاً اشتقت العرب أو بالأحرى نحتت على مثال هذه الأوزان أفعالاً نحو : " بسم الله، وكذلك حوّل وحمدل وبأبأ، ونحت أسماء مثل جلمود من جلد وجمد، وشَقَّحُطَب من شَقَّ حطب وهو الكبش الذي له قرنان "، ونحتت أيضاً صفات مثل صليد وضبطر للرجل الشديد.

ونحتت من المضاف والمضاف إليه نسبة وهو ما يسميه المغربي في الاشتقاق والتعريب بالنحت النسبي مثل عبدلي من عبد الله، وطبر خزي نسبة إلى طبرستان وخوارزم.

ونحتت أيضاً الحروف كقول الخليل : أن لن منتزعة من (لا) و(أن) وأنا تضمنت بعد نحتها معنى لم يكن لأصلها، وكذلك نحت هلم من هل وأم أو من هاء التنبيه ولم.

وهناك تقسيم آخر حديث للمنحوتات يميل إليه المستشرقون ففي مقال له بعنوان "النحت قديماً وحديثاً" يقول المستشرق الروسي كيفورك ميناجيان: "إن توليد كلمات جديدة عن طريق النحت له جذور بعيدة في تاريخ تطور البنيان المورفولوجي للغة العربية الفصحى، ونحن نقسم النحت إلى نوعين : تركيب نحتي وتركيب مزجي"⁽³⁾ وتقسيمه هذا ينصب على المنحوتات حديثاً ولا شأن للمنحوتات قديماً بهذا التقسيم والنحتي والمزجي هما نتيجة لاستخلاص كلمة واحدة من أكثر من أصل، ويختلفان فقط

(1) الاشتقاق والتعريب: ط2، ص15.

(2) المزهري: 1/482.

(3) مجلة "اللسان العربي" الجزء الأول، المجلد التاسع: ص162.

في طريقة الاستخلاص " فالنحت هو استخلاص كلمة من كلمتين أو أكثر باقتطاف بعض الأجزاء (قد يكون حرفاً أو أكثر أو ربما مقطعاً) نحو : كهرمغنطيس. والتركيب المزجي يتم عن طريق ضم كلمتين بحيث تستعملان متجاورتين في كلمة واحدة ويكون المعنى مستخلصاً من مجموع المعنيين اللذين دل عليهما الأصلان الملازمان كل منهما على حدة نحو جمالوجيا⁽¹⁾، والثاني منهما ليس أكثر من ضم أو لصق أصليين يخرج من معنييهما المعنى المقصود.



أُسئلة التقويم الذاتي (4)

1. عرّف النحت. وما شروط مجمع اللغة العربية لإجازة النحت؟
2. ما القواعد التفصيلية التي استخلصها رمسيس حرجس لبناء المنحوتات؟
3. بيّن المقصود بالتركيبين النحتي والمزجي.



تدريب (4)

1. بيّن ممّ نحتت المنحوتات التالية:
درعمي، البرمائي، هنداوروبي، اللاإرادي، سبحلة، ماوردي، كهرومغنطيسي.
2. اذكر اللفظ الذي يمكن نحته من العبارات التالية:
أدام الله عزك، أطال الله بقاءك، الحمد لله.

3.3 التعريب

لقد احتلّ العرب قديماً بغيرهم من الأمم عن طريق التجارة والحرب والوفادة والرحلات، واقتضى ذلك أن ينقلوا عن لغات الأمم التي اختلطوا بها ألفاظاً تداولوها بحكم حاجتهم الحضارية، وبحسب ما تستدعيه أحوالهم الاجتماعية. وكانت تزداد حركة التبادل اللغوي بمقدار اتصال العرب بغيرهم، أي كانت حركة الأخذ والعطاء من العربية وإليها قبل الإسلام وبعده، وقد تم ذلك بين العربية من ناحية والفارسية واليونانية والهندية من ناحية أخرى. أما اتصال العرب بالأحباش والسرّيان وما تم بين لغتيهما وبين العربية من تبادل للألفاظ فلا اعتبرها من الدخيل؛ لأنّ الألفاظ مشتركة فيما بينها، وأصولها واحدة هي اللغة السامية الأم، والحبشية والسريانية والعبرية والعربية لهجات سامية استقلت (1) المرجع السابق: ص 164.

إلى لغات توزعت فيما بينها خصائص اللغة الأم وحصل للألفاظ المشتركة بينها تغيير صوتي هنا أو تطوير دلالي هناك، فالموروث اللغوي واحد؛ فليست إحدى هذه اللغات بأحق من أخواتها الساميات بلفظ ما، حتى إذا استعملته إحداها يمكن الادعاء بسهولة أنه ليس أصيلاً فيها وأنها اقترضته من أخت لها ويوصف بعدها بأنه أعجمي أو دخيل أو أجنبي؛ وعليه فإنني أميل إلى الرأي الذي يقول بأصالة أية كلمة تستعملها العربية وهي منحدرة من اللغة السامية الأم، فاحتفظت بها العربية كما احتفظت بها أية لغة سامية أخرى ولكن الاستعمال، مع تقادم الأزمان، أحدث فيها تطوراً صوتياً أو دلالياً جعلها تبدو مختلفة عن أصلها السامي ونسبت إلى إحدى اللغات السامية، دون غيرها.

وقد أدرجت الألفاظ التي شاعت في العربية، منقولة عن لغات الأمم الأجنبية تحت تسميات عدة هي: المعرَّب والدخيل والأعجمي وأحياناً المولَّد. وأصبح هنالك ما يسمى بظاهرة التعريب التي صارت إحدى الظواهر اللغوية باعتبارها أحد الروافد المهمة للثروة اللغوية التي تستوعب كثيراً من المعاني الحضارية مما استجد في العربية.

وأصبحت ظاهرة التعريب قضية تشغل بال اللغويين بالقدر الذي تشغل فيه بال المفسرين والفقهاء والمؤرخين العرب وغيرهم خاصة المستشرقين حتى إن أحدهم⁽¹⁾ قال "إن تاريخ الألفاظ المعربة يشكل جزءاً مهماً من تاريخ اللغة العربية، وبالتالي من تاريخ الحضارة العربية التي اتخذت من الفصحى وعاء لها".

وقد أثرت هذه القضية في سياق البحث عن أصل مجموعة من الألفاظ وردت في القرآن الكريم، واعتبرت من غريبه الذي يحتاج لمعرفة أصله ومعناه، لدفع ما اعتبر شبهة دخول اللفظ الأعجمي إلى النص القرآني وللبرهنة على خلوه منه.

1.3.3 التعريب لغة واصطلاحاً

والتعريب والإعراب في المعنى اللغوي متساويان وهو الإبانة فهما مأخوذان من عرَّب وأعرَب بمعنى أبان وأفصح، وأصل المادة (ع ر ب) التي تدور على عدة معان منها بل أولها الإبانة والإفصاح، فإذا كان الإعراب يفصح عن المعاني، بالحركات التي تفرِّق بين الوظائف النحوية، فإن التعريب هو نقل الألفاظ الأعجمية إلى العربية في قالب صوتي أو صيغة عربية مستساغة تفصح بها عن معنى لدى السامع أو المتكلم العربي.

(1) وهو أنطون شال، نقلًا عن الدكتور عبد الفتاح البركاوي في بحثه عن قضية التعريب بين التراث وعلم اللغة الحديث في مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد 11، 1411هـ-1991م: 564-الهامش.

وجرى تخصيص كل منهما بمفهوم، اشتهر به واقتصر عليه في الاصطلاح، فأصبح الإعراب خاصاً ومشتهراً بـ "الإبانة عن المعاني بالألفاظ"⁽¹⁾ أو هو "الفارق بين المعاني"⁽²⁾ ويقصد بالمعاني الوظائف النحوية، وبالألفاظ علامات الإعراب.

أما صنوه التعريب فقد ورد في تحديد مفهومه الاصطلاحي عن الجوهري في اللسان⁽³⁾ "تعريب الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها، تقول عربته وأعربته". وجاء في شفاء الغليل⁽⁴⁾ "واعلم أن التعريب نقل اللفظ من العجمة إلى العربية، والمشهور فيه التعريب وسمّاه سيبويه وغيره إعراباً فيقال حينئذ معربٌ ومُعَرَّبٌ". وفي المعرّبات الرشيدية⁽⁵⁾ "التعريب هو استعمال لفظ غير عربي في كلام العرب، وإجراء أحكام اللفظ العربي عليه" ويظهر من هذه التعريفات اهتمام علمائنا بالناحية العملية أي الإجراءات اللفظية التي تحدث للمُعَرَّب عند إدخاله إلى لغة العرب. وعليه فالتعريب عملية تغيير لقوة تشمل بنية اللفظ المُعَرَّب في جوانبها الصوتية أو الصرفية أو التركيبية أو الدلالية بحيث تتلاءم وتتناسب مع الصيغ العربية وطريقة النطق العربية وضبطها. وقد دخل عن هذا الطريق آلاف الألفاظ الأعجمية إلى اللغة العربية، وهذا هو موضوع درسنا في الصفحات القادمة وهناك معنيان آخران للتعريب أولهما بمعنى الترجمة أي نقل المصنفات العلمية والأدبية وغيرهما إلى اللغة العربية فتصبح كلمة مُعَرَّب بمعنى مترجم.

والآخر هو جعل العربية لغة العلم والحياة بحيث يفكر الإنسان العربي بها ويعبر بها، ويتعلم بها، ويعلم بها، ويكتب بها؛ فلا تحل لغة أخرى محلها كالإنجليزية والفرنسية في التعليم مثلاً. ويحاول العربي أن يبحث عن المقابل العربي لكل لفظ أجنبي وبهذا يكون المقصود من التعريب: تعريب التعليم والإدارة والتجارة والفكر والسياسة، أي كل مناحي الحياة. وقد أصبحت قضية التعريب شغل الأفراد والجماعات والهيئات العلمية، وإحدى قضايا اللغة العربية المعاصرة.

ويبدو كذلك أن علماء لم يتفقوا على التغيير عند التعريب فما يفهم من كلام سيبويه، ومن كلام الخفاجي أيضاً هو أنهما لا يشترطان سوى تغيير الحروف التي لا نظير لها في العربية حيث يقول سيبويه: "اعلم أنهم إنما يغيرون من الحروف ما ليس من حروفها

(1) الخصائص: 1-35.

(2) المصاحبي: 65-66.

(3) مادة عرب.

(4) الخفاجي: ص 23.

(5) الحسيني: ص 111.

ألبتة، فربما ألحقوه بكلامهم، وربما لم يلحقوه". وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم، كان على بنائهم أو لم يكن نحو: خراسان وخُرْمٌ والكُرْكُم؟⁽¹⁾.

وأما الخفاجي فيقول "اعلم أنهم قد يغيرون الكلمة العجمية، والتغيير أكثر من عدمه، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفها إلى أقربها مخرجاً، وربما أبعدوا الإبدال في مثل هذه الحروف، وهو لازم لثلاث يدخل في كلامهم ما ليس منه"⁽²⁾ وهكذا فهما لا يشترطان الإلحاق ولا يوجبان التغيير الصوتي إذا تشابهت الحروف في الكلمة الأعجمية مع الحروف العربية.

ويعارضهما ابن كمال باشا، على ما يبدو حين يشير في رسالته تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية، إلى أن استعمال العرب للفظ العجمي ليس كافياً كي نعدّه من المعرب، وإنما لا بد من إجراء نوع من التغيير الصوتي (بالإبدال أو الإلحاق) على اللفظ المستعمل حتى يحكم تعريبه، وذلك أن العرب كما تستعمل الكلمة الأعجمية وتجعلها جزءاً من الكلام بعد التعريب كذلك تستعملها وتجعلها جزءاً منه قبله⁽³⁾.

3.3.2 أقسام المعرب حسب التغيير والإلحاق

ويقسم علماؤنا المنقول إلى العربية من اللغات إلى أربعة أقسام⁽⁴⁾ حسب التغيير الذي حصل له وقد ذكرها سيبويه في كتابه موزعة وهي:

- 1- الذي لم يتغير ولم يلحقه بأحد أبنيته ومثاله خراسان وشهنشاه وكركم وإيزيسم وفيروزوقهرمان. وهذا طبعاً لم يعرب وبقي على أعجميته وإن استعمل في العربية.
- 2- اللفظ الذي تغير ولم يلحق بغيره من الأبنية العربية نحو أجُر، وفرد السيف.
- 3- اللفظ الذي تغير وألحق بأحد أبنية العربية نحو: رَزَمَ الحقوه ببناء هَجَزَ.
- 4- اللفظ ملحق ببناء يربوع، وجوب الحقوه ببناء فوعل مثل كوكب.
- 4- اللفظ الذي لم يتغير ولكنه ألحق بأحد أبنية العربية نحو: خُرْمٌ⁽⁵⁾.

3.3.3 مستويات التعريب

لقد ذكر سيبويه في كتابه⁽⁶⁾ التغيرات التي تحصل للألفاظ المعربة، وعلى المستويين الصوتي والصرفي، وتبعه الخفاجي في شفاء الغليل وقام صاحب المعربات الرشيدية

(1) الكتاب: 4/ 303-304.

(2) الخفاجي، شفاء الغليل، ص 25.

(3) رسالتان في المعرب ص 77، نقلًا عن الدكتور البركاوي في بحثه قضية التعريب، مجلة كلية اللغة العربية- المنصورة العدد 11، ص 570-571.

(4) انظر: المزهر: 1/ 296، شفاء الغليل: ص 31 رسالتان في المعرب لابن كمال باشا. ص 78، الكتاب: 4/ 303-304.

(5) الخُرْم: الناعم أو العيش الواسع.

(6) انظر: الكتاب: 4/ 303-304.

بسرده الأحكام التي تجري على اللفظ العربي " تنوين ولام تعريف وما أشبه ذلك، وحيناً يبدلون حرفاً بحرف لم يرد في تلك اللغة، ودخل في لغة العرب وإذا لم يكن قد جاء على ذلك الوزن، والحروف في كلام العرب يغيرونه، والتغيير إما أن يكون بتبديل الحركة والسكون فقط، أو تبديل حرف أو بالإسقاط أو الزيادة أو بالتشديد أو التخفيف أو بتقليب حرف مكان حرف، أو بإجتماع قسمين أو ثلاثة أقسام أو ما يزيد على ذلك" (1) ويقول ابن بري بالأمر نفسه في حاشيته على كتاب العرب للجو اليعقوبي: "إنهم كثيراً ما يجتريون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجاً. وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضاً. والإبدال لازم، لئلا يُدخِلوا في كلامهم ما ليس في حروفهم، وربما غيَّروا البناء من الكلام الفارسي إلى أبنية العرب، وهذا التغيير يكون بإبدال حرف من حرف أو زيادة حرف، أو نقصان حرف، أو إبدال حركة بحركة، أو إسكان متحرك، أو تحريك ساكن، وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيروه" (2).

ويمكننا تقسيم التغيرات التي أجراها العرب للألفاظ المعربة؛ وهي إجراءات قام به العرب لإخضاع هذه المعربات لسلوك العربية مع مفرداتها وفق نظامها اللغوي بحيث تصبح هذه الألفاظ في النهاية جزءاً من النظام العام للغة العربية، لأن هذه الإجراءات في الحقيقة، كانت تتم على أسنة الفصحاء من العرب عند نطقهم للألفاظ الأجنبية، فالتعريب مسموع ومنقول عن العرب المحدث بكلامهم فالجوالقي يقول عن كتابه: " هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي، ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، وذكرته العرب في أخبارها وأشعارها، ليعرف الدخيل من الصريح" (3).

ويمكننا توزيع هذه التغيرات على المستويات اللغوية التالية:

أ- المستوى الصوتي: وهذا أمر قد خضع لسلوك الناطقين ولم تحكمه القوانين القياسية، وقد تم غالب التغيير فيه، الذي يجري فيه استبدال وحدات صوتية بأخرى تناسب النظام الصوتي العربي؛ ومن حيث المبدأ فإنهم غيروا الأصوات غير العربية إلى الأقرب لها في العربية كصوت ʔ (ف) وهو بين الفاء والباء يبدل عند العرب فاء أو باء نحو: فرندو البهلوية. وصوت آخر بين الميم والكاف أي G في مثل good فربما

(1) عبد الرشيد الحسيني: ص 111.

(2) حاشية ابن بري على كتاب المقرب لابن الجواليقي: ص 22-23.

(3) المعرب من الكلام الأعجمي: ص 3 (تحقيق أحمد شاكي، القاهرة، 1961م).

جعلوه جيماً أو كافاً أو قافاً مثل: جَلَنار، لجام، بنج، قنديل، قهرمان وكربك (كربج) أي الحائثوت. وتفصيل الأمر كالتالي نحو:

1- إبدال حركة بحركة: في دستور التي تُقرأ في الفارسية بفتح الدال وفي العربية بضمها لأن صيغة فعلول بفتح الفاء نادرة في لغة العرب، ودهليز التي تُقرأ في الفارسية بفتح الدال وفي العربية بكسرهما لأن صيغة فعْلِيل بفتح الفاء في لغة العرب نادرة (1) وكذلك زرنِخ معرَّب زَرْنِخ. ويتضح من المثالين كذلك أن هذا التغيير الصوتي يمكن أن يتدرج تحت باب الإلحاق للأوزان العربية.

2- إبدال حرف بحرف: جَوْرَب بفتح الجيم وسكون الواو وفتح الراء معرَّب عن كورب. وبرنامج معرَّب برنام، وفرند معرَّب برند، استبرق معرَّب استبره وكامخ معرَّب كامه، إبدلت الهاء الساكنة بـخاء والتوْث عربته العرب التوت (2)، وكوسه معرَّب كوسج

3- إسقاط حرف أو أكثر أو حذفه نحو فهرس معرَّب فهرست وشص معرَّب شست، نشا (النشا) معرَّب نشاسته (3) ويريد معرَّب يريدوم.

4- زيادة حرف: نحو ديباج معرَّب ديبا. درهم معرَّب درم.

5- إبدال حرفين بحرفين أو أكثر نحو كسرى معرَّب خُسرو وسابور معرَّب شابور وفالوذج معرَّب بالوده وأنموذج معرَّب نموده.

6- إبدال صوت وزيادة آخر: نيسابور معرَّب نشابور.

وهناك تغيير اهتم بالنظام المقطعي، فإن العربية لا تقبل أن يلتقي صوتان صامتان في مقطع واحد أي لا تجيز التقاء الساكنين في كلمة أو كلمتين متجاورتين، ويُطبَّق هذا النظام المقطعي على الكلمات المعربة نحو: پارس pars عربت فارس بكسر الراء (4)؛ لأنه لا يوجد في العربية وزن فاعل وإنما يوجد فاعِل، ومثل هذا التغيير أيضاً يمكن اعتباره إلحاقاً.

ومما عربَّوه وألحقوه بأبنيتهم درهم ألحقوه ببناء هجر، ودينار ألحقوه بديباج، وإسحاق بإعصار ويعقوب بربوع وهناك ألفاظ عربت ولم يجرؤ عليها أي تغيير نحو: الكركم وخُرَّم وخراسان (5).

(1) الحسيني، المعربات الرشدية: ص 111.

(2) حاشية ابن بري: ص 58.

(3) المعربات الرشدية: ص 112.

(4) المرجع السابق: ص 114.

(5) سيبويه، الكتاب: 4/ 304.

ب- المستوي الصرفي: والتعريب في هذا الجانب يكون بتطويع المعرّيات للنظام الصرفي العربي بإضافة العلامات المميّزة للتأنيث والتذكير والتعريف والجمع والتثنية، أي يجرون عليه ما يجري على ألفاظ العربية. وفي باب ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب يقول ابن جني " إن ما أعرب من أجناس الأعجمية قد أجزته العرب مجرى أصول كلامها، ألا تراهم يصرفون في العلم نحو أجر، وإبريسم وفريد وفيروزج وجميع ما تدخله لام التعريف، وذلك أنه لما دخلته اللام في نحو: الديباج، والفريد، والسهريز، والأجر، أشبه أصول كلام العرب، أعني النكرات، فجرى في الصرف مجراها" ⁽¹⁾ أي عاملها العرب معاملة الألفاظ العربية فاشتقوا من المعرب؛ فقد نقل ابن جني أيضاً أنه قد حكى له " أبو علي عن ابن الأعرابي قال: يقال: دُرْهَمَتِ الْخَبَازِي، أي صارت كالدرهم، فاشتق من الدرهم وهو اسم أعجمي" ⁽²⁾.

وقد نقل أبو حاتم الرازي عن أبي عبيد القاسم بن سلام اللغوي أن العرب كانت تتصرف في الكلام غير العربي بتعريفه بإداة التعريف العربية وهي أل بقوله: " للعرب في كلامها علامات لا يشركهم فيها أحد من الأمم نعلمه، منها إدخالهم الألف واللام في أوّل الاسم .. كما أدخلوا في الطور وحذفوا الألف التي في آخر الحرف (أي تلك التي تدل على التعريف) .. وكذلك اليم التي كانت في السريانية يماً فأدخلت العرب فيه الألف واللام وصرفت في جميع الإعراب على ما وصفت" ⁽³⁾. واعتقد أن هذا النوع من التعريب، أي التعريب بأل، يمكن تطبيقه على الكلمات المعربة سوى الأعلام، كالدينار والديباج والجوهر واللوزينج والزنج، إلى آخر قائمة المعرّيات من غير الأعلام.

وخلاصة الأمر كما يقول عبد القادر المغربي إن "الكلمات العربية، التي وقعت فعربوها بالسنتهم وحولوها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظهم، تصبح عربية، فيجري عليها من الأحكام ما يجري على تلك فتتوارد عليها علامات الإعراب، إلا في بعض الأحوال، وتعرف بأل، وتضاف ويضاف إليها، وتثنى وتجمع، وتذكر وتؤنث، وفوق ذلك كله تصرف أهل اللغة في الكلمة المعربة، وإعمالهم مباضع الاشتقاق في بنيتها" ⁽⁴⁾ فقولهم: أجم وملجم وتُجَم من لجام، وفي أيامنا هذه يقال: تلتف، يتلفز ويث مثلف من تلفاز المعربة عن تلفزيون. ومنهم من يقول: تلفن ويتلفن من تلفون، وقلوز وأنا

(1) الخصائص: 1/ 357 والسهريز نوع من التم.

(2) المرجع السابق: 1/ 358.

(3) انظر: كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية 1/ 77، ود. البركاوي مجلة كلية اللغة العربية- المنصورة: العدد 11- 589- 590.

(4) الاشتقاق والتعريب: ص 48.

مفلوز أي مصاب بالإنفلونزا، وكذلك تَقْرَنج ومُتَقْرَنج من الفرنجة التي هي تعريب
French.

جـ- المستوى النحوي: وأكثر ما يميّز النظام النحوي العربي، الإعراب الذي يميّز بين
المعاني النحوية، التي قد يؤديها النظام التركيبي أيضاً بما يفترضه من نظام معين
في ترتيب الكلمات داخل الجملة.

وأخذت العربية عن بعض اللغات غير المعربة ألفاظاً أخضعتها للنظام الإعرابي
العربي، بإلحاق علامات الإعراب العربية بها أو منعها من الصرف كما بيّن ذلك سيبويه:
"اعلم أن كل اسم أعجمي أعرب وتمكن في الكلام فدخلته الألف واللام وصار نكرة، فإنك
إذا سميت به رجلاً صرفته إلا أن تمنعه من الصرف ما يمنع العربي وذلك نحو: اللجام
والديباج، والنبروز والفرند والزنجبيل"⁽¹⁾. وسندس واستبّرق كذلك. وإذا لم تتمكن من
كلام العرب، أي لم يصبح من المتمكن الأمكن وبقي علماً في العربية فإنه يمنع من الصرف
فيها نحو: إسماعيل وإسحاق ويعقوب وإبراهيم ويوسف.

وأما ابن جني فقد جعل من الإعراب ثوباً يدخل المعربات أو الألفاظ الأعجمية في
نطاق العربية حين يقول: "قال أبو علي إذا قلت طاب الخشكُنان فهذا من كلام العرب،
لأنك بإعراك إياه قد أدخلته في كلام العرب ألا ترى أنك تقول: طاب الخشكُنان فتجعله من
كلام العرب، وإن لم تكن العرب تكلمت به، هكذا قال، فرفعك إياه كرفعها ما صار لذلك
محمولاً على كلامها، ومنسوباً إلى لفته"⁽²⁾.

والزمخشري في الكشف يعتبر الإعراب مظهراً من مظاهر التعريب بقوله: " فإن
قلت: كيف ساع أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ أعجمي؟ قلت خرج من أن يكون
عجمياً لأن معنى التعريب أن يجعل عربياً بالتصرف فيه، وتغييره عن مناجاه، وإجرائه
على وجه الإعراب"⁽³⁾.

كذلك يمكننا أن ندخل في هذا الباب، أقصد المستوى النحوي ما يدخل إلى العربية
من التراكيب غير العربية خاصة في وقتنا الحاضر، مما يمكن أن نعهده من الأساليب
المعربة التي تألفها العربية "وسواء رضينا أم لم نرض فقد اندس هذا الدخيل النوافد
فتعرب، ولا بأس من ذلك، ذلك أن طائفة كبيرة منها مما تدعو إليه الضرورة، وإن ألفاظها
عربية فصيحة، وإن باب التوسع والمجاز بعد كل ذلك مفتوح"⁽⁴⁾ وقد أجاز مجمع اللغة

(1) الكتاب: 3/ 234.

(2) الخصائص: 1/ 357، 359.

(3) تفسير الكشف: 3/ 507.

(4) إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن: ص 285.

العربية في القاهرة هذا النوع من الأساليب؛ لأنها بكلمات عربية محضة بقرار له نصه: "الباب مفتوح للأساليب الأعجمية تدخله بسلام، إذ ليس في هذه الأساليب كلمة أعجمية ولا تركيب أعجمي وإنما هي كلمات عربية محضة، رُكِبَ تركيباً خالصاً لكنها تفيد معنى لم يسبق لأهل اللسان أن أفاده بتلك الكلمات"⁽¹⁾ وقد استقرأ الدكتور إبراهيم السامرائي خصوصاً عربية حديثة وأثبت بعض هذه الأساليب، وقد سبقه إلى ذلك عبد القادر المغربي في "الاشتقاق والتعريب"، والرصافي في كتابه "دروس في تاريخ آداب اللغة العربية"، ونقتطف شيئاً مما أورده: مأخوذاً من الفرنسية أو الإنجليزية⁽²⁾:

- ذر الرماد في العيون
- وضع المسألة على بساط البحث أو طاولة البحث
- ساد الأمن في البلاد
- لا جديد تحت الشمس
- يبكي بدموع التماسيح
- يصطاد في الماء العكر
- توترت العلاقات
- رجل الساعة الذي يسهر على المصلحة العامة
- ضحكة صفراء
- بكل معنى الكلمة
- يسمم الرأي العام
- مؤتمر المائدة المستديرة
- اعتنق الفكرة، ويحتضن الفكرة، ويتبنى الفكرة
- عاصفة من التصفيق
- تصفية القضية.

د- المستوى الدلالي: إذا كانت مستويات التعريب السابقة وسيلة لإخضاع الكلمات الأعجمية في بنيتها وشكلها للنظام اللغوي للعربية؛ فإن التعريب على المستوى الدلالي تحقيق لانتسابها إلى العربية بمضمونها الذي كانت تدل عليه في اللغة المأخوذ منها أو المعنى الأصلي، أو المعنى الذي قد تكتسبه في دخولها إلى العربية باستعمالها في معنى عربي جديد تجريبه العرب حقيقة أو مجازاً على هذه الألفاظ المؤربة. فالديوان

(1) مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة: ج1/ ص332.

(2) انظر: إبراهيم السامرائي: فقه اللغة المقارن: ص ص 286-304، كذلك عبد الجبار القزاق، الدراسات اللغوية في العراق: ص 278 وما بعدها.

في لسان العرب⁽¹⁾ "مجتمع الصحف" هو لفظ فارسي معرب، وقال ابن الأثير: هو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء" وبعد تعريبه أعطي دلالات جديدة بتخصيصه بالدفتر الذي يكتب فيه الشعر وتجمع القصائد بين دفتيه. وقد استعمله ابن عباس بمعنى آخر حين قال "الشعر ديوان العرب" بمعنى سجل أحوالهم وتاريخهم. وظهر للفارابي معجم ديوان الأدب أي مجتمع كلمات اللغة ومعانيها. وفي أيامنا هذه نستعمله في معنى مجتمع الرجال أي بمعنى المضافة. ثم خصصت بالإضافة بقولهم ديوان الموظفين، وبالوصف الديوان الملكي أو الأميري. ولا يغيب عن بالنا أنه قد اشتق منها دُون، وتدوين بمعنى الكتابة والتسجيل أي صارت تستعمل أيضا في التسجيل على الصحف بدلاً من الصحف نفسها. وقد فتح السيوطي فصلاً في المزمهر⁽²⁾ في ألفاظ مشهورة في الاستعمال لمعان هي فيها معربة، وهي عربية في معان أخرى غير ما اشتهر على الألسنة: من ذلك الوردُ للمشموم فارسي، وهو اسم عربي للفرس ومن أسماء الأسد. وفيما ذكره السيوطي نظر، فالكلمة (الورد) قد تكون موجودة في اللغتين بمعنيين مختلفين أي حدث توافق بين اللغتين، والذي حدث أن العربية قد استعارت معنى المشموم للورد باختلاطهم بالفرس.

وأكثر ما يكون هذا المستوى من التعريب بين لغتين من فصيلة واحدة كالذي يحدث بين العربية وأخواتها الساميات، حيث يحمل لفظ معنى ما في إحداها، ومعنى آخر في أخت لها ثم تستعير إحداها المعنى الذي ليس فيها فتضيفه إلى اللفظ نفسه. وفي العصر الحديث عُرِبَ لفظ الامبريالية باعتباره مصدراً صناعياً مأخوذاً من كلمة Imperialism الإنجليزية أو Imperialis الفرنسية التي تعني الامبراطوري بمعنى التعصب والانحياز للامبراطورية الألمانية في الأصل ثم للامبراطورية البريطانية بعد ذلك. لكنها في العربية أصبحت تدل بعد تعريبها على درجة عليا من درجات الاستعمار والرغبة في السيطرة والتوسع⁽³⁾.

4.3 بين المغرب والدخيل والمولد

هذه مصطلحات رافقت تعريب الكلمات الأعجمية وإدخالها اللغة العربية، ويحسن بأي دارس أن يعرف مدلولاتها أو المفاهيم التي تشير إليها وبيان الفروق فيما بينها، إن وجدت.

(1) اللسان مادة، دون.

(2) المزمهر: 1/ 284-285.

(3) إبراهيم السامرائي: التطور التاريخي: ص 230 (بتصرف).

ونبدأ بالمُعَرَّب أو المُعَرَّب كما سماه سيبويه، ويطالعنا كتاب "المعرّب من الكلام الأعجمي" للجواليقي⁽¹⁾ 540هـ وهو أول كتاب يصل إلينا قُصد منه دراسة الألفاظ المعرّبة حتى نهاية عصر الاستشهاد وقد صرّح بذلك بقوله: "هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي، ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول-ص، والصحابة، والتابعين-رضوان الله عليهم أجمعين. وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ليعرف الدخيل من الصريح"⁽²⁾ ويستدل من كلام الجواليقي أنه يقصد به الكلام الذي عُرّب في عصر الاحتجاج لقوله: ما تكلمت به العرب، ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول وصحابته والتابعين ممن يحتج بكلامهم أي ما "تكلمت به العرب على منهاجها" وقد عرفنا أنفاً التغيرات التي تُحدث للمعرّبات، حتى تخضع للنظام اللغوي العربي، وهو ما أخذه في الحسبان الدكتور إبراهيم أنيس حين ذكر "وعمد العرب القدماء إلى بعض الألفاظ فحُوروا من بنيتها وجعلوها على نسج الكلمات العربية وسَموها بالمعربة"⁽³⁾ ولم يبرز حكاية الاحتجاج، ولكن قوله "العرب القدماء" يمكن أن يفهم ويلمح فيه اهتمامه بهذا الأمر. وأما الذي شغله أمر الاحتجاج ولم يلتفت للتغيير فهو الدكتور حسن ظاظا الذي يقول بأن "المعرب لفظ استعاره العرب الخُلص في عصر الاحتجاج باللغة من أمة أخرى"⁽⁴⁾ وكأنه يردّد كلام الجواليقي. بعكس الأستاذ عبد الحميد حسن الذي جعل التغيير هو الفارق بين المعرّب والدخيل حيث يقول: "والفروق بينه (أي الدخيل) وبين المعرب أن المعرب قد غيرت صيغته في الغالب بالزيادة أو النقص أو بتغيير الحركات، وأدخلوه في لغتهم"⁽⁵⁾.

ويبدو أن رأي الأستاذ عبد الحميد غير مستقر في هذا المجال حيث يقول في موضع سابق "المعرب هو الكلمات التي نقلت من الأجنبية إلى العربية وسواء وقع فيها تغيير أم لم يقع"⁽⁶⁾ وهو متناقض مع قوله السابق.

وهكذا يتأرجح المعرب بين المعيار الزمني والمعيار اللغوي وهو ما يحدث فيه من تغيير، خاصة أن القدماء من المصنفين في هذا المجال لم يفرّقوا بينهما؛ وهو الأمر الظاهر عند الشهاب الخفاجي 1069هـ مثلاً الذي يسمى كتابه "شفاء الغليل فيما في كلام العرب

(1) المعرب: ص 3.

(2) إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص 149.

(3) حسن ظاظا، كلام العرب: ص 79.

(4) عبد الحميد حسن، الألفاظ اللغوية، خصائصها وأنواعها: ص 66.

(5) المرجع السابق: ص 65.

من الدخيل" ويفتح فصلاً بعد المقدمة بعنوان "فصل في تغيير المعرب وإبداله" ويصف المعرب في فصل تالٍ بأنه الدخيل ويذكر أقسامه الأربعة⁽¹⁾.

ويبدو أن الجو اليقيني لا يفرق بينهما أيضاً إذ ينسب إليه السيوطي قوله "ويطلق على المعرب دخيل.." ⁽²⁾.

وأرى من أجل أداء دقيق للمصطلحات ووضع فرق واضح بينهما أن يُراعى المعياران التاليان فيما يطلق عليه مصطلح معرب:

1- المعيار الزمني أي يراعى زمن الاحتجاج والاستشهاد.

2- المعيار اللغوي أي مراعاة التغيير الصوتي وغيره، أي نطق الكلمة الأعجمية المعربة على منهاج العرب؛ لأن في هذا المعيار مراعاة للربط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للتعريب باعتبار التغييرات تجعله مفصلاً ومُبيناً عن المعنى الجديد. وباعتبار التعريب أحد الطرق التي تنمو بها اللغة، وتزداد ثروتها غناء؛ أصدر مجمع اللغة العربية في القاهرة قراره المتحفظ بالعمل به حديثاً وهو: "يجوز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم"⁽³⁾.

أما الدخيل فهو الكلام العجمي الذي دخل العربية " وتركه العرب على صورته (4) التي أخذ بها من لغة أخرى. وأما الدكتور ظاظا فيراعي المعيار الزمني حيث يقرّف الدخيل بأنه "لفظ أخذته اللغة من لغة أخرى في مرحلة من حياتها متأخرة عن عصور العرب الخالص الذين يحتج بلسانهم"⁽⁵⁾.

وإذا أخذنا في الاعتبار المعنى اللغوي لمصطلح دخيل الذي يلحظ فيه عدم الاندماج فكأنه ضيف نازل أو بالأحرى لفظ مقترض فيبقى على حاله ولم يخضع لأنظمة العربية، فأرى أنه هو "اللفظ الأجنبي الذي دخل العربية دون تغيير"⁽⁶⁾ بغض النظر عن المعيار الزمني، أي سواء أكان دخوله قديماً أم حديثاً.

2.4.3 أدلة معرفة الدخيل

بعد أن عرفنا الدخيل، يحسن بنا أن نلم بالأدلة التي استخلصها أئمة اللغة القدامى لتمييز الدخيل والمعرب من اللفظ العربي الأصيل وقد ذكرها السيوطي⁽⁷⁾ بقوله: "قال أئمة العربية: تعرف عجمة الاسم بوجوه:

(1) المرجع السابق، باب اطراد الإبدال في الفارسية: ص 29، 30، 31.

(2) المزهر: 1/ 269.

(3) مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج 1/ ص 33.

(4) دلالة الألفاظ: ص 149.

(5) عبد الحميد حسن، الألفاظ اللغوية: ص 65.

(6) كلام العرب: ص 79.

(7) انظر: المزهر: 1/ 270.

أحدنا: النقل: بأن ينقل ذلك أحد أئمة العربية. يقصد أنه تكفي الإشارة من أحد لغويينا القدماء إلى الكلمة بأنها أعجمية أو دخيلة أو معربة أو من كلام العجم أو فارسية معربة؛ حتى يتم تصنيفها كذلك دون البحث في البرهان أو في مدى صحة هذه الإشارة؛ كقول الخليل بن أحمد: "فخ إنها من كلام العجم" (1) وتجدها بنفسها في اللسان (2) " الفخ، معرب من كلام العجم"، ويمكن أن نجد ما منقولاً على هذه الصورة في كتب اللغة والدخيل والأعجمي. وعيب هذا النقل أن علماءنا أو لغويينا المنقول عنهم لم يكن لهم الدراية الكافية باللغات المنقول عنها كالفارسية أو اللغات السامية ليكون قولهم هو الفصل في هذا الشأن حتى تؤخذ أقوالهم مسلمات.

الثاني: خروجه عن أوزان الأسماء العربية نحو: إِبْرَيْسَم فإن وزن هذا اللفظ مفقود في أبنية الأسماء في اللسان العربي. وهذا المقياس يقتضي أن نقوم بإحصاء الكلمات العربية الأصلية كلها ومعرفة أوزانها الصرفية بدقة، حتى إذا شككتنا في أصالة كلمة نردها إلى أحد هذه الأوزان؛ ومع ذلك فإن موافقة لفظ ما لأحد الأوزان الصرفية العربية لاتعني أنه عربي الأصل فكلمة model الإنجليزية مثلاً على وزن فَعِلَ العربي ومع ذلك لم يشفع لها هذا الوزن العربي وبقيت أعجمية وعربت بها العامة على وزن فَعِيل أي قالوا مُدِيل.

وكذلك في الوقت نفسه لايمكننا أن نفترض أن جميع الكلمات العربية موافقة للأوزان العربية فإن شذوذ إحدى الكلمات العربية وخروجها عن الأوزان العربية لايعني بالضرورة أو ليس دليلاً على عجمتها نحو كلمة قُرْعِلَانَة وهي دويبة عريضة كما في اللسان (3) فإنها مكونة من سبعة حروف غير تاء التانيث، وأقصى بناء في العربية لما كان من الكلمات على ستة حروف وهو فعلليل، وهل يمكننا أن نقول إن قرعبلانة أعجمية لأنه لاوزن لها في العربية إلا إذا تكلفنا لها وزناً، ولن يكون له نظير.

الثالث: أن يكون أوله نون ثم راء نحو: نرجس. فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية.

الرابع: أن يكون آخره زاي بعد دال نحو: مهندز. فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية.

الخامس: أن يجتمع فيه الصاد والجيم نحو: الصولجان والجص.

السادس: أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو: المنجنيق.

السابع: أن يكون خماسياً ورباعياً عارياً عن حروف الذلاقة وهي: الباء، والراء، والفاء،

(1) العين مادة فخ.

(2) اللسان، مادة فخخ.

(3) مادة قر عيل.

واللام، والميم، والنون، فإنه متى كان عربياً فلا بد أن يكون فيه شيء منها نحو: «سفرجل، وقُدْعَمِل⁽¹⁾ وقُرْطُغِب⁽²⁾ وجَحْمَرِش⁽³⁾».

والنقاط الخمس الأخيرة يمكن ضمها تحت مسمى واحد هو الطريقة الصوتية ويؤخذ عليها التعميم المطلق الذي يمكن نقضه، وإن التنظير للدخيل والمعرب يقتضي الإلمام الكافي باللغات السامية الأخرى، فالعربية من أكثر هذه اللغات محافظة على ميراث السامية الأم فحفظت الكثير من الكلمات والعناصر اللسانية السامية التي يجب وضعها تحت النظر قبل تطبيق القوانين الصوتية آنفة الذكر.

3.4.3 المولد

وقد أطلق العرب هذا اللفظ على الغلام والجارية فقيل غلام مولد وجارية مولدة وهي «التي ولدت بين العرب، ونشأت مع أولادهم وتآدبت بأدابهم. ورجل مولد إذا كان عربياً غير محض»⁽⁴⁾.

فالمولد على هذا ليس من جنس العرب ليس أصيلاً في عرويته، وإنما هو طارئ وغير محض أو ليس خالص العروبة وعممت هذه الدلالة لتشمل الأشخاص وغيرهم كالكلام فأصبح المولد يعني: المحدث من كل شيء، وسمي المولد من الكلام مولداً إذا استحدثوه، ولم يكن من كلامهم فيما مضى⁽⁵⁾. والزمخشري يقول: «ومن المجاز كلام مولد ليس من أصل لغتهم»⁽⁶⁾ فكان الكلام الطارئ المحدث في العربية الذي لم يصدر عن المحتج بكلامهم؛ فافتقر إلى الأصالة العربية، أشخاص من أصل غير عربي يعيشون بين عرب خلص، حتى أن فئة من اللغويين والنقاد كأبي عمرو بن العلاء وابن رشيق عدّوا الشعراء بعد عصر الاحتجاج محدثين ومولدين؛ ولو كان أحدهم من أصل عربي، وأطلق على شعرهم لفظ مولد مقابل شعر الجاهلية وصدر الإسلام المحتج به، ومن أوائل الذين استخدموا المولد باعتباره مصطلحاً دالاً على الكلام غير المحتج به، أبو عمرو بن العلاء في نص ينقله ابن رشيق وهو «قال أبو عمرو: لقد حسن هذا المولد، حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته -يعني بذلك شعر جرير والفرزدق- فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر

(1) من النساء القصيرة ومن الإبل الضخم.

(2) الشيء الحقيق والخرقة البالية.

(3) العجوز.

(4) اللسان مادة «ولد».

(5) المرجع السابق.

(6) أساس البلاغة: مادة ولد.

الجاهليين والمخضرمين، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين، قال الأصمعي: جلست إليه ثمانتي حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي، وسئل عن المولدين فقال: ما كان من حسن، فقد سيقوا إليه، وما كان من قبيح، فهو من عندهم، ليس النمط واحداً⁽¹⁾.

وذكر ابن سلام سمعت يونس يقول ما كان بالبصرة مولد مثله...⁽²⁾. يقصد الفرزدق وأطلق الأصمعي لفظ "مولد" على الكلام فقد أورد السيوطي في المزهري أن "الأصمعي كان يقول: التحرير ليس من كلام العرب وهي كلمة مولدة"⁽³⁾. ويعرف السيوطي المولد بقوله: مما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بالفاظهم"⁽⁴⁾ وأورد كثيراً من الألفاظ المولدة، ولم يكتف بالتقعيد النظري للمولد. ويمكننا أن نستنتج من الأقوال المذكورة أنفاً عن المولدين من الشعراء ومن قول السيوطي: "أيام العجوز ليس من كلام العرب في الجاهلية، وإنما ولد في الاسلام"⁽⁵⁾ إن هناك معياراً زمنياً للمولد، وهو ما استحدث من الألفاظ بعد العصر الجاهلي. ويذكر بعد ذلك معياراً آخر هو التغيير الذي تحدثه العامة؛ حيث نقل عن أمالي ثعلب "أنه سئل عن التغيير: فقال: هو كل شيء مولد، ويعلق السيوطي: وهذا ضابط حسن يقتضي أن كل لفظ كان عربي الأصل، ثم غيرته العامة: بهمهز أو تركه أو تسكين أو تحريك أو نحو ذلك مولد، وهذا يجتمع منه شيء كثير. وقد مشى على ذلك الفارابي في قواعد الأدب فإنه قال في الضمع والشمعة بالسكون: إنه مولد، وإن العربي بالفتح وكذا فعل في كثير من الألفاظ"⁽⁶⁾ وبهذا الضابط يصبح الفرق بين المعرب والمولد المعيار الزمني فقط، ويأخذ المغربي بهذا المعيار فيعرف المولد بأنه "ما لم يعرفه أهل اللغة ولم ينطقوا به من الكلام وإنما استعمله المولدون، وجروا عليه في منثورهم ومنظومهم. والمولدون ليسوا من أهل اللغة الذين يحتج بهم في إثبات كلمها وصحة صياغتها ولا يحتج ذلك إلا بكلام الجاهلي أو المخضرم"⁽⁷⁾، وهذا الأمر ليس في صالح المولد، فتغيير التعريب يحدثه العرب في البنية اللغوية للألفاظ الأعجمية من أجل إلحاقها بالنظام اللغوي العربي صوتاً أو صرفاً أو تركيباً أو دلالة، والتوليد في ضابط السيوطي هو التغيير العام الذي قد يكون مخالفاً للقياس أو قد يكون لحناً، ويكون بهذا أقرب إلى التطور اللغوي، "بينما التوليد يتجه أساساً إلى التغيير الدلالي... ويأخذ في اعتباره التغيرات الاشتقاقية والتركيبية بما

(1) العمدة: 1/56.

(3) 1/304، والتحرير المأذوق المجرّب.

(4) المرجع السابق.

(5) المزهري: 1/304، وأيام العجوز خمسة أيام تتقلب فيها أحوال الطقس والمناخ والأنواء عند العرب.

(6) المرجع السابق: 1/310-311.

(7) الاشتقاق والتعريب، ص 62.

(2) طبقات نحول الشعراء: 1/352.

لها من اتصال مباشر في إعطاء اللفظ أو التركيب دلالة جديدة لم تعرفها العربية القديمة، وعلى ذلك فالمولد هو جزء من التغير اللغوي وليس العكس⁽¹⁾.

ويبدو أن الملخص السابق من الدكتور حلمي خليل مأخوذ من تعريف الدكتور حسن ظاظا للمولد الذي يركز فيه على التغير الدلالي للفظ العربي حيث يقول: "المولد: لفظ عربي البناء أعطي في اللغة لحديثه، معنى مختلفاً عما كان العرب يعرفونه مثل: الجريدة، المجلة، السيارة..."⁽²⁾.

وهو تعريف يأخذ في الحسبان إحدى طرق التوليد التي ذكرها المغربي في كتابه الاشتقاق والتعريب⁽³⁾ وهي:

1. طريق الاشتقاق: وهو أن يشتق المولدون كلمة من مادة عربية يعرفها أهل اللسان ولكنهم لم يعرفوا المذكورة ولم يشتقوها مثال ذلك:

(الفلسقية) للحوض الصغيرة له أنبوبة في وسطه ينبثق عنها الماء وقد اشتق لها هذا الاسم من مادة فسق وهو باللغة بمعنى الخروج ويمكننا أن نقيس عليها كلمة بئارة مثلاً التي تطلق في فلسطين على بستان البرتقال واشتقاقها من البئر. وكذلك الأنانية والعلمانية والهوية وغيرها.

2. طريق التعريب: وهو أن ينقل المولدون إلى لغتهم العربية كلمة من لغة أعجمية، لم يكن يعرفها العرب من قبل، مثال ذلك كلمة ماهية التي يراد بها المرتب الذي يتناولها الموظف في آخر الشهر، وهي كلمة مولدة من أصل فارسي فإن (ما) بمعنى شهر في الفارسية والماهية نسبة إليه أي شهريته. ويمكن التمثيل لهذا النهج بكثير من الألفاظ أو المصادر الصناعية ذات الأصول الأجنبية كالديموقراطية والدكتاتورية والبيروقراطية وغيرها.

3. الاستعمال التشبيهي: وهو ما استعمله المولدون على طريقة التشبيه والكناية لأنه لم يشتق من مادة لغوية اشتقاقاً ولم ينقل عن أصل أعجمي. وإنما هو كلمة أو تركيب كان أهل اللغة يستعملونه في معنى ثم جاء المولدون ونقلوه إلى معنى آخر واستعملوه فيه، مثال ذلك القَطَر، وكان العرب يستعملونه في معنى المَطَر، أما المولدون فإنهم استعملوه في هذا المعنى وفي السُكْر المَذَاب وهذا الاستعمال لم يعرفه العرب، ومثله القطار الذي كان يدل عند العرب على تقاطر الإبل ثم ولد منه معنى جديد وأصبح يدل على عدة مقطورات تجرها العرب وتسير على سكة حديدية.

(1) حلمي خليل: المولد في العربية: ص 168.

(2) كلام العرب: ص 79.

(3) ص ص: 62-65، وانظر كذلك: حلمي خليل، المولد: ص 184-185.

ويأخذ الدكتور حلمي خليل بالاعتبارات السابقة كلها ويعرف المولد الذي أرى الأخذ به لتحديد المقصود به اصطلاحاً وهو إن المولد "لفظ عربي الأصل أعطي مدلولاً جديداً عن طريق الاشتقاق أو المجاز أو نقل الدلالة ولم يعرفه العرب الفصحاء بهذا المعنى، وقد أضاف بعضهم ما عُرب بعد عصر الاحتجاج إلى المولد"⁽¹⁾. لأن توليد المعاني للألفاظ في عصر الاحتجاج يعتبر من التطوير الدلالي وقد سَدَّ المعرب والدخيل، إضافة إلى الاشتقاق والتطوير الدلالي حاجة العربية قديماً إلى المصطلحات، التي لم يتمرجع العرب في تعريبها لتعبر عن المفاهيم التي استجدت في صدر الإسلام وما تبعه من عصور تاريخية في العلوم المنقولة أو ذات النشأة العربية في جميع مناحي الحياة نحو: البريد والدينار والدرهم والهندسة والقيزياء والسرطان والزنجيل والكافور والكهنوت والاسطرلاب وقاطيغورياس (التي ترجمت بالمقولات) وأرثما طيقي (الحساب) والástرونوميا (علم الفلك). وإن التوليد، كان وما زال، أحد الوسائل اللغوية التي يمكن اللجوء إليها لسد حاجتنا إلى الاصطلاحات، فقد ولد العرب في العصر العباسي المقامة وأطلقوها على جنس أدبي معروف، كما حصل في العصر الأموي من توليد للتوقيعه واستعمالها مجموعة فيما سمي بالتوقيعات التي كان الخلفاء يذيلون بها كتبهم إلى ولاتهم نحو "كثر شاكوك وقل شاكوك فإمّا اعتدلت وإمّا اعتزلت". وفي العصر الأندلسي أطلق التوشيح على نمط معين من الشعر ظهر في الأندلس سميت منظوماته بالموشحات بمعنى أنهم ولدوا معنى جديداً للتوشيح لم يكن معروفاً لدى العرب.

وعليه يمكننا في العصر الحاضر أن نطبق طرق التوليد: التي استخلصها المغربي وذكرناها آنفاً وهي:

أ- التوليد الاشتقاقي:

يتيح لنا أن نولد: الحاسوب للكمبيوتر والحاكوم (للميموت كتنترول)، الكاشوف على الرادار، المذياع للراديو، وبالوصف كالمركبة الفضائية والقمر الصناعي والإنسان الآلي أو توليد المصطلحات المركبة نحو: كرة القدم، وكرة السلة، وكرة الطائرة.

والتوليد بتطوير المعنى أو تغييره نحو: الهاتف، السيارة، الطائرة، المدفع، القطار، والنفط، والطيار والصحيفة، والدبابة، والثلاجة، والغسالة، والصاروخ، والترتب العسكرية كالضابط والملازم والعميد، والعقيد، واللواء...الخ.

ب- التوليد التعريبي:

فهو على طريقة التعريب القديمة والعرب المحتج بلغتهم نحو: التلفزيون المعربة عن Television والانفلونزا والميكانيكي والدكتور، والبوليس، والكان، والسيرك، والتكتيك، والروتين،...الخ. ولا أقصد طبعاً ما يجري على ألسنة العامة نحو: فارمشية للصيدلية، أو

(1) المولد في العربية: ص 189.

اسببتار للمستشفى، أو فرتايم للعمل الإضافي (Overtime)، أو أفرهول (Overall) أو سويل في (civil) أي مدني، وإنما أقصد التعريب الذي تقوم به الهيئات العلمية وتقره المؤسسات المخولة بهذا الأمر في عصرنا كالمجامع اللغوية والجامعات والمؤسسات التعليمية الأخرى.

5.3 المعرّب في القرآن الكريم

يبدو أن الجدل حول وقوع اللفظ الأعجمي في القرآن الكريم، هو نقطة البداية في إثارة قضية التعريب عند القدماء. ولم يحسم الخلاف بين علماء العربية حول احتواء القرآن الكريم ألفاظاً أعجمية كالقسطاس والاستبرق والمشكاة واليم والقسورة، من عدة لغات من الفارسية أو الهندية والرومية (اليونانية أو اللاتينية)، والحيشية والسرانية والعبرية والقبطية. وإن كنا نتحفظ على اعتبار اللغات السامية من أحوات العربية لغات أعجمية، لأن بينها وبني العربية نسباً لا يمكن تجاهله عند تصنيف الألفاظ والبحث عن أصولها.

وقد انقسمت آراء العلماء قديماً وحديثاً حيال هذه القضية إلى ثلاثة:

الرأي الأول: يقف وراءه مجموعة من العلماء العرب، يرون عدم وقوع المعرّب في القرآن الكريم. ومن هؤلاء الإمام الشافعي وابن جرير الطبري وأبو عبيد معمر بن المثنى وابن فارس والفخر الرازي وغيرهم من علمائنا القدامى وقد اتخذ هذا الفريق من الآيات التي صرحت بأن القرآن الكريم عربي دليلاً وحجة نحو قوله تعالى: "إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون" ⁽¹⁾ وإن اللسان الذي نزل به القرآن عربي كقوله تعالى "ولنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين" ⁽²⁾. وأيدت وجهة نظرها كذلك بنفي العجمة عنه بقوله عز وجل "ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فضل آياته لأعجمي وعربني" ⁽³⁾ وعلق الشافعي على الآيات الكريمة السابقة بقوله: "فأقام حجه بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه -جل ثناؤه- كل لسان غير لسان العرب" ⁽⁴⁾.

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فيتهم من يقول بوجود الأعجمي بالجرأة وتجاوز الحد حين يقول: "نزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم

(1) يوسف- آية 2.

(2) الشعراء: الآيات 192-195.

(3) فصلت: الآية 44.

(4) الرسالة: ط1، انظر ص ص 41، 42، 47.

القول، ومن زعم أن طه بالنبطية فقد أكبر...⁽¹⁾ وقد فسر ابن فارس المقصود بقوله أعظم وأكبر بقوله "تأويل أنه أتى بأمر عظيم وكبير، وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمعطه لأنه أتى ببلاغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه"⁽²⁾ وكأنه يفسر سبب رفض أبي عبيدة، وهو حذرُه من الطعن في إعجاز القرآن؛ وكان العرب لا يعرفون هذه الألفاظ، أو كأن الإعجاز مرهون بالمفردات دون تركيبها.

ويفسر أبو عبيدة وجود هذه الألفاظ التي يعتقد أنها أعجمية بأنه من قبيل توافق اللغات بقوله: "وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه، ومعناهما واحد واحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها فمن ذلك الإستبرق بالعربية وهو الغليظ من الديباج... وهو بالفارسية استبره"⁽³⁾ ويفهم من قوله هذا أنه يتكلم عن الأعجمي وليس المعرب لأنه عدّ الإستبرق عربية، لما ليست استبره الثوب العربي بما حدث لها من تغييرات صوتية. وإذا كان كلام علمائنا الرافضين لوجود اللفظ الأعجمي في القرآن الكريم على هذه الشاكلة؛ فإن الإشكال ينتفي وأصبح التوفيق بينه وبين الفريق المقابل أمراً سهلاً.

ونجد عند ابن عطية وابن جرير الطبري تفسيراً آخر وهو أن هذه الألفاظ أصيلة في العربية وأخذها عنهم غيرهم بعد اختلاطهم بهم؛ بمعنى أن الألفاظ دخيلة في لغة الفرس حيث نقلوها عن العرب حيث يقول: "لم نحكم بأن العرب هم الذين تأثروا بغيرهم فنقلوا عنهم ألفاظاً من لغتهم واستعملوها في أشعارهم، ومحاوراتهم، حتى جرت مجرى العربي الفصيح؟ وإيش المانع من أن يكون العرب هم الذين قد أثروا في غيرهم من الأعاجم ممن خالطوهم، فأخذ هؤلاء عنهم تلك الكلمات المستعملة في العربية أصلاً، ونقلوها عن العرب، واستعملوها في لغتهم على صورتها أو مع إجراء تحريف فيها حسب اتجاه ألسنتهم؟ مع القول بأن اللغة العربية قديمة... فيكون قولهم: إن هذه الألفاظ أصيلة في كلام غير العرب دخيلة في كلامهم، ليس بأولى من العكس، فإن العرب لا يخلو أن تكون تخاطبت بها أولاً، ولا يبعد أن يكون غيرهم قد وافقهم على بعض كلماتهم وكما قال بذلك الإمام أبو عبيدة"⁽⁴⁾ وتجد التفسير نفسه عند الطبري حين يقول عن الألفاظ المقصودة إن: هذه الأحرف وما أشبهها من الأحرف غيرها، أصلها عربي، غير أنها وقعت إلى سائر أجناس الأمم غيرها، فنطقت كل أمة منها ببعض ذلك بالسنتها من الوجه الذي يجب التسليم له..."⁽⁵⁾ مع أنه

(1) مجاز القرآن: 1/17.

(2) الصاحبي: ص 63.

(3) مجاز القرآن: 1/17-18.

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 1/ص 69.

(5) جامع البيان: 1/10-11 من خطبة الكتاب.

في موضع سابق يظهر ميلاً واضحاً إلى أنه يعد هذه الألفاظ من قبيل توافق اللغات حيث يقول: "قد وجدنا اتفاقاً كثير منه (أي الكلام) فيما قد علمناه من الأسطة المختلفة، وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس وغير ذلك مما يتعب احصاؤه... مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى..."⁽¹⁾.

ونجد التفسير نفسه عند الفخر الرازي الذي ينقل عنه السيوطي "وقال الإمام فخر الدين الرازي وأتباعه: ما وقع في القرآن من نحو المشكاة والقسطاس والإستبرق والسَّجِيل، لانسلم أنها غير عربية؛ بل غايته أن وضع العرب وافق لغة أخرى كالصাবون والتَّنُور؛ فإن اللغات فيها متفقة"⁽²⁾.

ويبدو أن الأستاذ أحمد محمد شاكر والدكتور عبد العال سالم مكرم في العصر الحديث يميلان إلى أن هذه الكلمات عربية الأصل، أي إنهم يوافقون ابن عطية وابن جرير الطبري حين يقول أولهما في مقدمة تحقيقه للمعرب: "والعرب أمة من أقدم الأمم، ولغتها من أقدم اللغات وجوداً، كانت قبل إبراهيم وإسماعيل وقبل الكلدانية والعبرية والسرانية وغيرها بله الفارسية، وقد نهب منها الشيء الكثير بذهاب مدنيتهم الأولى قبل التاريخ، فلعل الألفاظ القرآنية، التي يظن أن أصلها ليس من لسان العرب، ولا يعرف مصدر اشتقاقها، لعلها من بعض ما فقد أصله، وبقي الحرف وحده"⁽³⁾ وهو افتراض قد يصادف الحقيقة. وأما الآخر وهو الدكتور مكرم فيحتكم إلى المنطق العام معتبراً أن العربية كانت لغة مؤثرة وأنه يستبعد أن تقع في القرآن الكريم كلمات مستعارة من لغات أخرى، وما يظن أنه مستعار هو في الأصل عربي أخذته الأمم الأخرى، ولأن الاستعارة كذلك تتعارض مع الآيات التي تدل صراحة على أن القرآن عربي اللسان، ويفهم ذلك من قوله: "إن لغة احتكت بغيرها من اللغات الأخرى فأثرت فيها، ووصلت إلى هذه الدرجة من التطور لابد أن تكون مورداً لغيرها من اللغات الأخرى، تمدها بما تحتاج إليه من مفرداتها الواسعة، وبمرور الزمن أصبحت هذه المفردات العربية لبنات في بناء هذه الأمم، ولا يصح في مجال التفكير السليم أن نقول: إن القرآن الكريم استعارها من هذه اللغات، إننا قلنا ذلك، فهذا تحكم لاتسده إلا هذه الأخبار التي ذكرها الرواة، هي أخبار واهية تتعارض مع صريح القرآن الكريم حينما يقول: "إننا أنزلناه قرآناً عربياً"⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق: 9، 8/1.

(2) المزهري: 267/1.

(3) المعرب للجو اليقي: المقدمة.

(4) دفاع عن كتاب الله تعالى: قضية الكلمات الأعجمية في القرآن الكريم، مقال للدكتور عبد العال مكرم بمجلة الوعي الإسلامي الكويتية العدد 82، شوال 1391هـ ص 13.

والحقيقة إن حديث الدكتور مكرم لايقوى أمام المناقشة فهو مبني على الافتراض، فضلاً عن أن ورود ألفاظ معربة في القرآن الكريم لا يخل بعربية لسانه ولا يخل بقداسته أو إعجازه ولا يتعارض مع التفكير السليم. والعربية كغيرها من اللغات تتعرض لظاهرتي التأثير والتأثر ولا يضيرها أن تأخذ كما تعطي، وهو قانون لغوي عام، تخضع له جميع لغات الدنيا.

الرأي الثاني: الذي يرى أصحابه وقوع المعرب في القرآن الكريم

فقد روي عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم من أهل العلم أنهم قالوا في أحرف كثيرة إنه بلغات العجم، هذا قول أهل العلم من الفقهاء. هذا مانقله السيوطي⁽¹⁾ عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وقد ذكر أمثلة من المعرب نحو: اليمّ والطور والصراط والقسطاس والفردوس والمشكاة وغيرها.

ولاغرابة في هذا الرأي، ولاشذوذ حتى يبرهن على صحته فإن الإسلام دعوة عالمية، والقرآن خطاب إلهي موجه إلى الأمم فلا عجب إذا احتوى ألفاظاً من لغات الأمم الأخرى، ألفها العرب وأخضعوها لنظام العربية؛ فأصبحت محكومة بقوانينها وأصبح يجري عليها أحكام قواعدما وأبنيته؛ لذا سميت معربة بعد أن كانت أعجمية، فقد قيست على كلام العرب، وما قيس على كلامهم فهو منه وهي مقولة قديمة قالها المازني⁽²⁾ وتبعه فيها ابن جني⁽³⁾.

ويقر هذا المفهوم أو التوجه الدكتور رمضان عبد التواب من المعاصرين بقوله "الكلمة المعربة تصبح عربية باستعمال العرب إياها في لغتهم ولذلك من العبث إنكار وقوع المعرب في العربية الفصحى والقرآن الكريم"⁽⁴⁾.

وأما الإجابة⁽⁵⁾ عن قوله تعالى: "قرآناً عربياً" بأن: الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرج عن كونه عربياً كما أن القصيدة الفارسية مثلاً - لا تخرج عن كونها فارسية - بورد كلمة عربية فيها، وكذلك إن المقصود بقوله تعالى "أعجمي وعربي"⁽⁶⁾ بأن المعنى من السياق: أكلام أعجمي ومخاطب عربي.

الرأي الثالث: وهو الرأي التوفيقى بين الراض لوقوع المعرب والقائل بوقوعه في القرآن الكريم، ويقوده أبو عبيد القاسم بن سلام الذي أزن بين الرأيين بقوله: "والصواب من ذلك عندي -والله أعلم- مذهب فيه تصديق القولين جميعاً. وذلك أن هذه

(1) الزمهر: 268/1.

(3) الخصائص: 359/1.

(4) مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العددان 143، 143/143.

1404 هـ من مقال للدكتور رمضان عبد التواب بعنوان: العربية الفصحى وتحديات العصر.

(5) انظر: الإنقار للسيوطي، 178/1، ومقدمة المذهب للسيوطي، ص 12.

(6) من الآية -44 سورة فصلت.

الحروف وأصولها عجمية - كما قال الفقهاء - إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربت بها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب. فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال عجمية فهو صادق⁽¹⁾ فهو يقرر أنها كانت عجمية، وأصبحت بعد تعريبها عربية. وكما يقول الأستاذ عبد القادر المغربي: "إن الكلمة الأعجمية إذا استعملتها العرب على منهاجها أصبحت عربية أو نقول: تحولت عربية بحيث يصح أن ينزل بها الوحي الإلهي، ومن قال: إنها أعجمية كان صادقاً، فهي أعجمية في الابتداء، عربية في الانتهاء. وعلى هذا يكون قوله تعالى: "إنا أنزلناه قرآناً عربياً" حقاً وصدقاً وفي القرآن على هذا كثير من الكلمات المعربة"⁽²⁾.

وفي رأسي أن هذا الرأي ماهو إلا صياغة ذكية لرأي القائلين بوقوع المعرب في القرآن الكريم؛ الذي يقر ضمناً بدخول المعرب أو الأعجمي الذي جرت عليه سنن العربية من التغيير.

6.3 التصنيف في الألفاظ المعربة

وقد اتخذ التصنيف في التعريب شكلين فمن اللغويين من اتجه إلى تأليف الكتب التي هي أقرب إلى المعاجم لاهتمام مؤلفيها في الدرجة الأولى بجمع الألفاظ المعربة والدخيلة كالمعرب للجو اليقي وشفاء الغليل للخفاجي. والمعربات الرشيدية لعبد الرشيد الجسيني، ولم تخل هذه المصنفات من مقدمات تنظيرية كضوابط التعريب. ومنهم من اهتم بالألفاظ المعربة في القرآن الكريم كالسيوطي في كتابيه المذهب والمتوكلي. ومن اللغويين من تناول قضية التعريب والألفاظ المعربة على أنها قضية علمية، وانشغلوا بالتقعيد واستنباط قواعده والبحث في أصول الألفاظ؛ أي اهتموا بالبحث النظري لهذه القضية وأول من شغل بها سيبويه في كتابه في باب ما أعرب من الأعجمية، وباب اطراد الإبدال في الفارسية والتقريب لأصول التعريب كطاهر الدمشقي، والتعذيب في أصول التعريب لأحمد عيسى والاشتقاق والتعريب لعبد القادر المغربي، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية للدكتور نور الدين آل علي، وأثر الدخيل على العربية النحصى في عصر الاحتجاج للدكتور مسعود بوبو، والمولد في العربية للدكتور حلمي خليل.

(1) الصاحبي / 62-63.

(2) الاشتقاق والتعريب: ص 83.

ولا يُغني هذا التقديم عن سرد المصنفات المتخصصة في التعريب تاريخياً كما يلي:

اسم المؤلف	اسم الكتاب
أبو منصور الجواليقي (540 هـ)	- المعرب من الكلام الأعجمي
لاين بري (ت 582 هـ)	- حاشية ابن بري على كتاب المعرب
عبد الله بن محمد البشبيشي (ت 820 هـ)	- التذييل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل
لجلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)	- المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب
للسيوطي (ت 911 هـ)	- المتوكلي فيما في القرآن من المعرب
لاين كمال باشا (ت 940 هـ)	- التعريب (رسالة) طبعت مع رسالة أخرى للمنفشي بعنوان رسالتان من المعرب
لعبد الرشيد الحسيني (ت 1068 هـ)	- المعربات الرشيدية
شهاب الدين الخفاجي (ت 1069 هـ)	- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل
لمصطفى المدني (ت في القرن 11)	- المعرب والدخيل
محمد الأمين المحبي (ت 1111 هـ)	- قصد السبيل فيما في اللغة من الدخيل
محمد نهاني (ت 1885 م)	- الطراز المذهب في الدخيل والمعرب
أحمد القوصي (ت في القرن 13)	- المعرب في القرآن الكريم
رشيد عطية البتاني (ت 1898 م)	- الدليل إلى مرادف العامي والدخيل
أدي شير الكلداني (ت 1908 م)	- الألفاظ الفارسية المعربة
طاهر بن صالح الدمشقي (ت 1337 هـ)	- التقريب لأصول التعريب
أحمد عيسى (ط 1342 / 1923 هـ)	- التهذيب في أصول التعريب
طوبيا العنيسي الحلبي (طبع 1932 م)	- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية
عبد القادر المغربي (طبع 1366 هـ)	- الاشتقاق والتعريب
للدكتور مسعود بوبو (ط 1982 م)	- أثر الدخيل على العربية الفصحى
للدكتور حلمي خليل (ط 1985 م)	- المولد في العربية
للدكتور إبراهيم بن مراد (ط 1985 م)	- المصطلح الأعجمي
- قضية التعريب ومتطلبات العصر: رسالة دكتوراه مخطوطة للدكتور يحيى محمود الجندي.	
- المعرب في القرآن الكريم، دراسة تأصيلية دلالية: رسالة ماجستير مخطوطة لمحمد السيد بلاسي.	
والرسلانان مخطوطتان في مكتبة جامعة الأزهر.	

7.3 موقف علمائنا من التعريب قديماً وحديثاً⁽¹⁾

إنه من الأهمية بمكان أن نتعرف مواقف علمائنا في اللغة والتفسير والفقه والفلسفة والطب والصيدلة من التعريب والاقتراض اللغوي لسد الحاجة إلى المصطلحات؛ لأن أمتنا تعرضت في تاريخها مرتين أو خاضت العربية تجربتين احتاجت فيها إلى ألفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم. وكانت التجربة الأولى بعد الإسلام وفتوحاته حين وجد العرب أمامهم حضارات متقدمة للأمم التي غلبوها عسكرياً ولكنها كانت متفوقة علمياً كالفرس واليونان والهنود، فكان على العرب أن يهضموا علوم هؤلاء ويضيفوا إليها؛ ليلحقوا بها، فهم في تحدي؛ فأقبلوا على هذه الحضارات واستوعبوا ما استطاعوا في جميع نواحي العلم والحياة، واقترضوا الألفاظ والمصطلحات التي احتاجوا إليها، واستوعبت العربية ما أدخله إليها أصحابها دون شعور بالضعف أو النقص؛ فكانت وسائل التوليد والتعريب في متناول أيديهم ولم يتورعوا عن أخذ المصطلحات الأعجمية في البداية واستعملوها كما في كلاًسترونوميا والأرتماطيقي والريطوريقا والبولييطيقا والأنولوطيقا والجيويمطري حتى إذا استوت لديهم هذه العلوم وهضموها وضعوا البدائل العربية لها ولغيرها فصرنا نقرأ في كتب التراث: علم الفلك وعلم الحساب والبلاغة والسياسة والقياس والهندسة... إلخ بدلا من المصطلحات السابقة فتطورت العلوم عندهم وبرزت إنجازاتهم.

أما التجربة الثانية ففي العصر الحديث التي جاءت بعد فترة سبات طالت من أواخر العصر العباسي إلى أواخر الحرب العالمية الأولى حيث كانت التركية هي اللغة السائدة ولغة العلم والحضارة. وجابه العرب هذه التجربة بخوف ووجل لأنهم أمة مغلوقة على أمرها، حيث خرجوا من نير الحكم التركي الذي لم ينصفهم ليقعوا بعد ذلك في براثن المستعمر الأوروبي الجائر فظهر عجزهم وبدأ ضعفهم واضحا؛ لأنهم كانوا مغلوبين على أمرهم بعكس التجربة الأولى التي كانوا فيها سادة أقوياء يملكون زمام أمرهم بيدهم، فظهرت المحاولات فردية وجماعية ولكنها ضعيفة متعثرة وعلى استحياء حتى امتلك العرب زمام الأمور وبدأت عجلة النهضة تدور وتترك آثارها، وبدأت المحاولات فردية في الجامعات أو المعاهد الطبية والعلمية الأخرى ثم ظهرت المؤسسات العلمية كالمجامع اللغوية والعلمية والجامعات تستكمل الجهود في متابعة عمليات التعريب. ويمكننا بعد هذا التقديم أن نوجز مواقف علمائنا قديماً وحديثاً إزاء التعريب والاقتراض في أربع نزعات⁽²⁾ هي:

(1) انظر: إبراهيم بن مراد، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية: ص 5-74، فقد أشبع المسألة في مقدمة بحثه، وفضل القول في آراء العلماء إزاء هذه القضية.

(2) انظر: إبراهيم بن مراد، المرجع السابق: ص 5-74، وهو مرجعنا في توزيع هذه النزعات.

1.7.3 نزعة موضوعية

تقر بوجود الاقتراض اللغوي في اللغة العربية، وأن الألفاظ المقترضة قد أخضعت لمظاهر التعريب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. وأغلب أصحاب هذه النزعة من اللغويين كالخليل بن أحمد وسيبويه وابن جني والحواليقي والسيوطي والخفاجي. ويمكن أن نضيف إليهم كل من أقروا بوجود المعرب في القرآن الكريم كابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة، ومنهم الجوهري صاحب الصحاح والفيروز آبادي في القاموس المحيط.

2.7.3 نزعة رافضة لمبدأ الاقتراض اللغوي

وأغلب أصحاب هذه النزعة من المفسرين والفقهاء كالشافعي وابن جرير الطبري ومن أخذ برأيهم من اللغويين كأبي عبيدة معمر بن المثنى وأحمد بن فارس ومن المحدثين أحمد الاسكندري وعز الدين التنوخي والشدياق والألوسي والرافعي.

3.7.3 نزعة علمية تقر بوجود الاقتراض

و ضرورته نظراً للحاجة العلمية الماسة ويمثل هذه النزعة العلماء المشتغلون بالعلوم التطبيقية كالطب والصيدلة، والفلك والجغرافيا والفلسفة ومن اشتغل كذلك بالترجمة إلى العربية، كحنين بن إسحق العبادي، وابن سينا وابن الجزار القيرواني والشريف الإدريسي وابن البطار وحديثاً أقر بجواز التعريب مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ 1934م في الألفاظ الفنية والعلمية التي لا مقابل لها في العربية أو بالأحرى التي يُعجز عن إيجاد مقابل لها يحل محلها، ومن الأفراد حفني ناصف ويعقوب صروف والصابي النجفي وعبد القار المغربي، الذي يقول "هناك اختراعات أوجدها قوم من غير أبناء لغتنا ووضعوا من كلمات الأحداث والمعاني، التي تشق ويشق منها -ما يتعلق باستعمال تلك الاختراعات، ويدل على طرق الانتفاع بها، اخترعوا الأتومبيل مثلاً وسموه بهذا الاسم، فنحن معشر العرب نأخذُه ونأخذ اسمه كما أخذ أسلافنا المنجنيق واسمه من لغة اليونان"⁽¹⁾ وأما مجمع اللغة العربية فوقف موقفاً متشدداً إزاء ما اقترضه المولدون والمحدثون يلخصه الدكتور علي عبد الواحد وإني في كتابه فقه اللغة⁽²⁾ حيث يقول "أما ما استخدمه المولدون في مختلف العصور، وما أدخله بعض المحدثين في العصر الحاضر، أو يرى إدخاله في اللغة العربية، من كلمات أجنبية تتعلق بالمخترعات، أو بالمصطلحات العلمية أو الفنية،

(1) الاشتقاق والتعريب، ص 74.

(2) ص ص 201-202.

فقد رأى مجمع اللغة العربية عدم جواز استعماله لأنّ في العربية غنى عنه، ولأن في بطون معجماتها مئات الألف من الكلمات المهجورة، الحسنة النغم والجرس الكثيرة الاشتقاق، مما يصلح أن يوضع للمسميات، بدون حدوث اشتراك لأن بعثها من مرادف الإهمال والنسيان، يصيرها كأنها موضوعة وضعاً جديداً"، وقد حاول المجمع وضع الألفاظ للمسميات الحديثة التي اعتاد الناس أن يستخدموا كلمات أجنبية للدلالة عليها. والجميع يعرف أن كثيراً من مصطلحاتهم لم يلاقِ الشيعون بين الناس وما زال محفوظاً بين طيات أدبياتهم نحو: الخيالة للسينما، والملوحة للمسافور والمذيع للراديو والمرناة للتلفزيون والشطيرة للساندويش؛ وكأن المجمع أراد أن يقف موقفاً وسطاً بين الرفض والقبول، فقبل المصطلحات العلمية والفنية مما لا سبيل لإيجاد ما يحل محله ورفض غيره؛ لذا نراه يصدر قراره المتحفظ "يجوز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية، عند الضرورة، على طريقة العرب في تعريبهم".

4.7.3 نزعة متذبذبة

حائرة بين موقفين الرفض المطلق لظاهرة الاقتراض والقبول الحذر به. وأصحاب هذه النزعة من المحدثين أمثال الكرمللي والشهابي لأنهم تشبثوا ببعض الآراء القديمة الرافضة للاقتراض، وفي الوقت نفسه تواجههم الحاجة إلى المصطلحات العلمية فيتراخون في رفضهم وتضعف معارضتهم ويضطرون إلى القبول بما يسد الحاجة بالاقتراض إذا لم تفِ بها وسائل التوليد الأخرى.



أسئلة التقويم الذاتي (5)

1. ما المقصود بالتعريب لغة واصطلاحاً؟ وما أقسام المعرّب حسب التغيير أو الإلحاق؟ وما الفرق بين المعرّب والدخيل؟
2. وما مستويات التعريب، مع التمثيل؟
3. ما أدلة معرفة الدخيل التي استخلصها أئمة اللغة القدامى؟
4. ما المولد؟ وما طرق التوليد التي ذكرها المغربي في كتابه الاشتقاق والتعريب؟ مع التمثيل لكل منها؟
5. انقسم العلماء قديماً وحديثاً إزاء المعرّب في القرآن الكريم إلى ثلاثة آراء اذكرها؟
6. اذكر مواقف العلماء إزاء الاقتراض اللغوي. مع تفصيل القول في رأي مجمع اللغة العربية في القاهرة.
7. ما أشكال التصنيف في الألفاظ المعرّبة، مع التمثيل لكل نوع؟



تدريب (5)

1. بيّن ما حصل من تغيير للكلمات التالية عند تعريبها: باص، ميكانيكي، كاز، الليسانس، سندويش.
2. اذكر بعض الألفاظ مما ورد في القرآن الكريم ويظن أنها من أصل غير عربي.

4. من مظاهر تعدد المعنى في العربية

1.4 الترادف Synonymy

هو في اللغة " تتابع شيء خلف شيء، وترادف الشيء تبع بعضه بعضاً، والترادف التتابع"⁽¹⁾ وفي الاصطلاح جاء في المزهر " قال الإمام فخر الدين هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد"⁽²⁾، وأما التهانوي في القرن الثاني عشر الهجري فيقول عنه : وعند أهل العربية والأصول هو توارد لفظين أو ألفاظ كذلك في الدلالة على الانفراد أو بحسب أصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة"⁽³⁾. من المعاصرين يقول اللغوي الإنجليزي أولمان " المترادفات ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينهما في أي سياق"⁽⁴⁾، والقدماء أكمل وأكثر دقة في تعريفهم، تظهر هذه الدقة بقولهم :

"من جهة واحدة"، " باعتبار واحد " مراعاة للتفريق أو للتباين بين الاسم والصفة فالسيف والحسام وإن دلّ على شيء واحد لكن الأول باعتبار الاسم والثاني باعتبار الصفة، وكان هذا التعريف لا يعترف بالترادف بين الحسام والسيف، ولكن يمكن أن يكون هناك ترادف بين الحسام والصارم باعتبارهما صفتين، أو بين الأسد والليث باعتبارهما اسمين. ووضع التهانوي قيداً آخر وهو قوله : " بحسب أصل الوضع " مما يفيد أن الترادف الناشئ عن غير ذلك لا يدخل في اعتباره. ولا يفوتنا التنويه بأن تعريف القدماء هو أقرب إلى معنى الترادف في اللغة ؛ فالتوارد هو بصورة أو بأخرى تتابع، والتتابع هو الترادف. ولم يقر القدماء مطلقاً باتحاد المعنى بين المترادفات كما فعل أولمان، فكل ما قالوه أن

(1) اللسان مادة " ردف".

(2) السيوطي: تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفيقه: 442/2.

(3) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: 66/3.

(4) دور الكلمة في اللغة: ص98.

لفظتين أو أكثر تتوارد للدلالة على معنى واحد؛ ومعنى ذلك أن هذه الألفاظ قد نوردها قاصدين الدلالة على معنى معين كقولنا: السيف والبتار؛ لاشتراكهما في صفة القطع. ونحن الذين عقدنا الصلة وقصدنا هذا المعنى بدليل أنني أستطيع أن أطلق صفة "بتار" على أية آلة حادة مثل السكين وأدوات الجزار، فكلمة بتار ليست وفقاً على السيف. وهذا يعني أنه لا اتحاد بينهما في المعنى وإن دالا على شيء واحد أو بالأحرى على معنى واحد وهو القطع في الشيء الواحد وهو السيف.

وأما قول أولمان "قابلية للتبادل فيما بينها في أي سياق" ينقضه قوله: "وبالجملة سوف يتبين لنا أن معظم المترادفات ليست إلا أنصاف أو أشباه مترادفات وأنه لا يمكن استعمالها في السياق الواحد أو الأسلوب الواحد دون تمييز بينهما"⁽¹⁾.

والترادف، قديماً وحديثاً، كان مجال أخذ ورد من اللغويين فكانوا ما بين منكر ومؤيد. ويبدو أن أرسطو كان من أول المنكرين له حيث يقول: "ومن الخطأ أن نجاري ما قيل من أن تداول العبارات المختلفة على المعنى الواحد لا يضره ولا يغير منه، لأن هناك عبارة أحق بالمعنى من أخرى غيرها، وعبارة ألصق بالمعنى من غيرها، وهناك عبارة تمثل المعنى أمام العين أكثر من الأخرى كذلك الكلمة يمكن مقارنتها بالكلمة الأخرى ويختلف معنى كل منهما"⁽²⁾. يعني أنه مهما اقترنت كل كلمة بأخرى للدلالة على معنى فإن هناك فرقاً بينهما وهذا يوضح دون مواربة رأي أرسطو الذي لا يقول بالترادف.

وظهر الخلاف عليه في العربية في القرن الثالث الهجري حيث أنكره أبو العباس ثعلب المتوفى سنة 291هـ بناء على ما ورد في المخصص: "وأما كون اللفظين المختلفين لمعنى واحد فقد كان محمد بن السري حكى عن أحمد بن يحيى أن ذلك لا يجوز عنده"⁽³⁾.

وأما في القرن الرابع الهجري فيقف أبو علي الفارسي (377هـ) وابن فارس (395هـ) معارضين لفكرة الترادف بين الألفاظ فقد أورد السيوطي: قال العلامة عز الدين بن جماعة في شرح جمع الجوامع، "حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال: كنت بمجلس سيف الدولة بجلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه. فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسماً فتبسم أبو علي

(1) المصدر السابق: ص 99.

(2) إبراهيم سلامة: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ص 265، نقلاً عن "الخطابة" ص 298-299.

(3) ابن سيده: المخصص: 13/259، ط 1، مطبعة بولاق، مصر، 1320هـ ومحمد بن السري هو ابن السراج (316هـ)، وأحمد بن يحيى هو أبو العباس ثعلب (ت 291هـ).

وقال : ما أحفظ إلا اسماً واحداً وهو السيف قال ابن خالويه: فأين المهند والصارم وكذا وكذا، فقال أبو علي : هذه صفات وكان الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة⁽²⁾ وأما ابن فارس فيتابع شيخه أبا العباس ثعلب ويقول معارضاً ومنكراً للترادف: "ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام، والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى. وقال آخرون : ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر، قالوا : كذلك الأفعال نحو مضى وذهب وانطلق وقعد وجلس، ورقد ونام وهجع، قالوا ففي قعد " معنى ليس في (جلس) وكذلك القول فيما سواه وبهذا نقول، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب⁽²⁾ . وهكذا يتفق على إنكار الترادف من اللغويين النابيين كوفيان ثعلب وتلميذه ابن فارس " وبصري هو أبو علي الفارسي.

والمستشرق الألماني " نولدكه " يؤيد الفارسي وابن فارس بقوله " يجب أن نفر بأن معاجم اللغة العربية قد تضخمت كثيراً بكلمات استعملها الشعراء وصفاً لأشياء فذكرها اللغويون على أنها أسماء لتلك الأشياء، كالهيزم من الهضم أي الكسر للأسد والهراس من الهرس أي الدق، وضع أصحاب المعاجم الكلمتين على أنهما اسمان مرادفان للأسد⁽³⁾ .

وينكر أيضاً وجود الترادف في اللغة من الأصوليين وعلى رأسهم الحكيم الترمذي (ت 354 هـ) ويستدلون على ذلك بحجتين أوردهما الأستاذ على الجندي⁽⁴⁾ : والأولى أنه يؤدي إلى اختلاف في الفهم، فقد يعلم الإنسان لهذا المعنى لفظاً ويعلم الآخر لفظاً آخر، ومع تأدية اللفظين لمعنى أحد فلا يعلم كل واحد منهما أن لفظ الآخر يدل عليه، وحينئذ يتعذر التفاهم بينهما.

والحجة الثانية : أن الاسم المترادف يتضمن تعريف المعروف وهو خلاف الأصل.

ومن اللغويين المحدثين من يذكر الترادف من ذلك ما يستنتجه د. بشر من قول Bloomfield بلومفيلد أنه : " إذا اختلفت الصيغ صوتياً وجب اختلافها في المعنى"⁽⁵⁾ يعني أن بلومفيلد، حسب هذه المقولة، لا يعترف بالترادف بناء على أن الاختلاف في اللفظ سيؤدي حتماً إلى الاختلاف في المعنى. وفي ذلك نظر لأنه إذا صدقت هذه المقولة في كثير من الحالات لا تصدق كلها، وإلا فما حكم الكلمات الإنجليزية التالية Kingly،

(1) المزهري 1/405، ووردت الرواية نفسها تقريباً في نزهة الألباء: ص312.

(2) الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص65.

(3) أحمد أمين: فجر الإسلام: ص54، هـ-1995م.

(4) البلاغة الغنية: ص218.

(5) دور الكلمة في اللغة، ملاحظة المترجم وهو الدكتور كمال بشر رقم 74 ص110.

Royal, Regal التي تدل على معنى واحد وهو " ملكي " مع اختلاف لفظها، أي اختلافها صوتياً.

ويستنتج الدكتور بشر رفض فيرث للمترادفات أيضاً من خلال تعريفه للمعنى اللغوي وهو: " عبارة عن مجموعة من الخصائص والمميزات اللغوية للكلمة أو العبارة أو الجملة " (1) بمعنى أن الكلمات لا تتفق في خصائصها ومميزاتها اللغوية كالمميزات الصوتية مثلاً وبالتالي ينعقد التوافق في المعنى والنتيجة الحتمية لهذا حسب تعبير دكتور بشر هي عدم وجود الترادف.

وأما بالمر مع أنه يقول في بداية كلامه عن الترادف إن " اللغة الإنجليزية على وجه الخصوص غنية بالمترادفات " (2) فإنه يردفها مقررراً " أنه لا توجد مترادفات حقيقية، لأنه لا توجد كلمتان لهما نفس المعنى أو متفقتان تماماً فسي معنييهما " والأستاذ ترننش Trench (1807-1886) يسبقه إلى هذا الرأي حيث يقول : " إن كلمات اللغة الواحدة، لا يمكن أن تكون مرادفة تمام الترادف لكلمات أخرى، وأنه عند مقابلة إحداها بقرينتها، لا بد أن يكون في أحد المعنيين زيادة أو نقص، يحول دون الاتفاق التام " (3)، أي إنها قد تشترك في معنى أساسي عام إلا أن كلاً منها يتضمن فروقاً جزئية تنفرد به كل واحدة عن الأخرى وهذه الفروق تجعل " كل كلمة تقتضي خلاف ما تقتضيه الأخرى وإلا لكانت إحداها فضلاً لا يحتاج إليه " (4)، ولولا هذه الفروق لسميت - كما يقول الشدياق المتساوية. وأما تشارلتن فيقول : " اللفظتان المترادفتان تتقاربان كما يتقارب الشقيقان ولكنهما لا تتماثلان تماثل الأصل والصورة " (5).

ونجد عند الدكتور محمود حجازي مثل هذا الرأي أو ما يقاربه إلى حد بعيد في قوله: " في ظل مبدأ نسبية الدلالة يندر أن تكون هناك كلمات تتفق في ظلال معانيها اتفاقاً كاملاً، ومن الممكن أن تتقارب الدلالات لا أكثر ولا أقل، فالألفاظ المترادفة هي بهذا المعنى ذات الدلالة المتقاربة " (6).

وفي معرض تعليقه على رأي ترننش يعترض الأستاذ علي الجارم على هذا الرأي قائلاً: " ولا شك أن في هذا الرأي شيئاً من الغلو، وربما كان قريباً من الحق في المعنويات

Palmer: Semantics: Cambridge University Press, Cambridge, 1977, PP, (1) 60-59.

Ibid (2)

Trench (Richard): On The Study of Words: J.M. Dent & Sons Ltd. London, 1936: (3) PP.94 (Lecture V-on the distinction of words

(4) أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، ص 13.

(5) البلاغة الغنية: ص 214.

(6) مدخل إلى علم اللغة: ص 79.

والوجدانيات، وأما في المحسوسات المشتركة بين الناس فالترادف فيها جلي بين فلكمات الشمس والقمر والكتاب والماء نوات معان متطابقة في جميع اللغات⁽¹⁾. إذا فهو يوافق الأستاذ ترنش وكل من رأى رأي به بعد ذلك في أن الكلمات تتقارب دلالاتها في المعنويات ولا تتفق تمام الاتفاق، بعكس الكلمات ذات الدلالات المحسوسة كالشمس والقمر.

وقبل أن نترك الحديث عن منكري الترادف أورد تعليقاً للدكتور إبراهيم أنيس على بعض منكري الترادف إذ يقول: "إن بعض هؤلاء الذين أنكروا الترادف كانوا من الأدباء النقاد الذين يستشفون في الكلمات أموراً سحرية ويتخيلون في معانيها أشياء لا يراها غيرهم فهم قوم... ينقبون عما وراء المدلولات سابحين في عالم الخيال يصور لهم من دقائق المعاني وظلالها ما لا يدركه إلا هم وفي كل هذا من المبالغة والمغالة ما يأباه اللغوي الحديث في بحث الترادف"⁽²⁾ فكأنه يرى إنكار الترادف ضرباً من الخيال ونوعاً من المغالة لا مسوغ لها.

لقد رأينا فريقاً من الأصوليين ينكرون الترادف، ولكن إزاء هذا الفريق تيار قوي من الأصوليين يقوده فخر الدين الرازي (ت 606 هـ)، فهو لم يكتف بتعريفه الذي ذكرناه في بداية المبحث، بل وضع له الحدود والاحترازات حيث يقول: " واحترزنا بوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم، فإنهما دلا على شيء واحد لكن باعتبارين، أحدهما على الذات والآخر على الصفة"⁽³⁾ فكان السيف والصارم لا ترادف بينهما لتباينهما من جهة أن الأول اسم والثاني صفة، وأن دلا على شيء واحد، ولكن في أحدهما زيادة معنى على الآخر جعلتهما في مرتبة المتباينين لا المترادفين. فهو من هذه الناحية لا يختلف مع ابن فارس ومن قبله الفارسي إلا أنهما ينكران الترادف على أية صورة كانت، وهو يثبت بشرط أن يأتي عن اعتبار واحد، ويرد على الأصوليين الذين تمحلوا الاشتقاقات المختلفة للألفاظ المترادفة وقرر " أن عمل الاشتقائيين هذا ليس إلا تعسفاً لا يقبله عقل ولا نقل، ثم شرح الدواعي إلى الترادف وهي: أولاً: تعدد الوضع وتوسيع دائرة التعبير وتكثير وسائطه، ثانياً: تسهيل تأدية المقصود بإحدى العبارتين عند تساوي الأخرى"⁽⁴⁾.

وأول من ورد عنهم المترادف من اللغويين أبو زيد الأنصاري (215 هـ)، أي في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث فقد جاء في المزهري⁽⁵⁾ ألفاظ مترادفة

(1) مجلة مجمع اللغة العربية، بحث " الترادف " العدد 9/30 للأستاذ علي الجارم.

(2) في اللهجات العربية: ص 181.

(3) المزهري: 1/402.

(4) علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الاسلام، ص 35-36.

(5) السجوطي 1/413 والمحبطني: السمين الضخم البطن، والمتكأك: القصير، والمتأزف: القصير المتداني جداً.

منقولة عنه كالمجنطى والمتكأ والمتأزف والفروق بينها في المعنى واضحة، والترادف بينها بالإيحاء.

كذلك يذكر السيوطي⁽¹⁾ لابن الأعرابي (232 هـ) ألفاظاً تدل على العمامة مثل: المشؤذ، والسب، والمقطعة، والعصابة، والعصاب، والتاج، والمكورة. ومن اللغويين من صنف في المترادفات كالأصمعي (216 هـ) في كتاب الألفاظ⁽²⁾.

وفي القرن الرابع الهجري لم يكتفِ ابن خالويه (370 هـ) بما نقل عنه أنه يحفظ للسيف خمسين اسماً، بل راح يصنف في الموضوع تثبيتاً لنظريته وتدويناً للمترادفات فقد "ألف كتاباً في أسماء الأسد، وكتاباً في أسماء الحية". وكذلك مجد الدين الفيروز أبادي (816 هـ) صاحب "القاموس المحيط" "ألف كتاباً أسماه "الروض فيما له اسمان إلى ألوف"⁽³⁾.

كذلك لا يفوتنا أن ننوه بفضل السيوطي (911 هـ) الذي أفرد مبحثاً خاصاً للترادف في مزهره استقينا منه الكثير من المعلومات التي رصدناها.

وفي القرن الثاني عشر الهجري يدافع التهانوي عن الترادف ويثبت وجوده ويذكر فوائده في كشفه حيث يقول: " زعم البعض أن الترادف ليس بواقع في اللغة وما يظن منه فهو من باب اختلاف الذات والصفة كالإنسان والناطق أن اختلاف الصفات كالمنشع والكاتب والحق وقوعه بدليل الاستقراء نحو: أسد وليث"⁽⁴⁾.

ومن اللغويين الغربيين من تردد بين الأخذ به ورده، ونفعه وضره وخير من يمثل هذا الاتجاه أولمان الذي لا يثبت على حال في أمر المترادفات فبعد أن يعرفها يقول: " والترادف التام - بالرغم من عدم استحالته - نادر الوقوع إلى درجة كبيرة، فلذا ما وقع هذا الترادف التام فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدودة"⁽⁵⁾. فهو يثبت وقوع الترادف وإن كان في ندرة ووقت محدود، ثم بعد ذلك يذكر أسباب قصر مدة وقوعه مرتبة بشكل يتلاشى معه المترادف شيئاً فشيئاً حتى ينتفي، حتى إنه يسمي المترادفات أنصاف المترادفات أو أشباه المترادفات وفي ذلك، لا شك، تناقض. ولننظر ما يقوله بعد ذلك مباشرة: " حيث أن الغموض الذي يعتري المدلول والألوان أو الظلال المعنوية ذات الصبغة العاطفية أو الانفعالية التي تحيط بهذا المدلول لا تثبت أن تعمل على تحطيمه وتقويض أركانه، وكذلك

(1) المرجع السابق 410/1.

(2) ابن سيده، المخصص: 258/13.

(3) المزهر 407/1.

(4) كشف اصطلاحات الفنون: 66/3.

(5) دور الكلمة في اللغة: ص 98/99.

سرعان ما تظهر بالتدرج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة، بحيث يصبح كل لفظ منها مناسباً وملائماً للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد، كما أننا سنلاحظ في الوقت نفسه أن ما يرتبط بهذه الألفاظ من عناصر عاطفية وتعبيرية وإيحائية خاصة سوف تأخذ في الظهور والنمو ممتدة في خطوط متباعدة، وبالجملـة سوف يتبين لنا أن معظم المترادفات ليس إلا أنصاف أو أشباه مترادفات⁽¹⁾، ومما يجعلنا نتخذ جانب الحذر من رأيه أنه يرى في الترادف أحياناً "أخطاراً خفية... وإن استعمال المترادفات قد يصبح تنويعاً مصطنعاً لا روح فيه"⁽²⁾، وأحياناً أخرى يرى فيه: "مزايا لغوية وأسلوبية لا حصر لها، إذ أنه في استطاعتنا أن نستغلها في الدلالة على ألوان المعنى وظلاله المختلفة"⁽³⁾. فكان الترادف عنده سيف ذو حدين، أي إنه يجمع بين النقيضين النفع والضرر في آن واحد، فهو يرغب في استعماله واستغلاله في تنويع الأسلوب وفي الوقت نفسه يضع الشوك في طريقه بما يفترض فيه من أخطار خفية، وهو بذلك يضيف تسويغاً آخر لإنكار الترادف بالإضافة إلى ما ذكره الأصوليون.

ويجمل صاحب المزهـر الخلاف بين الدارسين نقلاً عن الشيخ عز الدين (بن جماعة) قال: "والحاصل أن من جعلها مترادفة ينظر إلى اتحاد دلالتها على الذات ومن يمنع، ينظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات"⁽⁴⁾.

وأما الدكتور بشر فيرجع سبب اختلاف الدارسين في الترادف إلى أمرين: "أولهما: عدم الاتفاق بين هؤلاء الدارسين على المقصود بالترادف وثانيهما: اختلاف وجهات النظر أو اختلاف المناهج بين الدارسين"⁽⁵⁾ ويختار د. بشر تعريف أولمان السالف الذكر وقد بينا آنفاً وجه الخلل فيه، ويختار المنهج الوصفي Synchronic لدراسة الترادف، طبعاً مع الابتعاد عن المنهج التاريخي Diachronic قدر الإمكان. ويتفق معه في هذا الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه "في اللهجات العربية". ويجدر بنا أن نراعي في المنهج الوصفي ما يلي:

أولاً: تحديد البيئة اللغوية المدروسة زماناً ومكاناً، أي إن الكلمات المدروسة يجب أن يكون انتماءها إلى لهجة واحدة معينة وفي فترة معينة أيضاً الحقيقة أن هذه الفكرة أو هذا الشرط ليس جديداً علينا، أو هي ليست من مبتكرات الغربيين فقد أورده أنيس عن الأصفهاني (370 هـ) أنه يرى: "الترادف في اللهجة الواحدة وينكره في لهجتين"⁽⁶⁾ وكأنه لا يعترف بالترادف بين لهجتين، وإنما يقع بين كلمتين أو أكثر في بيئة واحدة ولهجة واحدة.

(1) السابق: ص 101-103.

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) السابق نفسه.

(4) السيوطي، المزهـر: 1/405.

(5) دور الكلمة في اللغة، ملاحظة مترجم رقم 74، ص 110. (6) في اللهجات العربية: ص 175.

واين جني في محاولته وضع منهج لدراسة الترادف وفرض المترادفات، لم تغب عن باله هذه الفكرة، وإن لم يضع لمنهجه أساساً ثابتاً أو قواعد راسخة، إذ ساق من الاحتمالات ما قل وما ضُغف في اعتباره أساساً للترادف، بدافع الدقة الذي ألقده ثبات الأسس فقد جاء في الخصائص: " وما اجتمعت فيه لغتان أو ثلاث أكثر من أن يحاط به، فإذا ورد شيء من ذلك، كأن يجتمع في لغة رجل واحد لغتان فصيحتان ... فإن كانت اللفظتان في كلامه متساويتين في الاستعمال كترتهما واحدة، فإن أخلق الأمر به أن تكون قبيلته تواضعت في ذلك المعنى على ذينك اللفظين وقد يجوز أن تكون لغته في الأصل إحداهما، ثم إنه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى، فلحقت بطول المدة واتصال استعمالها بلغته الأولى"⁽¹⁾، واضح من كلامه أن اعتباره المترادفات من قبيل اللغات يعني أن في ذهنه فصلاً واضحاً بين لغة قبيلة وأخرى، أو بين لهجة وأخرى، فاجتماع كلمتين أو أكثر للدلالة على معنى يبحته من زاوية وقوعه في قبيلة واحدة ثم يضع له الموازين أو الاحتمالات التي كانت سبباً في وجود هذه المترادفات في هذه البيئة، وضمن هذه اللهجة. ولماذا نبعد في الاستدلال ألم يقل، في بداية كلامه، كأن يجتمع في لغة رجل واحد لغتان فصيحتان؟! فهو من السابقين إلى هذه الفكرة بل إن رؤيته أكثر دقة وحسراً والتزاماً بالمنهج الوصفي.

ويتبع تحديد البيئة أو اللهجة تحديداً أكثر حصرًا، وأضيق مجالاً، تقسم فيه البيئة إلى حلقات ودوائر تختص منها بفئة من فئات المجتمع وطوائفه كالمثقفين والعمال، والمهندسين والأطباء والفلاحين والصناع والتجار، فكل فئة تستعمل ألفاظاً وأساليب قد تختلف من قريب أو بعيد عن الأخرى.

ثانياً: مراعاة سياق الكلام وظروف الموقف الذي قيل فيه الكلام وملابساته مع الأخذ بعين الاعتبار حال المتكلمين والسامعين للكلام المدروس؛ لأن الكلمة الواحدة قد يتميز معناها من سياق لآخر أو من أسلوب لآخر.

وهناك شرط ثالث يضيفه د. إبراهيم أنيس وهو: " الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تاماً على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة"⁽²⁾.

ويبدو أن هذا الشرط فيه نظر لأن الاتفاق التام في المعنى في الأذهان من الندرة بمكان، لأن كل كلمة ترتبط بعناصر عاطفية وإيحائية خاصة في ذهن كل متكلم أو سامع.

(1) المرجع السابق: ص 372.

(2) في اللهجات العربية: ص 178.

وهكذا يتدرج بنا المنهج الوصفي من حلقة واسعة وهي اللهجة الواحدة ثم تضيق الدائرة لتتصغر في شريحة معينة داخل اللهجة، ثم بعد ذلك يراعى سياق الكلام خلال الشريحة الاجتماعية حتى يتحدد المعنى الذي تتفق عليه الكلمتان اتفاقاً تاماً، لتعتبر من المترادفات، ولو طبقنا هذا المنهج بدقة لخرج الكثير مما يعد من المترادفات.

وهكذا بعد أن بينا خلاف المنكرين والمؤيدين للترادف وأسباب ذلك، وبعد بيان المنهج الحديث لدراسته يجدر بنا أن ننقل إلى بيان أسباب الترادف وقد وردت في كتب اللغة وأهمها:

(1) تداخل اللهجات، أو ما كان يسمى قديماً تداخل اللغات، وذلك بأن تستعمل قبيلة كلمة لمعنى من المعاني أو اسماً لشيء ما، وتستعمل قبيلة أخرى كلمة أخرى للشيء نفسه، فيحصل احتكاك بين القبيلتين ينتج عنه أن تأخذ كل قبيلة الاسم أو الكلمة عن الأخرى فيشتهر الاسمان ويشيعان ويصبحان مترادفين.

فقد ورد عن ابن جني: " وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات لإنسان واحد من هنا، ومن هنا⁽¹⁾ يقول في موضع سابق: قد يحوز أن تكون لغته في الأصل إحداها، ثم إنه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى... فخلعت بلغته الأولى⁽²⁾ ويدعم هذا الرأي ما جاء عن الأستاذ عباس حسن الذي يقول: " إذا اختلفت اللغة في القبيلة الواحدة فنطق فريق بما ليس شائعاً في قبيلة أخرى ويستعملها دون لغته أو معها ولا حرج عليه في هذا، والقياس عليه جائز"⁽³⁾.

وإذا كان ابن جني قد نظر للترادف من خلال قبيلة واحدة، ينقل أحد أفرادها عن قبيلة أخرى؛ فإن السيوطي قد نظر لشيوع اسمين لمسمى واحد من خلال قبيلتين وذلك في قوله عن المترادفين: " بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر إحداها بالأخرى ثم يشتهر الوضعان"⁽⁴⁾. ويؤيد ذلك ما نقله الأستاذ الجارم عن ترنش Trench حيث يقول: " هناك قبائل مختلفة، لكل قبيلة لهجتها، وهذا اللهجات على تقارب ما بينها متميزة مختلفة، فإذا اندمجت القبائل في شعب من الشعوب نفحت لغته بنصيب من لهجاتها ومن أمثلة ذلك اللغة الفرنسية فإنها تشمل على مترادفات كثيرة أتت إليها من لهجة الجنوب ولهجة الشمال"⁽⁵⁾ ولا ريب أن هذا هو الذي حصل في اللغة العربية، وما حكاية السكينة والمدينة بين الرسول ﷺ وأبى هريرة -رضي الله عنه- ببعيدة.

(1) الخصائص: 1/ 374.

(3) اللغة والنحو: ص 35، والأمر الثاني سنشهد به في موضع آخر.

(4) المزمع: 1/ 241.

(5) مجلة المجمع 323/1، من بحث " الترادف " لعلي الجارم، المطبعة الأميرية، بولاق، 1935م.

(2) وقد يكون اللفظان المترادفان من وضع قبيلة واحدة كقول ابن جني " وما اجتمعت فيه لغتان أو ثلاث أكثر من أن يحاط به، فإذا ورد شيء من ذلك، كأن يجتمع في لغة رجل واحد لغتان فصيحتان فينبغي أن نتأمل حال كلامه. فإن كانت اللفظتان في كلامه متساويتين في الاستعمال، كثرتهما واحدة فإن أخلق الأمر به أن تكون قبيلة تواضعت في ذلك المعنى على ذلك اللفظين، لأن العرب قد تفعل ذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها وسعة تصرف أحوالها"⁽¹⁾.

(3) اختلاط الشعوب وامتزاجها في الحرب والسلم وهو مصدر واسع لإثراء اللغات، الغالب منها والمغلوب، أو الاحتكام على أساس من المساواة في الصداقة وحسن الجوار.

وقد دخل اللغة العربية عن هذا الطريق كثير من الألفاظ فدخلت العربية ألفاظ أعجمية تغلبت على مرادفاتها العربية أحياناً: مثل النرجس (للبهر) العربية، والمسك (المشموم). ومن الألفاظ ما دخل ولكن مرادفه العربي تغلب عليه فتنوسي مثل: السججل للمرأة والخندريس للخمر. وهناك أيضاً مرادفات لألفاظ عربية ظلت تستعمل جنباً إلى جنب مع الألفاظ العربية مثل: الفردوس للبستان أو الجنة، والقسطاس للميزان، والمداد للحبر واللواء للعلم.

ولم يحدث هذا الأمر في اللغة العربية فقط وإنما يحدث في كل اللغات دون استثناء، حتى في أوسعها انتشاراً كالإنجليزية يقول بالمر Palmer " واللغة الإنجليزية على وجه الخصوص غنية بالمترادفات لسبب تاريخي وهو أن مفرداتها قد جاءت من مصدرين مختلفين، من الإنجوساكسونية من ناحية ومن الفرنسية واللاتينية والإغريقية من ناحية أخرى"⁽²⁾، ويضرب مثلاً لذلك " بكلمة (ملكي) فلها ثلاث مرادفات أولها: Kingly وهي لفظة إنجليزية أصيلة، ولفظة Royal ولفظة (Regal) وهي لاتينية. كذلك يورد أولمان ثلاثة ألفاظ مترادفة بمعنى (يسأل) وهي: Ask الإنجليزية الأصل، و Question الفرنسية الأصل، و Interrogate اللاتينية الأصل"⁽³⁾.

(4) وقد تنشأ المترادفات نتيجة تسمية الأشياء باعتبارات عدة، كتسمية السيف بصفاته كالفيصل والحسام والصارم، أو بمكان صنعه كقولنا: يمانى، مهنه، أو ننسب الشيء لمن قام بصنعه كقولنا للرمح رديني، سمهري. أو التسمية بالكنية كتسمية الأسد بأبي

(1) الخصائص: 372/1.

(2) Palmer: Semantics, PP, 59-60

(3) دور الكلمة في اللغة: ص 100.

العباس أو بأبي الحارث وكتسمية الحرير بالخسرواني، والعسل بالأصبهانية نسبة إلى المكانين اللذين يشتهران به. وقد يأتي تسمي يوم فيه البن بالبرازيلي والشاي بالهندي أو السيلاني، والتبغ بالفرجيني. وفي فلسطين شيء من هذا القبيل بقولهم: خليلي للعنب، وإفساوي للبرتقال، وريحاوي للموز، ونبالي للزيتون، ونبلسي للصابون.. الخ.

كذلك المجاز الذي يطول العهد به فيصبح حقيقة كاستعمال العين للجاسوس، والأذن لمن يسترق السمع. كذلك التضمين وهو التوسع في استعمال لفظ بحيث يؤدي معنى لفظ آخر مناسب له فيعطى الأول حكم الثاني في التعدي. وهو من قبيل حمل الشيء على نظيره كما يقول ابن جني في الخصائص كقوله تعالى: (عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ)⁽¹⁾ ضُغْنٌ معنى انصرفوا وانصرفوا فعدي يعن وهو في الأصل بمعنى استكبروا.

كل ذلك يجري على الألسنة ويشيع حتى ينتهي الأمر به إلى أن يصبح نائباً عن المسمى ومرادفاً له.

(5) جاء في المزهري: "قال أبو الطيب اللغوي في كتابه: ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان في اللغتين لمعنى واحد حتى لا تختلف إلى حرف واحد، ومن أمثلة الإبدال الأيم والأين للحية، وفناء الدار وثناء الدار. ومن أمثلة القلب: ربض ورضب، وصاعة صاقعة، وعميق ومعيق"⁽²⁾. وأعتبر ما رواه ابن جني عن الأصمعي من هذا القبيل حيث يقول: "اختلف رجلان في الصقر فقال أحدهما: الصقر (بالصاد). وقال الآخر: السقر (بالسين) فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه، فقال: لا أقول كما قلتما، إنما هو الزقر"⁽³⁾. وتقاربت مخارج الحروف فخرج الحرف على صور صوتية متقاربة مما أدى إلى الخطأ في النطق أو في السماع نشأ عنه الترادف بين الألفاظ، يقول الأستاذ خلف الله عن هذه الظاهرة: "والناس يختلفون فيما بينهم في القدرة على السماع وفي القدرة على إعادة المسموع بأصواته التي كان عليها، وهذا هو رأي الشدياق الذي يبني عليه بعض مسائل اختلاف اللغات واللهجات والقلب والإبدال والترادف، لهذا، كما يقول الشدياق، جاءت أفعال كثيرة بمعنى واحد نحو نز الماء

(1) الذاريات: الآية 44.

(2) السيوطي: 1/273.

(3) الخصائص: 1/374.

ونش ونص، وبص وبض، وخشخش، وشخشخ⁽¹⁾. ويؤيد ذلك ما نقله د. ظاظا عن دار مستتر Darmaesteter من كتابه (حياة الألفاظ) La via des mots وإن لم يفصح عن الأمر كما أفصح أبو الطيب والشدياق وإنما قال: "إن بعض الألفاظ مع تكونها ودورانها على الألسنة تأخذ شكلين مختلفين، يصحان مع الاستعمال مترادفين"⁽²⁾ وقد مثل د. ظاظا للأمر بـ: جذب وجذب، وهو ما لا يفترق عن تمثيل أبي الطيب اللغوي بـ (دبض ورضب) أو تمثيل الشدياق بـ (خشخش وخشخش).

وأما الدكتور إبراهيم أنيس فيسمي ما جاء على شاكلة فناء وثاء اللتين أوردتهما أبو الطيب اللغوي (كالجفل والجفل وأز وهز وكبح وتطوراً صوتياً)⁽³⁾. وأما د. رمضان عبد التواب فيسمي هذه الظاهرة (تعاقب الأصوات) ومثل لذلك بـ: خَفَ وخَدَثَ، والحثالة والحفالة للردىء من كل شيء. ويتفق مع د. أنيس بأنها لا تعد من قبيل الترادف بمعناه الدقيق والحديث حيث يقول: "وهناك انقلابات صوتية أخرى ليست إلا نتيجة لأخطاء السمع، وإلى هذا السبب وهو الخطأ السمعي يرجع في نظري معظم أمثلة ما يسمى في اللغة العربية بحالات (تعاقب الأصوات) ... وقد عد القدماء هذه الأمثلة وما شابهها من المترادفات، وهي في الواقع ليست من المترادفات بمعناه الحديث في شيء"⁽⁴⁾. ومع تقديرنا لهذا الرأي فإن الواقع يثبت أن مثل هذا الأمر قد استعمل قديماً، وما زال كثير من الأدباء يلجئون إلى هذه المترادفات ينوعون بها تعبيراتهم ويلونون بها أساليبهم.

(6) وأما الدكتور اسماعيل عمارة فلا يستبعد أن تكون هذه المترادفات قد تطوّرت صوتياً عن أصل سامي واحد يمكن ردها إليه بالبحث الدلالي التاريخي المقارن، ويذكر عدة مواد تشترك في الدلالة على الموت السريع أو السم القاتل نحو: دقف، دأف، دعف، ذأف، ذفف، زأف، زفف، زوف، ذيف، ذرعف، ذبب، ذلعب، زعلب وغيرها من المواد التي يقول فيها "أحسب أنها انحدرت في الأصل من أصل واحد، كأن يكون "ذَف" أو "دَف" أو "زَف" أو "زَب". ولا يتعّد أن تعود هذه الأصول كلها إلى أصل واحد، ولكن تقارب الأصوات، أدى إلى تباين بين القبائل أو الأجيال في نطقها، ثم انشعب من كل تلوين صوتي، اشتقاقات استثمرتها اللغة العربية، واللغات السامية في أداء ما احتاجت إليه من توسع، أملتة حاجة اللغة، ومقتضيات تطورها مع توالي

(1) أحمد فارس الشدياق: ص 101.

(2) كلام العرب: ص 103.

(3) في اللهجات العربية: ص 179، ص 184.

(4) لحن العامة والتطور اللغوي: ص 36.

الأجيال اللاحقة، وقد بقي من آثار الأصل البعيد لهذه الكلمات ما تذكره المعجمات المكرر المعاني، دون أن يكون بينها فَرْقٌ يُذَكِّرُ⁽¹⁾.

(7) ومن أسباب الترادف ما يتوهمه كثير من الناطقين باللغة من أن رمق ولحظ ورنأ. مثلاً في معنى "نظر" تماماً، والحقيقة أن كل لفظة منها تدل على حالة للنظر تختلف عن الأخرى، والأمر نفسه، نجده في الخلط بين ألفاظ الحب كالهوى والغرام والعشق والوجد، وكذلك في ألفاظ النوم كالنعاس والكرى، والحقيقة أن كل لفظ من هذه الألفاظ يدل على درجة معينة من الحب أو النوم.

(8) ينقل السيوطي عن الأصوليين قولهم: "لوقوع الألفاظ المترادفة سببان أحدهما: أن يكون من واضعين (أي من قبيلتين) وهو الأكثر.

والثاني: أن يكون من واضح واحد وهو الأقل"⁽²⁾ ولتقريب المسألة إلى ذهن أصوّر الأمر هكذا أن لفظاً ما يكون شائعاً في قبيلة بمعنى معين ثم يأتي فرد ما في هذه القبيلة ويستعمل لفظاً آخر للمعنى نفسه، ويتقبل منه هذا اللفظ خاصة إذا كان شاعراً فصيحاً أو خطيباً مفوهاً أو شيخاً للقبيلة، أو زعيماً، أو حكيماً فيها، فتشيع هذه اللفظة وتشتهر ويصبح اللفظان الدالّين على نفس المعنى، ومن ثم مترادفين. وأستطيع أن أقول إن هذا الأمر ينطبق على ما يطلقه الساسة والزعما والقادة من مصطلحات أو ألفاظ يكون لها ما يشبهها في اللغة من حيث المعنى فيشيع ويشتهر على الألسنة ما ينطقه القائد أو الزعيم ويصبح للفظ المصطلح عليه أو الموجود منذ القدم ليؤدي المعنى نفسه، وكان هذا سنة مقبولة عند العرب، فقد جاء في الخصائص: "إن العربي إذا قويت فصاحته، وسمت لفته، تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به، فقد حُكي عن رُوبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسبقاً إليها"⁽³⁾.

وبناء عليه يقول الأستاذ عباس حسن: "أن ينفرد واحد بشيء لا تعرفه قبيلته ولا غيرها نقبله منه ونضمه إلى الصحيح الفصيح، إن لم يكن ذلك المتفرد متهماً في عقله أو عدالته، ذلك أن العربي الأصل قد يبتكر، بل من حقه أن يبتكر...من غير تعقيب عليه أو مراجعة"⁽⁴⁾.

وإذا كان سبب إنكار الترادف أنه سيجرم الناطقين باللغة بخاصة الأدباء والشعراء منهم من تلوين أسلوبهم وتنويع تعبيرهم، ظناً منهم أن هذه المترادفات متحدة في سماتها

(1) بحث في الاستشراق واللغة: ص 166.

(2) المعزهر: 1/406.

(3) الخصائص: 1/424.

(4) اللغة والنحو: ص 35.

ولا تختلف أحوالها في الدلالة على المعنى؛ فإننا نرد عليهم بأن هذه الألفاظ المترادفة هي ذات دلالات متقاربة وليست كما تصورها وإلا لسميت بالتساوية لأن " اللغة بطبيعتها، وتدرج استعمالها، تأبى لكلماتها المترادفة أن تتحد في سماتها وشياتها وشاراتها، وإن اتحدت في مسمياتها فللأسد والغزال والخمر والسيف أسماء كثيرة، ولكل منها شحنته وأشعته وظلاله وهمسه وجرسه ووقعه وتأثيره " (1) ولا غبار على هذا القول، لأننا لا نجد لفظين مترادفين يوحيان على قدم المساواة بمفهوم واحد، وبدقة تامة .

وأما الأستاذ الخولي فيرى في المترادفات " ثروة لا سوق لها ولا وزن في مناقع التعامل، مع كونها عقبة إلى حد ما في وجه متلقي متن اللغة ومحصل مفرداتها ودارس أدبها، وهي مما يعوق اتصال القصيدة بالدنيا والقرب من الألسنة والقلوب على ما نبتغي ونحاول " (2) فهو لا ينكر وجودها، ولكنه لا يرى فيه مزية بل ضرراً يتمثل في كونها عقبة في طريق من يتعلم اللغة، وبدلاً من أن تكون حلقة وصل ووسيلة ربط بين مستويات اللغة والمتكلمين بها تقف عائقاً يحول دون ذلك، على حد رؤية، والحقيقة أننا إذا نظرنا للأمر من وجه آخر سنبتين أن الألفاظ المترادفة، بالإضافة إلى أنها حقيقة واقعة ولا سبيل لإنكارها، عامل مساعد على فهم المعاني وتوضيح الأمور، وأداة طيبة في تناول اليد تتيح لنا بيان تفاصيل الأمر ودقائقه وزواياه. وأن هذا الألفاظ المترادفة قد يقوم بعضها مقام بعض مما يسمح لمتلقي اللغة أن يستخدم ما يتيسر من ألفاظ تعينه على التعبير عن رأيه ومكنون نفسه بصورة أدق وأجلى بدلاً من أن يكون محصوراً بين ألفاظ قليلة تدور في فلكها، ولا يستطيع الفكاه منها.

وأما أنها تقف سداً وحاجزاً بين توحيد مستويات اللغة فهذا مما يرفضه العقل والنقل؛ حيث اللغة نقلت إلينا تحتوي على المترادفات التي وردت في شعر العرب ونثرهم، هذا علاوة على أن اللغة الدارجة قلما تلجأ إلى المترادفات؛ إذا فعدم توحيد مستويات اللغة ليس الترادف سبباً فيه.

وأما أن المترادفات تحول دون قرب القلوب أي أنها بعبارة أخرى أداة مساعدة لبثّ التفرقة والشحناء بين الناس، بمعنى أن دورها سلبي لا إيجابية فيه، فهذا اعتراض متهافت لأننا بهذه الألفاظ المترادفة وخاصة بألفاظ المجاملة والاحترام نستطيع أن نبني جسوراً من العلاقات الطيبة، ونستطيع أن نوضح ما ساء فهمه، أو ترميم ما فسد أمره.

وإذا كان الأستاذ الخولي يرى أن المترادفات تقوم بدور سلبي، فإن غيره يرى فيها ميزة؛ حيث يعد كثرتها دليلاً على التقدم الثقافي والحضاري فالأستاذ أحمد زكي في كتابه "مبادئ علم النفس التعليمي" يقول: " والتقدم الفكري في الجماعات والأفراد، يقاس بما

(1) علي الجدي: البلاغة الغنية، ص 214.

(2) أمين الخولي: فن القول، ص 127-128.

عندهم من ثروة لغوية، كما أنه تعد الألفاظ التي تطلق على الشيء الواحد، دليلاً على سعة الخيرة بالشيء⁽¹⁾.

هذا بالإضافة إلى ما تضيفه هذه المترادفات على الأدب، شعره ونثره، من جمال وتوسع في أساليب البلاغة وطرق الفصاحة سواء جاء ذلك على شكل صور بيانية أو صور بديعية.

ولا يفوتنا أن نذكر أن في الألفاظ المترادفة وسيلة يعوض بها الإنسان نقصاً، لما قد يصيبه من نسيان لفظ يستعين بمرادف له كي يقوم مقامه، أو عيب خلقي في نطق لفظ يتحاشاه إلى لفظ آخر يداري به نقصه، ويدراً عنه استهزاء الناس به.



أسئلة التقويم الذاتي (6)

1. ما الترادف؟ واذكر مؤيديه ومفكره وحجمهم.
2. ما المنهج الذي تحسن دراسته به؟ وما تجب مراعاته فيه؟
3. ما أسباب الترادف؟



تدريب (6)

1. اذكر بعض المرادفات لكلمة سرور، ولاشتعال الحرب.
2. هل ترى بين الألفاظ التالية نوعاً من الترادف؟: النعاس، النوم، الرقاد، السنة، الكرى، الهجود، الهجوع، التهويم، الترنيق، السبات، القيلولة.

2.4 الاشتراك اللفظي

إذا كان الترادف يعني وجود كلمات عدة تدل على معنى واحد، فالمشترك نقيضه إذ هو: كلمة واحدة تدل على معانٍ عدة على سبيل الحقيقة أو المجاز. ويتفق هذا مع تعريف الأصوليين الذين يرون أنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر مثل: العين: التي تطلق على الباصرة، وعين الماء، وعين الشيء أي حقيقته ونفسه، والعين التي تطلق على الجاسوس. وحينما نقول كلمة واحدة نعني أنها بلفظها وصورتها وأصواتها تؤدي أكثر من معنى.

ويبدو أن الغربيين في دراستهم للاشتراك يفصلون بين مصطلحين هما: Polysemy ويعني تعدد المعنى للكلمة، وهذا أقرب لمعنى المشترك في العربية. والثاني Homonymy (1) نقلاً عن البلاغة الفنية: ص220.

وهو مجموعة من الكلمات لا علاقة بينها سوى اتفاقها في الصيغة أو الشكل وهو أقرب إلى الجنس التام عندنا.

وعن المصطلح الأول يقول Palmer قد نطلق على الكلمة الواحدة عدة معانٍ مختلفة ومتعددة، فتجد لكلمة Flight في المعجم عدة معانٍ وهي: المرور عبر الأجواء، وقوة الطيران، ورحلة جوية، ووحدة قوة جوية، وسلسلة من الخطوات، والكرة الطائرة وغيرها⁽¹⁾.

وهو بهذا يتفق مع أولمان Ulmann الذي يستعمل المصطلح نفسه Polysemy للدلالة على الحالات التي تتعدد فيها مدلولات الكلمة⁽²⁾ وطبقاً لهذا التحديد فإنه يتفق بحق مع ما نطلق عليه في العربية المشترك اللفظي.

أما مصطلح Homonymy فلا خلاف بين بالمر وأولمان على تعريفه فعند الأول: "كلمات عدة متحدة في شكلها أو صيغتها"، والثاني يطلق المصطلح على "الكلمات المتعددة المتحدة الصيغة"⁽³⁾. ويبدو أن العبرة عندهما هو في الاتفاق في النطق وطريقة إخراج الصوت أو أصوات الكلمة حتى لو اختلفت صورة الكتابة ويتضح ذلك من الأمثلة التي سيقى مثل: See " يرى " Sea " بحر " و Flour بمعنى دقيق، و Flower بمعنى وردة. ويضرب سترتفنت Sturtevant أمثلة مشابهة تتفق في طريقة نطقها وتختلف صورتها الكتابية نحو: 'Read' " قسبة أو مزار " و Read بمعنى يقرأ، وكذلك Red " أحمر " و Read فعل ماضٍ بمعنى قرأ⁽⁴⁾ وما يعزز هذا التخريج أن أولمان يقول في موضع آخر: " إذا تصادف أن اتفقت كلمتان أو أكثر في أصواتها اتفاقاً تاماً فإن مثل هذه الكلمات لا يكون لها معنى ألبتة دون السياق الذي تقع فيه، مثل اتفاق الأصوات في حالة الفعل See (يرى) والعبرة The bishops see " عرش الأسقف "، والاسم The sea (البحر)⁽⁵⁾.

ونستطيع أن نخلص من هذا الأمر أنه عند الغربيين نوعان من الاشتراك Polysemy بالإنجليزية، وبالفرنسية Polysemie وهو مصطلح من أصل إغريقي مؤلف من Poly بمعنى كثير أو متعدد، و Semy وتعني المعنى.

وهي ما نستطيع أن نطلق عليه دون تجاوز " المشترك اللفظي ". وأما النوع الثاني الذي يندرج تحت مصطلح Homonymy وقد ترجمه د. بشر في كتاب " دور الكلمة

(1) Palmer: Semantics, P P 65-67 (2) دور الكلمة في اللغة: ص 115.

(3) المرجع السابق: ص 126.

(4) An Introduction to Linguistic Science. New Haven, Yale University Press, 1961, P (5) دور الكلمة في اللغة: ص 54.

في اللغة " بالمشترك اللفظي أيضاً بناءً على التعريف الوارد عند صاحب الكتاب أولمان، والمصطلح من أصل إغريقي أيضاً يتألف من Homo يصبح ذات أو نفس و onoma بمعنى لفظ، والمعنى الحرفي للمصطلح يصبح ذات اللفظ أو نفسه، وواضح أن المصطلح ليس فيه إشارة إلى ناحية المعنى وإنما يستفاد منه الناحية الصوتية اللفظية التي تتحد فيها كلمتان أو أكثر، ونحن نرى أن ترجمته بالمشترك اللفظي تجاوز عن المعنى عندهم، بل فيه إخضاع قوى للمصطلح حتى يؤدي ما يؤديه عندنا.

ولعل محل الخلاف بيننا وبينهم قد نشأ من طريقة التناول التي ندرس بها المشترك اللفظي فهم ينطلقون من دراسته من خلال الصورة الصوتية المنطوقة، وليس من خلال الصورة المكتوبة كما هو الشأن عند الدارسين العرب، الذين درسوا الألفاظ المشتركة من خلال محافظتها على لفظها وأصواتها مكتوبة ومنطوقة وهو ما نجده مثلاً عند ابن جني "باب في اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين في الحروف والحركات" ⁽¹⁾ ويمثل له بالصدى للدلالة على طائر الثأر والعطش وترجيع الصوت، وقولهم صدى مال. وهو ما يرفضه الدرس اللغوي الحديث، حيث يشترط اللغويون المحدثون في المشترك اللفظي " وحدة الزمان والمكان والنطق والقسم الكلامي وتباين المعنيين كل التباين " ⁽²⁾ وهذا ما لم يلتزم به لغويونا فهم لم يدرسوا المشترك في فترة معينة بل تناولوه خلال مساحة زمنية طويلة، وأما البقعة المكانية فهي شاسعة تضم الوطن العربي. وفني عن القول أنهم ساقوا أمثلتهم من التراث المدون، وطبعاً هذا الدراسة التاريخية كانت السبب في إيراد الكثير من المشترك.

والاشتراك لم يجد معارضة شديدة من الدارسين العرب سوى أن ابن درستويه ⁽³⁾ (347هـ) يقول في شرح فصيح ثعلب لا يكون قَلَّ وأَفْعَل بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد، إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد... وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني فلو جاز وضع لفظ للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد الآخر لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعل فيقوهم من لا يعرف العلل أن

(1) الخصائص: 2/ 93.

(2) من بحث للدكتور أحمد مختار عمر بعنوان "المتجدد في اللغة لكراع النمل" مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 23، القاهرة 1388هـ-1968م، ص 95.

(3) هو أبو محمد بن عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي النحوي، أخذ عن ابن قتيبة والمبرد، وكان من كبار المحدثين، انظر نزهة الألباء للأنيباري: ص 283.

اللفظ وضع لمعنيين والسماع في ذلك صحيح عن العرب وإنما يجيء من لغتين، لحذف واختصار في الكلام حتى اشتبه اللفظان وخفي ذلك على السامع فتأول فيه الخطأ⁽¹⁾.

يعترض على الاشتراك بحجة أنه يؤدي إلى التعمية والتغطية وهو اعتراض وجيه سبق إليه المحدثين. وقد أشار سترتفنت Sturtevant إلى هذا الأمر منبهاً إلى محل سوء الفهم ومبيناً كيفية كشف غموضه وذلك في قوله :

" يظهر كثير من اللغات أو معظمها تسامحاً كبيراً جداً مع المشتركات اللفظية ونادراً ما تتضارب ولكن السياق غالباً ما يحدد المعنى، وفي اللغات المعربة أقل ما يكون الاشتراك سبباً في الاضطراب والتشويش، وسوء الفهم ينشأ فقط حينما يتسع الموقف لشغل مشتركين لفظيين في الجملة نفسها"⁽²⁾ إذا فهذه التغطية أو التعمية رغم ندرتها في لغتنا المعربة، يمكن إزالة غموضها والخلص منها بمجرد التعرف على الظروف والملايسات السياقية، ومع ذلك فهو لا ينكر الاشتراك تماماً بل قد يأتي في ندرة لأسباب يذكرها.

وجاهة اعتراض ابن درستويه لم تقف حائلاً دون ما حظي به الاشتراك من تأييد جارف عند اللغويين العرب كالخليل وسيبويه وأبي زيد الأنصاري والأصمعي وأبي عبيد والمبرد وابن جني وابن فارس والثعالبي والسيوطي.

ومنهم من صنف في الاشتراك كالأصمعي واليزيدي اللذين فُقد كتاباهما، وأما أقدم كتاب وصلنا في هذا الموضوع فهو " كتاب الأنحاس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى " لأبي عبيد القاسم بن سلام (244 هـ) يحتوي على مئة وخمسين كلمة، ويليه كتاب أبي العميثل (240 هـ) " ما اتفق لفظه واختلف معناه "، ثم كتاب المبرد (285 هـ) " ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد "، وأشمل كتاب وصلنا في هذا الشأن الذي يحتوي على تسعمائة كلمة هو كتاب كراع النمل (310هـ) "المنجد في اللغة"⁽³⁾.

ونستطيع أن نحمل أسباب المشترك اللفظي فيما يلي : منها ما يعود إلى المعنى، ومنها ما سببه لهجي، ومنها ما سببه صوتي، ومنها ما هو خارجي.

1.2.4 ما يعود إلى المعنى

أ - وأهمها انتقال الألفاظ من معانيها الحقيقية أو الأصلية إلى معنى مجازي بحيث تكتسب الكلمة معنى جديداً يستقر بعد ذلك عن طريق الاستعارة أو المجاز، ونحن نعرف أن علاقات الاستعمال المجازي كثيرة قد تؤدي بالمعنى الأصلي إلى تطويره

(1) نقلاً عن السيوطي، المزهري: 384-385.

(2) An Introduction to Linguistic Science: P:1270(2).

(3) انظر: أحمد مختار عمر، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد 23 ص 93-99.

أو تغييره أو تعميمه أو تضيقه أو غموضه أو توضيحه وينتج لنا كلمات متحدة ومشتركة في صورتها ومختلفة في معانيها كإطلاق لفظ الهلال على هلال السماء وهلال الصيد وهلال النعل وهلال الأصبع، وعلى الحية إذا سلخ جلدها، وعلى الجمل الهزيل، وبقية الماء في الحوض، وهلال البطيخة، ويدل لفظ الهلال في الأصل على المعنى الأول؛ ولكن أطلق على المعاني التالية له لعلاقة المشابهة.

وكذلك كان إطلاق العين الباصرة على عين الماء وعين المال وعين الميزان وعلى الجاسوس بناء على علاقات مجازية: إما المشابهة، أو إطلاق الجزء وإرادة الكل.

ب- وقد ينتج المشترك عن تطوّر الدلالة بتطور المدلول فإن كلمة ريشة التي تطلق على ريشة الطائر وريشة الكتابة حتى بعد أن استعاضوا بالآلة المعدنية عن ريشة الطائر في الكتابة إلا أنهم ظلوا يطلقون على الآلة اسم الريشة. وشبه بهذا ما يحكيه أولمان حيث يقول "إن هناك كلمات أخرى تنشأ عن تطور مدلولات الكلمة الواحدة حين تمتد في خطوط متباعدة إلى أن تنعدم العلاقة بينها وذلك كما في⁽¹⁾ Flour, Flower فقد اعتبر أولمان اللغظين من قبيل المشترك اللفظي على اعتبار نطقهما أو صورتها الصوتية. وبعبارة أخرى كانت الكلمتان في الأصل كلمة واحدة بمعنى واحد، ثم تطور استعمالهما فاختلف معنيهما، ولا تفاقهما في النطق اعتبرا من المشترك اللفظي.

ج- قد يكون معنى إحدى الكلمات مستهجناً أو يحمل فكرة سيئة أو مرتبطاً بمعنى غير مقبول "ففي أمريكا مثلاً طغت كلمة Donkey على الكلمة Ass وحلت محلها لسبب التشابه بين هذه الكلمة وبين كلمة يتحاشى الناس استعمالها هناك"⁽²⁾ أي إن كلمة Donkey أصبحت مشتركة لفظياً يطلق على الذكر والأنثى أي على الحمار وأتانه.

د- يتفرد أولمان بهذا السبب وهو عندما يستجد معنى، يحاول العلماء أن يجعلوه واقعاً ضمن دائرة مصطلح متفق عليه أي لا يحاولون ابتكار لفظ جديد له وإنما يطلقون عليه لفظاً أو مصطلحاً مستعملاً. وفي نظير هذا أو عكسه أن يبتكروا ألفاظاً جديدة لأشياء استقرت معرفتها فهو يقول "العاملون في الحقل العلمي سيجدون عندهم الميل دائماً إلى استخدام المصطلحات المتفق عليها في معان جديدة للدلالة على الأشياء المعروفة حق المعرفة وهم بهذا السلوك يساهمون في إيجاد مادة جديدة لفرعي المعنى المتعدد"⁽³⁾.

(1) دور الكلمة في اللغة: ص 127.

(2) المرجع السابق: ص 132.

(3) السابق: ص 123-124.

وأما السبب الأخير فهو الذي ينتج عن سوء فهم معنى لفظ من الألفاظ وخاصة عند الأطفال. وهذا سبب انفرد به الدكتور أنيس حيث يرى من أسباب تغير المعاني واختلافها " سوء فهم المعنى من طفل أو من عبث أطفال " (1) ولم يمثل لذلك.

2.2.4 السبب اللهجي

وهو سبب رئيس يتمثل في استعمال كلمة ما بمعنيين مختلفين في قبيلتين مختلفتين أو بيئتين مختلفتين؛ أي إن كل قبيلة اصطلحت على معنى خاص للفظ نفسه ثم جاء جامعو اللغة ودوّنوا معنيين لهذه الكلمة كالهجرس فإنه في الحجاز يدل على القرد وعند تميم على الثعلب.

3.2.4 الأسباب الصوتية

وهي الأسباب التي يتطور فيها الصوت بحيث يتحد مع لفظ آخر يختلف في معناها أو مدلوله؛ أي إن الكلمتين في أصل وضعهما مختلفتان صوتاً ومعنى وحصل لأحدهما تطور وتغير في صوتها جعلها تماثل الأخرى في صوتها وتختلف عنها في معناها فرويت لنا متحدة الصوت مختلفة المعنى يقول أولمان: " والمشارك اللفظي ينشأ عن اتفاق كلمتين مستقلتين أو أكثر في الصيغة اتفاقاً بطريق الصدفة مثل صيغة Sound في اللغة الانجليزية وأقل ما تمثل أربع كلمات، فهذه الكلمات الأربع بعد أن اشتقت من أصول مختلفة أخذت تتقارب بعضها من بعض في الصيغة حتى اتحدت وتماثلت فكلمة Sound بمعنى " صحيح البدن " متطورة عن كلمة جرمانية قديمة وإما بمعنى " صوت " فترجع إلى الفرنسية Son وحرف d ما هو إلا تطور متأخر الحدث، وتعني " سبر الغور " امتداداً للفعل الفرنسي Sonder. وقد تعني مضيق الماء فعن الفرنسية Sound التي تحمل المعنى نفسه بالإضافة إلى وجودها في لغات جرمانية قديمة (2).

وما يندرج تحت هذا السبب هو هذا التشابه الصوتي بين كلمتين لم ينتج عن طريق التطور الصوتي السابق الذكر؛ وإنما ينتج عن طريقة النطق في اللغة كما في الفرنسية فكلمة " Roi " بمعنى " ملك " تنطق مثل A Rouet التي تعني عجلة غزل ومن هذا القبيل التشابه الصوتي بين كلمتي Pen " قلم " و " Pin " دبوس أدى إلى الاشتراك

(1) في اللهجات العربية: ص 196.

(2) دور الكلمة في اللغة: ص 127.

اللفظي بينهما على ما يحكيه سترتفنت في كتابه " مقدمة في علم اللغة" ⁽¹⁾. حيث يقول: " في الولايات المتحدة " en أصبحت تلفظ مثل in ومن جراء ذلك صارت كلمتا Pen و Pin مشتركتين لفظيتين، حتى إن طالبة في السابعة طلبت من مدرّستها أن تعطيها قلماً Pen ولكنها نطقت الكلمة بلفظ Pin فبحث لها المدرسة عن دبوس، وأعطته إياها، ولكن طالبة قالت لمدرستها: إنها تريد دبوساً يكتب ونشأ سوء الفهم لأن المدرّسة تتكلم بلهجة تفرق بين Pen و Pin .

وهكذا أدى التشابه الصوتي في نطق Pen و Pin عند الطالبة إلى عدم التفريق بينهما إلا بإضافة كلمة أخرى.

وأما ما سماه الدكتور وافي العوارض التصريفية التي تؤدي إلى الاشتراك في الظاهر فلا يبعد كثيراً عن هذا التشابه الصوتي حيث يقول : " تؤدي القواعد الصرفية إلى أن تتفق لفظتان متقاربتان في صيغة واحدة، فينشأ عن ذلك تعدد في معنى هذه الصيغة تؤدي إلى جعلها من قبل المشترك " ⁽²⁾ ويمثل لذلك بالفعل " وجد " فهو يدل على العلم بالشيء أو العثور عليه من الوجدان، وعلى الغضب من الموجدة، وعلى الحب الشديد من الوجد، وفي رأيي أن هذا الاتفاق في الصيغة ليس نتيجة لقواعد صرفية، وإنما هي المادة " و ج د " نشأت منها مصادر عديدة متنوعة المعنى مما يدل على أنها من المشترك اللفظي، فبمجرد النطق بالفعل " وجد " مثلاً تتزاحم في ذهن هذه المعاني والسياق يحدد المقصود.

4.2.4 السبب الخارجي

بمعنى أن لفظة أجنبية تدخل في اللغة فيتصادف أن يوجد لها نظير في صورتها وإن اختلفت عنها في المعنى " وهنا نرى كلمتين متحدين في الصورة مختلفتين في المعنى ولكن كلاهما ينتمي في الأصل إلى لغة مستقلة، ومثل هذا النوع من الكلمات وليد المصادفة كالبرج من اليونانية لتدل على الحصن وهي في العربية تدل على الجميل الحسن الوجه، وكذلك كلمة Race في الإنجليزية من أصل جرمانى بمعنى سباق وبمعنى جنس أو عرق في اللاتينية " ⁽³⁾ أي إن كلمة Race دخلت الانجليزية واحتفظت بمعنيها الجرمانى واللاتيني فأصبحت من الألفاظ المشتركة.

(1) An Introduction to Linguistic Science: p:1270

(2) فقه اللغة: ص 159.

(3) في اللهجات العربية: ص 196.

4.2.5 ما يعود إلى القواعد التصريفية

كذلك قد يحدث الاشتراك عن طريق القواعد التصريفية وهو ما يسميه د. ظاظا " الاشتراك الذي قلماً يوقع في احتمال التأويلين عند الاستعمال إلا إذا تكلف ذلك بعض من يريدون التورية وما يشبههما من دقائق البديع" ⁽¹⁾ كأن تشبه في صيغة الجمع كلمة أخرى في صيغة مصدر مثل النوى جمع نواة تشبه النوى بمعنى البعد، كذلك قد يتشابه اسم وفعل في النطق مثل الفعل : هوى أي سقط والهوى بمعنى ميل النفس والحب.

بعد أن حاولنا تحديد الأسباب التي تساهم في اكتساب الكلمات للمعاني المتعددة فتصبح من قبيل المشترك اللفظي، يجدر بنا أن نبين الطرق التي تتبعها الكلمات حتى تشيع لها المعاني الجديدة وتستقر وتدور بعد ذلك على الألسنة. ويرسم لنا أولمان هذه الطرق قائلاً: " وهناك طريقتان رئيسيتان تتبعهما الكلمات في اكتساب معانيها المتعددة: الطريقة الأولى: الطريق التدريجي البطيء تبدأ بمجرد حدوث التغيير في تطبيق الكلمات واستعمالها ثم يعقب ذلك شعور المتكلمين بالحاجة إلى الاختصار في المواقف والسيقات التي يكثر فيها تكرار الكلمة تكريراً ملحوظاً ومن ثم يكتفون باستعمالها وحدها للدلالة على ما يريدون التعبير عنه فإذا ما تبلورت الكلمة تحدد معناها الجديد في بيئة خاصة ... وفي الوقت المناسب توسع في حدود دائرتها الاجتماعية الخاصة حتى تصبح مقررّة ثابتة في الاستعمال اللغوي العام" ⁽²⁾ يعني بذلك أن الكلمة تنتقل من دائرة ضيقة إلى دائرة تليها أوسع وهكذا، يعني أن الفرد يستعملها لتفيد معنى جديداً ويكررها في بيئته، فيتناقلها أفراد تلك البيئة حتى يستقر استعمالها فيما بينهم، ولا شك بعد ذلك في أنهم سيتناقلونها في مجتمعهم، حتى تشيع في هذا المجتمع بهذا المعنى الجديد الذي يثبت لها. ويتابع أولمان قائلاً: "ويقابل هذا الطريق التدريجي البطيء إلى تعدد المعنى طريق آخر قصير يتحقق في الاستعمال المجازي" ⁽³⁾ ويضرب المثل بكلمة Crane طائر الكركي الذي أصبح يطلق على الرافعة.

وإذا كان للمشارك اللفظي من فائدة إيجابية فهو ينبع عن قدرة ألفاظ اللغة ومدى طواعيتها للقيام بأكثر من دور، وأداء أكثر من معنى، وتحمل أكثر من وظيفة لقبولها الاستعمالات الطارئة عليها مع احتفاظها بمعناها القديم؛ ولكن هذه الميزة التي تكتسبها الألفاظ فسي تنويع معانيها لها جانب سلبي يتمثل في وقوع الكلمة في شرك اللبس

(1) كلام العرب: ص108.

(2) دور الكلمة في اللغة: ص117.

(3) المرجع السابق: ص17.

والغموض الذي سيظل ماثلاً ومحتملاً، وإن كان يمكننا أن نعالجه بالرجوع إلى السياق الذي يزيل غموضه، ولا نملك اجتثاثه واستئصاله.



أسئلة التقويم الذاتي (7)

1. ما المشترك اللفظي ؟
2. ما الفرق بين الاشتراك اللفظي والترادف ؟
3. ما أسباب الاشتراك اللفظي ؟
4. للاشتراك جانبان: سلبي وإيجابي بينهما ؟



تدريب (7)

يمكن أن تكون كلمة "حديث" مشتركاً لفظياً، فكيف تفرّق بين المعاني التي يمكن أن ترد عليها ؟

3.4 التضاد

الضد " مثل الشيء ونظيره وخلافه"⁽¹⁾ وقد أطلقه علماء اللغة على كل لفظ يدل على معنيين متضادين أو متقابلين. وهو بهذا الاصطلاح أو بهذا المعنى يتفق مع المشترك اللفظي في كونه دالاً على معنيين متخالفين. ولكنه يخالفه من وجه آخر وهو اشتراط أن يكون هذان المتخالفان متضادين، أي اللفظ يدل على النقيضين كالجون الذي يدل على الأبيض وعلى الأسود، والجلل على الأمرين الكبير والصغير.

ولا تنفرد اللغة العربية بهذه الظاهرة بل هي ملحوظة في أكثر اللغات فنجدها مثلاً في اللاتينية في كلمة Altus التي تعني المرتفع والعميق. وفي الفرنسية في كلمة Tuer تعني حفظ وقتل أو مات.

وقد كانت هذه الظاهرة محل عناية اللغويين العرب منذ القرن الثاني الهجري، وحتى أيامنا هذه، ولكل جيل أسبابه ودواعيه التي حملته على الاهتمام بالاضداد وتدوينها، يقول الأستاذ حسين محمد نصار إن : " الذي حمل اللغويين على تدوين الأضداد لم يثبت على مر العصور، بل تغير من جيل إلى جيل، فقد بدأ هواية في القرن الثاني، ثم صار تقوى

(1) اللسان مادة "ضدد".

تحمل على إزالة ما قد يعثري بعض الآيات من غموض في القرن الثالث ثم تحول إلى رغبة في الدفاع عن العرب ولغتهم أمام الدعاوى الشعبية في أوائل القرن الرابع، وحب المعرفة المجرد في ذلك القرن أيضاً، وانتهى إلى الرغبة في منح الباحثين عن المحسنات اللغوية ذخيرة لغوية جديدة في العصور المتأخرة⁽¹⁾، وقوله : بدأ هواية في القرن الثاني الهجري فيه نظر ؛ لأن هذا القرن يشهد بواكير النهضة العلمية في بداية انطلاقها وتقتضي هذه البداية أن يكون الانتشار والاهتمام بالعلوم بصورة أفقية، بمعنى أنه كان شيئاً طبيعياً أن تكون مهمتهم استقرائية لجميع المظاهر اللغوية، ولم تخل دراساتهم من العمق والشمول كالذي صدر عن الخليل وسيبويه وغيرهما من علماء هذا القرن، ولكنهم لم يصلوا للمرحلة التي يجلس فيها أحدهم فيفخر بأنه يحفظ للسيف خمسين اسماً ولأسد والجمل مثلاً أو أكثر أو أقل، ونستطيع القول إنه في هذا القرن اقتصر الأمر على التنبيه على وجود ظاهرة الأضداد وذكر الخليل (175 هـ)، والكسائي (189 هـ)، واليزيدي (202 هـ) وغيرهم ممن لحقوا بربهم في بدايات القرن الثالث الهجري كالغراء (207 هـ) والشيباني (210 هـ) وأبي زيد الأنصاري (215 هـ)، ومع أواخر القرن الثاني وبدايات الثالث يبدأ جمع هذه الأضداد ووضعها في مؤلفات كما فعل قطرب (206 هـ) الذي استقصاها من اللغة مباشرة، وأبو عبيدة (210 هـ) والأصمعي (213 هـ) والنُّزَزي (238 هـ) وابن السكيت (246 هـ) والسجستاني (255 هـ)، وفي القرن الرابع بأخذ الأنباري (328 هـ) على عاتقه جمعها من المؤلفات السابقة مضيفاً إليها الشواهد والعلل، وأبو الطيب اللغوي (351 هـ) الذي جمعها واختصرها، ويتوالى المؤلفون في القرون التالية كابن الدهان (569 هـ) وأبي البركات بن الأنباري (577 هـ) والصفاني (650 هـ)، وهناك من لم يخصص بكتاب أو مصنف، وإنما دونوا ما جاء منه في كتبهم على اعتبار أنه نوع من المشترك كالمبرد (285 هـ) في كتابه " ما اتفق لفظه واختلف معناه " وابن فارس في كتابه الصحاحي في فقه اللغة الصحاحي، والثعالبي (429 هـ) في فقه اللغة، وابن سيده (458 هـ) في المخصص، والسيوطي (911 هـ) في المزهر.

ومن أنكر الأضداد بحجة أنه من المشترك الذي يوقع في اللبس والإبهام أو التعمية والتعطية ابن دَرَسْتَوِيَه (347 هـ) وقد ألف كتاباً في ذلك سماه إبطال الأضداد أو جحد الأضداد وهو مفقود، وقد بينا في الجزء الخاص بالمشترك أن هذا اللبس والتعمية يمكن

(1) من بحث له بعنوان "الأضداد في اللغة في مجلة اللسان العربي، الجزء الأول من المجلد التاسع، 1391هـ - 1972م، ص101.

التخلص منها أو معالجتها بالسياق. كذلك يذكر ابن سيده " أن أحد شيوخه كان ينكر الأضداد التي حكاها أهل اللغة وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضده ⁽¹⁾."

ويسوق الأنباري في كتابه الأضداد حجة المنكرين ويرد عليهم إذ يقول : " يظن أهل البدع والزُيغ والإزراء بالعرب، أن ذلك (أي التضاد) كان منهم لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم وكثرة الالتباس في محاورتهم... فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب " ⁽²⁾ ويرد على هذا الاعتراض متابعا : " جاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنه يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد " وفي هذا الرد كفاية ؛ إذ سياق الكلمة بين المفردات وظروف الكلام وملايساته تخبر عن المعنى المقصود وتزيل اللبس وتكشف الغموض.

حتى ابن درستويه لم يكن يوسعه أن ينكره إنكاراً تاماً حين قال عن المشترك ومن ضمنه التضاد " وقد يجيء النادر منه لعل " وهذا إقرار منه بضعف من حجته، لأن اعترافه بوجوده ولو في ندرة يوقعه في التناقض.

كذلك يجب ألا ننساق وراء هذا الحشد من اللغويين في تظاهرة التأييد غافلين عما يكون قد حشر حشراً بين الأضداد فذلك مما يحيد بنا عن جادة الصواب والمعقول، ولأن كثيراً من ألفاظ التي يتوهم أنها من الأضداد يمكن إخراجها بوجه من التأويل، فهي ليست راسخة القدم في بابها حيث لم تكن في أصل وضعها كذلك، ويرى " رد سلوب Redslab ⁽³⁾ إسقاط كثير من الأضداد لأسباب يذكرها وهي :

- (1) أن ما ذكر من الأضداد يعوز أكثره الشواهد القوية.
- (2) أنه لا يجوز الاعتماد في إثبات التضاد على موضع اللفظ من الكلم دون الاعتماد على الأصل اللغوي لهذا اللفظ.
- (3) يرى " رد سلوب " إخراج الحروف والصيغ الفعلية المختلفة للفعل الواحد وأسماء الأعلام من الأضداد.
- (4) يرى " رد سلوب " إخراج عدد كبير من الألفاظ التي تضاف إلى الأضداد لاشتراك الحالية والمحلية فيها، كذلك صيغ فاعل ومفعول والأفعال التي تشعر صيغتها المجردة بمعنى التعدية.

(1) المخصص: 259/13.

(2) محمد بن القاسم الأنباري: الأضداد: ص ص 1-2.

(3) من بحث بعنوان "الأضداد" للدكتور منصور فهمي، في مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة: العدد الثاني: ص ص 234-235.

(5) يخرج ألفاظ التهكم والاستهزاء والتفاؤل.

(6) يخرج الألفاظ التي تُكَلِّفُ فيها الضدية.

وهكذا إذا طبقنا هذه الملاحظات وحذفنا على ضوءها متضادات من التي أوردتها جامعو الأضداد، خاصة ابن الأنباري خرجنا بعدد غير كثير من الأضداد تكون نشأتها طبيعية.

وبما أن التضاد نوع من الاشتراك، وقد بينا أن المنهج الحديث في دراسة الاشتراك هو المنهج الوصفي الذي يُعنى بدراسة الألفاظ في قطاع معين وفي فترة معينة أي تعنيه وحدتي الزمان والمكان ويرفض المنهج الفضافاض الذي يتسع لربعة مكانية شاسعة ومساحة زمنية واسعة، فلو أخذ هذه المنهج بعين الاعتبار لضاعت دائرة الأضداد أيضاً وقد تنبه إلى شيء من هذا المنهج ابن دريد وذلك في تعليقه على ما أورده في الجمهرة "الشَّعْبُ : الافتراق والشَّعْبُ : الاجتماع. وليس من الأضداد وإنما هي لغة قوم ". فابن دريد (321 هـ) قد تنبه إلى أن اختلاف معنى الكلمة الناتج عن استعماله في مكانين مختلفين يخرجها من التضاد، وهو ما يستفاد من تعليق السيوطي بقوله : " فأفاد بهذا أن شرط الأضداد أن يكون استعمال اللفظ في المعنيين في لغة واحدة ⁽¹⁾، أي في لهجة قبيلة واحدة في بيئة واحدة، ويقع ذلك من المنهج الوصفي في الصميم.

وعوامل نشأة الأضداد كثيرة متناثرة هنا وهناك بشكل يعوزه التنظيم والتنسيق ويمكن إجمالها في أسباب رئيسة خمسة:

1.3.4 السبب اللهجي

وهو أن نستعمل اللفظ في قبيلة بمعنى، ونستعمل قبيلة أخرى اللفظ نفسه في معنى مناقض له تماماً، فيصبح المعنيان جاريين عليه، ويدخل اللفظ بذلك في حظيرة الأضداد قال الأنباري : " إذا وقع الحرف على معنيين متضادين، فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة بينهما ولكن أحد المعنيين لحى من العرب والمعنى الآخر لحى غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء ⁽²⁾، مثال ذلك ما أورده السيوطي نقلاً عن الخريب المصنف " السدفة في لغة تميم الظلمة، وفي لغة قيس الضوء، ولحق كتب في لغة بني عقيل، وسائر قيس يقولون لمقته محوته ⁽³⁾.

(1) المزهر: 1/396.

(2) الأضداد: ص11.

(3) المزهر: 1/389.

ويتقلب هذا العامل في أوضاع عدة هي :

أ - أن تدل الكلمة في وضعها الأصلي على معنى عام مشترك بين ضدين بحيث تصلح الكلمة لكل منهما لوجود هذا المعنى الجامع بينهما أو الذي يجعل العلاقة قائمة بينهما، ويحصل أن يغفل هذا المعنى العام فتظن الكلمة من قبيل الأضداد : كإطلاق لفظ القرء على الطهر والحيض فالقرء يدل في وضعه الأصلي على " الوقت المعتاد " كقولنا : للأنفلونزا قرء : أي تعاد المجيء فيه وهو الشتاء مثلاً. ولما كان حيض المرأة وطهرها يحصلان في وقت معين تعتاده المرأة فهما يتفقان مع القرء في هذا المعنى، فأطلقت الكلمة عليهما، أي صارت تطلق على النقيضين أو الضدين وهما الحيض والطهر، فأصبحت من الأضداد.

ب- كذلك قد يأتي التضاد للفظ عن طريق انتقاله من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي، بحيث تستعمل الكلمة في ضد معناها على سبيل الاستعارة، ومع طول الاستخدام ينسى وجه المجاز فيها فيصبح استعمال اللفظ فيما يقابل أو يضاد معناه الأصلي في قوة المستعمل على حقيقته يقول في المخصص " لا يكون (أي التضاد) قصداً في الوضع ولا أصلاً ولكنه من لغات تداخلت أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار بمعنى ثم تستعار كشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل " (1).

وأما تداخل اللغات فقد سبقت الإشارة إليه في السبب اللهجي، ويشير بعده إلى السبب المجازي في استعمال اللفظ في ضد معناه على سبيل الاستعارة التي تكثر وتغلب وتشتهر في الاستعمال فتصبح كالحقيقة.

ج - قد يكون معنى اللفظ عاماً فتخصص دلالاته مع الاستعمال، وقد يأخذ هذا التخصص طريقتين متقابلتين أو متناقضتين يقول د. أنيس : " قد يؤدي إلى التضاد أن المعنى الأصلي للكلمة يكون عاماً غير محدود ثم يتحدد معناه مع الزمن، ولكن في تطوره وتحدد معناه قد يتخذ طريقتين متضادتين : تُب تخصص في لهجة الشمال بمعنى أقرن، وفي لهجة الجنوب بمعنى الجلوس " (2).

وقد يحدث العكس أن يكون اللفظ موضوعاً لمعنى خاص ثم يستعمل عاماً فيجمع في تعميمه بين النقيضين بقول الشدياق : " إن من عادة العرب أن تضع لفظاً مخصوصاً لمعنى مخصوص. ثم إذا كثرت استعماله فكثرت عن ذلك القيد واستعملته

(1) المخصص: 13/ 259.

(2) في اللهجات العربية: ص 211.

استعمال المطلق العام ومثاله الجبل فإنه في الأصل موضوع للأمر العظيم ثم استعملته بمعنى مطلق الأمر فتناول الحقير⁽¹⁾.

د - إن ما يسمى تداعي المعاني يشارك بنصيب قل أو أكثر في ظاهرة التضاد فكل معنى يثير ما يشابهه أو يخالفه من المعاني وقد عبر يوست تريير Jost Trier العالم الألماني تعبيراً دقيقاً عن هذا الأمر بقوله: "كل كلمة تلفظ تؤثر معناها المضاد"⁽²⁾.

هـ - ما يحصل للمعنى من تغير أو تبدل عبر الزمن حيث يستعمل في عصر أو في وقت معين بمعنى، وفي عصر تال يستعمل للدلالة على معنى آخر قد يضاد المعنى الأول وهكذا يتصاحب الاستعمال فينضم اللفظ إلى الأضداد يقول الأنطاكسي: "ويجب ألا ننسى أن تبدلات المعنى كثيراً ما تنتهي باللفظ إلى أن يعبر عن عكس ما كان يعبر عنه من قبل، ويحدث في بعض هذه الحالات أن يحتفظ بالدالتين القديمة والحديثة فيصير من الأضداد ويمثل لذلك بكلمة (استهتر) تدل على معنى (أهبط) وعلى معنى (استهان)⁽³⁾".

و - أن يكون أحد المعنيين نتيجة للآخر: كخفي البرق بمعنى ظهر لحظة وبمعنى استتر، وهذا سبب نقله الدكتور منصور فهمي عن المستشرق جيز فالاستنار نتيجة للظهور، وكلاهما تدل عليه "خفي"؛ فهي من الأضداد.

3.3.4 الأسباب الاجتماعية والنفسية

التي تشارك عن قصد وعن غير قصد في ظاهرة الأضداد، فلتفاؤل نقول للصحراء مفازة، وللركب المسافر قافلة " وكثيراً ما نعبر عن الشيء باسم ضده زيادة في تقوية التعبير به وإثارة اهتمام السامع ألا ترانا إذا أعجبنا بشخص قلنا عنه: شيطان، ملعون. بهذا نستطيع أن نفسر كثيراً من الأضداد، ولا سيما تلك التي تعبر عن صفات لها في نفس المتكلم معنى خاص"⁽⁴⁾ وقد يحدث عكس هذا أن نطلق على الضرير بصيراً وعلى الأطرش ثقيل السمع؛ هرباً من الألفاظ النابية التي تؤذي مشاعر من نخاطبهم، وإن كنا نلجأ أحياناً إلى التضاد من أجل التهكم فنطلق على الثقيل لفظ خفيف وعلى الأسود لفظ أبيض وعلى الفارغ لفظ ملآن وعلى المدوغل لفظ سليم. وهكذا حمل النقيض على النقيض لسبب اجتماعي أو نفسي يسهم بنصيب لا بأس به في ظاهرة التضاد.

(1) سر الليال في القلب والابdal: ص551.

(2) الدكتور محمود السمران: علم اللغة: ص311.

(3) الوجيز في فقه اللغة: ص396.

(4) المرجع السابق.

وهناك سبب آخر وهو النسبية في تقبل الأشياء من قبل النفوس فما اعتبره طيباً قد تعتبره على العكس من ذلك يقول د. فهمي ويؤول جيز Giese الأضداد كذلك بعدم قابلية التأثيرات والانفعالات للضبط المحدود لتأثير الرائحة في النفوس كما لو قيل " نذر " للرائحة الطيبة والرائحة الممتنة ⁽¹⁾.

4.3.4 الأسباب الصرفية

قد تقع الألفاظ موقع الضدية نتيجة لسبب صرفي كالتعدية مثلاً في " أشكيت الرجل أتيت إليه ما يشكوني فيه وكذلك إذا رجعت له من شكايته إلى ما يحب " ⁽²⁾ فالتعدية بالهمزة رجعت على اللفظ بالضدية، فأصبحت أشكى تدل على أنني فعلت شيئاً جعله يشكوني من أجله، وقد تدل على أنني أزلت شكواه. وكذلك أعجمت اللفظ بمعنى أزلت عجمته أو جعلته معجماً وكذلك لفظ " مترجم " فإنه يطلق على اللفظ الأجنبي المترجم إلى العربية وكذلك على اللفظ الذي تُرجم عن لغة أجنبية. كذلك لو قلنا أقفلت القنطرة أو حتى فتحت فإن الفعل أقفل قد يدل على معنيين متناقضين فهو إما أن القنطرة قد أقفلت في وجه المرور بالسيارات وغيرها وبالتالي تكون قد فتحت لمرور السفن والعكس صحيح أيضاً بمعنى أنها قد أغلقت في وجه السفن لتمر عليها السيارات والمارة، وكذلك يمكن إطلاق لفظ المبايعة على البيع والشراء.

5.3.4 الأسباب الصوتية

وتتمثل فيما حكاه ابن درستويه في الاشتراك وهو أن الحذف والاختصار قد يقعان في لفظ من الألفاظ حتى يشبه لفظاً آخر فيصيبه التضاد يقول ب. وافي : " قد ينال الأصوات الأصلية للفظ ما بعض التغيير أو الحذف أو الزيادة وفقاً لقوانين التطور الصوتي. . فيصبح متحداً مع لفظ آخر يدل على ما يقابل معناه ⁽³⁾ ويؤيد ذلك ما قاله د. أنيس : " قد يترتب على التطور الصوتي في كلمة، أن تصبح مماثلة في لفظها لكلمة أخرى مضادة في المعنى كالجون من جن ثم أصبحت بالتطور بمعنى ستر وقلبت إحدى النونين وأو " ⁽⁴⁾.

(1) د. منصور فهمي، بحث الأضداد، مجلة المجمع، القاهرة، العدد الثاني، ص 241-242.

(2) المزهر: 1/ 391.

(3) علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة: ص 164.

(4) في اللهجات العربية: ص 213.



أسئلة التقويم الذاتي (8)

1. ما التضاد؟ وما المنهج الأمثل لدراسته ؟
2. وما حجة منكريه؟ وما رد الأنباري عليهم ؟
3. ما عوامل نشأته ؟



تدريب (8)

1. ما الفرق بين التضاد والطباق ؟
2. وما الفرق بين التضاد والاشتراك اللفظي ؟
3. اذكر أضداد الكلمات التالية:
المخالطة، الحرص، الرقة، الإقدام، الصبر، القصد، العاجل، التقدير، التألد.

5. الخلاصة

- لقد فصلنا القول في هذه الوحدة، في الجوانب الصوتية والدلالية، وهي الجوانب التي تتعرض للتطور والتغيير في اللغة أكثر من غيرها. ثم انتقلنا الى الحديث عن طرائق النمو اللغوي كالاشتقاق والنحت والتعريب، وأنهينا الوحدة بطرق تعدد المعنى كالترادف والاشتراك والتضاد وقد بينا ما يلي:
- عوامل التطور اللغوي الصوتي والدلالي، كانتقال اللغة من السلف إلى الخلف وتأثر اللغات ببعضها، وأسباب اجتماعية ونفسية وجغرافية وأدبية.
- التطور الصوتي وخواصه وأقسامه من تغييرات صوتية تاريخية غير مشروطة وتركيبية مشروطة وقوانينها من مماثله إلى مخالفة وأقسامهما
- أشكال التطور الدلالي: من تخصيص إلى تعميم وانتقال وانحطاط ورتقي للمعنى
- وعرفنا الاشتقاق، وبيننا حدوده وأنواعه (عام وكبير وأكبر) وجواز الاشتقاق من غير أسماء المعاني كأسماء الذوات وغيرها.
- عرفنا النحت وشروطه وأنواعه.

- وعرفنا التعريب ومعانيه، ومستوياته، وبيّنا آراء العلماء في معرّب القرآن الكريم، وآراءهم في الاقتراض اللغوي بشكل عام والفرق بين المعرّب والدخيل والمولّد.
- بيّنا طرق أئمة اللغة في معرفة المعرّب والدخيل والمولّد.
- وعرفنا الترادف والاشتراك اللفظي والتضاد وطريقة دراستها المثلى.
- وبيّنا المنكرين فالترادف مثلاً نحو ثعلب والفارسي والترمذي والمؤيدين له الأصمعي وابن خالويه والرازي وعلى هذا النسق الاشتراك والتضاد.
- وبيّنا في كل منها الأسباب والعوامل التي تؤدي إليها مثلاً تذكر الأسباب والعوامل كالأسباب اللهجية، والاجتماعية، والنفسية، والقواعد اللغوية الصرفية، والصوتية والدلالية.

6. لمحة عن الوحدة الدراسية السادسة

عزيزي الدارس، سنتناول في هذه الوحدة وهي بعنوان "العربية والمناهج اللغوية" كالمناهج المعيارية والتاريخية والمقارن والوصفي، والوصفي الإحصائي، وسنذكر مقومات المنهج المعيارية ومبادئ التاريخي وتيارات المقارن وأسس الوصفي واتجاهات الوصفي الإحصائي.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

- صوت القاف: الذي يلفظ في بعض المناطق: كافاً وفي بعضها همزة، وينطق أيضاً صوتاً أشبه بصوت G في مثل good.
- صوت الكاف يلفظ في الريف الفلسطيني ch (الكشكشة).
- صوت الهمزة يلفظ كذلك في بعض مناطق الريف الفلسطيني همزة فيقال اسعل في أسأل مثلاً ويمكن كل طالب أن يذكر ما يلاحظه من تغييرات صوتية في قريته أو مدينته.

تدريب (2)

- عقيدة: من العقد نقيض الحل، والعقدة للجل ما يمسكه ويوثقه والعقيدة تطوّرت من

هذه المعاني المادية إلى معنى جديد في الاسلام ونقصد بها الصفات والأعمال التي توثق صلة العبد بربه وهي دليل الإيمان الوثيق بالله عز وجل.

- سبحانه: أصلها من السبح وهو المعنى الأساسي اللغوي ثم تطوّر إلى معنى البعد والتباعد، فصار يعني التسبيح ذكر الله، الذي لا تدركه العين لبعده، وصارت تعني التنزيه والتبرّك لله ببعده عن كل عيب أو نقص.

- دين: من معانيها السلطة والحكم والأمر والسلطة واستخدام القوة القاهرة للطاعة وجعله المخلوق عبداً وقبوله الخضوع، وكذلك الشرع والمذهب والملة والقضاء والحساب ومن هذه المعاني مجتمعة أطلقت كلمة دين على الذي يخضع لسلطان الله عز وجل ويخضع لربوبيته وعبوديته ويؤمن بوحديته، ولا تتم حريته إلا بعبوديته التامة لله عز وجل.

- الجر: معناه السحب ثم اصطلح في النحو على تسمية الاسم المخفوض أو المكسور بالمجرور، والمجرور ويكون مخفوضاً أو مكسوراً. فتطوّر المعنى المادي الحقيقي إلى معنى مجازي.

- الجزم: في اللغة القطع، ولما كان في التسكين قطعاً ووقفاً في الحديث، أطلق عليه مصطلح الجزم.

تدريب (3)

- قَتَلَ، قُتِلَ، تَقَتَّلَ، اقْتَلَ، قَاتَلَ، قَاتِلٌ، قُوِتِلَ، قَاتِلٌ، قَاتَلَ، مَقَاتَلَ، مَقْتُولٌ، قَتِيلٌ، مَقْتُلٌ، قَتْلٌ.

- بَعَثَ، بُعِثَ، يَبْعَثُ، يُبْعَثُ، بَعَثَ، بَعَثَ، مُبْعَثٌ، مُبْعَثٌ.

- تقاليب: ق ت ل فهي: قَتَلَ وهما المستعملان فقط بمعنى الهلاك وأما تَلَقَّ وتَقَلَّ ولَقَّت ولُنِّقَ فهي غير مستعملة ولا معنى لها طبعاً؛ ولا تجتمع كذلك على معنى جامع؛ إلا إذا اعتبرنا التقلبين المستعملين كافييين لتطبيق النظرية عليهما، وهو أمر مستبعد.

تدريب (4)

1. درعمي: من دار العلوم / البرمائي: من البر والماء / هندواوروبي: من الهندي الأوروبي / اللاإرادي: لا إرادة / سبحة: من سبحان الله (سَبَّحَ لَهُ) / ما وردني: ماء، وورد / كهرومغناطيسي: كهرباء، ومغناطيس.

2. أدام الله عزك: دمعز، أطال الله بقاءك: طليق / الحمد لله: حمدل.

تدریب (5)

- باص مأخوذة من Bus - بص فقد مُدَّت الفتحة القصيرة فأصبحت طويلة أي ألفاً لتناسب الأوزان العربية عندما تصبح ثلاثية.
- ميكانيكي: من mechanical أخذ المصدر الانجليزي ومدت فتحة الكاف وكسرة النون وأضيفت إليه ياء النسبة.
- غاز من gas لقد غيّر صوت G إلى كاف.
- الليسانس في الأصل License أضيف إليها ال التعريف وتغيير في العلل تقصيراً أو مداً.
- سندويش: من sandwich وقد حصل تقصير للعلة الطويلة وتحول صوت ch الى شين صريحة.
- جهنم، فردوس، سندس، أسبرق.

(6) **تدریب**

1. السور: الحُبور، الجَدَل، الفَرَح، البُهْجَة، الغَيْبَاء، الاستبْشَار.
- اشْتعلت الحرب، ونشبت، واضطربت، وأتقدت، واستعرت، والتهبت، واصطلت، واحتمت، وتأججت.
2. فإنَّ الدلالة الجامعة بينها هي النوم ولكنَّ هناك فروقاً بينها فالنعاس أول النوم والترنيق أعمقه، والسُّبات نوم المريض، والقبولة نوم الظهر.

تدریب (7)

- السياقات هي التي تفرّق فيقال: - هذا حديث كذب / وهذا حديث الرسول عليه السلام / وهذا أمر حديث عليّ فأنا لم أعهد من قبل.

تدریب (8)

1. التضاد: الكلمة الواحدة لها معنيان متضادان: كالجون للأبيض والأسود.
الطباق: كلمتان لها معنيان متضادان نحو: الأسود والأبيض.
2. الاشتراك اللفظي: الكلمة لها عدة معانٍ غير متضادة، وأما التناقض فيشترط في التضاد.
3. المخالطة: المجانبة/ الحِزْص/ الإنفاق/ الرُقَّة/ القضاة/ الإقدام: الإحجام.
الصبر: الجَزَع/ القصد: السُرْف/ العاجلة: الآجلة/ التقدير: التذير/ التالد: الطارف.

9. المراجع

أ- المراجع العربية :

1. الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، دمشق: مطبعة الجامعة السورية، 1370هـ-1951م.
2. أمين، أحمد، فجر الاسلام، ط7، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1374هـ-1971م.
3. الأنباري، محمد بن القاسم، الأضداد، تحقيق عبد السلام هارون، مصر: مؤسسة الخانجي، 1378هـ-1958م.
4. الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار النهضة بمصر، بلاط.
5. الأنطاكي، محمد، الوجيز في فقه اللغة، بيروت: دار الثقافة، 1389هـ-1969م.
6. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1975م.
7. أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ط3، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1976م.
8. أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ط6، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1984م.
9. أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، ط2، القاهرة: 1962م.
10. باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، طرابلس: جامعة طرابلس، 1973م.
11. البركاوي، عبد الفتاح، قضية التعريب بين التراث وعلم اللغة الحديث، مجلة كلية اللغة العربية المنصورة، جامعة الأزهر، العدد الحادي عشر، 1411هـ-1991م.
12. ابن بري، عبد الله أبو محمد المقدسي المصري، في التعريب والمعرب، (حاشية ابن بري على كتاب المعرب للجو اليقي)، تقديم وتعليق، إبراهيم السامرائي، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ-1985م.
13. بويو، مسعود، أثر الدخيل على العربية الفصحى، دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1982م.
14. التهانوي، محمد علي الفاروقي، تحقيق لطفي عبد البديع، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1963م.
15. الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، بلاط.

16. الجندي، علي، البلاغة الغنية، القاهرة: مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، 1375هـ-1956م.
17. ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، يلات.
18. ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداي، ط1، دمشق: دار القلم، 1405هـ-1985م.
19. ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، المحتسب في شرح شواذ القراءات، تحقيق علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح شلبي، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ج1: 1386هـ-1966م، ج2: 1398-1969م.
20. ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، المنصف في شرح تصريف المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط1، القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1373هـ-1954م.
21. الجو اليقي، موهوب بن أحمد بن أبي طاهر (أبو منصور)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط2، القاهرة: دار الكتب، 1969م.
22. حجازي، محمود فهمي، اللغة العربية عبر القرون، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978م.
23. حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978م.
24. حسّان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.
25. حسّان، تمام، مناهج البحث في اللغة، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1955م.
26. حسن، عبد الحميد، الألفاظ اللغوية، القاهرة: معهد البحوث والدراسات، جامعة الدول العربية، 1971م.
27. الحسيني، عبد الرشيد، المغربات الرشيدية، ترجمة وتعليق نور الدين آل علي، أمين بدوي، (ضمن كتاب التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية)، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1399هـ-1979م.
28. الخفاجي، شهاب الدين أحمد، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تصحيح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة: مكتبة القاهرة، مكتبة الحرم الحسيني التجارية، 171هـ-1952م.
29. خلف الله، محمد أحمد، أحمد فارس الشدياق، القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية، 1955م.
30. خليل، حلمي، المولد، ط2، الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م.

31. خليل، السيد، دراسات في القرآن الكريم، القاهرة: دار المعارف، 1972م.
32. الخولي، أمين، فن القول، القاهرة: دار الفكر العربية، 1366هـ-1948م.
33. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام هارون، مصر: مؤسسة الخانجي، 1378هـ-1958م.
34. الراجحي، عبده، فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت: دار النهضة العربية، 1974م.
35. الرازي، أبو حاتم، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تحقيق حسين فيض الله الهمداني، ط2، القاهرة: 1957م.
36. رمضان، عبد التواب، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، القاهرة: الرياض: مكتبة الخانجي، دار الرفاعي، 1404هـ-1983م.
37. رمضان، عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، ط2، مصر: دار المعارف، 1967م.
38. رمضان، عبد التواب، العربية الفصحى وتحديات العصر، مجلة كلية اللغة العربية، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العددان: 13، 14، 1403هـ-1404هـ.
39. الزمخشري، جار الله محمود، أساس البلاغة، القاهرة: 1299هـ.
40. الزمخشري، جار الله محمود، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت: بلات.
41. زيدان، جورجى، الفلسفة اللغوية، ط1، بيروت، دار الجيل للنشر والتوزيع، 1982م.
42. السامرائي، إبراهيم، التطور اللغوي التاريخي، ط3، بيروت: دار النهضة العربية، 1979م.
43. السامرائي، إبراهيم، فقه اللغة المقارن، ط2، بيروت: دار العلم للملايين، 1978م.
44. السمران، محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، بيروت: دار النهضة العربية، بلات.
45. سلامة، إبراهيم، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ط2، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1952م.
46. ابن السكيت، يعقوب، القلب والإبدال، بيروت: نشر هفتر (ضمن الكنز اللغوي)، 1903م.

47. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.
48. ابن سيده، المخصص، مصر: مطبعة بولاق، 1320هـ.
49. السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، بيروت: دار المعرفة.
50. السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى، والبجاوي وأبي الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، بلات.
51. السيوطي، جلال الدين، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، تحقيق إبراهيم أبو سكين، القاهرة، 1980م.
52. الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت: 1990.
53. الشدياق، أحمد فارس، سر الليال في القلب والأبدال، الأستانة: المطبعة السلطانية، 1284هـ.
54. الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، ط2، القاهرة: طبع البابي الحلبي، 1373هـ-1954م.
55. ظاظا، حسن، كلام العرب، مصر: 1976م.
56. عابدين، عبد المجيد، محاضرات في علم اللغة ألقاها على طالب الدراسات العليا، جامعة الاسكندرية، من فصل بعنوان، نظرية المجال الدلالي.. في العام الدراسي، 1978-1979م.
57. عباس، حسن، اللغة والنحو، مصر: دار المعارف، 1966م.
58. أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق فؤاد سزكين، مصر: مكتبة الفانجي.
59. العسكري، أبو هلال، الفروق في اللغة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1393هـ-1973م.
60. ابن عصفور، الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، ط4، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1399هـ-1979م.
61. عمايرة، إسماعيل، بحوث في الاستشراق واللغة، بيروت، عمان: مؤسسة الرسالة، دار البشير، 1996م.
62. عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ط1، القاهرة: عالم الكتب 1402هـ-1982م.

63. أبو عودة، عودة خليل، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، 1405هـ-1985م.
64. ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، القاهرة: المكتبة السلفية، القاهرة 1328هـ-1960م.
65. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1379هـ.
66. فاضل، عبد الحق، مغامرات لغوية، بيروت: دار العلم للملايين، بلات.
67. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق عبد الله درويش، بغداد: مطبعة العاني، 1386هـ-1967م.
68. قنذريس، جوزيف، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1950م.
69. القاسمي، علي، علم اللغة وصناعة المعاجم، مصر: دار المعارف، 1962م.
70. القرطبي، أبو عبد الله الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، مصر: دار الكتب المصرية، 1354هـ-1935م.
71. القزاز، عبد الجبار، الدراسات اللغوية في العراق، بغداد: دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة العراقية، 1981م.
72. الفيرواني، ابن رشيقي، العمدة في الشعر ونقده، القاهرة: ط 1907م، 1344هـ-1925م.
73. الكرمل، أنستاس، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاؤها، القاهرة: المطبعة العصرية، 1938م.
74. ابن كمال، باشا، رسالتان في المعرب للمنثشي وابن كمال باشا، تحقيق سليمان العايد، مكة المكرمة: 1989م.
75. اللغوي، أبو الطيب، الإبدال، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق: 1961م.
76. المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، ط3، بيروت: دار الفكر، 1968م.
77. متزن، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة أبو ريده، ط4، بيروت، دار الكتاب العربي، 1387هـ-1967م.
78. المخزومي، مهدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، بغداد: مطبعة الزهراء، 1960م.
79. ابن مراد، إبراهيم، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985م.

80. المغربي، عبد القادر، الاشتقاق التعريب، ط1، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1366هـ-1947م.
81. مكرم، عبد العال سالم، دفاع عن كتاب الله تعالى، قضية الكلمات الأعجمية في القرآن الكريم، الكويت: مجلة الوعي الاسلامي، العدد 82، 1391هـ.
82. آين منظور، لسان العرب، مصر: دار المعارف، بلاط.
83. النشار، علي سامي، مناهج البحث عند مفكري الاسلام، مصر: دار المعارف، 1966م.
84. وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، ط9، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بلاط.

ب- المراجع الأجنبية :

1. Alexander (Henry): The Story of Our Language, Anchor Books, NewYork: 1969
2. Jones (Daniel): The Phoneme, Its Nature and Use, Cambridge: 1962.
3. Palmer (F. R.): Semantics, Cambridge University Press: 1977.
4. Sturtevant (Edgar): An Introduction to Linguistic Science, New Haven, Yale U. Press: 1961.
5. Trench (Richard): On the Study of Words, Dent Sons Ltd, London: 1930.
6. The Encyclopedia Britannica, Helen Hemingway. Publisher, 15th ed. 1973-1994, V. 111.



الوحدة السادسة

العربية والمناهج اللغوية



محتويات الوحدة

المرسوع	الصفحة
1. المقدمة	373
1.1 تمهيد	373
2.1 أهداف الوحدة	373
3.1 أقسام الوحدة	373
4.1 القراءات المساعدة	374
5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة	374
2. المنهج المعيارى ومقوماته	375
3. المنهج المقارن: تياراته - ومبادئه	378
4. المنهج التاريخى وأهدافه	383
5. المنهج الوصفى، والوصفى الإحصائى	386
6. الخلاصة	392
7. إجابات التدريبات	392
8. المراجع	394

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس:

مرحباً بك في هذه الوحدة وعنوانها (العربية والمناهج اللغوية) ومن أجل الوصول إلى مفهوم واضح للمناهج اللغوية التي يمكن دراسة أنظمة العربية بوساطتها، عرّفت بكل منهج منها، بأن يبينت جذوره التاريخية وأساسه التي يقوم عليها وتميزه عن غيره من المناهج، وهذه المناهج هي: المعيارية، والمقارن، والتاريخي، والوصفي والوصفي الإحصائي اللغوي.

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك، عزيزي الدارس، بعد دراسة الوحدة أن تصبح قادراً على أن :

- 1- تعرف أظهر المناهج اللغوية : التاريخي، والمقارن، والمعيارية، والوصفي والإحصائي.
- 2- تبيين الفروق بين المناهج سائلة الذكر.
- 3- تحدد مزايا المناهج اللغوية من خلال أمثلة مطبقة على اللغة العربية.
- 4- تقدم أمثلة عملية تبين كيف يمكن أن يتوصل إلى الحقيقة اللغوية خلال تكامل المناهج في إلقاء الضوء على أبعادها المتعددة.

3.1 أقسام الوحدة

تقسم الوحدة إلى أربعة أقسام هي :

- 1- المنهج المعيارية ومقوماته.
 - 2- المنهج المقارن بتياراته ومبادئه
 - 3- المنهج التاريخي وأهدافه
 - 4- المنهج الوصفي والوصفي الإحصائي والأسس التي يقوم عليها.
- بعد دراستها سيجد الدارس أنها تغطي الأهداف الأربعة سائلة الذكر والمنهج المعيارية فيه حديث عن مقوماته التي تميزه عن بقية المناهج، وفي آخر الوحدة تطبيق عملي لجميع المناهج للوصول إلى الحقائق اللغوية من خلالها، فأقسام الوحدة تغطي كلها مجتمعة أهداف الوحدة.



4.1 القراءات المساعدة

- 1- باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، طرابلس : منشورات جامعة طرابلس، 1973م.
- 2- الراجحي، عبده، النحو العربي والدرس الحديث، بيروت : دار النهضة العربية للنشر، 1979م.
- 3- رمضان، عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط1، القاهرة، الرياض : مكتبة الخانجي، دار الرفاعي، 1403هـ-1982م
- 4- عمارة، إسماعيل، المستشرقون ومناهجهم اللغوية ط1، اريد : دار الملاحي للنشر والتوزيع، 1408هـ - 1988م.
- 5- مصلوح، سعد، الأسلوب، ط2، القاهرة : دار الفكر العربي، 1404هـ-1984م.

5.1 ما تحتاج اليه لدراسة الوحدة

- 1- دراسة الوحدة.
- 2- الاطلاع على المراجع ذات العلاقة.
- 3- متابعة ما يكتبه المعاصرون حول مباحث الوحدة.

2. المنهج المعياري ومقوماته

وهي الدراسة اللغوية التي تستهدف استخراج القواعد من النصوص وفرضها معياراً للاستعمال اللغوي، وكما يقول الدكتور تمام حسان هي (أنواع من الدراسات اللغوية، يغلب القاعدة على النص فيجعلها قانوناً حتمياً يجب احترامه وطاعته. حتى على أصحاب السليقة اللغوية"⁽¹⁾). فإذا جعل الباحث دراسته "مؤسسة على المنطق خالية من كل وجهة نظر علمية، وهي لا تهتم باللغة نفسها، بل ترى فقط أن تسنّ القواعد التي تفرق بين الاستعمالات الصحيحة وغير الصحيحة، يكون المنهج معيارياً..."⁽²⁾ وهذا المنهج تفيض به كتب النحو العربي؛ وكأن النحاة يتعاملون مع الاستعمال اللغوي تعاملهم مع السلوك الاجتماعي؛ فإنهم يقللون المقاييس الاجتماعية ويجعلون منها معايير لغوية لوصف الاستعمالات اللغوية؛ فهذا قبيحٌ أو محال، وذاك حسنٌ أو مستقيم؛ وهو اتجاه معياري يعتبر السمة الغالبة على الدرس النحوي العربي منذ كتاب سيبويه الذي لو تصفحناه لوجدنا بعض العبارات التي لا يمكن عدها إلا من قبيل البحث عن المقياس الصوابي نحو: يجوز ولا يجوز، ولم يُجَزَّ ويحسن ولا يحسن ويقبح، والحد والوجه، ولا يكون فيها ذلك، وهو عربي جيد مستقيم وحسن ومحال، ولتوثيق هذا الأمر نقتبس منه ما يلي:

"أفلا ترى أن هذا يقبح"⁽³⁾، فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك أتيتك أمس وسأتيك غداً، وأما المحال فلأن تنقض أول كلامك بآخره..."⁽⁴⁾ (واعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام"⁽⁵⁾) (فهو يجوز في كل شيء من أسماء الزمان كما جاز في كل شيء من أسماء الحدث"⁽⁶⁾)، وهذا شاذ"⁽⁷⁾ (وترك التاء الحد والوجه) وإثبات التاء.. حسن..⁽⁸⁾ ولو قلت : كان رجلٌ في قوم عاقلاً لم يحسن .. فعلى هذا النحو يحسن ويقبح .. ولا يجوز لأحد.. لو قلت كان أحد من آل فلان لم يجز)⁽⁹⁾.

(1) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 25.

(2) دي سوسير نقلاً عن المرجع السابق، ص 155.

(3) الكتاب : 1/ 21.

(4) السابق : 1/ 25-26.

(5) السابق : 1/ 26.

(6) السابق : 1/ 35.

(7) السابق نفسه.

(8) المرجع السابق : 1/ 53.

(9) السابق : 1/ 54-55 .

والأمثلة في الكتاب تفوق الحصر. وإذا انتقلنا إلى كثير من مصطلحات الخصائص سنجد ابن جني قد استخدم المطرد والشاذ، والصحيح والفاقد، وإجازة الرفع، وصحة المذهب...، ويجوز جوازاً صحيحاً، وجواز الاستدلال، وجواز العطف ولم يجل لك...⁽¹⁾ ومرذول مطروح، وفاش في الاستعمال وقوي في القياس⁽²⁾. وهي اصطلاحات لها دلالة واضحة على المعيارية.

وإذا انتقلنا إلى نحوي متأخر كابن هشام في كتابه المغني سنظفر بما يغنينا عن البحث في كتب النحاة الآخرين في الاستدلال على الاتجاه المعياري الغالب على الدرس النحوي عند العرب ونجده يردد كثيراً هو الصواب.. وهو والأصح، هو الصحيح والأرجح والوجوب والاختيار، وغلط وصوب، ولم يجر قياساً وجاز قياساً، والشذوذ.. الخ.

ويبدو أن النحاة لم يستطيعوا أن يتناسوا الطابع التعليمي للدرس النحوي الذي كان من دوافعه الأولية تصويب الأخطاء أو اللحن التي وردت على ألسنة العرب والعجم في قراءة بعض الآيات القرآنية، وهو أمر لم يستطع النحاة الفكاهة منه في تحليلاتهم اللغوية؛ حيث حرصوا على بيان المقاييس الصوابية والمعايير الصحيحة في الصرف والنحو والدلالة.

وبهذا تنسجم المعيارية اللغوية مع المعيارية الدينية والاجتماعية بمعاملة الحدث اللغوي معاملة السلوك الديني والاجتماعي، يتضح ذلك من وصف مخالفة القاعدة اللغوية بأنه خطأ أو شذوذ أو قبيح أو فاسد، وغير جائز ومرذول، ووصف الموافقة بأنها صواب أو حسن، أو جائز، أو مطرد، أو صحيح أو الأصح، وكلها في الحقيقة أوصاف لأي عمل أو موقف ديني أو اجتماعي يصادف رفضاً أو قبولاً في المجتمع. وكل ذلك من قبيل حرص النحاة على الصواب اللغوي فقد بلغ الأمر بأحدهم إلى حد تقديس المقياس الصوابي في اللغة حين قال بعد بوار تجارته (أنهم يلحنون ويربحون) يقصد التجار الذين تلقى تجارتهم رواجاً مع أنهم يلحنون في أحاديثهم، والوجه الآخر لعبارة هو أنه لا يحق لمن يلحن في كلامه أن يربح في تجارته وهذا أقرب إلى الحكم الديني منه إلى الحكم اللغوي. والمعيار اللغوي بهذا أقرب إلى المعيار الديني لشدة تقديسه للغة ومقاييسها الصوابية؛ وعليه فالسلوك الصائب في اللغة هو السلوك الصائب دينياً واجتماعياً. وعلينا الآن أن نبين أهم مقومات المنهج المعياري ومميزاته وهي:

- 1- يسعى إلى تثبيت المعايير اللغوية والمقاييس الصوابية في المستويات اللغوية لمواجهة أي تطور لغوي، لأنهم يعتبرون أي تغير انحرافاً عن النمط الفصح الصحيح.
- 2- هم المعناريين فرض القواعد التي تتصف بالعموم والاطراد وليس بالضرورة أن تكون شاملة.

(1) انظر الخصائص: 97/1، ومابعدها من باب القول في الاطراد والشذوذ.

(2) المرجع السابق: 126/1.

- 3- القاعدة معيار فما وافقها صواب، وكل ما لا ينطبق عليها يعد خطأ أو شاذاً أو خروجاً على النمط الصحيح.
- 4- تغليب القاعدة على النص، أي يعتمدون على الأقيس في اللغة وليس على الأفشى في اللغة أو الأقصح.
- 5- يهتم المعياريون بتوثيق النص أو الشاهد، وبقائمه وزمانه لانهم يقيمون عليه قواعدهم، فهو الحجة على النمط اللغوي.
- 6- يتمسك المعياريون العرب بالحدود الزمانية والمكانية والاحتجاج، ولم يولوا عناية بالأطوار اللغوية التالية؛ وذلك من أجل المحافظة على ثوابت المرحلة المعيارية، خاصة المعايير القرآنية.
- 7- مع اعتراف المعياريين بالازدواجية إلا أنهم يميلون إلى النمط الفصيح ويخططون من أجل غلبته ويهملون اللهجات التي لم تظفر بعنايتهم.
- 8- ينظرون إلى لغة القرآن الكريم على أنها لغة الحضارة الجديدة؛ لذلك كان من أهدافهم التوقف في استنباط القواعد والمعايير الصوابية عندما تمثل هذه اللغة ما اتخذوه أو اعتبروه لغة مركزية.
- 9- لم يشغل بال المعياريين العرب آخر الصور المنطوقة للغة، وكان اعتمادهم على المكتوب أكثر من اعتمادهم على المنطوق.
- 10- المعيارية لها هدف تعليمي وحضاري؛ بحرص المعياريين على العنصر الموحد للامة وهو الفصحى.
- 11- ويعتبر المعياريون الفصحى مؤشراً لقياس ثقافة الفرد والجماعة.

وبهذه المواصفات استطاع المعياريون أن يوفرُوا للعربية الفصحى أسباباً من الاستمرار والحياة والازدهار والصمود بالمحافظة على المقاييس الصوابية والقواعد المعيارية فيها التي فُرضت على المتكلمين باعتبارها نماذج يجب ألا يخرجوا عنها، ولا محل للاستغراب من التعامل بهذا المنهج في اللغة العربية فهي شريان حياتنا الدينية باعتبارها لغة القرآن الكريم التي يجب تثبيت قواعدها المعيارية؛ لحمايتها من معايير التطوير المتلاحقة.



أسئلة التقويم الذاتي (1)

1- عرف المعيارية ؟

2- ما أهم مقومات المنهج المعيارى ؟



تدريب (1)

1- ما الغرض التعليمي من المعيارية ؟

2- ما الهدف الحضاري لها ؟

3. المنهج المقارن : تياراته ومبادئه Comparative

وهو أقدم مناهج علم اللسان الحديث، وكانت نقطة البدء فيه 1786م على يد وليم جونز، الذي تنبه إلى القرابة اللغوية بين اللغة السنسكريتية من جهة وبين اللغات الأوروبية عامة، اليونانية واللاتينية خصوصاً وهكذا نشأت المقارنة العلمية بين اللغات ونمت شيئاً فشيئاً، وانتقلت إلى دراسة اللغات الشرقية أيضاً، وقد تجنب الدارسون بهذا المنهج، الدراسات التي تهتم بالمعايير والحدود. وقد ظهر أول كتاب يتبنى هذا المنهج لفرانز بوب سنة 1816 بعنوان (تصاريق الأفعال في السنسكريتية بالمقارنة بينه وبين نظام اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية)، وأخرج بين سنتي 1833 و 1852 الكتاب الذي صار عماد كل المختصين في المقارنة وهو (القواعد المقارنة Vergleichend Grammatik) الذي حل فيه بالمقارنة الأنظمة الصوتية والصرفية والتركيبية للغات المذكورة في كتابه السابق وزاد عليها لغات أخرى⁽¹⁾. ومن الكتب التي كان موضوعها البحث في العلاقات بين مجموعة اللغات السامية، ما صنفه المستشرقون⁽²⁾ من أمثال وليم رايت الذي ألف سنة 1890 كتاب (محاضرات في النحو المقارن للغات السامية). وكذلك ألف كارل بروكلمان كتاباً من جزئين هو (الأساس في النحو المقارن للغات السامية).

وظهر الجزءان على التوالي، الأول سنة 1908 وموضوعه أصوات اللغات السامية وأبنياتها الصرفية، والثاني سنة 1913 وموضوعه : دراسة الجملة في اللغات السامية، وله أيضاً كتابان صغيران أولهما "فقه اللغات السامية" والثاني "مختصر النحو المقارن للغات السامية". وليرجشتراسر المدخل إلى اللغات السامية، ومجموعة من المحاضرات أُلقيت في الجامعة المصرية. يقارن فيها بين العربية واللغات السامية الأخرى، طبعت بعنوان التطور النحوي سنة 1919 م.

- (1) انظر: مدخل إلى علم اللسان الحديث 3 للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، الجزائر المجلد الثاني، 1972؛ ص ص 10-11.
- (2) انظر: فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة رمضان عبد التواب، مقدمة المترجم ص ص 6-7، والمدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب: ص ص 202-204.

وهكذا يتناول هذا المنهج وبالدراصة المقارنة مجموعة لغات تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة⁽¹⁾، وقد انقسم هذا النوع من الدراسات اللغوية المقارنة إلى ثلاثة تيارات⁽²⁾، هي:

- المقارنة من أجل بيان القرابة بين اللغات الهندية والأوروبية.

- عقد الموازنة بين اللغات والكائنات الحية.

- التتبع التاريخي الدقيق والاهتمام بتقنين التطور وتعليله.

ولم يكتف بعضهم بالمقارنة بين اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة بل راح يقارن بين أسرتين لغويتين على نحو ما فعل مولر⁽³⁾ Müller في كتابه اللغات السامية والهندية الجرمانية (الأوروبية)، ونشر في كوبنهاجن سنة 1907، وله معجم يقارن فيه بين المفردات السامية والهندية والأوروبية ونشر كوني Cony في باريس سنة 1924 كتاباً أقامه على المقارنات النحوية يبين اللغات الهندية الأوروبية والسامية.

وقد سعى العلماء من خلال مقارناتهم إلى تحقيق أهداف عدة منها طموحهم إلى الوصول إلى اللغة الهندية الأوروبية الأم أو اللغة السامية الأم، ثم أرادوا الكشف عن أصل كل لغة والأسرة اللغوية التي تنتمي إليها عن طريق التشابه في البنى الصرفية والتركيب النحوية. فإنه لا يمكن الاعتماد على المفردات في إثبات القرابة بين اللغات والتوافق النحوي أقوى دلالة على القرابة؛ لأن اللغة التي تمتزج بغيرها لا تقتبس إلا نادراً تحولات الصرف والاعراب وقد لا تقتبسها مطلقاً⁽⁴⁾ كان من أهداف بعضهم سبر أغوار الفكر الإنساني باعتبار أن اللغة وسيلة للتعبير عن الروح القومية، وليس تنوع اللغات إلا دليلاً على تنوع العقلية وإن تفوق البنية اللغوية دليل على تفوق الذهنية والعرق، كما يقرر همبولت⁽⁵⁾ الذي يتابعه الفرنسي Tesnière الذي رأى في تنوع الأصوات والإشارات تنوعاً في النظرة إلى الكون⁽⁶⁾، واللغة في نظر هذه الفئة عبارة عن صيغة نفسية أو عقلية وأنها عند شلايشر ظاهرة طبيعية وليست اجتماعية وأن علم اللغة علم طبيعي لا علماً إنسانياً⁽⁷⁾، وهكذا أرادوا من المقارنات إثبات تفوق عرق على عرق لغوياً وحضارياً؛ مع أن تحقيق الرابطة بين اللغة والجنس أمر مستحيل كما يقول فندريس⁽⁸⁾ كذلك من أهدافهم البحث عن

(1) حجازي، مدخل إلى علم اللغة: ص 21.

(2) انظر: عبد الرحمن الماج صالح، المرجع السابق: ص 12-13.

(3) اسماعيل عمارة: المستشرقون ومناهجهم اللغوية: ص 28.

(4) جورج مونين: تاريخ علم اللغة، ص 172.

(5) المرجع السابق: ص 197.

(6) المرجع السابق: ص 198.

(7) المرجع السابق: ص 200.

(8) اللغة: ص 376.

القوانين المطردة لكل لغة على حدة⁽¹⁾، ثم لكل مجموعة متجانسة من اللغات ثم القوانين المشتركة بين اللغات بوجه عام، وقد أصبح هذا المنهج وثيق الصلة بتاريخ الحضارات واللغات حتى نستطيع أن نعد جهود المستشرقين في ميدان اللغات السامية، ونظرائهم من الباحثين في اللغات الهندية الأوروبية حلقة من سلسلة البحث عن الحضارات القديمة واللغات القديمة. والبحث عن الوثائق القديمة الأثرية للغات اليونانية واللاتينية، والنقوش العربية الشمالية والجنوبية والعبرية والآرامية والفنيقية وغيرها من أجل الوقوف على نصوص تمثل حقبة تاريخية متنوعة تمكنهم من المقارنة المتعمقة التي تستهدف لغوياً كشف العلاقة بين لغة وأخرى، ومعرفة ما إن كانت اللغات الانسانية ترجع إلى أصل واحد، وهل تربطها قواعد عامة، وكيف تطورت وانفصلت، وكيف يمكن أن يفسر ذلك التطور، وما موقع اللغات الأوروبية من اللغات الأخرى والأجناس الأخرى⁽²⁾.

وأما ميادين البحث المقارن فشملت الجانب الصوتي في اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة من أجل الوصول إلى قواعد تفسر التطور الصوتي أو التغيرات الصوتية التي أصابت الوحدات الصوتية، مما أسفر عن انقسام اللغة إلى لهجات، واللهجات إلى لغات، وإذا أردنا أن نمثل لذلك في العربية نقول إن صوت الجيم مثلاً مجهور رخو في العربية الفصحى ولكنه تطور في اللهجة القاهرية إلى صوت (g) كما في *good* الإنجليزية، أي أصبح صوتاً انفجارياً، ويبدو أن هذا هو النطق الأصلي لهذا الصوت بالمقارنة بما جاء في اللغات السامية الأخرى كما في *gamal* الحبشية، في الاكدية *gamlu* وفي العبرية *gamal* وفي السريانية *gamla* ومما يجدر ذكره أيضاً أن هذا الحرف أصابته تغيرات أخرى فينطق دالاً في صعيد مصر، وأقرب إلى الشين في لهجات أخرى كما في بلاد الشام، أي إن هذا الصوت المركب من الدال والشين انحل إلى أحدهما في لهجة، وإلى الآخر في لهجة أخرى ولا يفوتنا أنها تنطق ياء في بعض البيئات العربية.

وقد تحدثت المقارنات على المستوى الصرفي كدراسة الضمائر بين اللغات السامية وأبنية الأفعال وصيغ المشتقات، كالذي فعله بروكلمان في كتابه *فقه اللغات السامية*. وأما المستوى النحوي فيمكننا إجراء المقارنات في الإعراب والحركة الإعرابية في اللغات السامية ومدى أصالة الإعراب في العربية وأخواتها، وعلى مستوى المفردات؛ فإن المقارنة تجعلنا نقف على الأصل من الدخيل في العربية مثلاً، أو في الساميات من جهة واللغات الهندية الأوروبية من جهة أخرى؛ فإن ذلك يفيد في معرفة الألفاظ المشتركة بين الساميات وما طرأ على الألفاظ من تطور دلالي، سواء أكانت هذه الألفاظ من تقارض

(1) المستشرقون ومناهجهم اللغوية: ص 26.

(2) المرجع السابق: ص ص 27-28 (يتصرف).

اللغات السامية فيما بينها كالذي حدث بين العربية وأختها السريانية أم كانت من المعرب الذي جرى اقتراضه من اللغات الأخرى كالذي حدث بين العربية والفارسية، على سبيل المثال.

والمنهج المقارن يعتمد على مبادئ أساسية يحددها أنطوان ميبه⁽¹⁾ Meillet وتحدث الأخطاء من جزاء عدم مراعاتها عند المقارنات، وأول تلك المبادئ:

هو أن اللغات تصدر عن تغييرات في عناصرها الموجودة لا عن خلق جديد، فمن يريد أن يضع اسماً لشيء جديد يستعير عادة عناصر الكلمة من لغته أو من لغة أجنبية وذلك كاللفظة الألمانية fernsprecher (الهاتف) مأخوذة من fern (بعيداً) sprecher (متحدث) .. وإن كان الأمر ليس أمر خلق خالص .. وأنه إذا لم يكن من الثابت قط أن بعض الكلمات لا يمكن أن تعتبر مخلوقة من العدم على نحو ما، بحيث لا نجد لها أصلاً اشتقاقياً، إلا أنه من المسلم به أن كل طريقة خاصة للنطق، وكل نظام نحوي عام لا بد أن يكون استمراراً لطريقة أو نظام سابقين.

والمبدأ الثاني، هو أنه ليس ثمة بين الاصطلاح اللغوي والشيء الذي وضع له ذلك الاصطلاح أية علاقة طبيعية، وإنما هي علاقة تقاليد فليس في الضمائر أنا وأنت وهو، شيء يدل بذاته على أحد الأشخاص الثلاثة، وإنما تستعمل لأنه في جماعة بشرية ما، جرت التقاليد بأن تستعمل تلك الصيغ، ومن ثم نرى أكثر علماء اللسان حنكة عاجزاً كغيره من الناس أمام خطبة أو نص مكتوب في لغة مجهولة جهلاً تاماً.. وكل اتفاق في التفاصيل بين لغتين لا يصدر إلا عن رابطة تقليدية تاريخية بينهما وأنه لمن المعترف به اليوم أن الاستعارة تلعب دوراً هاماً في نمو اللغات، وهي ليست ظاهرة شاذة، بل عادية كثيرة الحدوث بين لغتين، تدل على أن هاتين اللغتين تمثلان حالتين للغة واحدة تطورت فانتهدت إليهما.. ومن الممكن أن يكون التوافق بين مفردات منعزلة نتيجة للمصادفة البحتة على نحو ما تدل كلمة bad في اللغتين الفارسية والإنجليزية على معنى (رديء)، كما أنه من الممكن أن يكون نتيجة لاستعارة اللغتين من لغة واحدة ومجموعة من الموافقات في عوامل الصيغة لا في قواعد ترتيب الألفاظ فحسب، تدل على وحدة الأصل دلالة ثابتة، والمنهج المقارن يمكننا من سد النقص الذي يجده علم اللسان التاريخي في الوثائق، ولكنه لا يسمح لنا بأن نرد حدود معارفنا إلى ما خلف أقدم الوثائق التي لدينا.

(1) علم اللسان : ص ص 453-463، الملحق بكتاب النقد المنهجي عند العرب للدكتور محمد مندور.

والمبدأ الثالث: مضمونه أن التغير لا يحدث على نحو شستت غير مطرد بل يحدث وفقاً لقواعد ثابتة يمكن أن تصوغها في دقة، إذا تناولنا لغة في عصرين متتابعين من تاريخ تطورها، وإن التغير يحدث على نحو مستقل متميز في كل عنصر من عناصر اللغة الثلاثة: الصوت وعامل الصيغة والكلمة.. فالمقابلات الصوتية في العادة مطردة، ما لم تعارضها عوامل صوتية أخرى، ونحن نسمي أمثال تلك المقابلات المطردة قانوناً صوتياً، الذي يعبر عن علاقة بين حالتين متابعتين للغة واحدة في وسط اجتماعي ما وهو ليس قانوناً عاماً شبيهاً بقانون علم الطبيعة أو علم الكيمياء، وهو يعبر عن وقائع خاصة بلقطة ما في فترتين متميزتين في مكان ما .. وإذا عارضنا الصيغ النحوية للغة ما في فترتين متابعتين من تاريخها، نجد أن هناك مقابلات مطردة .. وأما عن المفردات فلكل كلمة حياتها المستقلة فالتغيرات التي تصيب كلمة ما خاصة بتلك الكلمة، فإن أصابت غيرها لم يَعد ذلك بعض الكلمات المجاورة في المعنى أو في الصيغة.



أسئلة التقويم الذاتي (2)

- 1- كانت تتوزع الدراسات اللغوية في أواخر القرن التاسع عشر ثلاثة تيارات، اذكرها؟
- 2- ذكر أنطوان ميه ثلاثة مبادئ يقوم عليها المنهج المقارن وضحها ؟



تدريب (2)

- 1- ما موضوع الدراسات المقارنة في اللغة ؟
- 2- لقد كان لبعض العلماء أهداف غير لغوية من الدراسات اللغوية المقارنة اذكر بعضها.

4. المنهج التاريخي وأهدافه Diachronic

لقد بدأت الدراسات اللغوية التاريخية سنة 1816م متداخلة مع الدراسات المقارنة، وقد اعتبر جريم Grimm مؤسساً لهذا النوع من الدراسات اللغوية التي تستهدف معرفة جميع التطورات في لغة ما من خلال مجموع تاريخها، وليس إثبات القرابة بين اللغات. وقد اعتبر هرمان بول أن الدراسة العلمية الوحيدة للغة، هي الطريقة التاريخية⁽¹⁾. واعتبر ماييه من جانبه أن النحويين الشباب Junggrammatikers هم نقطة التحول الحقيقية من القواعد المقارنة إلى المنهج التاريخي⁽²⁾، لأنهم يعتبرون علم اللسان علماً تاريخياً. وتغلّبت النزعة التاريخية على الدراسات اللغوية إلى أواخر القرن التاسع عشر؛ حتى إن مصطلح Linguistics منذ سنة 1826 في فرنسا، و سنة 1855 في بريطانيا كان يعنى العلم الذي يدرس عن طريق المناهج المقارنة والتتبع التاريخي لأطوار اللغات:

"ويرمى المنهج التاريخي من دراسة اللغة إلى تتبع الظاهرة اللغوية في ماضيها وحاضرها سعياً وراء تفسير مقنع لما قد يطرأ عليها من تطورات، ورغبة في اكتشاف القوانين التي تحكمها ومحاولة للإفادة من ذلك في تصور الوجهة التي تسير إليها هذه الظاهرة في المستقبل"⁽³⁾ فالمنهج التاريخي وسيلة لا غنى عنها لتفسير الظاهرة اللغوية التي تحتاج للتفسير التاريخي أكثر من غيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى لمعرفة: أ- التطورات والتغيرات الطارئة عليها بمقارنة الظاهرة في زمن معين ثم زمن سالف، لمعرفة مظاهر التحول وتفسيرها.

ب- الوقوف على القوانين التي تحكم الظاهرة في حاضرها.

ج- وضع أو تصور الوجهة التي يمكن أن تسير هذه الظاهرة إليها في المستقبل وهو هدف عملي، يفيد في التخطيط اللغوي الذي قد يحول دون استفحال ظاهرة لا نرغب في انتشارها.

ونستطيع أن نعد ما قام به لغويونا القدماء من ملاحظاتهم للحن على الألسن ومحاولة الحد من هذه الظاهرة بما أقاموه من دراسات وصنفوه من مؤلفات لمحاربته، من قبيل المنهج التاريخي الذي لاحظوا به هذه الظاهرة، ووقفوا على أسبابها وخططوا للخلاص منها لأنهم اعتبروها تراجعا أو تطوراً غير مقبول، لأنه خروج على صورة اللغة في عصر الاحتجاج.

(1) تاريخ علم اللغة، جورج مونين، ص 215.

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) اسماعيل عمارة : المستشرقون ومناهجهم اللغوية : ص 15.

كذلك ملاحظة التطورات الدلالية والأسلوبية التي تلحق بمعاني الألفاظ وأساليب العربية وبيان حدود هذا التطور والتغيير ومعرفة أنواعه وأسبابه، ومحاولة الحد منه في المستقبل.

وقد استثمر المستشرقون المنهج التاريخي؛ فعلى ضوء منه وضع رينهارت دوزي، ذيل المعاجم العربية، الذي ترجمه إلى العربية من الفرنسية الدكتور محمد سليم النعمي. وقد تتبع دوزي المعاجم العربية وذكر الكلمات التي فات أصحابها تدوينها؛ ومن هذا القبيل مشروع المعجم اللغوي التاريخي لفيشر الذي بدأه ولم يكمله لوفاته سنة 1949م.

ويعتمد المنهج التاريخي في تتبعه للظواهر اللغوية على المادة المكتوبة من الوثائق والنصوص. "فالمنهج التاريخي في الدرس اللغوي، عبارة عن تتبع أية ظاهرة لغوية في لغة ما حتى أقدم عصورها، التي نملك منها وثائق ونصوصاً لغوية، أي إنه عبارة عن بحث التطور اللغوي في لغة ما عبر القرون"⁽¹⁾ كتنبع أصوات العربية الفصحى وأبنياتها الصرفية ودلالة مفرداتها ونظام الجملة فيها تتبعاً تاريخياً منذ القدم إلى وقتنا. وعليه فالمنهج التاريخي منهج حركي، أي يهتم برصد الحركة اللغوية في تغيرها وتطورها سمواً وانحطاطاً، ويتميز هذا المنهج بفاعلية مستمره dynamic فهو يدرس اللغة من خلال تغيراتها المختلفة، وتغير اللغة عبر الزمان والمكان خاصة عملية، فطرية في داخل اللغة، وفي كل اللغات "والوظيفة اللغوية لعلم اللغة الوصفي هي أن يصف، ولعلم اللغة التاريخي أن يعرض التغيرات اللغوية فمن الصعب كثيراً الفصل بين النوعين في مجال التطبيق العلمي"⁽²⁾، فكل وصف في الحقيقة تاريخي والمنهج التاريخي قائم على أساس اشتماله على ملاحظات وصفية من عصور كثيرة ومتتابعة بحيث يمكن استخراج القانون اللغوي من هذه الملاحظات المتقابلة.. وتتجمع الصورة التاريخية من عناصر وصفية⁽³⁾.

وكذلك يمكن أن يتداخل المنهجان لأن اللغة في حالة حركة، فقد نصف موقفاً لغوياً في زمن معين وقد يكون متطوراً عن وصف سابق، وقد يتبعه تطور لاحق، وهكذا تبقى الظواهر اللغوية عرضة لأحداث التغير التي يمكن جمع عناصرها في مرحلة تاريخية لاحقة وقد تكون في كثرتها عصبية على التتبع كاستعمال القاف في اللهجات العربية الحديثة الذي قد يتفق أو يختلف مع نطقها التاريخي الفصحى، وما لحقها من تغيرات لا بد من وضعها في إطارها الزماني والمكاني، والبحث عن تفسير حقيقي لهذه التغيرات.

(1) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة: ص 197.

(2) ماريو باي: أسس علم اللغة: ص 137.

(3) عبد الصبور شاهين: في التطور اللغوي: ص ص 18-19.

«وكان هم المنهج التاريخي والمهتمين به هو ملاحقة حركة اللغة ووصف ما يصيبها من تغيرات وبيان أسبابها من أبعد نقطة يبلغها علمنا ومروراً بكل المراحل التاريخية التي تعرضت فيها لأحداث التغيير⁽¹⁾».

ولا يقتصر البحث التاريخي على تتبع تغيير البنية اللغوية من جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بل يتناول بالضرورة مستويات الانتشار اللغوي في البيئات المختلفة وتغير ذلك عبر الزمن، كما يتناول الانتشار اللغوي ودخول اللغة إلى مناطق جديدة والانحسار اللغوي عن مناطق بعينها (كانحسار العربية في إيران والأندلس، ودراسة موجات التعريب...⁽²⁾).



أُسئلة التقويم الذاتي (3)

- 1- ما المنهج التاريخي في الدرس اللغوي ؟
- 2- ما أهداف المنهج التاريخي في تتبعه للظواهر اللغوية ؟



تدريب (3)

- 1- اذكر أمثلة من الدراسات اللغوية العربية التي يمكن عدها من قبيل المنهج التاريخي.
- 2- هل من ضرورة للمنهج التاريخي في الدراسات اللغوية ؟

(1) المرجع السابق: ص 23.

(2) حجازي: مدخل إلى علم اللغة: ص 26.

5. المنهج الوصفي Synchronic والوصفي الإحصائي

وهو أحد مناهج البحث اللغوي الحديث، وقد ظهر أوائل هذا القرن على يد دي سوسير وقد جاء رداً على المنهج التاريخي الذي كان متبعاً حتى أواخر القرن السابق الذي سيطرت عليه البحوث التاريخية والمقارنة منذ أن أعلن السير وليم جونز عن السنسكريتية وقرباتها من اللغات الأوروبية.

وقد عارض دي سوسير الاتجاهات السابقة في البحث اللغوي، ورأى أنه ينبغي أن تدرس اللغة في مرحلة خاصة وهي حال استقرارها في بيئة مكانية معينة وفترة زمنية محدّدة واتخذ له مصطلح Synchronic أي المنهج الوصفي، وهو المنهج الصالح لدراسة اللغة على أساس علمي. وهذه أهم إضافة إلى الدرس اللغوي الحديث، قدمها دي سوسير في كتابه: Cours de Linguistique Generale ويتناول المنهج الوصفي بالدراسة العلمية لغة واحدة في زمن بعينه ومكان بعينه.⁽¹⁾

وعند مييه إنه " يعني بدراسة الاستعمال اللغوي في عمومه، عند شخص بعينه، في زمان بعينه، ومكان بعينه "⁽²⁾ وإنه يبحث المستوى اللغوي الواحد الفصحي أو اللهجة من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، فالدراسة الوصفية، كما يقول الدكتور إبراهيم السامرائي نوعان:

" نوع يعني بدراسة جميع الحقائق اللغوية للغة واحدة في مكان بعينه، ونوع يعني بدراسة حقيقة لغوية واحدة في مختلف أنحاء الوطن اللغوي... وتتناول هذه الدراسات الإحاطة باللغة في جميع جهاتها الزمانية والمكانية "⁽³⁾ وقد ساد هذا المنهج خلال القرن العشرين حتى أصبح علم اللغة الوصفي مرادفاً لعلم اللغة الحديث.

وقد تأثر كثير من العلماء واللغويين بنظرية دي سوسير مثل فرانز بوز Franz Baos الأنثروبولوجي الأمريكي الذي اهتم بالنظام الصوتي للغة ثم يليه الصرفي والتركيبي وتبعه تلميذه إدوارد ساپير Edward Sapir الذي انصب اهتمامه على الوحدات الأساسية للكلام كالأسماء والأفعال وترتيبها. وجاء بعدهما بلو مقيلد BloomField الذي وضع قوانين المنهج الوصفي الأساسية في كتابه (اللغة Language) وقد ركز على التحليل الصوتي أولاً ثم تحليل الجملة إلى مكوناتها المباشرة من المورفيمات واستبعد المعنى من تحليلاته، وهو تطبيق نموذجي لمبدأ دي سوسير " أن اللسان شكل لا مادة ".

(1) محمود حجازي، أسس علم اللغة العربية، ص 37.

(2) علم اللسان : ص 453.

(3) التطور اللغوي التاريخي : ص 39.

- ويقوم المنهج الوصفي على الأسس التالية⁽¹⁾ التي تميزه عن المناهج الأخرى:
- (1) يعتمد على الدراسة الحقلية القائمة على المادة اللغوية المستقاة من الاتصال المباشر بالواقع اللغوي الحي والمستعمل.
 - (2) وصف الظاهرة اللغوية حال استقرارها في مرحلة زمنية معينة وفي بقعة مكانية محددة، حيث يقوم الباحث بعمليات الملاحظة والفحص والمقارنة والتحليل والتصنيف.
 - (3) إقامة الدراسة والبحث على الصورة المنطوقة للغة أكثر من الاعتماد على الصورة المكتوبة.
 - (4) الاهتمام باللغات الحية؛ لذا يحرصون على السماع من أحد أبناء اللغة الناطقين بها وهو المسمى الراوي اللغوي Informant .
 - (5) الاهتمام باللهجات المحلية أكثر من الاهتمام باللغة المعيارية الفصحى.
 - (6) إغفال الفروق بين الاستعمالات اللغوية النموذجية والرديئة والعامية على قاعدة أترك لغتك وشأنها، لأن لكل مستوى نظامه وقوانينه.
 - (7) لكل لسان بنيته التي ينفرد بها، لذا ينبغي أن يتم وصفه على حده بدقة، على أن لها نظاماً من العناصر المترابطة صوتاً ونحواً ودلالة.
 - (8) اللغة في نظر دي سوسير نظام من العلامات، وفي نظر سابير نظام من الأشكال باعتبارها أنماطاً يسهل رصدها، والتركيبات الشكلية هي همّ اللغوي وهي التي يجب أن تدرس، كذلك العلامة هي الشيء الذي يمكن تحديده وتعيينه فقد تنطبق على الجملة والكلمة والمورفيم والعبارة.
 - (9) الوصفي لا يحفل بتفسير الظواهر وإنما همه استنتاج الحقائق اللغوية ببيان القواعد المطردة منها والشاذة حسبما تدل عليه الملاحظة والتصنيف من خلال واقع اللغة المنطوق كذلك يفضون النظر عن مقارنة حاضر اللغة بماضيها.
 - (10) من أهداف الدراسة الوصفية وضع المناهج التي تساعد في تعليم اللغة من خلال نصوصها المستقرة في آخر صورة لها.
 - (11) كثير من الوصفيين يهتمون بالمفردات من جانبها الصوتي أولاً والوظيفي النحوي ثانياً ويستبعدون المعنى والجانب الاشتقاقي من دراستهم لذلك يتجنبون الاعتماد على المادة المكتوبة، وهذا أمر طبيعي عند الوصفيين لأنه ناتج عن الاهتمام بالصورة المنطوقة للغة وباللهجات من أجل الوقوف على خصائصها لذلك نجدهم يحرصون على استخدام الآلات والأجهزة في تسجيل الأصوات لأنها أكثر دقة في النقاط الصوتية.

(1) انظر: عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث: ص 23-60، وإسماعيل عابرة: المستشرقون ونظرياتهم اللغوية: ص 25-79.

(12) العناية بالدراسات الإحصائية الوصفية لتحديد المميزات اللغوية في طرق الأداء اللغوي، الفصحى أو العامي، والمستعمل في اللغة سواء أكان مكتوباً أم منطوقاً، لأنه من أكثر المناهج موضوعية للوقوف على الظاهرة اللغوية الأكثر شيوعاً.

وقد مر استخدام الإحصاء في دراسة اللغة بمرحلتين كما يقول الدكتور سعد مصلوح⁽¹⁾ ساد في أولهما تجاه يهدف إلى قياس الخصائص العامة أو المشتركة في الاستعمال. وقد طبقه المستشرقون⁽²⁾ في دراسة العربية ففي باب المفردات قام المستشرق الألماني هانز فير بتصنيف "معجم اللغة العربية المعاصرة" وترجم إلى الإنجليزية.

وأما موشيه بريل فيجمع المفردات الأساسية أو الأكثر شيوعاً في الصحافة العربية بين سنتي 1937-1939 ويقوم لاندوا بجمع المفردات الأساسية في النثر الأدبي. وظهرت قائمة 1974 بعنوان "الرصيد اللغوي الوظيفي" وهي قائمة بال ألفاظ العربية الشائعة في معجم ثنائي فرنسي في تونس.

ويقوم هارتموت بوبتسين المستشرق الألماني بإعداد قائمتين في العربية بعنوان "الأفعال الشائعة في العربية المعاصرة". ومستشرق ألماني آخر هو فروم Fromm يعد هو الآخر قائمة بال ألفاظ الشائعة في لغة الصحافة وقد نشر في ليبزيغ في معجم ثلاثي اللغة: عربي، ألماني، إنجليزي.

وأظن أن ما حدث في تاريخنا من جمع لألفاظ الدخيل والمعجمي إلا من هذا القبيل في زمانة كالمغرب للجواليقي وشفاء الغليل للخفاجي. وأما في المرحلة الثانية فقد ساد تجاه هدفه التوصل إلى الخصائص الفارقة أو المميّزة بين الأساليب. لأن العمل الأدبي مثلاً هو في حقيقته نص لغوي، وتتعدد طرق الأداء في الفنون الأدبية، من شعر إلى نثر، ومن قصة إلى مقالة في النثر، وكذلك عند المنشيء نفسه، يختلف ترتيب الوحدات اللغوية وتركيبها، ومواقعها تختلف بحسب ما بينها من علاقات نحوية لأن النحو يضبط نظام الكلام وقوانينه واتجهت عناية الباحثين إلى الدراسة الأسلوبية على أسس أنها علم ألسني يُعنى بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنوية لانتظام جهاز اللغة⁽³⁾.

وتخلّى المنهج الوصفي أو البنوي عن نحو الجملة وانتقل إلى نحو النص واعتباره وحدة للتحليل والوصف: لأن النص هو الذي تتكرر فيه السمات اللغوية التي في الحقيقة الخصائص الأسلوبية التي هي يمكن ملاحظتها وتصنيفها وإحصائها. ويمكننا أن نمثل

(1) الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية: ص 37-38

(2) انظر: المستشرقون ومناهجهم اللغوية للدكتور إسماعيل عمايرة: ص 80-81. وقد نقلنا عنه جهود المستشرقين في هذا الاتجاه.

(3) عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب ص 56.

السمات الأسلوبية التي يمكن إخضاعها في الدراسة اللغوية الوصفية للإحصاء بما يلي:

- (1) نوع الجمل أمهي اسمية أم فعلية، خبرية أم إنشائية، طويلة أم قصيرة.
- (2) استخدام الوحدات المعجمية كألفاظ الحرب والقتال أو ألفاظ الرقة والغزل.
- (3) استخدام الصيغ في زيادة نوع منها أو نقص نوع آخر كاستعمال الصفة المشبهة وصيغ المبالغة مثلاً.
- (4) الميل إلى استخدام ألفاظ البديع وبكثرة والابتعاد عن التراكيب والصور البيانية.
- (5) استعمال الأفعال الماضية أكثر من المضارعة، أو أفعال الأمر.
- (6) استخدام أدوات الربط بكثرة مما يعد مميزاً أسلوبياً... وغيرها.

فإن تكرار سمة مما سبق يوصف بأنه من الخصائص الأسلوبية، ولا يكتفى لتقرير هذه السمة، بمجرد الإشارة إليها وملاحظتها بإجمال بل لا بد من اللجوء إلى المعيار الموضوعي وهو القياس الكمي الذي يجري على المسموع أو المكتوب.

ونجني من المنهج الوصفي الإحصائي نتائج يمكن أن نفيد منها عملياً⁽¹⁾ في عدة جوانب منها المعجمي حيث تقدم قوائم المفردات الأكثر شيوعاً مما يمكن أن يخدم المعجمي عند تصنيف المعاجم حيث تكون المادة أمامه ميسورة، ويأخذ ما يناسبه حسب المعجم الذي يريد تصنيفه سواء أكان متخصصاً أم غير متخصص.

ويقدم هذا المنهج فائدة قصوى لبرامج تعليم اللغات خاصة لغير الناطقين حيث يضع أمام مصنفي الكتب ومعيديها أشهر المفردات والتركيب.

وأما على الصعيد الثقافي فإن هذا المنهج يفيد في معرفة المستوى اللغوي للقراء فيقدم لهم ما يناسب مستواهم اللغوي والثقافي فيما يصنف لهم من مؤلفات علمية أو أدبية أو مقالات صحفية.

هذا عدا ما تيسره لنا هذه المناهج من معرفة الظواهر اللغوية وما طرأ عليها من تغيرات في الأصوات أو تطوير في الدلالات، بعد موازنة صورة الماضي بصورة الحاضر، مما قد يدفعنا لإقامة دراسة تاريخية تضع أيدينا على أسباب هذا التطور لتلاقيه إذا كان غير مقبول، ولتشجيعه إذا كان مقيداً.

والمثال الذي يمكن أن نقدمه للمدارس ونطبق عليه التكامل المنهجي هو صوت الجيم في العربية.

(1) انظر: إسماعيل عمارة : المستشرقون ومناهجهم اللغوية : ص 82-85.

لو طبقنا المنهج المعيارى سنقول إنها صوت مجهور يجمع بين الشدة والرخاوة، أو بين (الانفجار والاحتكاك) أي هو صوت مركب وهي الجيم التي نجد نطقها الفصيح عند مجيىء القراءات القرآنية "ويتكون بأن يندفع الهواء إلى الحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج، وهو عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى التقاء يكاد ينحبس معه مجرى الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصلاً بطيئاً، سمع صوت يكاد يكون انفجارياً هو الجيم العربية الفصيحة".⁽¹⁾

ويفسر الدكتور كمال بشر معنى قولنا إن هذا الصوت المركب بقوله "جزؤه الأول صوت قريب من الدال، والثاني صوت معطش كالجيم الشامية، أو جزؤه الأول صوت قريب من الجيم القاهرية (الكاف المجهورة) والثاني صوت معطش كالجيم الشامية"⁽²⁾ ويقرر الدكتور رمضان عبد التواب أنها صوت مزدوج "صوت دال مغوّ، يعقبه، صوت شين مجهور"⁽³⁾ ويتابع الدكتور رمضان معتمداً على المنهج التاريخى "والظاهر أن صوت الجيم المزدوج هذا، ليس أصلياً في اللغة العربية القديمة، وإنما هو متطور عن جيم تشبه نطق المصريين لهذا الصوت"⁽⁴⁾ يقصد الجيم القاهرية "الخالية من التعطيش الذي تطورت إليه" وهي الكاف المجهورة التي تنطق من الطبق.. وهي في لهجة أهل سوريا عبارة عن شين مجهورة، كما تطوّرت في نطق بعض أهالي الصعيد إلى دال أسنانية لثوية"⁽⁵⁾ أي إن هذا الصوت قد انحل في اللهجات العامة إلى صوت الشين بانتقال مخرجه إلى الأمام في الشام، وإلى الدال بانتقال مخرجه إلى الخلف عند أهل صعيد مصر، وفي اليمن وعمان وهذا يمكن إثباته بالمنهج الوصفي بالسماع من هنا ومن هناك حتى نقف على كيفية نطقها في وقتنا الحاضر، في بلاد العرب.

ونستطيع أن نحكم المنهج المقارن لإثبات أصل هذه الجيم والتدليل على أنها كانت أخت الكاف فتخرج من مخرجها، فيكون نطقها كنطق الجيم القاهرية ثم عطّشت كنطقها عند مجيىء القراءات وهذا ما قال به ليمان Littmann معتمداً على نطقها في اللغات السامية حين يقول "نعرف أن نطق هذا الحرف الأصلي، كان كما هو الآن في مصر وكما كان ويكون في اللغات السامية الباقية مثلاً كلمة: "جمل" في العبرية gāmāl، وفي السريانية gāmāl: وفي الحبشية: gamal".

(1) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية: ص 77-78.

(2) كمال بشر: الأصوات: ص 61.

(3) المدخل إلى علم اللغة: ص 51.

(4) المرجع السابق: ص 52.

(5) نقلاً عن الدكتور رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة: ص 52.

أما الدكتور إبراهيم أنيس فقد برهن على أنها كانت في الأصل خالية من التعطيش لعل صوتية غلبت عليها، وهي "ان الحركة الأمامية قد جذبتها إلى الأمام وأصبح مخرجها أقرب إلى وسط الحنك بعد أن كان في أقصى الفم" ⁽¹⁾ وقد أثبت غلبة هذه اللة بالمنهج الوصفي الإحصائي حين قام بعملية إحصاء للكلمات القرآنية التي تشتمل على الجيم بوصفها فاء الكلمة فوجدها في المعجم المقهرس لألفاظ القرآن الكريم محركة بالفتح 1107 مرة، ومحركة بالكسرة 157 مرة، ومحركة بالضم 102 مرة.. وإذا جمعت المرات التي شكلت فيها الجيم بالفتحة والكسرة وجد أنها في حدود 1264 أي إنها مشكلة في أغلب حالاتها بحركة أمامية، وأن الحركة الخلفية فيها أي الضمة قليلة جداً، إذا قيست بمرات الحركة الأمامية. وعليه فإن غلبة الحركة الأمامية وكثرتها يجعل الاحتمال قوياً أن نطقها تحرك إلى الأمام بسبب الحركة المرفقة، أي انتقل مخرجها إلى الأمام فأكسبها صفة التعطيش الذي نجاهه في القراءات القرآنية.



أسئلة التقويم الذاتي (4)

- 1- ما أهم الأسس التي يقوم عليها المنهج الوصفي ؟
- 2- لقد مر المنهج الوصفي الإحصائي بمرحلتين اذكرهما واذكر الأمثلة تبيين توجهات الدارسين فيها.



تدريب (4)

- 1- اذكر ما يمكنك من فروق بين المنهجين التاريخي والوصفي.
- 2- أقم دراسة تطبيقية على صوت القاف، من وجهة نظر وصفية وتاريخية ومعيارية.

(1) الأصوات اللغوية: ص 81 وما بعدها.

6. الخلاصة

- تناولت هذه الوحدة مناهج البحث اللغوي. وعرفنا مقوماتها والأسس التي تقوم عليها نحو :
- تمسك المعياريين بالقاعدة المطردة فهي معيار الصواب، ويفرضونها باعتبارها النمط اللغوي الذي يتبقي استعماله.
 - الهم الأول للمنهج المقارن هو بيان القرابة بين اللغات في الجوانب اللغوية.
 - أما المنهج التاريخي فيسعي إلى تتبع الظواهر اللغوية في ماضيها وحاضرها لمعرفة ما طرأ عليها من تطور لتفسيره.
 - المنهج الوصفي يقوم على الدراسة العلمية للغة أو اللهجة في زمن بعينه ومكان بعينه، فهو منهج سماعي.
 - المنهج الوصفي الإحصائي يهدف إلى قياس الخصائص العامة للاستعمال اللغوي أو الخصائص الفارقة بين الأساليب، كمياً.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

- 1- الغرض التعليمي من المعيارية يتمثل في أنه يجب أن يكون لكل لغة قواعد ثابتة ومعايير صوابية باعتبارها نماذج يمكن احتذاؤها عند تعلم هذه اللغة أو تلك. وهذه المعايير توفر لهذه اللغة مستوى يجب المحافظة عليه.
- 2- أما الهدف الحضاري للمعيارية فهي تحافظ على العنصر الموحد للأمة وهي الفصحى، وكذلك توفر المعيارية للفصحى أسباباً من الاستمرار والازدهار.

تدريب (2)

- 1- إن ميادين البحث في الدراسات اللغوية المقارنة تشمل الجوانب اللغوية : الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية؛ من أجل الوصول إلى تفسير لما يحدث من تطور صوتي، أو من أجل إجراء المقارنات بين اللغات في الأفعال والمشتقات على المستوى الصرفي، وعلى المستويات الأخرى من أجل تأصيل الظواهر اللغوية.
- 2- أما الأهداف غير اللغوية من الدراسات المقارنة فتتمثل في محاولة إثبات تفوق حضاري لبعض الأعراق والعقول على غيرها.

تدريب (3)

1- وضع المعاجم وملاحقة ما يصيب الألفاظ من تطور في معانيها، والكتب النحوية التي أقيمت على مادة مكتوبة في غير من وضعها، وكذلك كتب الدراسات اللغوية فإنها قد وضعت معايير تأصيلية للتحليل اللغوي والظواهر اللغوية من خلال التتبع الدقيق للبنى اللغوية صُرفاً ونحواً ودلالة، نحو كتاب الخصائص لابن جني والصاحبي في فقه اللغة لأحمد بن فارس.

2- للدراسات اللغوية التاريخية ضرورة قصوى في بناء قواعد اللغة على المسموع من اللغة ولا يمكننا معرفة ما أصاب البنى اللغوية من تطور دون الرجوع إلى الصورة التي كانت عليها، وكذلك لا يمكننا معرفة أصول اللغات دون الرجوع إلى تاريخها، كذلك يضطرنا في كثير من الأحيان الانحسار اللغوي وانتشاره للعودة إلى الماضي.

تدريب (4)

1- الفروق كالتالي :

المنهج الوصفي	المنهج التاريخي
1- يقوم على الصورة المنطوقة منها.	1- يعتمد على الصورة المكتوبة من اللغة.
2- الاهتمام باللهجات المحلية عند دراستها.	2- الاهتمام بدراسة الفصحى.
3- ينصب على استنتاج الحقائق اللغوية من خلال الواقع اللغوي.	3- همّه تفسير الظواهر اللغوية.
4- وصف الظاهرة اللغوية وقت حدوثها في مرحلة زمنية معينة ثم القيام بالتحليل والملاحظة والاستنتاج.	4- وصف الظاهرة اللغوية في مرحلة زمنية سابقة ثم تفسيرها.

2- نطق القاف القياسي (المعياري) : إنها صوت طبقي، أي يرتفع مؤخر اللسان حتى يتصل بالطبق فيسد المجرى أو يضيقه تضيقاً يؤدي إلى احتكاك الهواء بهما. وهي صوت لهوي (نسبة إلى اللهاء وهي عضلة صغيرة متصلة بنهاية سقف الحنك) وهي صوت مجهور، انفجاري (شديد) أيضاً، وهو وصف اللغويين العرب.

وبمقارنة نطقها في اللغات السامية يستدل على نطق تاريخي قديم لها وهو أنها صوت شديد مهموس، وهو النطق الذي يسمع من أفواه مجيدي القراءات القرآنية.

وقد حدث لهذا الصوت تغييرات وإذا أردنا أن نقوم بدراسة وصفية لنطقها في وقتنا الحاضر، وعلى مساحة الوطن العربي سنجد أنها تنطق :

همزة في البيئات الحضرية من مصر والشام، وتنطق غينا في السودان وأحياناً في جنوبي العراق وبلدان الخليج العربي فيقال : الاستغلال في الاستقلال.
وتنطق جيماً في بلدان الخليج أيضاً فيقال : فريج، وصدج في (فريق وصدق). فتنطق صوتاً أقرب إلى الكاف في ريف فلسطين فيقال : كال في قال، وفي السودان وكذلك. فتنطق كذلك صوتاً مزدوجاً كالجيم القاهرية في كثير من بلدان الوطن العربي خاصة في شمال إفريقيا، أي تنطق كما ينطق صوت G في الإنجليزية كما في Good.



8. المراجع

- 1- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط5، القاهرة : مكتبة الإنجلو المصرية، 1975م.
- 2- باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، طرابلس : ط جامعة طرابلس، 1973م.
- 3- بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، الرياض : ط جامعة الرياض، 1397هـ - 1977م.
- 4- بشر، كمال، الأصوات (من علم اللغة العام)، ط1، مصر : دار المعارف.
- 5- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، بيروت : دار الهدى للطباعة والنشر، بلا ت.
- 6- الحاج صالح، عبد الرحمن، مدخل إلى علم اللسان الحديث 3، مجلة اللسانيات، المجلد الثاني، الجزائر : 1972م.
- 7- حجازي، محمود، أسس علم اللغة العربية، القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر، 1979م.
- مدخل إلى علم اللغة، القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978م.
- 8- حسان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية. الدار البيضاء : دار الثقافة، 1958م.
- 9- الراجحي، عبده، النحو العربي والدرس الحديث، بيروت : دار النهضة العربية، 1979.
- 10- السامرائي، إبراهيم، التطور اللغوي التاريخي: ط3، بيروت : دار النهضة العربية، 1979م.

- 11- سيبيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب : تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة : الهيئة المصرية العامة، 1977م.
- 12- شاهين، عبد الصبور، في التطور اللغوي، ط2، بيروت : مؤسسة الرسالة، 1405هـ-1985م.
- 13- عمارة، إسماعيل، المستشرقون ومناهجهم اللغوية، ط1، إربد : دار الملاحى للنشر والتوزيع، 1408، 1988م.
- 14- عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط1، القاهرة، الرياض : مكتبة الخانجي، دار الرفاعي، 1982م-1403هـ.
- 15- قنديرىس، جوزيف، اللغة، تعريب الدواخلى والقصاص، مصر : لجنة البيان العربى، مكتبة الإنجلو المصرية، 1950م.
- 16- المسدى، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط1، تونس ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1982م.
- 17- مصلوح، سعد، دراسة لغوية إحصائية، ط1، القاهرة : دار الفكر العربى، 1404-1982م.
- 18- مونين، جورج، تاريخ علم اللغة، ترجمة بدر الدين القاسم، دمشق : مطبعة جامعة دمشق، بلا ت.
- 19- ميه، أنطوان، علم اللسان، ترجمة د. محمد مندور (ملحق بكتابه النقد المنهجى عند العرب)، القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر، بلا ت.

مسرد مصطلحات المقرر

Pejoration	انحطاط المعنى	Ablaut	إبدال
Plosive	انفجاري (صوت)	Replacement	إبدال الأصوات
Nasal	أنفي	Sound Shift	
	ت	Fricative	احتكاكي
Diachronic (Historical)	التاريخي (المنهج)	الإحصائي (منهج وصفي)	
Alternation	تبديل	Statistical	
Simplification	تبسيط الصوت	Syncope/ Complete assimilation	الإدغام
Nasal Chamber	تجويف أنفي	ارتفاع المعنى (رقى المعنى)	
Mouth Cavity	تجويف الفم	Enhancement	
Analysis	تحليل	Diglossia	ازدواجية
Transformation	تحويل	A Family of Languages	أسرة لغوية
Diluteness	تخفيف		
Synonymy	ترادف	Styles	أسلوب
Structure	تركيب	Dental	أسناني
Construction, Composition		Semi vowels	أشبه العلة
Consonantness	تسكين	Polysemy/	اشتراك لفظي
Liaison	تسهيل	Homonymy	
Declension	تصرف	Derivation	الاشتقاق
	تصنيف اللغات على أساس القرابة	Velarization	إطباق
Genetic Classification		Neutralization	التحييد
Narrowing of	تضييق المعنى	Inflection	إعراب
Meaning		Organs of Speech	أعضاء النطق
Antonymy	تضاد	Borrowing	الاقتراض
Sound Change	تطور صوتي	Imalut	الإمالة
Lengthening	تطويل الصوت	Transition	انتقال (المعنى)
Multilingual	تعدد اللغات	Linguistic	(الانثروبولوجيا) (اللغوية)
		Anthropology	

Long vowel	حركة طويلة	Multiple Meaning	تعدد المعنى
Short vowel	حركة قصيرة	Arabization	التعريب
Redundancy	حشو	Definition	التعريف
Guttural	حلقى (صوت)	Sound Change	التغير الصوتي
(Pharyngeal)		Semantic Change	تغيير دلالي
Larynx	الحنجرة	Zero Change	التغيير الصفري
Glottal	حنجري	Contrast	تقابل
Palate	الحنك	Shortening	تقصير (الصوت)
		Intonation	تنغيم
	ح	Widening	توسيع المعنى
Cuneiform	الخط المسماري	Meaning	
	د		ث
Significant	الدال	Static	ثابت
Pitch	درجة الصوت	Culture	ثقافة
Sound	الدلالة الذاتية الطبيعية	Bilingualism	ثنائية اللغة
Symbolism			ج
	ذ	Unilateral	جانبي
Vibration	ذبذبة	Genitive	جر (إضافة)
	ر		ح
Lungs	الرئتان	Case	حالة
Informant	الراوي اللغوي	Nominative	حالة الرفع
Regressive	رجعية (مائلة)	Resonating Chamber	حجرة الرنين
Sonority	الرين	Discourse	حديث
		Haplology	الحذف (الصوتي)
	س	Preposition	حرف الجر
Prefix	سابقة	Vowel	الحركة
Characteristics	سمات	Diphthong	حركة ثنائية

Uvular	لهوي	ق	
Uvula	اللهاة	Law of Least	قانون الجهد الأقل
Slang	لهجة عامية	Effort	
		Wind-pipe	القصبة الهوائية
	م	Interversion	القلب
Voiced	مجهود	(metathesis)	
Dissimilation	المخالفة	Phonetic Laws	قوانين صوتية
Point of articulation	مخرج الصوت	Sound Laws	
Derivatives	مشتقات	Analogy	قياس
Stressed	مشدد	ك	
Conditional	مشروطة	Syllabic Script	الكتابة المقطعية
Idiom (term)	مصطلح	Quantitative	كمي
Grammatical	المعنى النحوي		
Meaning		ل	
Prescriptive	معياري	Suffix	لاحقة
Contrast	مقاييرة	Solecism	اللمح
Emphatic	مفعم	Lisping	الثقة
	مقابل استبدال (استبدال فونيمي)	Alveolar	لشوي
Phonemic Substitution			اللغات العازلة (المفردة)
comparative	مقارن	Isolating Languages	
Syllable	مقطع	Indo-	اللغات الهندية الأوروبية
Immediate	مكونات مباشرة	European Languages	
Constituents		Agglutinative	لغة لاصقة
Features of Sounds	ملامح الأصوات	Language	
Distinctive	ملامح تمييزية	Standard Language	لغة معيارية
Features		Liturgical Language	لغة مقدسة
Assimilation	عائلة	Linguist	لغوي
		Dialect	لهجة

System	نظام	Archaism	مهجل (من الكلمات)
		Unvoiced	مهموس
هـ		Morpheme	مورفيم
Glottal Stop	الهمزة	Creole	المولد
و		ن	
Vocal Cord	وتر صوتي	Accent/Stress	النبر
Unit	وحدة	Primary Accent	نبر أولي
Synchronic	الوصفي	Secondary Accent	نبر ثانوي
Descriptive		Sandhi	النحت

هذا الكتاب

يحدد الإطار العام لأنظمة العربية . وقضاياها في الماضي والحاضر . وخصائصها وعلاقتها بغيرها من اللغات . واتجاهات البحث فيها. ومن أجل أن نفي هذه المسائل حقها من البحث والدرس والتحليل فنصل إلي الغاية المرجوة .

ويأتى هذا الكتاب فى ست وحدات هي: (مفهوم علم اللسان العربي . أصالة جهود علماء العربية القدماء فى علم اللسان. أصول العربية . العربية الفصحى واللهجات . العربية والتطور اللغوي . العربية والمناهج اللغوية).



الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوزيع

P.O Box: 203 Heliopolis 11757 Cairo - Egypt

Mobile: 002-010-1763677 Mobile: 002 - 010 - 3401184

E-mail: info@uarab.net u_arab@yahoo.com Web : www.uarab.net